الإمام الشهيد

يحيى حميد الدين

بقلم

أحمد بن محمد بن الحسين بن يحيى حميد الدين

الجزء الثانى

تنفيذ المتن والغلاف
بإدارة الجمع وفصل الألوان
دار المعارف

الفصل العاشر

استشهاد الإمام يحيى فى انقلاب عام ١٩٤٨

لا يختلف اثنان على أن القراءة المنصفة للتاريخ لا تكون إلا بعد مضى حقبة من الزمان، قد تصل إلى مائة عام، ريثما يتحرَّر فيها المجتمع من آثار التعبئة والقمع الثقافى الذى تمارسه السلطة فى حق مخالفيها؛ إذ إن مساحة التعبير بالحقيقة محفوفة بالمخاطر دائمًا فيما يتعلَّق بالأنظمة التى دخلت فى ذمة التاريخ. وهجاء الحكام الذين مضوا عادة قديمة جرى عليها الناس؛ تزلفًا للمتربعين الجدد على السلطة، فما من أحد يتجرأ على القيام بمراجعة تاريخية تبرز منظار يخالف رؤية القائمين على أنقاض من سبقهم فى الحكم، فمسلسل التجريم، والتخوين، والرجعية جاهز لمن يجرؤ على المخالفة؛ وبناء على ذلك، وجدنا الكثير من الكُتَّاب فى اليمن خلال نصف القرن الماضى، مجاراة للتيار السائد آنذاك؛ وظفوا أنفسهم مادة للدعاية؛ لخدمة السلطة العسكرية فى صنعاء، فأغرقوا المكتبات بالمجلدات والمصنفات التى تُمجّد ما اُصطلح على تسميته ثورة ١٩٤٨، ونسجوا الوقائع ودعاوى البطولات الأسطورية بلا كيل ولا وزن للقائمين على هذا الحدث، مُعدّينهم كوكبة من الرواد الأبطال والمثقفين المستنيرين، الذين قاموا بأول ثورة دستورية وطنية فى تاريخ العرب، وأقاموا المؤتمرات والندوات للاحتفاء بهذا الحدث، وسخّروا كافة الإمكانيات لإشباع تفاصيله تلميعًا وهيلمانًا، وشكَّلوا اللجان التى قامت بدور الكومبارس فى الترديد والاستظهار لوجهة النظر الرسمية، وهجاء أية شخصية علمية تحاول اكتشاف دوافع هذا الانقلاب وعلاقته المشبوهة مع الإنكليز.

واقتفى تلك الآثار الكثير من الأدعياء من ذرية الانقلابين، الذين اعتقدوا أن حركة التاريخ قد وقفت عند انقلاب أسلافهم، فأطلقوا العنان لخيالهم فى تفسير كل شىء يحدث فى اليمن من خلال ثقب هذه الحركة، وركبوا ما شاؤوا من البطولات الوهمية والأمجاد الزائفة، ووضعوا أسلافهم فى مصاف القديسين، ومنحوا أنفسهم ألقاب الشرف والوطنية، بوصفهم الورثة الطبيعيين لجريمة قتل الإمام يحيى، التى عدوها ملحمة تاريخية، وإرث حضارى، وعمل بطولى خارق للعادة يجب أن يُدرَّس للأجيال القادمة فى اليمن، واستراح هؤلاء واهمين لأكثر من نصف قرن على وسادة ذلك التطبيل والتزمير، وفى ظنهم أن التاريخ قد وقف عند رؤيتهم التى عدوها حقيقة مطلقة لا تقبل الجدل.

أما غيرهم من عشاق التباهى الثورى، فجنحوا إلى الخيال فى التشريق والتغريب، يقتاتون من ذكرى هذا الحدث، إلى درجة أن حولوا الكثير من أقربائهم المسجونين فى

عهد الإمام يحيى فى قضايا اختلاس وإجرام إلى سجناء رأى ونضال، يتحتَّم على الدولة تمجيدهم ورعاية ذريتهم؛ وفاء لمواقفهم الوطنية، يقول المؤرخ والأديب عبدالله البردونى فى هذا الصدد معرضًا بأحد الدكاترة الأكاديميين، ممن كان يشغل مركزًا بارزًا فى جامعة صنعاء، وفى مركز الدراسات والبحوث اليمنى، وقد غلت مراجل حقده لسجن الإمام يحيى والده لسنوات بتهمة الاختلاس من بيت مال المسلمين، عندما كان مسؤول الشؤون المالية لأحد عمال الإمام فى إحدى مناطق اليمن: «كان السخط على العهد الإمامى عن تعمل أو عمل، هو المؤهل الثورى، فمن سجنه الإمام لأى سبب، فهو ثائر، حتى الذين سرقوا الصناديق وكانوا أمناءها، مع أنها ثروة الشعب لا خصوصيات الإمام»[1]. وتبلغ المسخرة منتهاها، عندما نجد مؤلفات سطرها ثلة من ذرية الانقلابيين، يصرحون فيها بأن قتل الإمام يحيى فى انقلاب عام ٤٨، واجب دينى يضاهى خروج الحسين بن على على يزيد بن معاوية[2]، وأن مصرع أسلافهم على يد الإمام أحمد، الذى أقام حكم القصاص الشرعى على قتلة أبيه أشبه ما يكون باستشهاد الأنبياء[3].

وإزاء هذا التهريج، فإنه خليق بالباحث أن يميِّز بين المعلومة والرأى، وأن يُحرّر معرفته للتاريخ من الكليشيهات والقوالب الجامدة المثقلة بالطرائف المضحكة. فالمشكلة هى مشكلة وعى، والكلمة أمانة، وهنا تبرز الحاجة إلى التأمل والمراجعة والقراءة المتأنية؛ لإعادة اكتشاف البواعث الحقيقية والمقاصد الخفية لانقلاب ١٩٤٨ بعيدًا عن الحذلقات اللفظية والدعاوى الكاذبة، ولن نتمكّن من إعادة الاكتشاف للحقائق، ما لم نطرح للنقاش أسئلة كبرى قد يجفل البعض من طرحها، إلا أنه لا بد منها لتبيان الحقيقة، والسؤال الأول الذى يجدر بنا أن نطرحه هو:

هل كان انقلاب عام ٤٨ ثورة شعبية انبثقت من روح الشعب كثمرة لحراك اجتماعى ومطالب شعبية، أم أنه مجرد انقلاب قصر تضمَّن مشروعًا سلطويًّا لتحقيق مصالح خاصة لمجموعة من الأرستقراطيين، والإقطاعيين، ومن لف لفهم من المتنفذين وأصحاب الحظوة القريبين من دوائر القرار والسلطة؟

لا تحتاج هذه الحركة إلى كبير عناء لتحليل جذورها ودوافعها، ولكن قبل الخوض فى هذه المسألة يجدر بنا أولاً تعريف معنى الثورة، ومعنى الانقلاب، فبالرغم من أن المفاهيم قد تعددت لكل منهما تبعًا للنظريات فى العلوم الاجتماعية، إلا أنه بالمجمل نستطيع أن نعبّر عنهما بالآتى:

فالثورات الحقيقية تولد فى الحقول والجبال بين فئات الشعب، ولا تولد بين القصور والدواوين الملكية، كما حدث فى انقلاب ٤٨، والثورات لا تكون إلا عبر مخاض تاريخى طويل مع تفاعل نطاق شعبى واسع، بتحرك قطاعات عريضة من الشعب، زاحفة فى الشوارع تحت قيادة زعماء شعبيين، أفنوا أعمارهم فى الخنادق لا القصور الفاخرة نحو المطالبة بتغيير جذرى فى نظام الحكم السياسى، يتبعه تغيير شامل فى النظام الاجتماعى، والفكرى، والثقافى، والاقتصادى، وتحويل مصدر السلطة والنفوذ والثروة من النخبة الحاكمة إلى كافة شرائح الشعب عبر ممثليهم، كما حصل فى الثورة الفرنسية والبلشفية والإيرانية، إضافة إلى ثورات الربيع العربى فى عام ٢٠١١ فى تونس، ومصر، وليبيا، واليمن، وسوريا.

بينما الإنقلاب حدث معزول فى حدِّ ذاته، منقطع عن أى سياق تاريخى، ويفتقد إلى جذور التفاعل الشعبى والمخاض التاريخى، بل هو مجرد ردة فعل طارئة ومفتعلة لدوافع ذاتية يقوم بها مجموعة محدودة نسبيًّا من الأشخاص، غالبًا ما تكون من شريحة النخبة الحاكمة نفسها، أى جماعات من رجالات الحكومة ومن لفَّ لفهم لإسقاط نظام قائم، وتولى مقاليد الأمور بدون حدوث تغيير يُذكر فى تركيبة الحكم أو البنية الاجتماعية، والفكرية، والثقافية، والاقتصادية، فالتغيير الذى يقوم به الانقلاب لا يتعدَّى تحويل مراكز السلطة والنفوذ والثروة من نخبة إلى نخبة.

فهل كانت حركة ١٩٤٨ ثورة أم انقلابًا ؟

إن إطلاق صفة الثورة على إنقلاب عام ٤٨ أمر بالغ الاعتساف والتسطيح، فكيف يمكن لنا أن نطلق صفة الثورة على هذا الحدث، فى الوقت الذى يؤكِّد فيه أحد أقطابها الرئيسين، وهو محمد محمود الزبيرى أنها كانت ارتجالاً مدفوعًا فُعل فى لحظات لم تعد النفسية مخيرة عن الإحجام بقيام عمل ما[٤]؟ «وأين جذور التفاعل الشعبى لهذه الثورة؟ هل فى حزب الأحرار الذى أطلق مؤرخ اليمن وشاعرها الكبير عبدالله البردونى على أفراده حفنة من المنتميين للطبقة الفوقية البعيدة عن الحس الحقيقى للشعب[٥]، أم هو فيمن عدهم الأكاديمى البارز، الدكتور عمر الجاوى تجمعًا لحزب محصور بالعناصر الإقطاعية الكبيرة المناوئة لحكم الإمام يحيى، التى لم تهتم مطلقًا بالجماهير[٦]، أم هو فى الأرستقراطيين من آل الوزير، وآل نعمان، ومن لفَّ لفهم من الإقطاعيين والمحاسيب الذين وصفهم محسن

العينى رئيس وزراء اليمن السابق بالعائلات الرجعية التى ثارت مقابل ما كانت تبغيه من مناصب وامتيازات[٧]؟ وهل تذمُّر أفراد من الإقطاعيين والأسر المتنفذة القريبة من دوائر القرار والسلطة، وتشكيلهم حزبًا معارضًا عام ١٩٤٤، وخوضهم صراعًا سياسيًّا مع الإمام، أجاز لهم أن يسموا ذلك مخاضًا تاريخيًّا، وأن ينعتوا أنفسهم بشىء من المبالغة بمسمى جبهة وطنية حقيقية، أم أن تطلع هؤلاء الإقطاعيين والأسر المتنفذة، كما قال الدكتور محمد على الشهارى: لم يتجاوز سقف طبقتهم الأرستقراطية، ولم يتخطَ حدود مصالحهم الأساسية[٨]؟ وكيف نفسِّر النعوت السلبية التى أطلقها عليهم الكتاب والمفكرون اليمنيون، ومنهم إضافة إلى البردونى، والجاوى، والعينى، والشهارى؛ الدكتور صادق عبده على، الذى وصفهم بقوله: «إن انتصارات الإمام يحيى خلقت لنا فئة من الإقطاعيين المهزومين، الذين صادر الإمام يحيى ممتلكاتهم؛ لذا امتلأت قلوبهم حقدًا على الإمام وسلطته، وعدت تترقَّب أى فرصة لتعبر عن غضبها وحقدها؛ مما يعنى أنهم كانوا مهيئين للانتفاضة ضد السلطه القائمة فى أى وقت من الأوقات[٩]. والكاتب عبدالله سلام ناجى، الذى وصفهم بالعناصر التى قلَّص الإمام يحيى سلطاتها وقيَّد حريتها، بعد أن كانت تعمل معه وتريد الاستئثار بالحكم دونه، أو تريد الخلاص منه؛ نقمة وضيقًا أو حقدًا[١٠]. والدكتور أبو بكر السقاف، الذى وصف حركتهم بقوله: «حركة الأحرار تمثِّل فى الأساس مصالح فئات وطبقات فى الشمال، كانت ترى فى الإمامة عائقًا يعوقها عن استلام السلطة، وممثلوا الإقطاع أحد الأطراف الأساسية. وعداء هؤلاء للإمامة فى الواقع يمثِّل فى جوهره صراعًا داخل طبقة واحدة، وتناقضًا بين ممثليها، لا يخرج بمجمل فكره وأهدافه عن آفاق الطبقة المشتركة[١١].

وأين مظاهرالحراك والتغيير الشامل فى النظام الاجتماعى والفكرى والثقافى؟ وأين التحولات الاقتصادية والسياسية التى عايشتها الثورات الشعبية الحقيقية؟ هل هو فى مجرد استبدال إمام بإمام آخر يحصر رأس السلطة، وولاية العهد، ورئاسة الوزراء فى أسرته، كما فعل عبدالله الوزير مع مشاركة بعض العائلات الإقطاعية والأرستقراطية المنتمية للطبقة نفسها والتى احتكرت الوزارات، أم أنه فى خلو برنامج الانقلابيين من أى تصور متكامل لمشروع حضارى وبرامج تحديثية وتنموية....؟ للأسف، لا نجد كما يقول شاعر اليمن البردونى فى برنامج الأحرار المعلن، أى عمل مفيد للشعب، فلا مطالب

حقيقية للتحديث والتنمية، كبناء السدود، واستصلاح الأراضى، واستيراد الآلات الزراعية الحديثة، وفتح الأعمال للأيدى العاطلة، ولا أية برامج لمعالجة الفقر(١٢). ولا نجد فيه أيضًا أى ذكر أو أى شعار كان لتحرير أرض اليمن من رجس الإنكليز، وفى هذا السياق يقول الكاتب الدكتور أبو بكر السقاف: «لا نستغرب إذا لم تجد الوحدة اليمنية مكانًا فى برنامج الأحرار، فالوحدة اليمنية ما كانت ولن تكون همًّا إقطاعيًّا»(١٣).

ويقول الدكتور محمد على الشهارى: «إن صورة الاستعمار فى عين المعارضة اليمنية لم تكن قبيحة ولا مستهجنة، ولم تكن تدعو إلى النفور والاشمئزاز، وإنما كانت على العكس من ذلك مقبولة وحسنة إلى حد الرضا، وإلى حدِّ الافتتان بها؛ ومن هنا فإن المعارضة اليمنية لم تنبس ببنت شفة فى حقِّ الاستعمار البريطانى الذى يحتل نصف البلاد، وإنما ركَّزت همها كله على الاستبداد المهيمن على شمالها، بل أكثر من ذلك، تعاونت مع دوائر الاستعمار البريطانى فى عدن من أجل إسقاط حكم آل حميدالدين»(١٤). وكما قال محسن العينى، رئيس وزراء اليمن السابق بأن كل ما وُجد من نتاج لهذا الانقلاب، هو أن عائلة واحدة حصلت على الملك ورئاسة الوزراء وملحقاتها، وعائلة ثانية على وزارتين وإقليم كبير، وهكذا دواليك(١٥)؛ ومن هنا نلمس أن محور برنامج الانقلابيين ومدار تفكيرهم، كان يدور حول التهافت على النفوذ، وترسية الولاءات الأسرية، وحصر المطالبات بتأسيس المجالس السياسية والوزارات التى من خلالها سوف يصلون إلى أروقة السلطة، وحسبنا أن نستشهد برأى الإدارة البريطانية فى عدن، التى أكدت على أن حكومة هذه الحركة لم تأتِ بشىء جديد أكثر من استبدال إمام بإمام(١٦).

أما إذا نظرنا إلى المادة الأخيرة من الميثاق المقدس لهذا الانقلاب، والذى ختموا به دستورهم بمعزل عن الشعب، فسوف نتعرَّف على حقيقة مقاصدهم: تقول هذه المادة: «تعنى حكومة العهد الجديد بمكافأة الأحرار الوطنيين الذين ضحوا بأموالهم وجهودهم فى سبيل خدمة الشعب اليمنى، والذى يُقدِّر لهم هذه التضحيات الكريمة»(١٧)، وهذا هو بيت القصيد من كل هذه الزحمة والضجيج الذى افتعله القائمون على الحركة، ضرب المحسوبية فى مفاصل حركتهم، والتحالف المبنى على تبادل المنافع، واقتسام النفوذ والسلطة بينهم.

أما عن التفاعل الشعبى مع هذه الحركة، فيمكننا إدراك حقيقته بتسليط الضوء على خيبة أمل الانقلابيين أنفسهم من الشعب اليمنى الذى خذلهم، وفى هذا الصدد يقول رئيس

وزراء الانقلاب على عبدالله الوزير، بأنه أثناء مروره بين القبائل بعد قيام الانقلاب، تأكد له عن طريق اتصالاته المباشرة أن الرأى العام ضد الثورة، وأن القبائل استنكروا مقتل الإمام يحيى[١٨]. أما قطب الانقلابيين محمد محمود الزبيرى، فيقول: «وجدنا الشعب يتخلّى عنا، ورأينا أن تحجره وانصياعه للحكام أبعد مما تصورناه»[١٩]. ويقول: «إن الأحرار أخطؤوا؛ لأنهم عملوا وحدهم، ولأن الغالبية العظمى خدعت كفاحهم، ووضعت على عواتقهم الأعباء الجسام، ونظرت إلى تضحياتهم فى حياد أثيم»[٢٠].

ويقول: «عشنا خمس سنوات فى عدن ليس بيننا وبين الشعب اليمنى فى عدن إلا الوعد والوعيد، والسباب والشتائم، والتربص للغدر والاغتيال؛ وذلك لأنا فجعناهم فى مقدساتهم»[٢١]. ويقول: «الحقيقة أن الشعب هو الذى لم يؤمن بنا كما آمن بالطغاة، بل كفر بنا كفرًا بشعًا وقطع رؤوسنا. الشعب هو الذى لم يؤمن بنا، والشعب معذور فى كفره وتنكره؛ لأنه لا يعرفنا ولا يعرف ما نريده له، وإذًا فعلى من تقع مسؤولية قيام هذه الهوة بيننا وبين الشعب؟» ويضيف الزبيرى قائلاً: «إن قوتنا - نحن الأحرار جميعًا - قوة وهمية خيالية، فإن الطغيان نفسه لا يعتمد على حديد أو نار أو أموال، وإنما يعتمد على قوته الوهمية الغامضة التى نعرف كلنا أنها خرافة لا وجود لها» [٢٢].

ويقول: «إن الأحرار جهلوا سر قوتهم، ولم يعيشوا فى أوساط الجماهير، فافتقدوا هذه القوة، وعاشوا فى كفاح، ولكن أين طبقة التجار والموظفين التى كانت تستطيع أن توفر من قواها المادية ما يُحقِّق الغاية المبتغاه؟ لقد كانت عائلة أو عائلتان من عائلات كثيرة غنية فى اليمن تستطيع لو أحبت بلادها الحب الصادق، وضحّت التضحية الكاملة أن تُزوِّد الحركة الوطنية بما يضمن لها النجاح. إن الأحرار اتصلو كثيرًا بهذه العائلات، وناشدوها أن تدعم مركز الحركة، وأن تتيح لها الإمكانيات التى تُمكِّنها من وقاية الشعب من الأخطار، وحماية رجال الشعب من الحكم الباطش، ولكن الأحرار لم يجدوا سميعًا ولا مجيبًا»[٢٣].

أما عن تفاعل مشايخ القبائل فى اليمن مع هذه الحركة الانقلابية، فبشهادة الكثير من الانقلابيين أنفسهم، لم يتجاوز المتفاعلون عدد الأصابع، وهم أنفسهم كانوا يكتمون عن قبائلهم أخبارها [٢٤]. وفى هذا السياق يقول محمد عبدالله الفسيل، وهو أحد أقطاب هذه الحركة الانقلابية: «إن القبائل ثاروا كالمجانين لقتل الإمام يحيى؛ مما يبيِّن لنا مدى تغلغل العقيدة فى نفوس الناس، ومدى اعتقادهم فى الإمام»[٢٥] ويقول بعد فشل الحركة الانقلابية: «يجب أن نعترف بشجاعة، أن أسرة حميدالدين هم القوة الفعلية التى لا يوجد غيرها، ولا يقف أحد أمام واحد من أولاد الإمام يحيى كائنًا من كان»[٢٦].

ويقول قطب آخر من أقطاب الحركة الانقلابية، وهو عبدالله الشماحى، الذى وصف سذاجة الأحرار حين اعتقدوا أن قبائل اليمن تقف إلى جانبهم: «خيال نعم به أحرار اليمن زمنًا أوقعهم بالغرور ومغباته، فلم يسمعوا لصوت الحقيقة المنبعث من مواطن القبائل اليمنية التى لم تصل إليها الدعوة النضالية، فضلاً عن الحماس لها ولروحها المستعرة، التى كانت لا تتجاوز بعض المجموعات من الشباب والطلاب والضباط فى صنعاء، وذمار، وإب، وتعز، وهنا حماس زاد فى إشعاله الفضيل الورتلانى مبعوث الإخوان المسلمين»[٢٧]. ويضيف الشماحى قائلاً: «إن كل من سلحتهم الحركة الانقلابية قلب السلاح إلى ظهرها»[٢٨]، بالرغم من أن قائد الانقلاب عبدالله الوزير وزّع الأموال الطائلة على رجال القبائل، فى محاولة منه لشراء ولائهم[٢٩].

ويُعزِّز هذا الرأى محمد محمود الزبيرى بذكريات لاذعة عن الشيخ القوسى وقبيلة الحدا، حيث يقول: «هذا الرجل الذى كان يدور بحصانه فى عدن، والشيخ عثمان ذاهلاً مضيعًا يعرض نفسه وقبيلته لتحقيق خلاص اليمن.هذا الرجل نفسه كان له ولقبيلته دور حاسم فى حصار صنعاء، وإسقاط حكومة الأحرار، وترجيح كفة على كفة، لماذا؟ لأن الذين يقولون: إنهم يؤمنون بالحرية لا يؤمنون بالحرية، وإلا لحققوا وسائلها»[٣٠]. وواقع الأمر أن السبب الحقيقى فى انقلاب الشيخ القوسى وأمثاله من المشايخ على حركة ٤٨، هو مشاهدتهم لقبائلهم وهم فى مقدمة الصفوف، تلبية لنداء الإمام أحمد للأخذ بالثأر، وهذا ما حدث مع قبيلة بنى حشيش أصحاب الشيخ الحسينى، وقبيلة بنى الحارث أصحاب الشيخ هارون الذين على الرغم من ان مشائخهم شاركوا فى مؤامرة الاغتيال، إلا إنهم اصطفوا مع الامام احمد[٣١] مما اصاب مشائخهم بالذهول وهم يرونهم فى طليعة المقاتلين، للزحف على صنعاء لإسقاط الحركة، وعندما استشعر بعض المشائخ المتآمرين اتجاه الرياح، غيروا من مواقفهم، قالبين ظهر المجن لحزب الأحرار. وبالرغم من تغيير مواقفهم لصالح الإمام أحمد، إلا أن السخط استمر عليهم من قبائلهم، إلى درجة أن قاطعوا عوائلهم لأكثر من خمس سنوات بعد مقتل الإمام يحيى[٣٢].

أما أحمد محمد الشامى، وهو من أعمدة الانقلاب، فيتحدث عن دور قبائل اليمن فى إسقاط الحركة بقوله: «إن الحركة الانقلابية لم يكن يعوزها المال ولا السلاح، ولكن كان يعوزها الرجال المؤمنين بها، حيث إن من أسقطها هم رجال القبائل، الذين حاصروا صنعاء

وبأسلحتهم الخاصة، بل إن بعضهم قد زُوّدوا بالسلاح من قِبل حكومة ابن الوزير، استلموه من قصر السلاح بصنعاء متظاهرين بمساندتهم للانقلاب، ثم عادوا به يحاصرونه وفى مقدمتهم قبائل خولان، وسنحان، ونهم، والحدا، وحاشد، وجبل عيال يزيد وهمدان، وغيرها من القبائل». ويضيف الشامى بقوله: حتى أفراد الجيشين النظامى والدفاعى، الذين كان المفروض أن يستعين ابن الوزير بهما لقمع القبائل، قد التحق كل بقبيلته، وعاد معها يحاصر صنعاء التى ثار بالأمس عليها، وحتى أهالى صنعاء أنفسهم لم يؤمنوا بالانقلاب، وتآمروا عليه من الداخل، وفتحوا أبوابها للقبائل الهائجة(٣٣).

أما عن مواقف اليمنيين من أهل الجنوب المحتل تجاه حزب الأحرار، فيقول الزبيرى عنهم: «إن القضية اليمنية ظلت برجالها، ومبادئها، وفروعها العظيمة موضوعه أمام سمع ستين ألف يمنى فى عدن، فكانت هذه القضية تعامل كما يعامل الشحاذون، وتُنبذ كما يُنبذ المشبوهون المتهمون(٣٤). أما قطب المعارضة الآخر، أحمد محمد نعمان، فيصف تجاهل اليمنيين له ولزميله الزبيرى وهم فى عدن بقوله: «لم نجد فيها يمنيًّا واحدًا ممن لهم عمارات أو مساكن يقبل أن يؤوينا فيها»(٣٥).

ولم يقتصر نقد الزبيرى لمشايخ اليمن ولا للجنوبيين بسبب خيبة رجائه فيهم، بل امتد إلى زملائه الشماليين فى المعارضة، الذين التحقوا به فى عدن هاربين من صنعاء، بوصفه إياهم مترفين لم يعتمدوا على النضال الشاق، فقد كان فيهم من لا يعرف الحياة فى الخارج، وخرج من اليمن وهو يحلم بحياة سهلة هينة لينة. أضف إلى ذلك، أنه خرج من مناطق فى اليمن باردة أو معتدلة الطقس، وخرج وهو يملك بيتًا وعائلة ووسائل كثيرة من وسائل الاستقرار، فإذا به يفاجأ بحياة تشبه الجحيم فى عدن(٣٦).

أما أحمد محمد نعمان، فقد تجاوز الزبيرى فى نقده وخيبة أمله فى اليمنيين الشماليين الذين انضموا إلى حزب الأحرار فى عدن، إلى درجة أن وصفهم بالمرتزقة(٣٧)، ويضيف نعمان قائلا: «وإذ أدركت أن العامل فى القضية يتخذ منها وسيلة للكسب والارتزاق، فإننى أنفر منه أشد النفور، ولم يأت هذا المعيار إلا نتيجة تجربة مع الكثيرين، ممن ليس لهم فكر ولا استعداد لعمل، يطالبوننى بالإنفاق عليهم؛ لأنهم يشتمون الإمام، ولأنهم تركوا أعمالهم وجاءوا إلى عدن للانضمام إلى حزب الأحرار، ليكونوا عبئًا عليهم، وليعرفوهم عن التفكير بما يجب عمله؛ بحثًا عن مصادر للمال للإنفاق عليهم وتأمين معيشتهم(٣٨)،

فلما أوضحت لهم وجوب صرف مالية الحزب كما تضمنها قانون الحزب؛ اقتنع بعضهم ورجع إلى اليمن بثورة؛ حتى لا يعيش مشردًا جائعًا، فإنه لم ينضم إلى الأحرار إلا ليحصل على مكاسب وفوائد أعظم مما كان يحصل عليه فى اليمن. وللإنصاف، فإن نعمان لا يُلام على ثورته على هؤلاء؛ لأنه صُدم عندما وجد من يعدون أنفسهم مناضلين ضد حكم الإمام يحيى، يطالبونه بعد ٢٤ ساعة من يوم الافتتاح الرسمى لحزب الأحرار فى عدن بنصيبهم من التبرعات والأموال التى جُمعت فى يوم الافتتاح، وفى هذا الصدد يقول نعمان: «تبرع المقتدرون يوم الافتتاح، كل بما يقدر عليه، وجُمع فى ذلك اليوم من التبرعات ما يقارب من ألف وثلاث مئة روبية، ثم انتهت الجلسة، ولم يطلع صباح اليوم الثانى، حتى جاء الكثيرون يطالبون بتوزيع رأس مال الحزب الذى جُمع أمس، وقسمته بالسوية بين القادمين من اليمن، وخُيّل إليهم أن مالية الحزب للإنفاق على أعضائه المنتمين إليه».

ولقد كانت صدمة أحمد محمد نعمان أكبر، عندما وجد هؤلاء المطالبين بتوزيع أموال الحزب يعودون أدراجهم إلى شمال اليمن، بعدما فهموا أنهم لن يتحصلوا على مكاسب مالية من وراء المعارضة، وهذا ما حصل مع الشيخ عبدالله أبى رأس، ومطيع دماج، ومقبل جميزة، ومحمد بن ناجى القوسى، الذين عادوا إلى اليمن ساخطين على الحركة، بعد أن ظنوا أن من ورائها فوائد أعظم مما كان يحصلون عليه فى اليمن[٣٩]، إضافة إلى زيد الموشكى الذى رجع إلى مدينة تعز تحت سحر الإغراءات المادية التى قدّمها له سيف الإسلام أحمد، فمن المعروف أنه بعدما فشل زيد الموشكى فى التعرف على مصادر تمويل الحزب، وبعدما خيَّب الزبيرى ونعمان آماله فى إشراكه فى الأمر، ورفضوا تلبية مطالبه؛ نشأ الخلاف بينه وبينهم[٤٠]، فما كان منه وزملاؤه الآخرين، إلا أن ألقوا على الزبيرى ونعمان التهم بأنهم أشد استبدادًا من الإمام يحيى نفسه[٤١]، فردَّ عليهم نعمان بأنهم مرتزقة[٤٢]، فاقتنص سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى فرصة هذا الخلاف بينهم، وتمكّن من شراء زيد الموشكى بدار رحبة فى شمال اليمن[٤٣]، فما كان من زيد إلا أن عاد أدراجه إلى اليمن تائبًا[٤٤]، كما عاد غيره من المنشقين الذين تمكَّن الإمام أحمد من استقطابهم بالإغراءات المالية، كمطيع دماج ورفاقه حيث خصَّص لهم مرتبات شهرية، وعينهم فى وظائف حكومية[٤٥].

وعلى ما يبدو أن زيد الموشكى قد أدَّى دورًا تخريبيًّا بإشارة من سيف الإسلام أحمد للوقيعة بين الزبيرى ونعمان قبل عودته إلى تعز، حيث يقول أحمد نعمان فى مذكراته: «قرَّر

زيد الموشكى الرجوع إلى اليمن، وكان يقنعنى أن الزبيرى لا يريد مصلحتك، وليس وراءه من يخاف عليه عقابًا ولا حسابًا، أما أنت فإن أسرتك كلها فى السجن، وعائلات آل نعمان كلها تعانى المتاعب والآلام، وتتعرَّض للإساءة والأذى من السفهاء والخصوم»[٤٦].

هؤلاء المذكورون أعلاه، وإن كان الأستاذ نعمان قد هاجمهم ونعتهم بأبشع النعوت؛ لانشقاقهم عن حزب الأحرار بسبب طمعهم وتهافتهم على الأموال التى لم يتمكّنوا من الاستحواذ عليها، إلا أن نعمان لم يشر إلى أنه رفض بأن يصدر بيانًا يوضِّح فيه مجموع الأموال التى جُمعت من تبرعات بعض المهاجرين ووُضعت فى عهدته، بوصفه أمينًا عامًا للحزب[٤٧]؛ مما جعل المنشقين يتهمونه بأخذ أموال المهاجرين لنفسه، وعدم إعطائهم شيئًا منها[٤٨]. ومما زاد الأمر ريبة، انتقال الأستاذ نعمان إلى بيت جديد خاص به فى عدن فى حارة البهرة، بعد أن كان يقيم مع باقى زملائه المعارضين فى سكن مشترك[٤٩]، والمفاجأة الكبرى كانت فى زواج نعمان بعد انتقاله إلى السكن الجديد؛ مما حدا بمحمد على لقمان، وهو أحد محاربى نعمان، وصاحب صحيفة فتاة الجزيرة أن يتهكم عليه قائلا: إن غاندى عندما اقترن بالقضية الوطنية، فارق الزوج والولد[٥٠]، فمن أين يا ترى دفع الأستاذ أحمد محمد نعمان تكاليف السكن الجديد، والمهر، وتكاليف الزواج وهو بالكاد كان يتحصَّل على قوت يومه بالجهد الجهيد؟ وهل الصورة المخزية التى رسمها المعارض أحمد الشامى فى كتابه (رياح التغيير فى اليمن) لزميله الأستاذ نعمان تنبع من فراغ، عندما سرد فى سياق تهافته على الأموال قصة خلاف مالى وقع بينه وبين نعمان، يقول فيها: «انقضَّ على نعمان كالوحش مكشرًا أنيابه، وأحكم قبضة كفيه على رقبتى، وقال: لئن لم تعطنى الذهب الآن لأخنقنك يا فاعل يا ابن الفاعل، وكال لى من الشتائم كيلاً، فخفت وقلت: طيب طيب اتركنى، وذهبك وحلتك تحت الوسادة، ولما رفعها ورأى الصرة تنفَّس الصعداء وقال: يا ماكر، يا خبيث، يا لئيم، وفتح صرَّته وبدأ يعدُّ الدنانير؛ ليتأكد من أنى لم آخذ منها شيئًا، ولعاب الفرح يتساقط من بين أسنانه على لحيته، وأنا أتفرج ضاحكًا»[٥١]. فهل هذه الصفات تنسجم مع ما يتشدق به رجال حزب الأحرار من أنهم حملة مبادئ وأصحاب نزاهة مطلقة، وضمائر حية، ونفوس حرة أبية ناكرة للذات فى سبيل قضية الوطن الكبرى؟

أما عن نظرة اليمنيين فى المهاجر للأحرار، فتتجسد فى إرسالهم رسائل التقريع والنقد للزبيرى ونعمان؛ لوضع أنفسهم أدوات فى يد بريطانيا، التى لا تريد خيرًا باليمن،

ولاتخاذهم مدينة عدن مقرًّا لنشاطاتهم[٥٢]، وفي هذا الصدد يقول الزبيرى متحسرًا: «كبرت الجبهة المعادية ضد الأحرار، واتسعت وتعددت، عكس ما كان يريده الأحرار، فقد انحاز جانب ضخم من الجماهير إلى الجبهة المعادية، لا سيما في المهاجر، ولم يكسب الأحرار كسبًا حقيقيًّا غير عدد صغير من ذوى الضمائر الحية فى الطبقة الواعية، الذين قامت الحركة على عواتقهم»[٥٣].

ويؤكد حسين المقبلى فى مذكراته، وهو ممن اشترك فى الحركة الانقلابية، كيف أن المهاجرين اليمنيين كانوا يتعرَّضون له بالضرب ولكل من يعرفون صلته بالمعارضة والانقلاب[٥٤]. أما الأديب عبدالله البردونى، فيقول: «واجه الزبيرى اتقاد الجماهير على الدستوريين، وهاله احتشاد المغتربين اليمنيين فى كل مكان للقبض على كل من يفرُّ من صنعاء؛ حتى طوحت به الأسفار إلى باكستان فدخلها مروعًا من ملاحقة أتباع الإمام المنبثين فى أكثر شعوب أفريقيا، ونجا فى باكستان؛ لغياب مغتربين من شعبه وإن كان لا يخلو من توجس»[٥٥].

وعلى ضوء ما سبق، يسهل علينا أن نستنتج أنه لم يكن هناك تأييد شعبى لهذه الحركة، ولا تجانس أو تماسك بين رجالها، الذين لم يكونوا على قلب رجل واحد، بل جمعهم هدف آنى، هو التخلص من الإمام يحيى، وكل يحمل فى جعبته أجندته الخاصة لمرحلة ما بعد الإمام يحيى، فما إن فشلوا فى الوصول إلى السلطة، واستنفذوا الغرض الذى من أجله التأموا، حتى تفرقوا إيدى سبا، وأقبلوا على بعضهم بعضًا يتحاقرون، ويتنمرون، ويتتشامتون فيما بينهم؛ فوجدنا الزبيرى مثلاً يلمز رئيس وزراء الانقلاب على عبدالله الوزير فى كتاباته، متهمًا إياه بنهب أموال اليمن وتهريبها إلى عدن قبل الانقلاب، أيام ولايته على مدينة تعز[٥٦]، ووجدناه ينزع عنه صفة الوطنية بالتأكيد، على أن السبب الحقيقى لانقلابه على الإمام يحيى فى عام ٤٨، هو عزله عن إمارة تعز، وليس دعاوى الوطنية والإصلاح التى يتشدّق بها هو وأسرته من آل الوزير[٥٧].

ووجدناه يتهم عبدالله بن على الوزير بالأنانية والجحود بعد فشل الانقلاب، عندما كان لاجئًا وإياه فى باكستنان، حيث تركه عرضة للجوع غير آسفٍ عليه، بالرغم من أن حزام ابن الوزير كان مشحونًا بالجنيهات الذهب[٥٨]. وفى الطرف المقابل، وجدنا من بقى حيًّا من آل الوزير يجردون الزبيرى من صفات الوطنية والريادة الشعبية، ويُعرّضون بهم

أمام الناس بقولهم: إن الزبيرى كان شاعرًا للقصر متزلفًا ومتملقًا للإمام يحيى وابنه الإمام أحمد، خلافًا لادعاءاته فى أنه كان شاعرًا للشعب[٥٩].

أما عن أحمد محمد نعمان ونجله محمد، فيقول عنهم آل الوزير أنهم غير ملتزمين بفكر أو مبدأ، بدليل جنوحهم الى تأييد الملكية ايام حصار صنعاء خلال فترة الستينات ابان الحرب الأهلية، حيث توهموا ان الملكية قد اصبحت قاب قوسين او ادنى من الانتصار[٦٠]. ويضيف أبناء الوزير: إن نعمان وزميله الزبيرى لم يعودوا يعبرون عن الإرادة اليمنية، بل تحولوا منذ انشائهم للإتحاد اليمنى فى القاهرة فى فترة الخمسينات إلى مجرد دمى بيد جمال عبدالناصر، يحركهم وفقًا لمتطلبات السياسة الناصرية[٦١]. أما أحمد محمد نعمان، فوجدناه يرشق آل الوزير بصفات الكبر والعجرفة[٦٢]، ويتهم على عبدالله الوزير بالذات بأنه كان يحارب العلم، ويغلق المدارس التى تُعلّم الأفكار العصرية، عندما كان حاكمًا على تعز فى عهد الإمام يحيى[٦٣]، وأن آل الوزير سرقوا أموال الشعب يحى لبناء ثروات طائلة، وكانوا السبب فى تمزيق اليمن والتنكيل بأبنائه[٦٤].

أما محمد أحمد نعمان الابن، فيتهم الزبيرى بأنه هو الذى جلب جرثومة العرقية إلى اليمن، وروّج لها عن طريق أشعاره وأدبياته[٦٥]. أما محمد عبدالله الفسيل، فوجدناه يهاجم أحمد الشامى بوصفه خائنًا لم ينضم إلى حركة الأحرار، إلا ليتجسس على رجالها لصالح الإمام أحمد، خلافًا لدعاويه فى النضال والوطنية[٦٦]. ويمتد هجوم الفسيل ليشمل أحمد محمد نعمان بقوله: إنه كان فى جعبته أجندة طائفية أثناء انقلاب عام ١٩٤٨، تهدف إلى تمزيق وحدة اليمن وفصل قطاعها الشافعى عن الشمال المستقل، بالتعاون مع الإنكليز فى عدن[٦٧]. أما أحمد الشامى فيتحدث عن أحمد محمد نعمان بصورة الشره المتهافت على جمع الأموال بطريقة أشبه ما تكون بشخصية شيلوك فى رواية تاجر البندقية لشكسبير[٦٨].

وهكذا وجدنا هؤلاء المتآمرين الذين صوّروا أنفسهم بالصفوة الواعية، والطليعة المفكرة، والنخبة المثقفة، والكوكبة المناضلة، والرواد الأوائل، والهامات الشامخة، والملائكة الأطهار، ومشاعل التنوير ومصابيح الدجى، ومناط الشرف التاريخى، ولم يتركوا لقبًا ولا مفردة مدح إلا خلعوها على أنفسهم؛ وجدناهم وقد حاكوا فى سلوكياتهم الانتقامية من بعضهم بعضًا أسلوب المهرجين فى حفلات الزعيق وصراع الديكة، وتحولوا فى أدبياتهم إلى أسلوب الردح فى سوق الشتائم، وكل يحاول تبخيس الآخر وتصوير نفسه وأسرته

بالأسطورة والفلتة التى لا يمكن أن يجود الزمان بمثلها، أفبعد كل تلك المهازل التى تكشَّفت، وبعد كل ذلك التحاقر والرشق بالاتهامات بينهم، أيجوز لنا أن نضعهم فى مصاف القديسين، ونُصنّفهم بالخالدين، كما صنَّفهم أعلام العسكر فى اليمن، أم أن مؤرخ اليمن وشاعرها عبدالله البردونى كان محقًّا حينما قال بأن الشعب ساق هؤلاء بالعصى إلى السجون بلا تكليف رسمى بعد مقتل الإمام يحيى؟[٦٩].

وتأكيدًا للحقيقة التى تقول بأن حركة١٩٤٨ ما هى إلا انقلاب قصر، وليس ثمرة لحراك اجتماعى وطنى نبع من روح الشعب؛ يجدر بنا أن نسرد نبذة موجزة عن خلفية أهم القائمين على هذا الانقلاب اللذين كان لهم الدور المحورى الأكبر فى التخطيط ورسم الملامح، بما يُوضِّح حقيقة تمثيلهم للأسر الأرستقراطية والإقطاعية المتحالفة المتنفذة، القريبة من دوائر القرار والسلطة، خلافًا لما روَّجه الانقلابيون من أنهم يُمثِّلون القاعدة الشعبية ومصالحها في اليمن، ولنبدأ بقائد الحركة الانقلابية:

عبدالله بن أحمد الوزير:

كان من أركان نظام الإمام يحيى فى إدارة البلاد لأكثر من ثلاثين عامًا، حيث اعتمد الإمام يحيى عليه أكثر من اعتماده على أولاده[٧٠]، وفوق هذا كان يمتُّ بصلة صهارة مع الإمام يحيى، حيث إن أخاه عبدالقدوس كان زوجًا لابنة الإمام يحيى[٧١]، استخدمه الإمام يحيى فى إخماد الكثير من الانتفاضات والفتن فى كثير من المناطق، كحراز، والجوف، والمنطقة الوسطى على امتداد العشرينيات[٧٢]، ثم عُيِّن حاكمًا على مدينة الحديدة، ثم أُلقى على عاتقه تراس البعثات التفاوضية بين اليمن والسعودية؛ لإنهاء مشاكل الحدود بين البلدين[٧٣]. صُنِّف من قِبل شركائه المتآمرين فى انقلاب عام ١٩٤٨على أنه كان أكثر رجعية من الإمام يحيى سياسيًّا ومعيشيًّا، منذ أن عرفه الناس بمقاومة كل بادرة معاصرة مهما كان شكلها، مثل لبس ساعات اليد، والقمصان المزررة المعاصم، والاستماع للمذياع[٧٤]. كان مقطوع الصلة بحزب الأحرار فى عدن، ولم يفكر إطلاقًا هو وابن عمه رئيس وزراء الحركة على عبدالله الوزير فى الاتصال بالمتآمرين فى حزب الأحرار، والخروج على سلطة الإمام يحيى، إلا بعد أن أقصاهم الإمام يحيى عن مراكزهم الإدارية والتنفيذية فى كل من لوائى تعز والحديدة[٧٥].

استفاد من المناخ السياسى ومن مناشير الأحرار ضد الإمام يحيى، فاهتبل الفرصة[٧٦] بأن امتطى حركة عام ١٩٤٨ الانقلابية، بعد أن أثار ممثل الإخوان المسلمين الفضيل الورتلانى مطامعه فى السلطة، وفاتحه باقى المتآمرين بتولى الإمامة[٧٧]، وتم إقناعه بفكرة اغتيال الإمام يحيى[٧٨]، فكان التقارب بينه وبين حزب الأحرار آنيًا[٧٩]؛ بهدف تجيير حركتهم لصالحه، حتى يتمكّن من الوصول إلى الحكم، وبعد ذلك كان ينوى التخلص منهم[٨٠]، وبمجرد أن نفّذ مؤامرة اغتيال الإمام يحيى، طلب من حاكم عدن البريطانى أن يرسل الطائرات والبوارج الإنكليزية لتعزيز حكمه، وتعهّد للإنكليز بعلاقات تحالفية جديدة[٨١]. وبعد فشل الإنقلاب طلب طائرة إنكليزية من المندوب السامى لتهريبه إلى عدن، بعدما أحدق الخطر بصنعاء قبل سقوطها فى يد الإمام أحمد بن الإمام يحيى[٨٢]، إلا أن الحظ لم يحالفه فى الهروب؛ بسبب اقتحام القبائل المناصرة للإمام أحمد بن الإمام يحيى لمدينة صنعاء قبل هروبه. تم القبض عليه واعدم قصاصا بأمر من الامام احمد.

على بن عبدالله الوزير:

عُيِّن رئيسًا لوزراء الحركة الانقلابية، بعد أن جعل من بيته محجة للمتآمرين الذين خططوا لاغتيال الإمام يحيى[٨٣]، بالرغم من رفع الإمام يحيى له إلى أعلى مراتب الدولة، بتوليته لواء تعز لأكثر من عشرين عامًا[٨٤]. وبالرغم من تشريفه بمصاهرة الإمام يحيى، الذى زوَّج حفيدته بابنه عبدالله أولا، ثم بابنته ثانيًا، بعد وفاة الحفيده، إلا أنه ردَّ الجميل بالغدر والخيانة[٨٥]، ولم يكتفِ بالتآمر على ولى نعمته، بل دبَّر مخططًا لاغتيال نجل الإمام يحيى سيف الإسلام أحمد[٨٦]، كردة فعل على خلعه من إمارة تعز، وإحلال سيف الإسلام أحمد محله فى الإمارة[٨٧]. صوَّره بعض محازبيه بالثائر الأول، صاحب المواقف الوطنية، والملاحم البطولية، والمواقف الإنسانية، إلا أن الوثائق البريطانية كشفته بفضح علاقته المشبوهة مع الإنكليز، وحقيقة استعداده للتضحية بمصير الوطن مقابل وصول أسرته إلى الحكم[٨٨]. كان متوقعًا أن يسفك الإمام يحيى دمه، أو أن يسجنه على أقل تقدير، بعد أن وقعت فى يد الإمام وثائق دامغة ورسائل تشى باتصالاته السرية التآمرية مع الإنكليز، إلا أن الإمام اكتفى بعزله عن إمارة تعز؛ قطعًا لحبال التآمر البريطانى، وأخذ الأيمان المغلظة لتبرئة ساحته[٨٩]، فما كان جزاء هذا الإحسان من الإمام يحيى إلا الإجرام باشتراكه فى انقلاب عام ٤٨. تم القبض على بعد فشل الإنقلاب ونفذ فيه الحكم الشرعى قصاصا.

عبدالله بن على الوزير:

هو ابن أمير تعز المخلوع على عبدالله الوزير، سافر إلى مصر حانقًا على الإمام يحيى؛ بسبب عزل أبيه عن إمارة تعز، وأقام فى مصر ٨ سنوات وهو يعد العدة مع الإخوان المسلمين، ويُحرّض الصحف المصرية على الإمام يحيى وأسرته، إلى أن عاد إلى اليمن بعد نسج خيوط المؤامرة لتنفيذ عملية اغتيال الإمام يحيى؛ لتمكين أسرته من الوصول إلى الحكم(٩٠). ارتبط بعلاقة خاصة مع الإنكليز، إلى درجة أنهم تقديرًا لدوره التآمرى كانوا يقدمون له عند زيارته إلى عدن طائرة خاصة للتجول بها، ولم يكن هذا يحصل لأى فرد من أسرة الإمام يحيى(٩١). كان النموذج الأول للغدر والخيانة، وانتهاك حدود الدين والأخلاق، فقد شرَّفه الإمام أحمد بتزويجه ابنته(٩٢)، وبعد وفاتها شرّفه الإمام يحيى بتزويجه ابنته أيضًا(٩٣)، وبالرغم من هذا الشرف وصلة الرحم الذى ناله بالمصاهرة؛ إلا أنه كان أول المتآمرين والمحرضين على قتل عمه الإمام يحيى وعمه الإمام أحمد، حيث صرَّح بوجوب قتلهما(٩٤). اتّهم أفرادًا من أسرته بالجبن والذل؛ لأنه كان لهم تحفظ على قتل الإمام يحيى، بل أكثر من ذلك صرخ فى وجه أبيه بأنه يستحق المحاكمة؛ لخوفه من عواقب قتل الإمام يحيى(٩٥). هرب الى باكستان بعد فشل الانقلاب وتوفى هناك متحسرا على مصير اسرته.

محمد بن على الوزير:

تعلَّقت نفسه بالإمارة بعد أن رأى أبناء عمومته عبدالله الوزير أميرًا على الحديدة، وعلى الوزير أميرًا على تعز، فحاول الحصول على ولاية من الإمام يحيى شبيهة بولاية أبناء عمه، إلا أن الامام يحى لم يلبى مطامحه، فما كان منه إلا أن جمع رجالا من حوله فى عام ١٩٢٢، وبدأ فى تحريض المواطنين على الدولة، وبثِّ الرسائل والمنشورات إلى كافة الجهات باسم الدين، معترضًا على سيرة الإمام يحيى تحت شعار الاحتساب(٩٦)، ثم قام بالتمرد بأن تمركز فى منطقة جبل اللوز فى منطقة خولان، واستولى على خزينتها وخزائن الدولة فى بعض المناطق الأخرى، كمنطقة شاحك؛ للصرف على نفسه وعصبته من المتمردين، وتبادل إطلاق النار مع السلطة، التى أرسلت إليه فرقة للقبض عليه وسجنه(٩٧). مكث فى السجن لفترة وجيزة، ثم أُطلق سراحه، إلا أنه بقى متربصًا إلى أن اشترك مع

أفراد من أسرته فى انقلاب ٤٨، حيث كُلّف بقيادة بعض الحملات العسكرية بين القبائل لصالح الحركة الانقلابية[٩٨]. تم ننفيذ الحكم الشرعى فيه قصاصاً بعد فشل الإنقلاب.

عبدالوهاب نعمان:

كان أبوه قائم مقام فى منطقة الحجرية فى عهد الأتراك، ويتمتَّع بالثراء الشديد والسلطة المطلقة هناك، وقد ورث عن أبيه هذا المنصب بعد وفاته بالتزامن مع استلام الإمام يحيى السلطة، فلم يحتمل أن يرى إقطاعية أسرته تدخل تحت سيادة الدولة الإمامية، وهو الأرستقراطى الذى اتسمت معيشة أسرته بالترف الباذخ، إلى درجة أن أطباقهم وملاعقهم كانت موشاة ومطرزة بالذهب الخالص فى عهد الأتراك[٩٩]. كان يطمح إلى تحويل القطاع الشافعى فى شمال اليمن إلى سلطنة محمية برئاسة أسرته تحت جناح الإنكليز، على غرار سلطنات الجنوب[١٠٠]، وفى سبيل ذلك أفنى عمره لأكثر من ثلاثة عقود وهو يتآمر على الإمام يحيى، تارة بالتمويل السرى للمعارضين[١٠١]، وتارة بالدعم المعنوى للانتفاضات فى لواء تعز، مثل انتفاضة المقاطرة[١٠٢]. وتارة بمحاولة اغتيال ممثل الإمام فى منطقة تعز واللواء الشافعى[١٠٣]، وتارة بالاتصال السرى بالإنكليز؛ لدعمه فى الانفصال عن دولة الوحدة[١٠٤]، وتارة بالتخابر مع الملك عبدالعزيز إبان الحرب السعودية اليمنية[١٠٥]، وأخيرًا بالاشتراك فى انقلاب عام ١٩٤٨. تم تنفبذ الحكم الشرعى فيه بعد فشل الانقلاب.

أحمد محمد نعمان:

كان الرجل الثانى فى أسرة آل نعمان الإقطاعية الحاكمة فى منطقة الحجرية، اندفع إلى التآمر والخصومة الدائمة مع الإمام يحيى، كردة فعل على تجريد أسرته من الزعامة بنكبة عميد أسرته عمه عبدالوهاب نعمان، الذى سجنه الإمام يحيى بعد تكشُّف اتصالاته المشبوهة مع الإنكليز[١٠٦]. وبالرغم من تآمر أحمد محمد نعمان وعمه عبدالوهاب نعمان على الدولة، إلا أن الإمام لم يتعرض بالسوء لأى فرد من أسرتهم، حيث ظلَّت عائلة نعمان تتمتَّع بمناصب عالية، وتمتلك الفرص الكثيرة والحياة العريضة، ومنهم أحمد محمد نعمان نفسه، الذى كان قبل اشتراكه فى المؤامرة الانقلابية من الأثيرين المقربين إلى ولى العهد سيف الإسلام أحمد، الذى كان لا يشرك معه أحدًا فى ركوب سيارته الملكية سواه[١٠٧]، إضافة إلى تولى أخيه الأكبر على وعمه محمد وظائف مرموقة فى سلك الدولة[١٠٨]. شكَّل

أحمد محمد نعمان مع ربيب آل الوزير محمد محمود الزبيرى ثنائى للتخريب والتعطيل لأى مشاريع من شأنها أن تنهض بالبلاد تحت ظلّ أسرة حميدالدين، وما ذلك إلا تصفية للحسابات القديمة التى جرَّدت أسرة نعمان من راية المجد الأرستقراطى الذى كانوا يتمتعون به وهم حكام على منطقة الحجرية فى عهد الأتراك. أجرى كعمه عبدالوهاب نعمان اتصالات سرية مع سلطات عدن، بهدف فصل المناطق الشافعية عن الشمال لضمها إلى المحميات، فى محاولة منه لاستعادة إقطاعية أسرته، وتزّعم القطاع الشافعى من اليمن[١٠٩]. سجنه الامام أحمد بعد فشل الانقلاب ثم اطلقه وعينه مستشارا لإبنه ولى العد الأمير البدر.

سيف الإسلام إبراهيم بن الإمام يحيى:

ما يكبل قلمى عن التفصيل فى الكتابة عن السيف ابراهيم، هو القرابة التى تجمعنى بذريته الذين اكن لهم كل المحبة والإحترام، وخاصة انجاله الأميرين محمد وعلى، لذلك فجل ما استطيع ان اكتبه عن سيف الاسلام ابراهيم،انه كان محل غضب ابيه الذى سجنه المرة تلو الأخرى لأكثر من ثلاث سنوات بسبب بعض سلوكياته الشخصية[١١٠] وزاد الامام يحى فى عقابه بأن حرمه من الأموال والتولى لأى منصب حكومى فى الدولة[١١١]. صوّره اصحاب الأغراض والأجندات السياسية بالثائر الوطنى، صاحب الفكر والرؤية الثاقبة التى دفعته للتمرد والخروج على سلطة أبيه الإمام يحيى فى سبيل الوطن، والغيرة على المواطنين من الاستبداد والطغيان؛ إلا أنه وباعتراف الذين استخدموه ضد أبيه، ومنهم أحمد محمد نعمان، الذى اكد فى مذكراته إن الباعث الأول لانضمام سيف الإسلام إبراهيم إلى حزب الأحرار فى عدن؛ حرمانه من تحقيق رغباته الشخصية؛ مما أتاح لأعداء أبيه فرصة ذهبية للاختراق بتحريضه للالتحاق بهم؛ فاستجاب لهم للخلاص من الوضع الذى كان يعانيه شخصيًا [١١٢]. وكما يقول مؤرخ واديب اليمن عبدالله البردونى، من أن أصحاب الرأى فى اليمن لم يعنوا كثيرًا لفرار السيف إبراهيم؛ لأنهم لم يروا له وزنًا سياسيًا ولا علميًا، سيما رجالات صنعاء الذين يعرفونه على حقيقته، وعللوا فراره بأنه لمزيد من الحرية فى الرغبات الشخصية[١١٣].

وبالرغم من افتقاده للحد الأدنى من مقومات القيادة، واتسامه بالعجز عن الكتابة أو الخطابة، أو حتى مجرد التصريح السياسى، إلا أن حركة الأحرار كانت فى حاجة إلى

مطية ذهبية يركبونها، ودوى دعائى يستخدمونه لنشاطاتهم المعارضة، فوجدوا ضالتهم فى سيف الإسلام إبراهيم، لمجرد أنه كان ابنًا للإمام يحيى، فتلقفوه بحفاوة بالغة، وجسموه، وطبّلوا له وزمروا، وأطلقوا عليه لقب سيف الحق؛ تعريضًا بأبيه أمام الجماهير، معتبرين أن خروجه على أبيه أكبر برهان على ظلم الإمام يحيى وطغيانه.[١١٤]؛ وبعد أن كان سيف الإسلام إبراهيم محرومًا من الأموال والرغبات الشخصية فى ظلِّ ابيه الإمام يحيى، بدأ الأحرار ينفقون عليه بلا حساب[١١٥]، ويهيئون له السبل؛ للانغماس فى الترف والملذات الحسية فى مدينة عدن، فاشتروا له سيارة فاخرة، وأسكنوه فى أفخم الفنادق، وصرفوا عليه الآلاف المؤلفة من الروبيات[١١٦]؛ ليتمكّنوا من قياده، وبعث البرقيات والخطابات والنشرات السياسية التى كانوا يكتبونها باسمه[١١٧]، وهو لاهٍ فى ترفه، منغمس فى ملذاته، غافل عما يُدبّر لأبيه.

وبالرغم من أن السيف إبراهيم كان ضحية جهله بمقاصد الزبيرى ونعمان، الذى سمح لهم باستخدامه كأداة تنفذ مخططاتهم؛ إلا أن غفلته والحق يُقال لم تبلغ إلى الحد الذى يوافق فيه على التخلص من أبيه بالقتل، كما خطط له المتآمرون[١١٨]. وليس صحيحًا ما روَّجه أعداء أبيه فى كتاباتهم من أنه بعث برقية تهنئة إلى قاتل أبيه عبدالله الوزير على توليه العرش، بل إنه تبرأ من اغتيال أبيه، واعترف بعد فشل الانقلاب من أنه كان مجرد دمية لا حول لها ولا قوة، استخدمها حزب الأحرار لأغراضهم الخاصة، وتنكَّر للنشرات التى كانت تُبثّ باسمه، مؤكدًا على أنه كان يسبح فى الظلمات بارتباطه بحركة الأحرار، التى أودت بحياة أبيه[١١٩]، إلا أن ذلك لم يّشفع له لدى أخيه الإمام أحمد، الذى حسب روايات البعض دسَّ له السم فى طعامه وهو مسجون لديه فى مدينة حجة والله أعلم.

محمد محمود الزبيرى:

كان والده من رؤساء جند الإمام يحيى[١٢٠]، أما عمه لطف الزبيرى، فكان من جلساء الإمام[١٢١]، الذى عيَّنه حاكمًا قضائيًّا على منطقة سنحان، ثم حاكمًا على لواء الحديدة، وأخيرًا الحاكم الأول بصنعاء[١٢٢]. ارتبط مصيره بآل الوزير بعد أن تربَّى فى كنف على بن عبدالله الوزير أثناء ولايته على إمارة تعز[١٢٣]. رعاه ابن الوزير رعاية خاصة بعد وفاة أبيه[١٢٤]، إلى درجة أن رافقه إلى السعودية عندما أراد الهجرة إليها، بعد أن أُقصى من إمارة تعز[١٢٥]، وبعد وصوله إلى السعودية أرسله ابن الوزير إلى مصر على نفقته الخاصة[١٢٦]، ليرافق نجله عبدالله بن على الوزير فى رحلة دراسية[١٢٧].

انتهج طريق المعارضة بدفع من أولياء نعمته، ووجد الإنكليز فيه أداة تُستخدم للضغط على الإمام يحيى، فرحبوا به فى عدن بعد هروبه إليها، وسيروه من هناك لتنفيذ المخططات البريطانية، لضرب مصالح الشمال المحرر(١٢٨). اشتهر بازدواجية المواقف والتلون، وأصبح من أقطاب انقلاب عام ٤٨، وبعد فشل الانقلاب، هرب إلى باكستان التى قضى فيها بضعة سنوات يائسًا، فأرسل رسائل متزلفة إلى الإمام أحمد يُعلن توبته، وندمه على مواقفه التآمرية السابقة(١٢٩)، إلا أنه سرعان ما انقلب موقفه ثانية بعد انفجار الثورة المصرية عام ٥٢، التى احتضنته فأعاد الكرة فى التآمر والتحريض على حكم الإمام أحمد، وحمل لواء الدعوة للقحطانية، والتنظير للحميرية، والبعث لرموزها، واعتمد طرحه الفكرى على لغة طائفية وعرقية غير مسؤولة، تحثُّ على تسميم الأجواء، وتكسير أواصر المجتمع، وتهديد التعايش السلمى بين أطياف المجتمع اليمنى؛ مما تسبَّب فى اتهامه من قِبل الكثير من المفكرين فى اليمن باستنفار العصبيات القبلية، وبعث النوازع العرقية والطائفية(١٣٠). قتل عام ٦٥ فى مدينة برط بعد ان اتخذ موقفا عدائيا من الجمهورية التى لم تلبى طموحاته.

حسين الكبسى:

بسبب صلته الوثيقة بالأسرة الحاكمة، تم اختياره مرافقًا لسيف الإسلام الحسين بن الإمام يحيى إلى بريطانيا، لحضور حفل تتويج الملك إدوارد عام ١٩٣٨، ومرافقًا له أيضًا إلى اليابان للتباحث مع الحكومة اليابانية فى عقد اتفاقية شاملة(١٣١). ولفرط ثقة الإمام يحيى وأبنائه به رافق سيف الاسلام الحسين فى كل سفراته الدبلماسية(١٣٢)، وتم اختياره ممثلا لليمن فى أكثر المؤتمرات العربية، ومندوبًا لليمن فى الجامعة العربية(١٣٣)، إلا أن كل ذلك العز الذى أسبغه الإمام عليه، لم يسع أحلامه، ولم يقابل الإحسان بالإحسان، فأطلق فتوى تبيح قتل الإمام يحيى(١٣٤) بتأثير علاقته الخاصة مع الإخوان المسلمين، الذين تمكّنوا من إثارة مطامعه مع كثير من الأسر باقتسام مناصب عليا، إن اشتركوا فى انقلابهم الدموى على الإمام يحيى(١٣٥).

ومكافأة لحسين الكبسى على فتواه فى استباحة دم الإمام يحيى، تم تعيينه وزيرًا لخارجية الانقلابيين، ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء(١٣٦). عُرف عنه القول بعد عودته من اليابان على إثر الحرب العالمية الثانية، بأنه لم تخسر بلدة عربية فى الحرب العالمية الثانية مثلما خسرت اليمن؛ بسبب تعطُّل المشاريع اليابانية التى كان من المزمع تنفيذها فى

اليمن، لو لم تدخل اليابان الحرب[١٣٧]. وقوله هذا يضعه فى دائرة التناقض الفاضح، فهو من جهة يعترف بسعى الإمام يحيى لتحديث البلاد بعقد الاتفاقيات مع الدول الصناعية الكبرى، ومن جهة أخرى يصدر الفتوى باغتيال الإمام يحيى، بدعوى حرمان اليمن من التطور والتحديث. اقام عليه الامام احمد الحد الشرعى بعد فشل الإنقلاب.

زيد الموشكى:

كان من حكام الإمام يحيى فى قضاء شرعب، ومدرسًا لابنائه الصغار[١٣٨]، فأصبح من الأشخاص القليلين الذين يحضرون مجالس الإمام يحيى الخاصة؛ مما أوصله إلى الاختلاط بكبار رجال الدولة، والقرب من دوائر القرار والسلطة[١٣٩]. وكما يقول المؤرخ البردونى،كان بداية العنصر النفسى الذى أشعل الثورة فى نفسه ضد الإمام يحيى وأسرته، هو الهوس الاقتصادى عند مشاهدته الفرق بين ضيق عيشه، وسعة العيش النسبى الذى كان يعيشه تلاميذه من أولاد الإمام يحيى،ومن هذه الثغرة تمكَّن آل الوزير بثرائهم الواسع من استقطابه نحو جانبهم بالعطاء المادى[١٤٠]. حاول الموشكى جهده قبل أن ينتقل إلى جانب آل الوزير التكسب من الإمام يحيى، بإطلاق قصائد المدح والتزلف؛ لعله يتحصل على بعض الأموال، إلا أن زهد الإمام يحيى، وحرصه على عدم صرف الأموال إلا على مستحقيها خيَّب رجاءه،ودفعه إلى الميل نحو العنصرالأكثر ثراء؛لعله يتكسَّب منهم، فتحوّل من تدريس أولاد الإمام يحيى إلى تدريس أولاد الوزير[١٤١].

اُبتلى بالارتياب الشديد فى تفسير كافة الظواهر؛ نتيجة هوسه الاقتصادى، فعندما امتلك الإمام يحيى أول سيارة أهاجته صورتها، فثارت ثائرته، وغلت مراجل حقده، فانبرى يؤلف القصائد متهمًا الإمام يحيى بسرقة قوت الشعب[١٤٢]. وعندما بنى الإمام يحيى بيتًا فى منطقة السر، سعى الموشكى للتعريض به بأبيات شعرية ساخرة عن بناء هذا البيت[١٤٣]، وبلغ به هوسه الاقتصادى إلى درجة إفتائه بوجوب قتل الإمام يحيى؛ لأنه استأثر لنفسه ولعائلته بأموال المسلمين حسب تعبيره[١٤٤].

لم يلتزم الموشكى بفكر ولا مبدأ بقدر التزامه بمصالحه الاقتصادية، فبعد أن انضم إلى حزب الأحرار فى عدن بدفع من أولياء نعمته من آل الوزير، طمع فى االتصرف بأموال التبرعات التى كانت فى حوزة مؤسس الحزب أحمد محمد نعمان، وعندما لم يستجب نعمان وزميله الزبيرى لطلباته، نشأ الخلاف بينه وبينهم[١٤٥]، فتمكَّن سيف الإسلام أحمد

بن الإمام يحيى من شرائه بدار رحبة فى شمال اليمن[١٤٦]، فانقلب على زملائه فى حزب الأحرار، عائدًا أدراجه إلى شمال اليمن فى رحلة توبة[١٤٧].

تمكّن الإخوان المسلمون عن طريق مندوبهم الفضيل الورتلانى من إعادته ثانية إلى حظيرة الأحرار باثارة مطامعه الى السلطة[١٤٨]. وعُيِّن مديرًا لوزارة الداخلية فى حكومة الانقلابيين[١٤٩]، وبعد فشل انقلاب عام ٤٨، ختم الموشكى حياته بالكفر بالله، حيث قال وهو يُساق إلى ساحة الإعدام: «لئن أبقى الله بيت حميدالدين، فلن يعبد بعد»[١٥٠]، فهل بعد الكفر ذنب.

على ناصر القردعى:

هذا الشيخ الأمى الجاهل من الرجال الذين قال الله فيهم: إنهم اجدر الا يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله، فقد جاء من بيئة بدوية اتسمت بالغلظة والتوحش[١٥١]، واتخاذ الحروب والغزوات وسيلة للكسب والارتزاق. اتسمت شخصيته بالتسرع والطيش إلى درجة الخصومة الشديدة مع والده، الذى كان يعرض به أمام الناس بأوصاف لا تليق. كان والده أكثر الناس إدراكًا لطبيعته المتوحشة، لدرجة أنه قال لقبيلته: إن ابنى على القردعى هو بلاكم ومصيبتكم ونكبتكم يا قبيلة مراد[١٥٢]، وفعلاً صدقت فراسة والده بنكبة قبيلة مراد على يد على ناصر القردعى، عندما قام شخصيًا باغتيال الإمام يحيى فى منطقة سواد حزيز بتكليف شخصى من صديقه عبدالله الوزير. كان الثأر الشخصى حقيقة دافعه لاغتيال الإمام يحيى؛ بسبب تنحية الإمام له عن مشيخته التى ورثها عن أبيه فى منطقة حريب. والواقع أن الإمام يحيى ما نحّاه إلا بسبب سلوكياته المتمردة على الدولة[١٥٣]. كان يعيش فى عالمه الخاص، رافضًا الالتزام بسلطة الدولة، معتبرًا أنه ليس من حقّ الإمام يحيى ولاية المناطق التى تقع تحت سلطته المشيخية. وقد استنفد الإمام يحيى كافة الوسائل فى محاولة احتوائه[١٥٤]، إلا أن سياسة الإمام فى استقطابه لم تجدِ نفعًا، بل زادته عتوًا ونفورًا، فما كان من الإمام إلا أن سجنه لأكثر من ٤ سنوات[١٥٥]؛ مما أجج أحقاده أكثر، إلى درجة أن أرسل خطابًا إلى رجال قبيلته يأمرهم فى بالخروج المسلح على الدولة، وقتل ممثل الإمام فى مشيخته السابقة[١٥٦].

تمكّن من الهرب من السجن، وظلّ متواريًا عن الأنظار لدى بعض القبائل[١٥٧]، التى راجعت الإمام يحيى لإعطائه الأمان، وفتح صفحة جديدة مع الدولة، فقبل الإمام إعطائه

الأمان مقابل أن يدفع دية ممثل الإمام المقتول فى الجوبة، وأن يرافق حملة عسكرية لمنطقة شبوة، لتحريرها من قبضة الإنكليز[١٥٨]. وفعلاً ذهب القردعى مع الحملة متوجهًا إلى شبوة، لمواجهة الإنكليز وتم الاشتباك مع قواتهم، إلا أن استخدامهم للطائرات فى قصف قوات الإمام اضطر الحملة للانسحاب، فاعتبر القردعى ذلك تآمرًا إنكليزيًا إماميًا على حياته[١٥٩]؛ مما دفعه إلى الارتباط بحركة ابن الوزير. قتلته قوات الامام أحمد بعد فشل الانقلاب.

أحمد محمد الشامى:

ينتمى إلى اسرة الشامى، المعروفة بعلاقات النسب والصهارة مع الإمام يحيى وأسلافه؛ بسبب مكانتها العلمية والأدبية، كان أحمد الشامى زوجًا لحفيدة الإمام يحيى من ابنته أم هانئ[١٦٠]، وكان والده محمد الشامى حاكما يمثل الإمام فى منطقة الضالع لمدة ٩ سنوات قبل أن تنشب الحرب بين بريطانيا واليمن على الحدود الشمالية فى عام ١٩٢٨، والتى أسفرت عن انسلاخ الضالع من دولة الإمام، ودخولها تحت الحماية البريطانية[١٦١]؛ مما تسبّب فى انسحاب أبيه من هناك وبدء خصامه مع الإمام يحيى. وباعتراف أحمد الشامى بأنه لم يكن يشعر بأية مودة أو حبّ نحو الإمام يحيى منذ طفولته؛ بسبب حكايات والدته عن خصام أبيه السياسى مع الإمام يحيى[١٦٢]، ويقول فى هذا الصدد: «لا أستطيع أن أنكر أننى قد انفعلت وتأثرت بما كانت ترويه أمى، وخطت أقاصيصها السطور الأولى فى صراعى مع حكم الإمام يحيى، ولا أبرئ نفسى من آثار ذلك الانفعال[١٦٣]؛ لذا ليس من المستغرب بمكان أن يسهل اختراقه من قِبل الإخوان المسلمين الذين أقنعوه بالتعاون مع حزب الأحرار[١٦٤]، والانجراف مع الانقلابيين الذين عينوه سكرتيرًا لمجلس الوزراء[١٦٥].

لعب أثناء الانقلاب دور ضابط الاتصال بين منفذى عملية الاغتيال فى منطقة حزيز، والمتآمرين فى صنعاء[١٦٦]، وأُسند إليه احتلال الإذاعة، والقبض على أخوال زوجته أبناء الإمام يحيى، بل زاد على ذلك بكتابته ميثاق الحركة الانقلابية بخطه، وقيامه بالتحريض على سيف الإسلام أحمد من الإذاعة[١٦٧]. وبعد فشل الحركة، ونظرًا لصغر سنه، اكتفى الإمام أحمد بسجنه لفترة ٥ سنوات، ثم أطلقه ليعينه بعد إطلاقه من السجن مستشارًا لابنه البدر[١٦٨]، ثم وزيرًا مفوضًا لليمن فى لندن[١٦٩]. وبعد قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢، اتخذ أحمد الشامى جانب الملكيين فى الحرب الأهلية اليمنية، وعُيّن وزيرًا لخارجية الملكيين[١٧٠]،

ثم عُيِّن عضوًا فى المجلس الجمهورى بعد انتصار الجمهورية فى الحرب الأهلية، وسفيرًا بعد ذلك للجمهورية فى كثير من الدول، إلى أن تقاعد متفرغًا للكتابة، التى عاد فيها إلى سيرته الأولى فى التعريض بالإمام يحيى، وإلصاق التهم؛ مما يدلُّ على تذبذب مواقفه التى لم تلتزم بفكر أو مبدأ، بقدر ما التزمت بمصالحه الخاصة.

جميل جمال العراقى:

عراقى الجنسية، كان من أعضاء البعثة العسكرية العراقية التى استقدمها الإمام لتدريب الجيش اليمنى، وبعد انتهاء فترة التدريب طلب من الإمام أن يبقى فى اليمن، فعُيِّن معلمًا للجيش فى المدرسة الحربية(١٧١). وواقع الأمر أنه تخلَّف عن العودة إلى العراق، تنفيذًا لرغبات جهات عراقية(١٧٢) أسندت إليه دورًا استخباريًّا خطيرًا. وفعلا بدأ يُسرِّب التفاصيل السرية عن تحضيرات الانقلاب على الإمام يحيى إلى المخابرات البريطانية ووزارة الخارجية العراقية، الخاضعة عمليًّا للإنكليز(١٧٣)، بالإضافة لتسريبه تفاصيل الحياة السياسية والعسكرية فى رسائل إلى المخبرين البريطانيين(١٧٤). وفى خلال ٣ سنوات من مكوثه فى اليمن أنشأ المدرسة الحربية، ومدرسة الرشاش، وفوجين من الضباط والعسكريين اليمنيين(١٧٥)، وبدأ فى تكوين الخلايا السرية المتآمرة فى الجيش، تحضيرًا للانقلاب على الإمام يحيى(١٧٦). وعندما تفجَّر انقلاب ٤٨ أُلقى على عاتقه مسؤوليات قيادية بارزة، منها قتل اثنين من أبناء الإمام يحيى، وهم سيف الإسلام المحسن، وسيف الإسلام الحسين(١٧٧). واعترافًا من الانقلابيين بدوره المحورى فى نجاح الانقلاب عينوه حاكما عسكريا ووزيرًا للدفاع فى حكومتهم(١٧٨). أقام عليه الامام احمد الحد الشرعى بعد فشل الانقلاب(١٧٩).

الفضيل الورتلانى:

جزائرى الأصل والجنسية من قياديّ الإخوان المسلمين، حضر إلى اليمن تحت ستار تأسيس شركة تجارية تقوم بمشاريع صناعية فى اليمن على أسس إسلامية. وواقع الأمر أن تنظيم الإخوان المسلمين كان قد أرسله لنسج مؤامرة انقلاب على حكم الإمام يحيى؛ بهدف تأسيس حكومة خاضعة للإخوان المسلمين(١٨٠) ولاستكمال طبخ المؤامرة أرسل الإخوان المسلمون معه ميثاقًا للانقلاب على الحكم أُعدّ مسبقًا فى مصر بواسطة مرشد الإخوان

المسلمين حسن البنا[١٨١]. وقد شكّلت سفراته المتعددة ما بين صنعاء وعدن تحت ستار أغراض تجارية همزة وصل ما بين المتآمرين في صنعاء ورجال حزب الأحرار في عدن[١٨٢]. اندفع بصفة سرية أثناء إقامته في صنعاء إلى إلهاب مشاعر الشباب وضباط الجيش للانقلاب على حكم الإمام يحيى، مشجعًا إياهم على توزيع المنشورات، وتفجير القنابل والألغام والطلقات النارية هنا وهناك؛ لإشاعة جوٍّ من الخوف والإرهاب[١٨٣].

وبلغ به الجنون إلى درجة إفتائه بوجوب قتل الإمام يحيى[١٨٤]. هرب من اليمن بعد فشل الانقلاب إلى لبنان، وظل متخفيًا فيها إلى أن انتقل الى اسطنبول التى مات غريبًا فيها[١٨٥].

يتضح مما سردته آنفًا عن خلفيات المتآمرين، أنهم لم يكونوا يمتّوا بصلة لنبض الشارع اليمنى، ولم يكونوا يمثلون حتى الحد الأدنى من تطلعاته، بل كانوا يُمثّلون تحالفًا إقطاعيًا أرستقراطيًا، وحلقة ضيقة من المصالح النخبوية البعيدة عن هموم الشعب، همهم الوحيد الانتقام من الإمام يحيى والحلول مكانه؛ لوقوفه حائلاً دون مطامحهم المشبوهة. فالقضية المشتركة التى جمعتهم هى التضرر من سلطة إمام اليمن، وفقدان المكانة التى كانوا يتمتعون بها.

وللاستزادة فى التدليل على هذه الحقيقة، أستشهد بمقولات الكثير من الكتاب والمفكرين اليمنيين، ومنهم الأديب عبدالله البردونى،الذى وصف رجال الحركة الانقلابية بأنهم رجال إما أُبعدوا عن مناصب، أو أنهم عجزوا عن الوصول لمناصب[١٨٦]. فالذين أُبعدوا عن مناصب، هم آل الوزير، الذين يمتون بصلة صهارة مع الإمام يحيى، وتم عزلهم بعد تكشّف اتصالاتهم المشبوهة مع الإنكليز، كما سأوثق ذلك لاحقًا فى فصول قادمة ؛ لذلك لم يكن غريبًا أن نجد ٦ أفراد من هذه الأسرة يشتركون فى مؤامرة اغتيال الإمام يحيى، وهم: عبدالله بن أحمد الوزير، وعلى بن عبدالله الوزير، ومحمد بن محمد الوزير، ومحمد بن على الوزير، وعبدالله بن محمد الوزير، وهؤلاء أعدمهم الإمام أحمد قصاصا بعد فشل الانقلاب[١٨٧]، إضافة إلى عبدالله بن على الوزير، نجل رئيس وزراء الحركة الإنقلابية الذى تمكّن من الهرب إلى باكستان[١٨٨].

أما الجناح الآخر من المتآمرين الذين اشتركوا فى الحركة الانقلابية، كردة فعل على إبعادهم عن مناصب، فهم آل نعمان، الذين جُردوا من إقطاعياتهم فى منطقة الحجرية؛

بسبب تورطهم فى مؤامرات مشبوهة مع الإنكليز، تهدف إلى فصل إقطاعياتهم فى اليمن الأسفل عن الجزء المحرر من اليمن، وضمها كمحمية تحت السلطة البريطانية فى عدن[١٨٩]؛ لذلك لم يكن غريبًا أن نجد ٦ أفراد أيضًا من هذه الأسرة اشتركوا فى هذا الانقلاب، وهم: عبدالوهاب نعمان، وأحمد محمد نعمان، ومحمد أحمد نعمان، وعبدالله عبدالوهاب نعمان، وعلى محمد نعمان[١٩٠]، وأمين عبدالواسع نعمان[١٩١]، فهل هو من قبيل المصادفة أن نجد أن أسرتين إقطاعيتين إرستقراطيتين كانتا تمثلان الاتجاه الغالب فى قيادة هذه الحركة من ناحية النفوذ وعدد الأفراد، أم أن الأمر كان معدًّا مسبقًا لاقتسام الكعكة؟

أما الذين عجزوا عن الوصول إلى مناصب، فهم أفراد كانوا قريبين من دوائر القرار والسلطة، إلا أن سقفهم المتواضع فى الثروة والجاه والنفوذ دفعهم إلى الاشتراك فى هذا الانقلاب بهدف التسلق، مثل حسين الكبسى، الذى كان سكرتيرًا ومرافقًا شخصيًّا لسيف الإسلام الحسين بن الإمام يحيى فى جولاته الدبلوماسية إلى الخارج، وعُيِّن بعد الانقلاب وزيرًا للخارجية[١٩٢]، ومثل زيد الموشكى الذى كان مدرسًا لأبناء الإمام يحيى، فعُيِّن بعد الانقلاب مديرًا لوزارة الداخلية[١٩٣].

أما إذا استشهدنا بمقولات شخصيات أخرى اشتركت فى المؤامرة الانقلابية، فسوف نلخص المقاصد الحقيقية لهذه الحركة الانقلابية، فها هو محمد أحمد صبرة أحد المشاركين الثانويين فى الانقلاب يقول: «عندما نادينا بفكرة الإصلاح لم نكن مدفوعين بإيماننا بها إيمانًا يحتّم علينا العمل بها ونشرها، وإنما كنّا ثلاثة: ساخط، ومقلد، وطامع. وعمل يقوم على هذه الأسس سرعان ما ينهار»[١٩٤] فالساخط والطامع قد بيَّنت من هم للقارئ الكريم، أما المقلد فهم من لا أستطيع أن ألومهم، وقد أتلمس لهم العذر؛ لأنهم طلبة حدثاء أسنان، أصحاب رؤية رومانسية وفى عجلة من أمرهم، يريدون الالتحاق الجزافى بركاب ما شاهدوه فى لبنان، ومصر، والعراق التى ابتعثوا للدراسة إليها بحرق المراحل، دون أن يفهموا أن هناك شيئًا اسمه تدرج وإيقاع زمنى لحركة التاريخ التى أخذت من إخوانهم العرب قرنًا ونصف من المخاض التاريخى والثقافة التغييرية، منذ غزوة نابليون إلى الشرق، إلى أن وصلوا فى عهد الإمام يحيى إلى ما وصلوا إليه، ومن هؤلاء: حسن العمرى، وحمود الجائفى، وغيرهم من الطلبة الذين ابتعثهم الإمام يحيى للخارج[١٩٥].

هل كان الشعار الدستورى ودعاوى الشورى والإصلاح التى رفعها الانقلابيون تنبع عن مبادئ حقة آمنوا بها ومارسوها، أم أنها مجرد ذريعة اختبئوا من ورائها للوصول إلى السلطة؟

كيف يمكن أن نخلع على حركة ١٩٤٨ هوية تقدمية دستورية فى أربعينيات القرن الماضى فى مجتمع قبلى تقليدى محافظ لم يحقق بعد أبجديات الوعى السياسى ومكوناته، فهل بلغ الجهل والطوباوية بالأحرار إلى درجة أن يغفلوا عن مدى جاهزية المجتمع وطبيعة المرحلة التى لم تتهيئ فيها بعد التربة ولا المناخ لمثل هذه الشعارات. لقد وقع الكثيرين تحت تأثير زيف الشعارات الكبرى المتعلقة بالدستور والشورى والإصلاح التى رفعها منظرو الحركة الانقلابية محمد محمود الزبيرى، وأحمد محمد نعمان، ومن لفّ لفهم من المتآمرين، إلا أن ازدواجية مواقف الزبيرى ونعمان كشف الغطاء عن أكاذيبهم وحقيقة مقاصدهم، وقوّض ادعاءاتهم الأخلاقية، وأفقدهم مصداقية الشعارات البراقة التى يزايدون بها أمام الناس. فالزبيرى ونعمان طالما تشدقا بالرغبة فى الإصلاح والتحديث والتقدم، وهم فى الوقت نفسه أول من رفض الإصلاح والتحديث والتقدم، عندما لاحت بوادره على يد الإمام يحيى، ومن بعده على يد الإمام أحمد.

ولنتتبع مواقف الزبيرى ونعمان منذ أن وطئت أقدامهم المعترك السياسى، إلى أن لفظ الزبيرى أنفاسه الأخيرة فى عام ١٩٦٥ فى مدينة برط، لنتبين هل كانوا فعلا صادقين فى طروحاتهم الشوروية والدستورية، ودعاويهم الإصلاحية والتحديثية، أم أن هذه الطروحات والدعاوى، ما هى إلا كذبة كبرى كانوا يختبؤون من ورائها، للوصول إلى أهدافهم الخفية، وللقارئ الحكم فى هذه المسألة.

ولنبدأ منذ عام ١٩٤١، بعد عودة الزبيرى من رحلته الدراسية التى لم يكملها فى مصر، حيث رجع إلى اليمن بعد أن طبخ هو وزميله نجل أمير تعز المخلوع عبدالله بن على الوزير فى القاهرة بالتواطؤ مع الإخوان المسلمين فكرة جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لتستخدم ستارًا للتمهيد السياسى للمعارضة[١٩٦]، إلا أن الإمام يحيى استبق الزبيرى بإيداعه السجن؛ بسبب لجوئه إلى منهج الإثارة والتحريض على الدولة[١٩٧]، وبعد أن قضى الزبيرى بضعة أشهر فى سجن الأهنوم[١٩٨]، انتهت نغمة النضال والسخط فى شعرالزبيرى وطروحاته، وبدأت نغمة الثناء على الإمام يحيى، مع التضرع الباكى والأسف

والاعتذار عما بدر منه، والاعتراف بالذنب؛ طلبًا للخلاص من سجنه بطريقة لم يصل إليها أحد من أدباء اليمن وشعرائها؛ مما جعل الكثير من رجالات اليمن يستنكرون عليه المبالغة فى التزلف والتملق، ويستنكرون عليه أيضًا عدم تجلده فى مواجهة الموقف وهو فى السجن، مثل غيره من المعارضين الذين صمدوا لسنوات طويلة قبل أن يطلقوا أى تضرع أو مدح أو قصيدة تزلّف فى حق الإمام يحيى، ومنهم عبدالرحمن الإريانى، واحمد المعلمى، واحمد المرونى، ومحمد الفسيل، وأحمد الشامى الذين لم يشتكِ ويتضرع أحد منهم إلا بعد مضى خمس سنوات من سجنهم [١٩٩]، ومنذ بداية تضرُّع الزبيرى بدأت الأسئلة تتقافز إلى الأذهان، وخاصة بعد توالى قصائد المديح التى بدأت تشمل ولى العهد أيضًا أحمد بن يحيى حميدالدين، ومن هذه الأسئلة المطروحة قول بعضهم: إذا كان الزبيرى بهذا الارتخاء وعدم الجلد عند أول محك نضالى يواجهه، فلماذا إذًا ركب هذا المركب الصعب؟ ولماذا كما يتساءل أديب اليمن عبدالله البردونى، لم يوطّن الزبيرى نفسه على السجن، ما دام أنه كان منطويًّا على نية النضال؟ [٢٠٠].

ولتوضيح ما المقصود بتضرع، وتملق، ومديح مبالغ فيه للإمام يحيى، لا أجد أفضل من أن أضع بين يدى القارئ الكريم هذه الأبيات الشعرية للزبيرى فى مدح الإمام يحيى:

نـور النبـوة مـن جبينـك يلمـع	والملك فيـك الـى الرسـالة ينزع
يكفيـك ان الـمصطفى لـك والـد	أفضت اليك به الفضائل اجمع
يكفيـك ان الـدين وهـو مشـرد	من سـائر الأقطـار نحـوك يفزع
لا غـرو أن تحميـه فهـو أمـانة	من جدكم فى عرشكم مستـودع
من أين يأتيـك العـدو وأنت فى	أرض تكـاد صخـورهـا تتشيـع
يابن النبـوة أيـن نذهـب عنكم	والغـرب منتظـر لـنـا يتطلـع
تالله لـو حـاد امـرؤ عـن امـركم	لـم يـأوه إلا التفـرنـج مـوضـع
مـا للعبـاد ســواك إلا فتنــة	عمياء أو كفـر يضـل يصـرع [٢٠١]

ويستطرد الزبيرى فى مدح الإمام يحيى بقوله:

يكفيـك ان الشعب حولك قائم	يرنو إليك ويرتجيـك ويخضـع
دانت لعـرشـك امــة يمنيــة	يسمـو بها عاد وبفخر تبع [٢٠٢]

ومقتطفات من قصيدة أخرى يقول فيها الزبيرى مادحًا الإمام يحيى:

مـا أنت إلا شعـاع الله جـاء به ... من غرة المصطفى آبـاؤك الصيد
وضعتنا فى يد الرحمن فارتفعت ... بنا مكانًا سوانا عنه مطرود(٢٠٣)

وقصيدة أخرى يقول فى أحد أبياتها:

تالله مـا حــاد امـرؤ عن أمركم ... لـم يأوه غير التفرنج موضـع(٢٠٤)

وتزداد وتيرة التملق والتزلف لتمتد إلى مدح كافة أبناء الإمام يحيى، بما فى ذلك سيف الإسلام أحمد، معتبرًا مجده من آثار النبوة، حيث يقول الزبيرى:

أولـي عـهـد المسلمين تحيـة ... تجرى بهـا الأنفـاس منى والـدم
إنـى أرجـى فيـك مجدًا خـالدًا ... تـركتـه آثــار النبــوة فيكــم
نظـر الإمـام فـلـم يـجـد بمقـامه ... إلاك نحـــو مقـــامــه يتـقــدم
لأبوك شمس أنت عين ضيـائهـا ... وجميـع إخـوتك الأكـارم أنجـم
يا آل يحيى أيـن يذهـب شعبنـا ... عنكم وما فى الأرض إلا أنتم(٢٠٥)

وفى قصيدة أخرى يخاطب الزبيرى سيف الإسلام أحمد بقوله:

وانظـر إلى الشعب إذ طار الهيام به ... إلــى ذراك زرافـــات ووحـــدانـــا
الشعـب حـولك والأبصـار خـاشعة ... إليـك تـوليك تهيـامًا وتحنـانـا(٢٠٦)

ونتيجة لهذه الضراعات الشعرية؛ رقَّ قلب الإمام يحيى، فأطلق الزبيرى من السجن بعد أن اعتذر عما بدر منه من إساءات(٢٠٧)، وساعد على ذلك شفاعة سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى، الذى جعل من نفسه ملاذًا للزبيرى ورفيقه أحمد محمد نعمان، الذى التحق به بعد عودته من مصر، حيث استقبلهم السيف أحمد فى مدينة تعز بالحفاوة، وأسبغ عليهم النعم وأدناهم منه، وفتح أذنيه لنصائحهم ومقترحاتهم، وشجّعهم على إقامة ندوات العلم والأدب(٢٠٨)، ووعدهم بالتحول فى حياة اليمن نحو الانفتاح والتطوير والإصلاحات السياسية والاجتماعية عند اعتلائه العرش(٢٠٩)؛ إلا أن الزبيرى ونعمان قابلوا كل تلك المواقف الإيجابية من الإمام يحيى وابنه أحمد بالجحود، حيث هربوا إلى عدن فى عام ١٩٤٤م، مشككين فى مقاصد الإمام يحيى وابنه أحمد، إذ عدوا أن مواقفهم فى الاستجابة لنصائحهم،

ما هو إلى تمثيل غير صادق النية، بل إنهم يتقاسمون الأدوار فيما بينهم لضرب المعارضة وحقوق الشعب في اليمن، وفي ذلك يقول الزبيرى معرضًا بولى العهد: «لقد استطاع هذا الرجل الممثل الداهية أن يجعل البلاد تعيش من آلاعيبه في مسرحية مبرمة فصولها، محكمة أدوارها، فهو يغضب من أبيه، ويثور ويبكى أحيانًا، وإنه ليتأوه على سجناء الشباب، حتى كأنه أخ لهم حميم، وكان يقوم بدور إطلاق سراحهم، وتأمين ساحتهم، ومطارحتهم الأفكار والأشعار في مجالسه في تواضع وانطلاق وتحرر»[٢١٠].

ولتبرير هروبهم إلى عدن صرح الزبيرى بقوله: «قرر الأحرار اليأس من ولى العهد وأيقنوا أن بلادهم لا يمكن أن تتغير بالوعود، وأن حقوق الشعب لا يمكن أن تُنال بالاستجداء»[٢١١]، وبمجرد أن وطئت أقدام الزبيرى ونعمان مدينة عدن، وجدناهم ينقلبون ١٨٠ درجة في مواقفهم، فبعد أن كان الزبيرى يتضرَّع ويبكى خائفاً كالدجاجة، ويأسف، ويعتذر، ويتملّق متزلفًا للإمام يحيى وابنه أحمد ليخرج من السجن، تحوّل إلى أسد شامخ يزأر بأعلى صوته مشبهًا الإمام يحيى باللص الذى اختطف اليمن، حيث يقول في أحد قصائده الشعرية:

خرجنا من السجن شم الأنوف   كما تخرج الأسد من غابها
نمر على شفرات السيوف   ونأتى المنية من بابها
فيا ملكًا لجَّ في بطشه   وداس البلاد وأخنى بها
ودب لأمته في الظلام   دبيب اللصوص لأسلابها[٢١٢]

ومن مدينة عدن توالت مسلسلات الشتائم الزبيرية في حق الإمام يحيى لأكثر من أربع سنوات وهو يعيش تحت جناح الانكليز، فبعد أن كان يطلق قصائد المديح من سجن الأهنوم وهو يقول فيها: إن الإمام يحيى ابن النبوة، وشعاع الله في أرضه، وحامى حمى الدين، الذى لا يحيد عن أمره فرد إلا كان متفرنجًا؛ وجدناه يطلق من عدن عاصمة اليمن المحتل قصائد مناقضة تمامًا بلغت إلى حد الفجور في الخصومة، ومنها الأبيات التالية التى اتهم فيها الزبيرى الإمام يحيى بالنفاق وادعاء الألوهية، وفي ذلك يقول:

أيها الظالم الذى يتباهى   أنه ابن الوحى أو سبطاه
تشهد الناس يركعون حواليك   دهورًا ويخفضون الجباها
تتوخى بأن تكون شريك الله   فيهم أو أن تكون الله

كلها لـذة الألـوهيـة النكراء في سمتهـا وفـي معنـاهـا
وإذا جئـت المصلـى رأينـاك نفـاقًـا مـوحـدًا أواهـا
إن تـكـن أنـت مـؤمنًـا بـالله فلماذا تـكـون أنت الإلـه[٢١٣]

هذه القصائد التحريضية التي أطلقها الزبيري في وجه الإمام يحيى بعد هربه إلى عدن، والتي يقابلها قصائد مدح قبل هروبه؛ سبَّبت للزبيري اهتزازًا في المكانة، ولمشايعيه حرجًا كبيرًا؛ بسبب الازدواجية والتلون في المواقف، فلم يجد الزبيري من سبيل للخروج من مأزق مدائحه السابقة للإمام يحيى وابنه سيف الإسلام أحمد، إلا بالمغالطة والتبريرالسفسطائي الذي لا ينطلي إلا على البسطاء والعامة، حيث يقول: «إذا كانت الحرب خدعة، فالشعر أحيانًا سلاح من أسلحة الحرب، ولا بأس في ميدان الصراع أن تكون الخدعة سلاحًا شاعرًا، على أن المعيار الحق في وزن أقدار الرجال وآدابهم وأشعارهم، لا يتجه إلى الاستثناءات والمواقف المؤقتة، والجانبية، والسطحية، وإنما ينبغي أن يتجه إلى تقييم الاهتمامات الرئيسة ومظاهر السلوك، وأهدافه، والطابع العام العميق، والنهايات الكبرى[٢١٤]. وليت أن مواقف الزبيري الازدواجية كانت استثنائية، أو مؤقتة، أو جانبية كما يدعي، إلا أننا بتتبع سيرته سوف نجد ازدواجيته وتلونه الحربائي يتوالى ويتكرر عشرات المرات دون خجل على امتداد لأربعينيات، ومرورًا بالخمسينيات، إلى منتصف الستينيات، حيث لفظ أنفاسه الأخيرة في عام ٦٥ في مدينة برط.

ولسوف أسوق أمثلة صارخة عن تناقضاته ومواقفه الزئبقية المزدوجة في موضع آخر من هذا الفصل، ليكون القارئ الكريم على بينة من حقيقة الزبيري.

وعلى الرغم من تسليم معظم الكتاب والمفكرين اليمنيين بفشل الزبيري في إيجاد تأويلات مقنعة لمواقفه المزدوجة، ومنهم زميله في المعارضة الأديب أحمد الشامي، الذي قال: «حاول الزبيري أن يجعل لمدائحه تأويلات غريبة لا يقرها المنطق»[٢١٥]؛ إلا أننا وجدنا هناك آخرين من محازبي الزبيري يستميتون في محاولة ستر سوءة ازدواجيته الحربائية، ومنهم الدكتور عبدالعزيز المقالح، المعروف بعدم التزامه بأمانة الكتابة والنشر، وبعده عن ميثاق الشرف المهني، بدوام عبثه بالكتب والأشعار التي لا تروق له: حذفًا، وشطبًا، وبترًا، وتحريفًا، وتزويرًا[٢١٦]، خاصة أنه كان يشرف بنفسه على طبع كتب الزبيري من خلال مركز الدراسات والبحوث اليمني الذي كان يرأسه، فلقد حاول المقالح إخفاء مقاطع

الزبيرى التى امتدح فيها الإمام يحيى والإمام أحمد، وحاول منع الأديب أحمد الشامى من نشر قصائد المدائح بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، ولوّح بمقاضاة كل من تُسوّل له نفسه نشر تلك القصائد؛ بدعوى عدم موافقة ورثته[٢١٧]، لكنه عندما فشل فى دفن هذه القصائد فى أقبية الصمت؛ لم يجد بدًّا من أن يخترع مبررات جديدة سياسية وتاريخية من خلال رؤية عدها فنية واجتماعية، حيث قال بوجوب دراسة شعره بمقاييس ظروفها، وبما اكتنفها من مرحلية وتكتيك، معدًّا إياها نوعًا من أنواع التقية[٢١٨].

ويضيف المقالح قائلاً: «نحن لا نملك ولا يجوز لنا تحت أى اعتبار أن نسقط على الزبيرى وعلى قصائده أفكار الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى، أو نحاكمه على ضوء أفكار الثلاثينيات والأربعينيات الواردة من خارج اليمن. وفى ظل هذه الاعتبارات، لا يكون شاعرنا مادحًا، بل سياسيًّا ماهرًا[٢١٩]، إلى أن يقول: «إن دراسة الأحرار فى إطار زمنهم، هو المنجاة من كل التخبط، وهو الطريق الصحيح إلى التحليل الموضوعى والإنصاف[٢٢٠]، وليت أن منطق المقالح فى دعوته لدراسة منهج الزبيرى وحزب الأحرار فى إطار زمنهم وعدم محاكمتهم على ضوء أفكار ومفاهيم اليوم، انسحب على رؤيته لتاريخ الإمام يحيى أيضًا على الأقل؛ ليظهر بمظهر الرجل المتوازن فى طرحه، العقلانى فى رؤاه أمام الجماهير، بدلا من الازدواجية فى معاييره والكيل بمكيالين، خاصة أننا كثيرًا ما قرأنا للمقالح وهو يكتب متشدقًا بوجوب الاستقراء المتأنى الحذر، وتجنّب الأحكام التعسفية، وعدم القفز على الشروط الموضوعية للمكان والزمان، والمراعاة لمعايير الوقت وظروف البيئة المحيطة[٢٢١]؛ إلا أن الأمر عندما يتعلّق بتاريخ الإمام يحيى، نجده يدخل فى دائرة التناقضات اللاعقلانية والانتقائية الفاضحة*، وبسوء نية يتناسى طروحاته المتوازنة، متعسفًا بإلقاء لائمة كل شىء على الإمام يحيى، إلى درجة اتهامه له باتهامات سخيفة لا

* بلغنى من أكثر من مصدر موثوق فى اليمن، ان درجة العصاب عند الدكتور المقالح تجاه أى إيجابية تُقال فى الإمام يحيى، وصلت الى درجة ان حاول طبع كتاب (اليمن الإنسان والحضارة) للقاضى عبدالله الشماحى محرفًا، بعدما أساءته الحقائق والإيجابيات التى أوردها الشماحى فى كتابه عن الإمام يحيى، وحاول إقناع الدكتور سيد مصطفى سالم ببتر المقاطع الموثقة التى أوردها فى كتابه (تكوين اليمن الحديث) عن وطنية الإمام يحيى فى مواجهة الإنكليز، مقابل عمالة حزب الأحرار لهم، وعندما رفض الدكتور سالم الاستجابة له؛ عاقبه الدكتور المقالح مستخدمًا نفوذه كعميد فى جامعة صنعاء بتخفيض راتبه من ألفين إلى خمسمائة دولار، بذريعة مساواته بالدكاترة اليمنيين بعد حصوله على الجنسية اليمنية، مع العلم أن الدكتور سالم كان معارًا من مصر على حساب دولة الكويت بجنسيته المصرية.

تقنع العقل؛ لتنافيها مع أبسط قواعد المنطق، مثل قوله بأن الإمام يحيى كان يأمر جلاديه بذبح خصومه من الرجال، ثم يأمرهم بإحضار أبنائهم الأطفال لإرغامهم على البصق فى وجوه آبائهم وهم جثث مطروحة على الأرض[٢٢٢]، إضافة إلى ترهات أخرى تُشكِّل اتهامًا لسلامة عقل المقالح، ولا يملك الإنسان إزائها إلا أن يقهقه ضاحكًا لسخافتها وغير قابليتها للتصديق، كقوله بأن الإمام يحيى كان يستدعى المشعوذين لعلاجه عندما يمرض، ليقوموا بلف قدميه بكمية من روث الحمير، لإيهام شعبه أن الفضل فى علاجه هو الروث، وليس الطب الحديث[٢٢٣].

فهل هذه كتابات يمكن أن تصدر عن إنسان عاقل موضوعى ذى شخصية أكاديمية، تبوأ منصب مدير جامعة صنعاء، ورئاسة مركز الدراسات والبحوث ردحًا من الزمان، أم أنها كتابات تبعث على الخجل، وتنمُّ عن عقلية سطحية غوغائية سفيهة لم يحررها العلم ولا الثقافة من قوقعة الحقد الأسود واجترار العقد.

أما عن إساءات الزبيرى، فلم تقتصر على الإمام يحيى وابنه وأسرته فحسب، بل امتدت لتشمل علماء اليمن ومفكريه الذين رفضوا التجاوب مع أجنداته المشبوهة، فما أن فشل الزبيرى فى استقطابهم إلى صفه؛ بسبب لغته التحريضية المتشنجة، البعيدة عن النصح المشروع الذى يجيزه الشرع حتى بدأ فى صبِّ اللعنات عليهم واتهامهم بالخيانة[٢٢٤]، واسوق للقارئ ما قاله عنهم فى احد ابياته الشعرية:

ومـذبذبيـن تلـونـاً وتـردداً — لعنتهـم الحسنـات والآثـام
قلنا ارفعو الأسواط عن أجسادكم — قـالـوا لـوم الإمـام آثـام
تـالله مـا بهـم الإمـام وإنمـا — ولعوا بسـوط المستبـد وهـامـوا
بـاعـوا الضمـائر للمهانة مثلما — تبتـاع للحمـل الثقيـل سـوام
لا يحسبـون الـدين إلا انـه — عنـد الأميـر دراهـم وطعـام[٢٢٥]

وبالرغم من توالى مسلسل الإساءات والشتائم التى أطلقها الزبيرى من عدن فى حقّ الإمام يحيى وعلماء اليمن؛ إلا أن الإمام يحيى تمالك نفسه، ولم ينجرف نحو اليأس من محاولة إصلاح الزبيرى ونعمان واحتوائهما، فأرسل إليهما فى عام ١٩٤٥م أكثر من مبعوث، كمستشاره محمد بن عبدالله الشامى، والقاضى الحلالى، الذى عبَّر لهما عن تعاطف الإمام يحيى مع مطالبهما، واقتناعه بحاجة البلاد فعلا الى اجراء اصلاحات، ووعده لهما بسرعة

التجاوب مع كافة المطالب[٢٢٦]، خاصة أن الأجواء قد أصبحت مهيئة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية للانفتاح والتحديث، وتأكيدًا على موقف الإمام يحيى الجديد، طلب منهما فتح باب الحوار، وفك الارتباط مع الإنكليز، الذين يستخدمونهما أداة؛ لأن فى ذلك خيانة للدين والوطن، فما كان من الزبيرى ونعمان إلا أن قابلا موقف الإمام يحيى الإيجابى هذا بموقف سلبى، رفضا فيه إجراء أى حوار، إلا أن الإمام يحيى استمر فى محاولة ردهما إلى رشدهما، فأرسل لهما ثانية ابنه سيف الإسلام أحمد، الذى وصل فى زيارة إلى عدن فى عام ١٩٤٦م، بالتزامن مع وصول البعثة الأمريكية إلى صنعاء، التى ستتفاوض مع حكومة الإمام يحيى على مشروعات اقتصادية وتجارية، تدفع باليمن إلى آفاق التنمية والتحضر[٢٢٧]، وقد بذل السيف أحمد قصارى جهده لاحتواء الزبيرى ونعمان، واستنفذ كافة الوسائل لكسبهما إلى جانبه، بتقديم الوعود بطى صفحة الماضى، والمبادرة بنهضة البلاد إلى آفاق التحديث والتطوير، وها هو سيف الإسلام أحمد قد برّ بوعده الذى قطعه لهما، عندما كانا يعيشان فى كنفه فى تعز، حيث إن الحكومة اليمنية كانت تتفاوض فى تلك اللحظة فى صنعاء مع البعثة الأمريكية، لعقد اتفاقية سياسية، هدفها استخراج ثروات النفط، ونقل البلاد نقلة حضارية نوعية، وفعلا وقعت الاتفاقية بتاريخ ٤ مايو من عام ١٩٤٦م[٢٢٨]، بالتزامن مع وجود سيف الإسلام أحمد فى عدن، التى وصل إليها فى ١١ أبريل من عام ١٩٤٦م[٢٢٩]، ولم يغادرها إلا فى يوم ٢٧ مايو من السنة نفسها[٢٣٠].

ولقد صرَّح سيف الإسلام أحمد تصريحًا رسميًا أثناء تواجده فى عدن بأن التأخير عن القيام بعملية الإصلاح والتحديث، كان بسبب أهوال الحرب العالمية التى وقفت سدًّا منيعًا دون ذلك، وها هو يعلن الآن أن حكومته مستعدة لتبنى سياسة إصلاحية تضمن التعاون مع الدول العربية والأجنبية، والسماح للشركات بالتنقيب عن الثروات المعدنية فى اليمن[٢٣١].

لقد كان حريًّا بالزبيرى ونعمان وهما يروجان لأنفسهما أنهما أصحاب مشروع وطنى اصلاحى تحديثى، أن يتفاعلا ويستجيبا بقدر من المسؤولية مع الروح الإصلاحية الجديدة التى أظهرها الإمام يحيى ونجله احمد، وغنى عن القول أن الوطنى الغيور عندما تلوح فى الأفق الفرص الواعدة لرفعة وطنه ونهضته وإزدهاره، يُغلِّب مصلحة الوطن، ويُضحّى فى سبيله بالتسامى عن الخصومات والطموحات الشخصية، وشهوات الأنا والذات، إلاأن الزبيرى ونعمان بدلاً من العودة إلى صنعاء، ليضعا أياديهما فى يد الإمام يحيى لمؤازرة

مسعاه، بعد أن استجاب لمطالبهما المشروعة، ضيعا الفرصة التاريخية ولم يتزحزحا عن مواقفهما، مُصرِّين على الحيلولة دون نهضة اليمن، بل رفضا مجرد مقابلة ولى العهد أحمد، الذى كان قد أتى بنفسه بكل تواضع إلى عتبة دارهم فى عدن؛ لمعالجة جروحهما(٢٣٢).

ومما زاد من لهيب الزبيرى ونعمان وحنقهما، نجاح البعثة الأمريكية فى مهمتها بخروج بيان من السفارة الأمريكية فى القاهرة، يوضِّح منح الولايات المتحدة الأمريكية تسهيلات ائتمانية بمبلغ مليون دولار لشراء تجهيزات للتنمية الاقتصادية، وتوسيع التجارة الخارجية لليمن، ومن تلك التجهيزات حصول اليمن من الولايات المتحدة الأمريكية على عدد وافر من الشاحنات، والناقلات، والأدوات الطبية للمستشفيات، وأدوات الحفر، وأنابيب المياه، وأدوات الاتصالات التلفونية والإذاعية، والآلات المتخصصة فى شق الطرق، والتجهيزات الكهربائية(٢٣٣)، ومعنى هذا أن عجلة التحديث والتنمية الشاملة سوف تبدأ فى الدوران؛ مما يعنى أن ينتزع الإمام يحيى من الزبيرى ونعمان الحجة التى يتكآن عليها فى المعارضة، ويعنى أن يفقد الزبيرى ونعمان الصيت والرواج بين الناس؛ فما كان من الزبيرى ونعمان للخروج من هذا المأزق، بعد أن أُسقط فى أيديهما، وعدما الحجة التى فى سبيلها فرا إلى عدن، إلا أن رفعا من سقف مطالبهما إلى درجة التعجيز، وقطعا الأمل فى أى اتفاق.

وبنظرة سريعة إلى سقفهما الجديد ذى المطالب التعجيزية، سوف ندرك مجموعة من الحقائق، أولها: استحالة الاستجابه لمثل تلك المطالب التى كانت أقرب إلى الوهم فى ذلك الزمان، وثانيها: زيف دعاويهما فى المطالبة بالتحديث، والإصلاح، والانفتاح التى طالما تشدقا بها، ورفعا شعاراتها للاتجار السياسى، وثالثها: وهو حقيقة البصمات البريطانية فى بثِّ هذه المطالب، وأسوق للقارئ هذه المطالب، كما تجسَّدت فى جريدتهما الرسمية صوت اليمن:

- ابتعاد الأمراء أبناء الإمام يحيى عن المراكز الحكومية، فلا يلى أى أمير من الأمراء أى سلطة فى الدولة، حسبه أنه أخو الإمام أو ابن الإمام.
- تشكيل جبهة وطنية لتراقب الحكومة وسير أعمال الدولة، وأن يكون مقر هذه الجبهة فى القاهرة أو عدن.
- قيام مجلس نيابى من أبناء الشعب.
- قيام حكومة مسؤولة أمام المجلس النيابى(٢٣٤).

AMERICAN EMBASSY
PRESS SECTION Tel. 59556-46319
CAIRO

U.S.I.S.
PRESS
BULLETIN

UNITED STATES INFORMATION SERVICE NEWS & FEATURES

SPECIAL

YEMEN AGREEMENT PROVIDES
$1,000,000 IN CREDITS TO
BUY WAR SURPLUS FROM FLC

CAIRO, May 24 — (USIS) — With the signing of an agreement today in the office of .. Pinkney Tuck, the American Ambassador, the Kingdom of the Yemen was granted a line of credit "not to exceed $1,000,000" for the purchase of United States war surplus equipment, as available, for the improvement of the Yemen.

The agreement was signed by His Royal Highness Saif al Islam Abdullah, son of H.M. the Imam Yahia Hamid ul Din, King of the Yemen, who had been empowered to act on behalf of his father. Representing the United States Foreign Liquidation Commission were Wilbur B. Hart, Central Field Commissioner at Cairo, and A. M. Bartlett, chief counsel for the F.L.C. in the Cairo office. Philip Ireland, First Secretary of Embassy, also took part in the formal closing of the agreement.

The agreement stipulates that credit up to $1,000,000 will be extended to the Yemen against any purchases of F.L.C. surplus material which may be available and purchased prior to January 1, 1948. Repayment is to be made in five equal annual payments, the first to be met July 1, 194

The Yemen has expressed interest in obtaining trucks, cars, mobile and stationary hospital equipment and supplies; water drilling equipment and water pipe; telephone and radio equipment; road construction machinery and supplies; possibly transport planes; blankets, electrical equipment of various types for wiring, etc.

وثيقة بيان صحفي صادر من السفارة الأمريكية في القاهرة ، اقتطعتها من الوثائق البريطانية، المجلد العاشر ص ١٩٩، توضح هذه الوثيقة فتح الحكومة أمريكية اعتماد بمليون دولار لتلبية بعض المطالب الشرائية لحكومة اليمن بعد المحادثات التي أجراها سيف الإسلام عبدالله مع حكومة الرئيس ترومان ، ومن تلك المطالب مجموعة من الشاحنات والسيارات وأجهزة للمستشفيات وآلات حفر وأنابيب للمياه وأجهزة اتصالات وآلات لبناء الطرق وطائرات نقل وأجهزة كهربائية .

وبتحليل هذه المطالب، نجد أن نقطة الارتكاز فى مطالبهم، هو هاجس السلطة الذى اعتمل فى نفوسهما، وليس نهضة البلاد، وإلا لما وجدنا أن مطلبهما الأول وعلى رأس القائمة، هو التركيز على إبتعاد الأمراء عن المراكز الحكومية، ولما وجدنا محمد أحمد نعمان الابن يشرح الهدف من وراء معارضة أبيه والزبيرى للإمام يحيى بقوله: «بأن الهدف من المعارضة كان نزع السلطات من يد الإمام، بحيث يحظر عليه أن يعزل موظفًا أو يعينه إلا باقتراح الوزير المختص أو الجهة المختصة»[٢٣٥]. إضافة إلى أننا لا نجد بين المطالب الأربعة أى ذكر لمطلب تنموى واحد، أو مطلب تحديثى، أو حتى برامج خدماتية، أوخطط لمشاريع تعود بالنفع للشعب اليمنى. فالهم الشعبى كان آخر الهموم لدى الزبيرى ونعمان؛ ولهذا السبب وجدنا المؤرخ عبدالله البردونى ينتقدهما فى كتابه (الثقافة والثورة فى اليمن)، ويستغرب لخلو مطالبهما من مطلب واحد للتنمية، كبناء السدود، أو استصلاح الأراضى المهملة، أو استيراد الآلات الزراعية الحديثة، أو فتح الأعمال للأيدى العاطلة[٢٣٦].

أما الدكتور عبدالعزيز المقالح، الذى بالرغم من أنه مُصنَّف لدى المفكرين فى اليمن بأنه المشايع الأول للزبيرى، وجدناه يؤكد فى كتابه (الشعر المعاصر فى اليمن) على أن حركة الأحرار منذ نشأتها لم تتناول برامجها، ولا حتى الحد الأدنى من الأهداف الاجتماعية والاقتصادية[٢٣٧]. والسؤال الذى يطرح نفسه: هل كانت الأولوية فى تلك المرحلة التاريخية، هى القفز نحو مطالب طوباوية لم تتحقق بعد حتى اليوم على امتداد العالم العربى، أم أن الأولوية كانت تتركَّزعلى مطالب التنمية والتطوير والتحديث لليمن، الذى كان ما زال يغلب عليها الأمية، والجهل، والبداوة، والتخلف.

أما المطلب الثانى المتعلق بتشكيل جبهة تراقب الحكومة اليمنية وسير أعمالها من عدن أو القاهرة، فبتحليل هذا المطلب ندرك البصمات البريطانية وأياديها الخفية التى كانت توجه الزبيرى ونعمان من وراء الكواليس، فواضح لكل ذى عقل أن هذا المطلب يصبُّ أولاً وأخيرًا فى مصلحة الإنكليز، فموقع الجبهة المطلوب تشكيلها هو مستعمرة عدن أو القاهرة الخاضعة عمليًّا للنفوذ البريطانى، فهل يعقل أن يستجيب حاكم وطنى يحترم نفسه، ويخاف الله فى شعبه إلى مطلب كهذا، يجعل من بريطانيا الوصى والقيم والمرجع الرسمى لمراقبة أعمال حكومة إسلامية لدولة مستقلة.

أما المطلبان الثالث والرابع المتعلقان بقيام مجلس نيابى وحكومة مسؤولة أمام هذا المجلس، فمطلب مشروع ولا غبار عليه لو خلصت النية وصدقت النفوس، إلا أن الزبيرى ونعمان لم يكونا من الطوباوية بمكان ليدركا أن ذلك المطلب فى ذلك الزمان كان سابقًا لأوانه؛ لأنه انطلق من منظار التجربة الغربية البعيدة عن الواقع المحلى فى اليمن، الذى لم تتراكم فيه بعد أحداث، أو تستجد فيه أمور ملحة تدعو إلى ذلك المطلب. ودع عنك حقيقة مدارك أفراد المجتمع، وذهنياتهم، وبنيتهم الثقافية، ورواسبهم النفسية التى لم تكن مؤهلة بعد للوصول إلى هذا المستوى من المطالب المثالية، التى قد تصلح لمجتمع فيه قدر نسبى من الوعى الثقافى والحس الحضارى، وحدٍّ أدنى من الحضور المؤسسى. فالحديث عن مجلس نيابى يراقب أعمال الحكومة لا يستقيم بمعزل عن الوعى؛ لأن ذلك كمن يضع العربة أمام الحصان؛ الأمر الذى لن يتيح إمكانية التحرك خطوة واحدة إلى الإمام، فإن كنا إلى اليوم ونحن فى الألفية الثالثة، ما زالت فكرة المجالس النيابية التى تخضع لها الحكومة، تعدُّ نوعًا من الترف الفكرى فى وسط جزيرة العرب، ولا تخرج عن إطار التمنيات فى المجتمع الغارق حتى آخر شعرة من رأسه فى حمأة الخطاب التقليدى، المستند على التراث وقواعد القبيلة وليس على قواعد المجالس النيابية، فما بالك بالأربعينيات من القرن الماضى، حيث كان المجتمع فى اليمن ما يزال يعانى من البدائية السياسية، ومرحلة فك الخط، وبعيدًا كل البعد عن النضج والوعى السياسى.

وها هما الزبيرى ونعمان أنفسهما اللذين رفعا هذه المطالب فى وجه سيف الإسلام أحمد نفسه، يعترفان ضمنيا فى كتاباتهم فى مطلع الستينات، بأن الشعب اليمنى لم يكن مؤهلا بعدُ لاستيعاب هذه المطالب، فأحمد محمد نعمان يقول فى مذكراته: إن فهمه للشورى والدستور والقوانين فى ذلك الزمان كان فهمًا محدودًا لا يخرج عن إطار ما درسه فى الشريعة الإسلامية، وليس على غرار الدولة الحديثة بما فيها من أطر قانونية، ومجالس دستورية وقانونية، والتى يقول نعمان: إنه لم يكن يفقه شيئًا منها[٢٣٨].

أما الزبيرى فيقول فى أحد مطارحاته الفكرية «بأن الآراء الحديثة انما يكون لها سلطان على الشعوب الراقية التى أصبحت تلك الآراء فى اعماقها مزاجا عقليا وراثيا وليس لنا نحن الشرقيين»[٢٣٩].

فاذا كانت هذه هى نظرة الزبيرى ونعمان للدستور والشورى والآراء الحديثة فى مطلع

الستينات حيث يشككون فى جدواها وامكانية استيعابها فى شرقنا المتخلف، فما بالك فى يمن الأربعينات من القرن الماضى.

والسؤال المنطقى الذى يطرح نفسه هنا، بعد أن تناولت هذه المطالب الأربعة الغارقة فى الفانتازيا واللامعقولية بالتحليل: هل كان بالإمكان أن يستجيب الإمام يحيى لمطالب من ذلك النوع؟ وهل كانت تلك المطالب فى ذلك الزمان مطالب ملحة من ضرورات التفاعل مع ما يجرى فى محيط اليمن، أم أنها كانت مجرد ذريعة اختبأ وراءها الزبيرى ونعمان للهروب من استحقاقات المصالحة الوطنية ؟ اترك الجواب للقارئ.

ونتيجة لهذه المطالب التعجيزية التى رفعها الزبيرى ونعمان استحالت أية إمكانية للاتفاق بين الإمام يحيى وحزب الأحرار[٢٤٠]؛ مما جرَّ على الزبيرى ونعمان النقد، والاستنكار، والنظرة السلبية من اليمنيين؛ لمواقفهما المتعنتة، خاصة بعد أن رفضا مجرد الحوار مع سيف الإسلام أحمد، الذى أتى بنفسه بكل تواضع إلى عتبة دارهم فى عدن لإجراء مصالحة وطنية؛ وبالرغم من ذلك رفضا مقابلته[٢٤١]؛ فاضطر الزبيرى ونعمان تحت وطأة الانكشاف المعرى أن يبرئا ساحتهما بالتشويش، والمغالطة، والمراوغة التبريرية بقولهم: إن إدخال الإصلاحات، والانفتاح على العالم الذى يدعيه سيف الإسلام أحمد من خلال معاهدة ١٩٤٦م مع الولايات الأمريكية؛ ما هو إلا محاولة من الإمام يحيى لحماية ملكه وأولاده سيوف الإسلام، وليس الهدف منه سوى ذلك، وأن هذه الاتفاقية تعدُّ قمة الإساءة إلى الأمة اليمانية؛ لأنها اتفاقية مع أمريكا اليهودية التى تناصر اليهود على العرب[٢٤٢].

وفى محاولة ماكرة من الزبيرى ونعمان لثنى الإمام يحيى عن المضى قدمًا فى الاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية، وجدناهما يتوقفان برهة وجيزة عن حملات السباب والتحريض على الإمام يحيى، متحولين إلى خلع صفات المجد عليه على سبيل التكتيك والخداع، واصفين إياه بأوصاف قيادية خيرة، عسى ولعل أن يغيِّر الإمام يحيى من موقفه الجديد في الانفتاح على الغرب الأمريكي. فبعد أن كانا يشتمانه ليلا نهارًا بقصائد مقذعة، وجدناهما يصنفان الإمام بأنه من خير من أنجبتهم الدنيا، ويصفانه بالعبقرية والدهاء، حيث يقول الزبيرى فى مقال كتبه فى عدن قبل خمسة أشهر فقط من اغتيال الإمام يحيى فى جريدة صوت اليمن: «إننا نعرف جلالته من خير من أنجبتهم الدنيا ذكاء ودهاء وعبقرية، ولكن وقوفه هذا الموقف الجامد من الحقائق الصارخة، هو اللغز المدهش المستغلق

الذى حارت البرية فيه»[٢٤٣].

وعندما خاب رجاء الزبيرى ونعمان بمضى الإمام يحيى قدمًا فى علاقته الجديدة مع الولايات المتحدة، وهو لا يلوى على شيء من محاولاتهما معه، أصيبا بحالة من الهستيريا والعضّ على الأيادى من الغيظ، فعادا أدراجهما لتوجيه حملات السباب، وتكريس التهم، ولكن هذه المرة نحو مهندس العلاقة الأمريكية اليمنية، سيف الإسلام عبدالله بن الإمام يحيى، الذى كان له الفضل فى إقناع أبيه بضرورة الاستعانة بالولايات المتحدة الأمريكية فى سبيل التحديث واستخراج الثروات، ومن تلك الحملات التى تكشف زيف مطالب الأحرارالإصلاحية،ومتاجرتهم بالشعارات،ما كتبوه فى عام ١٩٤٧م فى جريدة صوت اليمن، الناطقة الرسمية لحزبهم فى عدن من نداءات وتحريضات لتقويض مساعى سيف الإسلام عبدالله فى الاستعانة بالولايات المتحدة لتنمية اليمن، ومن تلك التحريضات المقتطفات التالية من جريدتهم:

«يا سيف عبدالله، من قال لك: إن الشعب الآن يريد كهرباء، وبترول، وطائرات، وأساطيل حتى نستجديها له من واشنطون، إن الشعب اليوم لا يريد إلا حكومة دستورية شوروية تمثله حق التمثيل، وتعالج ما خلفتموه له من مجاعات وجراح وآفات»[٢٤٤].

«الذين ينكرون علينا خوفنا من أمريكا على بلادنا، وتنديدنا بالسيف عبدالله، يجب أن يفهموا أن هذا ليس رأينا وحدنا، وإنما هو رأى عام فى الأوساط العربية السياسية، وأن زعماء العرب لم يعودوا يكتمون ما يساورهم من القلق على مصير اليمن، ولم يألوا جهدًا فى بذل كافة الجهود الممكنة لردع الخطر الأمريكى عن هذا القطر العربى العزيز»[٢٤٥].

«يا سيف عبدالله، إن الشعب لا يثق بك، ولا يطمئن إليك، ولا يأمنك على مصيره، ستكون قد جنيت على نفسك، وجنيت على الشعب؛ لأنك ستكون سببًا فى استعباد أجياله إلى مدى لا يعلمه إلا الله»[٢٤٦].

«إذا افترضنا أن غريزة الانتحار قد تمكّنت من نفس السيف عبدالله، وأنه سيصمم على صداقة أمريكا، ورمى اليمن فى أحضانها، فإنه حينئذ لا يصنع شيئًا غير الانتحار؛ لأن العرب اليوم لن يطيقوا الصبر، ولن يدعو السيف عبدالله يرتكب جريمته مهما كانت الظروف»[٢٤٧].

ولم يدرك الزبيرى ونعمان أن ما خطته أناملهم من حملات هجومية فى صحيفة صوت اليمن الناطقة الرسمية لحزبهم، لإحباط المشاريع التى كان من المزمع أن تقوم بها الولايات

المتحدة الأمريكية فى اليمن، إنما هى وثائق تاريخية سوف تدينهم وتعريهم أمام الأجيال القادمة. ففى عرف الزبيرى ونعمان، اللذين طالما تشدقا بالرغبة فى تطوير اليمن أن إدخال الولايات المتحدة الكهرباء إلى اليمن واستخراجها للبترول، إنما يُشكِّل خطرًا على اليمن، واستجداء لا يليق بشعبها، ولا يستحى الزبيرى من التناقض الفاضح، ولا من الازدواجية الحربائية فى مواقفه وفى حسابه أن الجماهير ذاكرتها قصيرة، والأجيال القادمة فى اليمن لن تقرأ كتاباته ولا أشعاره، ولن تتابع مواقفه المتناقضة، ولن تُحلِّل أقواله المزدوجة، ولكأن اليمنيين قطيع غنم يسهل تضليلهم والتدليس عليهم، فكيف يحتكم فى العقل أن يقول الزبيرى بأن الشعب لا يثق، ولا يطمئن، ولا يأمن على سيف الإسلام عبدالله، فى الوقت الذى نجد أبياتًا شعرية للزبيرى يتهافت فيها على مدح سيف الإسلام عبدالله، قبل أن يقوم بهندسة العلاقات الأمريكية اليمنية، معدًّا إياه صوت الشعب، وأنه فى قلب الشعب اليمنى، حيث يقول فى إحدى قصائده الشعرية:

انت صوت الشعب اليمانى المدوى ... انت اقـوى احـداثـه الـرنـانة
انـت فـى قلبـه الشعـور الـذى ... أيقـظ أعصـابـه وهـز كيـانه
انت يمناه فى يد المجمع الأعلى ... تـحـى أقطـابـه ولجـانـه
انـت ميثـاقـه العظيـم وأنـت ... السر فى نفيـه وأنـت أمانـه(٢٤٨)

وكيف يحتكم فى العقل أن يبرر الزبيرى خصومته مع الإمام يحيى فى كتاباته وهو فى عدن بقوله: «انتهت تجربتى مع الإمام يحيى بالذات، بعد أن أدركت بعمق وبيقين أن الإمام يحيى يعادى كل تطور وكل إصلاح، وأنه لا ينفع معه رفق، ولا لين، ولا استعطاف، ولا ثناء. لقد كانت تجربة خصبة عميقة كسبنا منها الأساس الأول للثورة، وهو اليقين باستحالة تغيير الإمام يحيى عن غير طريق القوة»(٢٤٩). وفى مقابل هذا القول، نراه ينتقد الإمام يحيى، ويُحرِّض فى الصحف ووسائل الإعلام على مساعيه للاستعانة بالولايات المتحدة الأمريكية لتطوير اليمن، ويُحذِّر الشعب اليمنى من هذا النهج بقوله: «بأن انفتاح الإمام يحيى على الولايات المتحدة، وتواصله مع شركاتها للتنمية واستخراج البترول فيه إساءة للأمة اليمنية قاطبة؛ لأن هذا الانفتاح سوف يكون عن طريق أمريكا اليهودية، التى تناصر اليهود، وأن ظاهر اتفاقية الإمام مع أمريكا فى عام ١٩٤٦م، هو

إدخال الإصلاحات على الوطن؛ إلا أن باطنها هو حماية أمراء الأسرة المالكة، ولا شيء غير ذلك»[٢٥٠].

وكيف يحتكم فى العقل أن يتهم الزبيرى الإمام يحيى وأسرته بالتواطؤ مع الغرب، وإساءتهم للأمة اليمنية بإدخال أمريكا اليهودية إلى اليمن، فى الوقت الذى كان الزبيرى ينشد قصائد يمدح فيها الإمام يحيى وأسرته، معدًّا إياهم ناصرى الإسلام، وحاميّ حمى الدين، وعاصمى الشعب اليمنى من الوقوع فى براثن الغرب الاستعمارى حيث يقول فى احد قصائده المادحة:

صديت عنا الغرب إذ هو شاخص   متحضر حتى يراك فيرجع
والدين أسمى فطرة وعقيدة   مما يرى المتمدن المتصنع[٢٥١]

وفى قصيدة أخرى يقول فيها:

يا آل يحيى سلام من رياض نهى   ينهل مسكًا عليكم منه مدرار
كم كابد الناس من ليل أناخ بهم   كأنما ضاع اصباح وأسفار
حتى طلعتم وما فى قطرنا أحد   يشك أنكم فى القطر أقمار
وأنكم من ضلال الغرب معتصم   وأنكم لقصور الدين عمار
أنقذتم أمة كادت تمزقها   مخالب من أعاديها وأظفار
فاقبلت تترامى تحت ظلكم   كما تهب إلى الأوكار اطيار
وجئت يا ناصر الإسلام تبعثه   كأنما أنت للإسلام تكرار[٢٥٢]

والشيء المضحك والمثير للسخرية، هو أن الزبيرى ونعمان فى الوقت الذى كانا يروجان فيه المقولة بين اليمنيين، بأن الإمام يحيى يسعى لإدخال أمريكا اليهودية إلى اليمن، كانا مرتميان فى أحضان الإنكليز فى عدن، يأتمران بتوجيهاتهم لمحاربة التقارب اليمنى الأمريكى. ولا يهم الزبيرى ونعمان الدخول فى دائرة ذلك التناقض الفاضح، المهم فقط هو تلبية أمانيهم وآمالهم هم والإنكليز فى عرقلة أية إمكانية نهوض لليمن تحت حكم الإمام يحيى واسرته بالتفاهم مع الولايات المتحدة الأمريكية، وفى هذا السياق يقول الكاتب المعروف الدكتور محمد على الشهارى: «فى وقت واحد تحرّكت عناصر حزب

الأحرار وانصاره غير بعيد عن التوجيه البريطاني من عدن، تهاجم وتحذِّر من الخطر المحدق بالبلاد من السياسة الجديدة التى ينتهجها الإمام بالتقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية»[٢٥٣]. ويقول الكاتب اليمنى زكى بركات مؤيدا للدكتور محمد على الشهارى: «دار تنافس بين الاستعمار القديم متمثلاً ببريطانيا، والاستعمار الجديد أمريكا حول الشطر الشمالى من اليمن، وكان الزبيرى ونعمان يقفان مع بريطانيا ضد أمريكا، حيث شكَّل حزب الأحرار بالنسبة لبريطانيا حصان طراودة فى وجه الأطماع الأمريكية، فقد كان الحزب يخشى من عرقلة الاستعمار الأمريكى لخططه الانقلابية»[٢٥٤].

ولم تقتصر توجيهات الإنكليز للزبيرى ونعمان بأن يقوما بالتحريض ضد التقارب اليمنى الأمريكى عبر الصحف والمجلات فى عدن ومصر، بل امتدت توجيهاتهم لتشمل نشاطاتهما التحريضية شمال اليمن ومناطق تجمُّع الجاليات اليمنية فى بريطانيا نفسها عبر توزيع منشورات، إضافة إلى التوجيه بإرسال الاعتراضات إلى الرؤوساء الغربيين والمسؤولين السياسيين العرب. واستجابة لذلك لم يترك الزبيرى ونعمان سبيلا إلا سلكوه؛ تنفيذًا للأوامر البريطانية، بدليل ممارساتهم التالية الموثقة فى كثير من الكتب والمصادر التاريخية:

- الخطاب التحريضى الذى أرسلوه للجالية اليمنية فى بريطانيا بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة عام١٣٦٥م؛ لتحذيرهم من التقارب اليمنى الأمريكى[٢٥٥].
- الخطاب التحذيرى المرسل للقنصل الأمريكى فى جدة، بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٤٥م؛ لمنعه من القدوم لليمن[٢٥٦].
- الخطاب التحذيرى للرئيس ترومان بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٤٦م؛ لثنيته عن توقيع اتفاقية مع اليمن[٢٥٧].
- الخطاب التحريضى للجامعة العربية بتاريخ ٢٧ فبراير١٩٤٦م؛ للضغط على الإمام يحيى بتجميد الاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية[٢٥٨].
- المنشورات التى وُزِّعت فى صنعاء وغيرها من المدن؛ لتخويف الشعب اليمنى من دخول النصارى إلى البلاد[٢٥٩]، إضافة إلى الكتيبات التى وُزّعت باسم الصهيونية تغزو اليمن؛ لإرهاب الشعب اليمنى من نتائج هذه الاتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية[٢٦٠].

وأضيف هنا غريبة أخرى من غرائب الزبيرى ونعمان فى الإثارة والتهييج والتحريض، إلى درجة الدعوة إلى رهن خزينة اليمن المالية لدى الغير، وهو ما لم يسبق أحد إلى مثله

من قليلى العقول. فالتاريخ لم يحدثنا قط أن حركة أو حزب وطنى سبق له أن تعامل بمثل هذا المنطق العجيب الأعوج، ولكنه فى عرف الزبيرى ونعمان يعدُّ من الأمور الطبيعية، بل مما يُتباهى به، يتجلى ذلك واضحًا فى البرقية التى بعثها الزبيرى وصاحبه النعمان إلى عزام باشا، أمين عام الجامعة العربية، والتى طلبا فيها سحب الأموال العامة من خزينة الدولة فى اليمن وإيداعها فى الجامعة العربية، تقول البرقية: «إن فى يد الحكومة مالية ضخمة، هى ثمرة جهود الملايين فى أربعين عامًا، ونحن أبناء اليمن نرى فى بقاء هذه المالية المكدسة خطرًا يُهدِّد اليمن بالفتن الدامية، ولا نرى منها أية فائدة للشعب، مادامت فى يد هذه الحكومة، وإذا مات الإمام، فستضيع وتنهب لا محالة؛ لذلك فنحن نناشد الجامعة العربية أن تطالب الإمام بإيداع هذه المالية فى أمانة الجامعة العربية، لتنتفع بها فى قضية فلسطين، ومتى حُلّت قضية فلسطين، وقامت فى اليمن حكومة بمعنى الكلمة، فان العرب سيردون إليها مع خصم حصتها؛ للمساهمة فى الجهاد العربى»(٢٦١).

واستمرت تلك الحملات التحريضية، إلى أن تُوّجت بنسج مخطط اغتيال الإمام يحيى فى انقلاب ٤٨، الذى أجهض أول مشروع نهضوى متكامل كان يمكن أن يقوم فى اليمن فى النصف الأول من القرن العشرين، تحت ظل الإمام يحيى، وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية. وباغتيال الإمام يحيى، تنفَّس الزبيرى ونعمان الصعداء، إلا أن فشل الانقلاب على يد سيف الإسلام أحمد، الذى تمكّن من القضاء على المتآمرين، وتولى السلطة بعد استشهاد أبيه؛ اضطر الزبيرى للهروب من اليمن إلى باكستان وهو يجر أذيال الخيبة، بعد وقوع زميله نعمان سجينًا فى قبضة الإمام أحمد، وما وجد الزبيرى من سبيل للخروج من هذا المأزق، إلا بالعودة إلى نغمة النفاق والتملق ثانية للإمام أحمد، فبدأ بإرسال الخطابات تلو الخطابات التى تمجّد الإمام أحمد، وتعلن ندمه وتوبته وهدايته من السير فى طريق الضلال، ومن تلك الخطابات رسالته الموجهة الى زميله نعمان وهو فى السجن والتى بعثها لِتُنشر فى جريدة النصر الامامية،وفيها يحث رفيق دربه نعمان على السير معه فى طريق التوبة والهداية إلى طاعة ولى الأمر الإمام أحمد، وأسوق للقارئ المقتطف التالى من رسائله إلى نعمان: «إن سلامتى لم تكن فى الخروج من اليمن والاحتفاظ بحياتى، فهذا شىء لا قيمة له، وأن الفوز الحقيقى هو فى أن الله هدانى إلى النهج الواضح، والطريقة المثلى التى

نستطيع أن نكسب بها عطف مولانا أمير المؤمنين - أيدهم الله - وأيقظنى الله بمعجزة من خطر السير فى الأحلام إلى ما لا يغنى[٢٦٢]. سيعرف الناس جميعًا أن هذا الإمام الذى انفقنا شبابنا وجهودنا فى خصومته وعقوقه، سيصبح وما على ظهر الأرض أحب إلينا منه».

ولم يكتفِ الزبيرى بذلك، بل بدأ يصف حلفائه السابقين من الإخوان المسلمين بالدجالين المتاجرين بمصائر الشعوب، ويشهد الله فى رسالته أنه برىء من دنسهم[٢٦٣]، ثم ثنى الزبيرى هذا التزلف بإلقاء قصائد شعرية يمدح فيها الإمام أحمد بقوله:

أيــا نــاصــر الــديــن ... يا ليثه المؤيد بالله فى نصره
أمولاى هـا أنـا قد جئتكم ... مجيئ المكبل فى نــزره
أتيت بمعظم روحى وما ... تخلف منه سوى نــذره
فإن غاب شخصى عن لحظكم ... فإن الزبيرى فى شعره[٢٦٤]

وتتوالى قصائد الزبيرى المنافقة من باكستان، فيقول فى الإمام أحمد أجمل المدائح والأوصاف، ومنها:

ألا أنــه مــلــك طــامــح ... أراد السمــو إلــى قــدره
ورام العــلــو علــى غيظــه ... وشـاء الترفع عـن وتــره
رآهــا سبيـلاً إلــى شــأوه ... قويًــا فصمــم فــى سيــره
مـواليـه يعجـب مـن خلقـه ... وشـانيـه يـدهـش مـن فكـره
أمـولاى جـدتـم علـى أمـة ... بغـرس تفيـدون من بـذره
وأنقـذتـم ابنًـا لكــم كـلـه ... فما تفقـدون سـوى نـكـره
وقـد طهـرتـه تجـاريبـه ... فلم ينج منه سوى طهـره[٢٦٥]

وبرغم هذه الضراعات المنافقة للإمام أحمد، والتى تذكرنا بضراعاته المنافقة للإمام يحيى حينما كان فى سجن الأهنوم، لم تمر فترة قصيرة إلا ووجدنا الزبيرى ينقلب ثانية فى موقفه من الإمام أحمد، بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م فى مصر، والتى انتقل إليها من باكستان، عائدًا إلى سيرته الأولى فى كيل السباب والشتائم، وإطلاق سهام الاتهامات على الإمام أحمد، متناسيًا كل ما خطته أنامله عن الاعتذار والهداية[٢٦٦]. فبعد أن كان الزبيرى وهو لاجئ فى باكستان يقول بأن الإمام أحمد مؤيد بالنصر من عند الله، وأحب من فى

الأرض إلى الزبيرى، بدأ يطلق القصائد التى يقول فيها بأن الإمام أحمد أشد طغاة الأرض، ولسوف يدفنه الزبيرى ويذيقه الموت أشد من موت عزرائيل، وأقتطف من قصائد الزبيرى الجديدة فى الشتم واللعن الأبيات التالية:

وخولتنى الملايين التى قتلت ... حق القصاص على الجلاد أمضيه
عندى لشر طغاة الأرض محكمة ... شعرى بها شر قاض فى تقاضيه
يحنى لى الصنم المعبود هامته ... إذا رفعت له صوتى أناديه
أقصى أمانيه أن أجنبه ... حكمى وأدفنه فى قبر ماضيه
أذيقه الموت من شعر أسجره ... أشد من موت عزرائيل قوافيه[٢٦٧]

ويبلغ فجور الزبيرى فى الخصومة وتهكمه على الإمام أحمد وهو يعيش آمنًا تحت ظل عبدالناصر، إلى درجة أن بدأ ينشد أبياتًا يصعب على النفس السوية أن تتقبّل سماعها؛ لما فيها من جرأة على الله، وملامسة لسقف الكفر، ومن تلك القصائد:

اصرخوا فى الآذان الله أحمد ... واجعلوه ربًّا سوى الله يعبد
وازعموا أنه الحفيظ على الأرواح ... والمستعان فى كل مقصد
والخبير العليم عيناه فى كل مكان ... ترى الخفايا وتشهد
وهو الدين والشريعة لو فارقه ... شعبنا لألحد وارتد
ولنسلم بأنه كل شىء ... ولنقل أنه إله تجسَّد[٢٦٨]

ولم يكتفِ الزبيرى بمهاجمة الإمام أحمد، بل امتد هجومه إلى إخوة الإمام أحمد، الذين اتهمهم بمشاركة أخيهم فى استباحة مدينة صنعاء وأرواح أهلها فى عام ١٩٤٨م، بتحويلهم لها إلى مسرح لعصابات النهب إبان زحف القبائل إليها؛ لتحريرها من انقلاب ابن الوزير[٢٦٩]، مع أن الحقيقة معروفة لدى المعاصرين لهذا الحدث الذين شاهدوا فرار أكثر جنود حامية صنعاء ومعهم أسلحتهم إلى قراهم، بعد أن سقطت الدولة وانفرط عقد الأمن فيها بعد اغتيال الإمام يحيى، فأخذت القبائل المحيطة بصنعاء تقطع الطرق على المسافرين، كما بدأ البعض من رؤوس الفتن فى نهب القرى والمدن الآمنة، مثلما حدث فى منطقة شبام والروضة، وغيرها من الأماكن. وانضم اللصوص إلى هؤلاء، وأخذوا يقطعون الطرقات،[٢٧٠] فى الوقت الذى كان فيه الإمام أحمد المطالب بثأر أبيه بعيدا عن صنعاء متحصنًا فى معقله فى مدينة حجة.

وبالرغم من وضوح هذه الحقائق التى لا تلبيس فيها، وجدنا الزبيرى كعادته فى التفنن فى بث الأكاذيب، يلقى بلائمة استباحة القبائل لصنعاء على الإمام أحمد وإخوته. والشيء المثير للسخرية أن أعلام العسكر فى اليمن تلقَّف هذه الفرية فى اتهام الضحية، وتبرئة الجانى، وروّجوا لها لدى العامة، إلا أنه يحقّ لنا أن نتساءل عن المتسبب فى بعث هذه الفتنة من رقادها، والتى كان من نتاجها مقتل الإمام يحيى وسقوط دولته؛ مما أدى بدوره إلى انفلات زمام السيطرة على القبائل، التى لم تكن جيشًا نظاميًّا يسهل التحكم بسلوكياتهم، ولم يعد يملكهم أحد فى ظلّ الفوضى الأمنية التى أصبح لهم فيها اليد العليا، فحصل السلب والنهب الذى هو تقليد حربى، ومعرة امتدت عبر كافة العصور فى مثل هذه الظروف، وهنا لا يقع اللوم على أحد، سوى من تسبَّب فى سقوط الدولة والفوضى الأمنية باغتيال الإمام يحيى.

وبالرغم من السلب والنهب الذى حصل فى صنعاء فى ظلِّ هذه الفتنة، إلا أن شاعراليمن ومؤرخها عبدالله البردونى، أكّد على أن ما نُقل عن النهب لصنعاء كان مفخمًا ومهولاً، متعدد الملامح والألوان، حتى إنه ليخيل للمرء أن صنعاء قد أصبحت قاعًا صفصفًا، وقد قُتل فيها الآلاف، إلا أن الناس لم يجدوا بعد انقضاء الفتنة مما سمعوه إلا قليلا[٢٧١].

ويستمر الزبيرى بالافتراء والسير على درب الاتهامات والشتائم، إلى أن تحدث حركة عام ١٩٥٥م الإصلاحية فى اليمن، التى قادها الأمير المستنير سيف الإسلام عبدالله بن الإمام يحيى ضد أخيه الإمام أحمد بن يحيى، بالتعاون مع القائد العسكرى عبدالله الثلايا، الذى فضَّل إجراء مراجعات، بدلا من قلب الطاولة على من فيها، فى محاولة منه هو وحليفه السيف عبدالله تطوير صيغة حكم أسرة حميد الدين، والإسراع فى عملية التحديث والتفعيل لاتفاقية عام ١٩٤٦م مع الولايات المتحدة الأمريكية، التى عطلها المتآمرون باغتيال الإمام يحيى، فيحاول الزبيرى الاتصال بعبدالله الثلايا القائد العسكرى لحركة ١٩٥٥م، ليقنعه بالانقلاب كلية على النظام الملكى، والتخلص من سيف الإسلام عبدالله قائد الحركة[٢٧٢]، وإعدام أخيه الإمام أحمد[٢٧٣]؛ إلا أنه يفشل فى مسعاه، فنراه ينقلب ١٨٠ درجة فى موقفه، بعد أن رفض الثلايا مطاوعته فى مخططه الخبيث.

وبعد أن كان الزبيرى يزين للثلايا إعدام الإمام أحمد، رأيناه بعد ان صده الثلايا ينزل الرضا الحميم على الإمام أحمد، ويبدأ بالاصطفاف إلى جانبه، والمزايدة فى حقه من إذاعة صوت العرب[٢٧٤]، داعيًا رجال القبائل إلى نصرته، وفك الحصار عنه، بوصفه

الإمام الشرعى الوطنى، والثائر الشريف على الاستعمار، مقابل أخيه سيف الإسلام عبدالله العميل الأمريكى، حسب زعمه الساعى إلى تسريب الإمبريالية وحلف بغداد إلى اليمن، وتحويل الانقلاب إلى أداة لصالح النفوذ الأمريكى الى اليمن[٢٧٥].

أما أحمد محمد نعمان، فنراه خلال أحداث الانقلاب يظهر بمظهر الشفيق الناصح، مصورًا المنقلبين على الإمام أحمد بكل صفات الإثم، والخيانة، والبغى، والنكث[٢٧٦]. ويقوم نعمان بإلقاء خطبة أمام الجماهير، والدموع تتدفق من عينيه وهو يبكى بحرارة على الإمام أحمد، الضحية المظلوم المحاصر فى قصره، إلى درجة أن أشاد به زملاؤه المتآمرون على إتقانه فن الحبك والتمثيل المسرحى[٢٧٧]. وما إن يفك الإمام أحمد الحصار على قصره، ويقبض على المنقلبين عليه، حتى يبدأ نعمان بتحريضه على إعدام أخيه وزمرته المنقلبين، حاثًا الإمام أحمد على سفك الدماء، وحصد الرؤوس، مستشهدًا بالآيات القرآنية فى وصف المنقلبين بقوله: «ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقُتلوا تقتيلا»[٢٧٨].

هذه المواقف المزدوجة للزبيرى ونعمان فى نصرة الإمام أحمد خلال فترة الانقلاب عليه، ومحاربتهم له قبل الانقلاب عليه، واعتبارهم أن سيف الإسلام عبدالله مفسد هو وحليفه الضابط الثلايا؛ أصاب الكثير من محازبى الزبيرى ونعمان بالدهشة، إلى درجة أن اتهموهم بالمكر بهذه الحركة الإصلاحية[٢٧٩]، وببيع القضية التى أفنوا أعمارهم من أجلها[٢٨٠]. وبدأت التساؤلات تطرح نفسها: أليس ما ان تاريخ النعمان والزبيرى اتسم بالخصومة الشديدة مع الإمام أحمد بحجة الرغبة فى الإصلاح والتطوير لليمن؟ أليس ما أنهم ملؤوا الدنيا صراخًا وضجيجًا فى عهد الإمام يحيى من أنهم وطنيون أحرار، وما ساروا فى طريق المعارضة، إلا رغبة فى تحريك المياه الراكدة لإخراج اليمن من أتون التخلف، وأنه لولا معارضتهم لبقيت الحال كما هى منذ قرون؟ فما سر هذا الانقلاب المفاجئ بعد أن أصبح الإصلاح والتطوير قاب قوسين أو أدنى على يد سيف الإسلام عبدالله وزميله الثلايا؟

وما كان من الزبيرى عقب هذه التساؤلات التى وضعته فى منزلق حرج، إلا أن اتخذ من المغالطات والتخريجات المراوغة سبيلا يحتمى خلفه؛ لتسويغ تناقضاته وازدواجيته فى المعايير، وفى ذلك يقول: «إن بعض الناس ممن لا يعرفون القضية اليمنية العليا، قد تسرعوا وأساؤوا بنا الظن فى فترة الانتظار والترقب، وها نحن نطمئنهم ونعطيهم الدليل القاطع على أننا لم ننتظر أو نتهاون لكى نكسب مغنمًا لأنفسنا، بل لأن مصلحة القضية

وأسرارها العليا فرضت علينا ذلك الموقف فرضًا»(٢٨١). وصرَّح أيضًا «إن سيف الإسلام عبدالله لا يختلف عن أسلافه، إلا أنه أخطر منهم وأوسع حيلة، وأعرف بالوسائل الحديثة لاستعباد الشعوب، وهذه الصفات تخول له أن يعيد عهود الطغيان إلى شبابها، وأن يحتبس الشعب فى سجن براق من المظاهر المضللة الزائفة، وأن يظلّ وصيًّا على الشعب، وأن يظلّ الشعب سلعة رخيصة ليتصرف بها كما يهوى»(٢٨٢).

وتسائل محازبو الزبيرى مستفهمين عن هذه الأسرار العليا التى منعته من وضع يده فى يد سيف الإسلام عبدالله والثلايا، وتزايدت حيرتهم بعد أن بلغهم صد الزبيرى ونعمان محاولات السيف عبدالله للتودد لهم والتقرب منهم(٢٨٣)، تمامًا كالأمس القريب، عندما صدوا محاولات التودد والتقرب التى بذلها الإمام أحمد فى عام١٩٤٦م، لاستقطابهم عند زيارته إلى عدن، وكان المطب الأكثر إحراجًا للزبيرى، والذى جعل محازبيه يعجزون عن فهمه، هو المدائح والأشعار التى كان الزبيرى قد سبق ان أطلقها منذ سنوات قليلة، وهو يشيد فيها بالسيف عبدالله معتبرًا إياه باب العصر، ونبع الحياة الذى سيخرج اليمن من ظلمات التخلف إلى النور، فكيف أصبح السيف عبدالله الآن متهمًا لدى الزبيرى، بعد أن كان بطلا. ومن تلك القصائد التى مدح الزبيرى بها سيف الإسلام عبدالله، أقتطف للقارئ الأبيات التالية:

أنت باب العصر الذى يرقب	**التاريخ من ضوء فجره مهرجانه**
أنت نبع الحياة فجره الله	**لإسعاف أمة ضمانه**
فتخير لها الطريق فإن	**الليل داج وعينها حيرانة(٢٨٤)**

فماذا كان يريد الزبيرى ونعمان بالضبط؟ وما المقاصد الحقيقية لمواقفهما العجيبة بعيدًا عن الأسباب المعلنة؟ للجواب على ذلك يجدر بنا الكشف عن حقيقة الأسرار العليا التى تذرَّع بها الزبيرى فى موقفه المعادى لسيف الإسلام عبدالله. فالزبيرى ونعمان لم يكن فى ذهنهما، وليس له أن يكون اصطفافًا من أى نوع مع أحد من جناحى الصراع فى أسرة حميد الدين، فلا الإمام أحمد، ولا السيف عبدالله، كان الزبيرى ونعمان معنيين بنصرتهما، بقدر ما كان اهتمامهما ينصبُّ اولا واخيرا على منع تدفق دماء جديدة فى عروق أسرة حميدالدين وخنق تطلعات أى فرد منها لتطوير البلاد. فالزبيرى ونعمان لم يخشيان من شيء كخشيتهم من نجاح الأمير المستنير سيف الإسلام عبدالله فى إدخال اليمن إلى

روح العصر، وتطويره لصيغة الحكم على شاكلة التطوير الذى حصل فى جوار اليمن على يد الملك فيصل بن عبدالعزيز فى عام ٦٤، ويد السلطان قابوس بن سعيد فى عام ٧٠؛ لأن فى ذلك تهديدًا وجوديًا لهما، وفى هذا السياق يقول العميد محمد على الأكوع فى مذكراته شارحًا مقاصد الزبيرى ونعمان من حركة عام ١٩٥٥م: «كان هناك نفور لا محدود من الزبيرى ونعمان إلى حد الرعب من تمكُّن السيف عبدالله، الممتدة أجنحته عبر الأسر الهاشمية، والمستفيدة وراء إعادة ضخ الإمامة بقوة جديدة من الإصلاح والتطوير الشكلى المتضامن مع أمريكا والعرب؛ مما يصعب معه كسر عنفوان تجدد طاقتها، ولا يمكن الوصول من خلال كلما قد يقدمه عهد السيف عبدالله من التحديث، الذى سيخلب العقول والأبصار بالأساليب الخادعة الحديثة، بحيث يبقى الإنسان اليمنى عبدًا، والطبقة الحاكمة سيدته إلى الأبد»[٢٨٥].

المجلس الهندي الإسلامي

الأمير المستنير سيف الإسلام عبدالله بن الإمام يحيى حميدالدين فى زيارة لجامعة برنستون الأمريكية عام ١٩٤٦م.

سيف الإسلام عبدالله مع الأمين العام للأمم المتحدة النرويجى تريغفى لى.

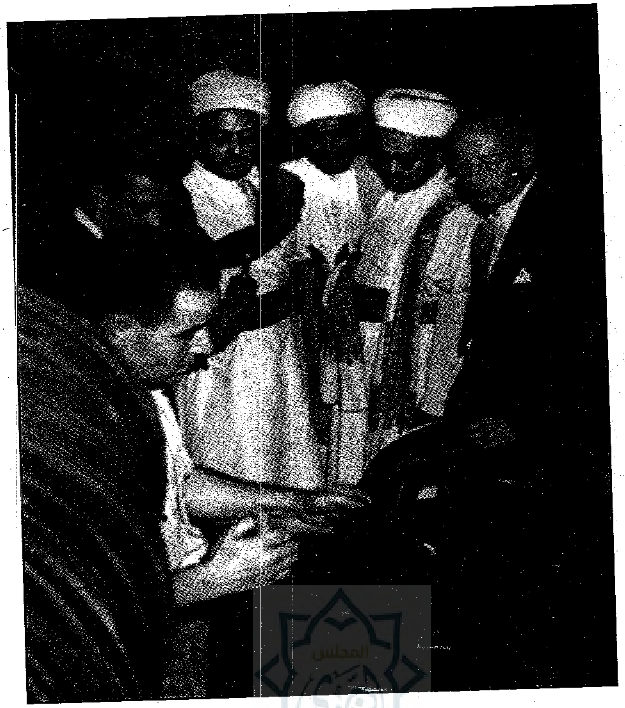

سيف الإسلام عبدالله فى زيارة لأحد المصانع فى الولايات المتحدة الأمريكية.

سيف الإسلام عبدالله يقوم بجولة فى إحدى المنشآت الصناعية الأمريكية؛ للتعاقد مع مديريها التنفيذيين على مشاريع انمائية فى اليمن.

سيف الإسلام عبدالله فى أحد الاستقبالات الدبلوماسية الرسمية.

وتتجلَّى حقيقة مقاصد الزبيرى ونعمان فى موقفهما من الإمام أحمد بعد فك الحصار عنه، وسقوط حركة السيف عبدالله، حيث انتهت مهمة الزبيرى ونعمان التخريبية فى وأد المشروع الإصلاحى، وعادا أدراجهما ثانية إلى صب اللعنات وكَيل الشتائم على الإمام أحمد، بالرغم من أن الإمام أحمد كان قد دعا الزبيرى بعد فشل انقلاب عام ١٩٥٥م للعودة إلى اليمن، وطى صفحة الماضى متجملا لموقفه المناصر له أثناء الانقلاب، بل إن الإمام أحمد عرض على الزبيرى تولى منصب وزير المعارف[٢٨٦]، إلا أن الزبيرى ونعمان كعادتهما صدَّا هذه المبادرة ثانية فى وجه الإمام أحمد، كما صدَّا كل المبادرات السابقة فى وجهه، وبدآ من جديد فى ممارسة أدوارهما التاريخية فى العبث بمصير اليمن عبر الإرجاف والبلبلة، وشن الحملات؛ لتعطيل أية إمكانية انبعاث للبلاد تحت جناح الإمام أحمد، لاسيما بعد أن وردتهما الأنباء عن إعطاء الإمام أحمد لشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) امتيازًا للتنقيب عن البترول فى الأراضى اليمنية[٢٨٧]. وتعاقد حكومة اليمن فى أكتوبر عام ١٩٥٥م مع الشركة الأمريكية يمن ديفلوبمنت كوربوريشن أوف واشنطون، بإعطائها امتيازًا

للتنقيب عن النفط والمعادن فى مساحة تصل إلى ١٠٣ ألف كيلو متر مربع[٢٨٨]؛ مما شجَّع على فتح المجال لسلسلة من الاتفاقيات مع شركات بترولية أمريكية أخرى فى مطلع الستينيات، مثل الاتفاقية مع شركة أوفر سيز انفستمنت كوربوريشن فى عام ١٩٦٠م، التى بدأت فى عمليات الحفر والتنقيب، وشركة ميكوم أويل فى فبراير من عام ١٩٦١م[٢٨٩]، إضافة إلى وصول بعثة اقتصادية أمريكية إلى اليمن، لتدرس ما يمكن أن تُقدّمه الولايات المتحدة الأمريكية من مساعدات للنهوض باقتصاد اليمن دون شروط عسكرية تنتهك سيادة البلاد[٢٩٠]، ناهيك عن توقيع الإمام أحمد على إتفاقيات جديدة مع المنظمات الدولية، مثل اتفاقية المساعدة الفنية للأمم المتحدة[٢٩١]؛ مما أثمر عن قيام الكثير من الشاريع التنموية الأمريكية فى اليمن تحت مسمى مشاريع النقطة الرابعة[٢٩٢].

ولى العهد البدر عام ١٩٦١ مع جون ميكوم، المدير التنفيذى لشركة ميكوم أويل البترولية بعد ابرام التعاقد.

وعلى إثر هذه التطورات التى أبداها الإمام أحمد فى فتح أبواب اليمن على مصراعيها للشركات والمنظمات الدولية الغربية؛ للمساعدة على تطوير بلاده؛ جُنَّ جنون الزبيرى ونعمان، وبدآ يصرخان كمن لسعتهم العقرب بقولهما: «بأن الإمام أحمد سيفتح اليمن للشركات الاستعمارية وللكفر، وليس للمدنية والنهضة والرخاء[٢٩٣]، وأن من شأن هذا

الانفتاح وهذه المشاريع التى ستقوم بها الشركات نتائج مدمرة ستحل بالبلاد»[٢٩٤]. ويستطرد الزبيرى فى الهراء بقوله: إن الحكم الرجعى فى اليمن أُتيحت له فرص ذهبية؛ مما اضطره أن يتخلى عن نفاقه المعروف، وتظاهره بالنفور من الأجنبى، كما تخلت الدول الأجنبية عن شروطها الفاضحة لعملائها، فتقدمت إلى الحكم الرجعى بعروض مختلفة، وتحالفت معه تحالفًا صامتًا؛ مكّنها أن تتغلغل بسمومها وأموالها وخبرائها فى أحشاء البلاد[٢٩٥]. فالدولار يقول الزبيرى: إنه قد اقتحم حياة اليمن فجأة، وبجرأة بالغة، وسخاء عظيم[٢٩٦]، وأن الرجعية اليمنية الحاكمه أسلمت اليمن إلى أفظع ألوان الاستعمار، وهو الاستعمار غير المباشر الذى يجمع بين فظائع الإقطاع الرجعى المستبد المتعفن، الذى لا عقل له، وفظائع الاستعمار الاحتكارى الخبيث الذى لا ضمير له، وأن الحكام الرجعيين قد ساروا فى الطريق نفسه التى تسير فيها الرجعية دائمًا، وهى الارتباط بالاستعمار، وأنها قد فتحت الجزء المستقل من اليمن لكل أنواع الاستعمار والاستغلال[٢٩٧].

ويمضى الزبيرى ونعمان بحماس فى حملات الإرجاف والتخويف لليمنيين، بربطهما لسياسة الانفتاح والتقارب مع الغرب التى بدأ ينتهجها الإمام أحمد بمؤامرات الاستعمار، وفى ذلك يقول الزبيرى: «إن اليمن قد أخذت تختنق بحبائل أخرى من حبال الشنق غير حبائل الإمام يحيى ومصايده الماكرة. حبال الشنق هذه تُصنع فى عواصم الدول الاستعمارية، وتدخل إلى الجزء المستقل من اليمن فى شكل مشاريع ومعونات أجنبية، ثم تتحوّل إلى ركائز استعمارية، وأذناب، وعملاء، وارتباطات واسعة المدى ببيوتات وأسر معينة، ومرتبات، ورشوات، وهدايا تقتحم مغاليق القصور الرجعية الحاكمة»[٢٩٨].

ويستاء الزبيرى ونعمان من تسارع دوران عجلة المشاريع التنموية فى اليمن فى عهد الإمام أحمد، بمشاهدتهما توافد الخبراء وممثلى الشركات الأجنبية إلى اليمن أفواجًا بعد أفواج، فيصيح الزبيرى بقوله: «إن الأمريكان، والطليان، والإنجليز، والألمان، والروس، والصينيين بدؤوا يسرحون ويمرحون فى طول البلاد وعرضها، وأن ذلك ما هو إلا ارتباط بالاستعمار للسيطرة على الشعب اليمنى[٢٩٩]. فالشركات الأجنبية ستقف ضد نشاط الحركة الشعبية، ولن تتيح الفرصة لقيام حكم صالح، بل ستخلق طبقة من الاستغلاليين من فلول الأمراء وحثالة الحكام الفاسدين المنحلين، فتسلحهم، وتضع عنق الشعب فى أيديهم، ولن تفعل شيئًا غير هذا[٣٠٠].

الإمام أحمد مع بعض ممثلى الشركات الأمريكية التى بدأت تتدفق على اليمن.

ممثلى إحدى الشركات الأمريكية يتصافحون بعد توقيع اتفاقية احد المشاريع مع حكومة اليمن.

والدى الأمير محمد بن الحسين فى حفل افتتاح ميناء الحديدة عام١٩٦٠م مع ممثلى الحكومة الصينية والروسية اللتين شاركتا فى بناء هذا المشروع الضخم.

ويأبى الزبيرى إلا أن يسقط قناعه ويبيِّن عواره لليمنيين مع كل تهمة يلقيها، حتى وصل به الأمر إلى اتهام كل يمنى يقبل التعاون مع الإمام أحمد فى إدخال الشركات الأجنبية إلى اليمن، بأنه عنصر فاسد أغدق عليه الإمام الرشاوى بالمرتبات، والأموال والوعود[٣٠١].

وفى تناقض فاضح يبيِّن لنا كيف كان الزبيرى يتعامل مع مسألة التحديث والإصلاح من زاوية نفعية بحتة، يُصرّح الزبيرى بعدم ممانعته دخول الشركات الغربية الاحتكارية إلى اليمن، وعدم الغضاضة فى الترحيب بها والتعاون معها، بشرط أن يكون هو وحركة المعارضة قد تسلموا السلطة[٣٠٢]، ففى هذه الحالة لا يعدُّ الزبيرى ولا زمرته فاسدين كالإمام أحمد؛ لقبولهم التعاون مع الشركات الأجنبية، ولن يكون الكفر ولا الاستعمار هو ثمرة دخول هذه الشركات إلى اليمن، كما هو حاصل تحت حكم الإمام أحمد، بل سيكون ثمرة دخول هذه الشركات هو المدنية، والنهضة، والرخاء.

أما عن مساعى الإمام أحمد الحثيثة فى استخراج النفط، فكما توائمت مواقف الزبيرى ونعمان مع موقف الإنكليزى فى فترة الأربعينيات بمعارضة استخراج النفط فى عهد الإمام يحيى، وجدناهما يتخذان الموقف نفسه فى الخمسينيات، فى عهد الإمام أحمد، مفضلين أن يبقى اليمن على هامش العصر وشعبه فقير خارج التحولات، يعانى من العوز والحاجة والتخلف، على أن تخرج الثروات على يد أسرة حميد الدين.

وحتى يحمى الزبيرى نفسه من المساءلة التاريخية على موقفه اللاأخلاقى هذا، وجدناه كعادته يغالط، ويُدلِّس، ويختلق الذرائع والتبريرات المضحكة، ومن ذلك قوله: «يجب أن تبقى ثروات اليمن وكنوزها سرًّا مطويًّا فى جوانح الأرض اليمنية، حتى يكون الشعب نفسه هو الذى يستخرج ثروته، تحت إشراف الأمناء من أبنائه»[٣٠٣].

فالزبيرى بالرغم من عمالته الواضحة فى خدمة المصالح الإنكليزية يعدُّ نفسه ومن لفَّ لفَّه من أعضاء حزب الأحرار، هم الأمناء على مصالح الشعب، والمعبرين بصدق وإخلاص عن معنى الوطنية، والوحيدين الصادقين المحتكرين للنزاهة، والواقع أننا لا يمكن أن نفهم موقف الزبيرى ونعمان هذا فى معارضة الإمام أحمد فى استخراج النفط، ما لم نفهم طبيعة الصراع الذى نشب بين الإمام أحمد وبين السلطات البريطانية فى عدن خلال فترة الخمسينيات، كما شرحه الدكتور محمد على الشهارى، الذى وضَّح فى كتابه (الثورة فى الجنوب، والانتكاسة فى الشمال)، بأن العدوان البريطانى على اليمن، الذى بدأ منذ نهاية عام ١٩٥٦م إلى الشهور الأولى من عام ١٩٥٧م، واشتركت فيه قوات برية وجوية قصفت الكثير من المدن اليمنية فى المناطق الشرقية، إنما كان بالدرجة الأولى إنذارًا موجهًا إلى البيت الأبيض، وردًّا فوريًّا للشركات التى تعاقدت مع اليمن، بأن بريطانيا لن تسمح بتوغل الشركات الأمريكية إلى المناطق الشرقية من اليمن التى فيها البترول، وخاصة مناطق شبوة وحريب وبيحان[٣٠٤]، فهل كان الزبيرى فعلا أمينًا على مصالح الشعب اليمنى، عندما عارض استخراج النفط فى اليمن، أم أنه كان أمينًا على المصالح البريطانية؟

ويستمر ميزان الزبيرى ونعمان فى الاضطراب، كبندول الساعة المتأرجح بين اللحظة والأخرى، دون الثبات على فكر أو مبدأ واحد، فلطالما ألقى الزبيرى ونعمان الاتهامات على الإمام يحيى بأنه عزل اليمن عن محيطه العربى، ورفض مدّ الأيادى إلى إخوانه

ممثلى الحكومات العربية، ومن ذلك قول الزبيرى: «لم يعد هناك أى حجة لبقاء الأوضاع الظالمة، فلتظهر صفحة جديدة ناصعة، ولتمد اليمن يدها إلى العرب، ولتخرج من هذه العزلة المضروبة حولها»[٣٠٥]. إلا أنه عندما بدأ الإمام أحمد فى التقارب، ومد الأيادى تجاه الحكومات العربية، كمصر وسوريا اللتان دخل معهما فى اتحاد الجمهورية العربية المتحدة.[٣٠٦] وكالملكة العربية السعودية التى دخل معها فى ميثاق جدة العسكرى، الذى ضمّ مصر؛ لمواجهة الاعتداءات البريطانية على اليمن[٣٠٧]، وجدنا الزبيرى ونعمان يفقدان صوابهما، ويبدآن فى مهاجمة هذا التوجه فى تناقض فاضح مع ما كانا يدعوان إليه، وفى هذا الصدد يقول الزبيرى: «إن هذه التوجهات التقاربية مع الدول العربية، ما هى إلا مكر وخداع من الإمام أحمد لتخدير المشاعر، وتعطيل ثورة الشعب، وتطويل فترة حكم أسرة حميد الدين، الذى بدأ يترنَّح تحت ضرب القوى الثورية»[٣٠٨].

ولكبح تقارب الإمام أحمد مع الدول العربية، وجدنا الزبيرى ونعمان يقومان بالإرجاف والشن للحملات الصحفية؛ لمنع دخول اليمن فى أى اتحاد عربى كان، معتبرين أن مساعى الاتحاد مع الدول العربية، ما هو إلا محاولة من الإمام أحمد لضرب المعارضة، وكسب الدعم العربى والتأييد الداخلى، لصالح تولية ابنه البدر ولاية العهد[٣٠٩]. والمفارقة هنا أن الزبيرى ونعمان كانا قد أدليا فيما سبق بتصريحات عام ١٩٥٥م أثناء فترة انقلاب سيف الإسلام عبدالله على أخيه الإمام أحمد، بأن السبب فى اصطفافهما مع الإمام أحمد وابنه البدر ضد سيف الإسلام عبدالله، هو مواقف الإمام أحمد وابنه سيف الإسلام البدر التقاربية مع إخوانه العرب، مقابل مواقف أخيه سيف الإسلام عبدالله التحالفية مع الغرب، ولقد بثت إذاعة صوت العرب فى القاهرة وكافة الجرائد أثناء الانقلاب تصريحات الزبيرى ونعمان المؤيدة للأمير البدر؛ بسبب سياسته التقاربية مع الدول العربية، كما يلى: «وفى موقفنا من الانقلاب اليمنى الأخير، رأينا هذا الشاب الأمير البدر يسير فى طريق السياسة الاستقلالية مع مصر والمملكة العربية السعودية، فاطمأننا إليه من ناحية السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، ووجدنا عنده سجية الثقة بمن حوله من الرجال المخلصين»[٣١٠]، فهل هناك تلون وحربائية أكثر من ذلك؟

ولى العهد الأمير محمد البدر يعقد مجموعة اتفاقيات فى احد اجتماعات القمة العربية

الامام احمد مع الرئيس عبدالناصر عام ١٩٥٩م خلال زيارته الرسمية إلى مصر

ولى العهد الأمير محمد البدر يعقد فى عام ١٩٥٨م اتفاقية اتحاد دول الجمهورية العربية المتحدة، الذى ضم سوريا، ومصر، واليمن.

الملك سعود مستقبلا الإمام أحمد حال زيارته للمملكة العربية السعودية

الإمام أحمد يعقد اتفاقية ميثاق جدة العسكرى فى عام ١٩٥٦م مع الملك سعود وجمال عبدالناصر؛ للاتحاد فى مواجهة الاعتداءات البريطانية على بلاد العرب.

ويستمر مسلسل الازدواجية وتبديل المواقف عند الزبيرى ونعمان، عندما أساءتهما السياسة الأخرى للإمام أحمد، التى بدأ ينتهجها على المستوى الدولى بتقارب حكومة اليمن مع الاتحاد السوفياتى ودول الكتلة الاشتراكية، والتى كان من شأنها الحصول على الدعم المعنوى، والعسكرى، والتقنى، والفنى؛ لمواجهة التسلط البريطانى، ووصول ولى العهد الأمير البدر فى وفد رسمى إلى العواصم الاشتراكية، مثل موسكو، وألمانيا الشرقية، وتشيكوزلوفاكيا[٣١١]، ورومانيا، وبولندا، ويوغسلافيا، والصين الشعبية[٣١٢] لتوقيع اتفاقيات سياسية تجارية، وتمكّنه من إقناع السوفيات بتصدير أسلحة ثقيلة إلى اليمن؛ لمواجهة الاعتداءات البريطانية[٣١٣]، وإرسال مدربين وفنيين عسكريين سوفيات بلغ تعدادهم ٣٥ ضابطًا و٥٠ فنيًا، لتدريب الجيش اليمنى[٣١٤]، إضافة إلى نجاح رحلته إلى الصين، والتى كان من شأنها تأسيس الصين مصانع فى اليمن، منها مصنع المنسوجات، ومصنع السكر، ومصنع الزجاج، إضافة إلى شق طرق اسفلتية بطول ٥٠٠ كلم، وإرسال فنيين لتدريب العمال اليمنيين[٣١٥]، ومساعدة اليمن فى زراعة القطن كمصدر للدخل[٣١٦].

وخلافًا لمقتضى الحال، بدلا من أن يشد الزبيرى ونعمان على يد الإمام أحمد، بمؤازرته

على هذا التوجه الوطنى الطيب فى الاستعانة بدول صناعية كبرى، تساعد على رفع مستوى التقنية فى اليمن، وتأهيل الجيش لمواجهة مطامع بريطانيا؛ وجدنا الزبيرى ونعمان يهاجمان هذا التوجه زاعمين أن هذه الأدوات التقنية المستوردة من دول الكتلة الاشتراكية، سوف تستخدم للتوسع فى مساحات المزارع الإقطاعية ومزارع الأمراء، وسوف تتيح للتجار الرأسماليين المرتبطين مع الإمام الطاغية فرصًا رابحة لاحتكار بيع السلع الاستهلاكية. أما عن الأسلحة التى تقدمها روسيا إلى الإمام أحمد، فاعدها الزبيرى خطرًا على اليمن؛ لأن روسيا تُسلّح وثنًا رجعيًّا لن يستخدم ذلك السلاح إلا لمقاومة التطور، وقتل النساء والأطفال، وتدمير القوى[٣١٧]، وكعادة الزبيرى فى استخدام أشعاره فى اعتساف الحقائق والسخرية والتهكم، وجدناه يقول:

يبهرون الدنيا بزورة موسكو   وعليهـم غبـار ثمـود[٣١٨]

ولى العهد الأمير البدر فى زيارة رسمية إلى موسكو فى عام ١٩٥٨م.

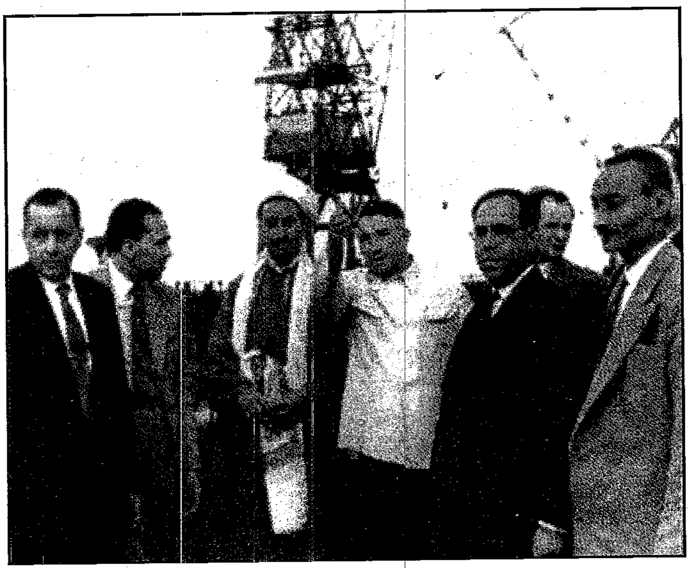

ولى العهد يزور منشأت صناعية فى ستالنجراد فى الاتحاد السوفياتى.

ولى العهد يعقد اتفاقيات دعم فنى وتقنى مع حكومة ألمانيا الشرقية فى عام ١٩٥٦م.

ولى العهد الأمير البدر يعقد اتفاقية صداقة و تعاون مع يوغسلافيا فى عام ١٩٥٨م.

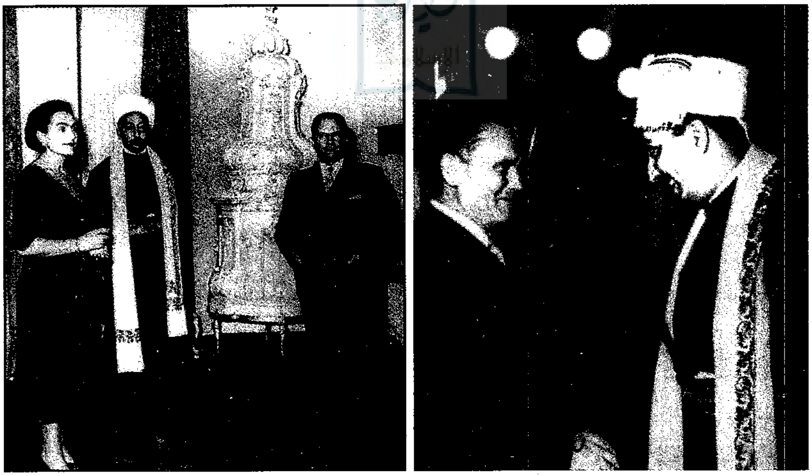

ولى العهد الأمير البدر فى القصر الرئاسى اليوغسلافى مع الرئيس تيتو وزوجته

ولى العهد الأمير البدر فى الصين فى عام ١٩٥٨م، يوقّع إتفاقية سياسية صناعية تجارية مع الصين، ويظهر بجواره وزير الخارجية الصينى شوإن لاى.

ولى العهد الأمير البدر فى جلسة مباحثات ودية مع الرئيس الصينى ماوتسى تونغ، ووزير خارجيته شوإن لاى.

أما إذا تتبعنا صفحات أخرى مجهولة من سيرة الزبيرى ونعمان فى مصر ما بين النصف الثانى من الخمسينيات ومطلع الستينيات، فسنكتشف طبيعة كل منهما فى تغليب الأنانية والمصلحة الشخصية على حساب مصلحة الوطن الكبرى، إضافة إلى طبيعتهم فى الاستبداد وحب الاستئثار بما يتعارض مع الشعارات البراقة التى كانا يرفعانها فى محاربة

الاستبداد. ولنبدأ بمنتصف الخمسينيات، حيث هالهما أن يجدا مناخًا مختلفًا قد بدأ يدب في القاهرة في أوساط الطلبة اليمنيين، الذين لم يعودوا صيدًا سهلا مثل أولئك الشباب في الأربعينيات، الذين سهل التغرير بهم، ومن ثم قيادهم وسوقهم كالقطيع، للسقوط في فخ الشعارات. فوصاية الزبيرى وطاعتة العمياء لم تعد مقبولة من طرف شباب الخمسينيات، الذين أصبحوا بعد تأسيس الزبيرى ونعمان لحزب الاتحاد اليمنى في القاهرة شبابًا يمثّلون قوى جديدة مختلفة التفكير، ومختلفة القواعد[٣١٩].

ومما زاد من حنق الزبيرى ونعمان أنهم وجدا الطلبة يجابهونهما بالسلاح نفسه الذى كان يواجه به الزبيرى ونعمان الإمام يحيى، وهو تهمة الاستبداد والتفرد بالرأى، وهى التهمة نفسها التى سبق لزملائهما المعارضين الأوائل فى عدن، مثل زيد الموشكى وغيره اتهامهم بها عندما كانوا يقودون المعارضة من هناك فى فترة الأربعينيات. فالموشكى كان يشتكى من رغبتهم فى التسلط بقوله: «إن استبداد أحمد نعمان وهو وحده القابض على كل شيء، والمتصرف الآمر الناهى، مثل تسلط الإمام تمامًا، وأن الاستبداد لا يزال ولا يحارب بالاستبداد، فهو مثل النجاسة لا يمكن أن تُغسل بالنجاسة، فما هو الفرق بين استبداد الإمام بشؤون الدولة، واستبداد رئيس حزب الأحرار أحمد محمد نعمان بشؤون الحزب، فها أنا نائب رئيس الحزب ولا أعرف شيئًا عن ماليته، ولا أعضائه، ولا مصادر دخله، ومصارفه، وأوراقه، وملفاته، وموظفيه، وسياسته، ولا أشير ولا استشار»[٣٢٠].

أما عن ممارسة الزبيرى وهو فى القاهرة للاستبداد والتسلط الذى كان يعيبه على الإمام يحيى وابنه أحمد، فيتجلى واضحًا عندما بدأ فى مهاجمة الشباب الذين وجهوا له النقد على رغبته بالتفرد والهيمنة، والاستحواذ على كل شيء، حيث يقول الزبيرى: «إن الشباب وهم فى سن الطموح والاعتداد الشديد بالنفس، رفضوا أن تكون هناك أسرار وقرارات لا توضع على بساط البحث والمناقشه، ثم رفضوا أن يكون للمجلس وهو يمثلهم جميعًا حق إصدار قرارات يتلقاها الشباب بالقبول دون أن يبحثوها أو يناقشوها، ولجأت إلى الوسيله الأخيرة، وهى أن أبحث عن كل شاب يؤمن بالغيب، لا يناقش ولا يسأل، ويستعد للتضحية بكل ما يملكه، بحياته، وماله، وروحه، وجهده، ووقته دون أن يطلب الدليل[٣٢١].

فالزبيرى الذى كان يعترض على استبداد الإمام، يتبرّم الآن من رفض الطلبة لاستبداده ورغبته فى قيادهم كالنعاج، دون أن يسمح لهم بالاعتراض أو النقاش أو حتى مجرد السؤال، إنه يناهض الاستبداد نظريًا فى أدبياته مع الإمامين يحيى وأحمد، ويزاول الاستبداد عمليًا مع الطلبة الذين يريدهم أن يكونوا شبابًا سذجًا، يقتصر دورهم على التلقى

والاستقبال، والإيمان بغموضه وإيحاءاته دون أن يكون لهم الحق فى التفاعل أو المساهمة فى صناعة الرأى؛ بذريعة أن القضية اليمنية لها أسرار وغيبيات لا يفقهها أحد سواه.

ولقد شقَّ على الزبيرى أن يرى طروحاته القديمة لم تعد مقنعة للأجيال الشابة الذين تجاوزوه، بعد أن اقتصرت طروحاته على هاجس السلطة ودستورية النظام،وهى المسائل التى منذ عرفه الناس وهو يجترها، دون أن يغنى بغيرها من المسائل الحيوية المفيدة لليمن، كالمطالبة ببرامج التنمية والتعليم، وبناء السدود، واستصلاح الأراضى، وفتح الأعمال للأيدى العاطلة، ومعالجة الفقر[٣٢٢]، أو المطالبة بتحرير الجنوب من رجس الإنكليز»[٣٢٣]، إذ إن العناصر الجديدة من الشباب حملت معها مفاهيم جديدة تتعلّق بالرغبة فى الثورة الشاملة على كل تفرد مهما كان، وعلى كل زعامة مطلقة لأية حركة معارضة، فبدؤوا ينادون بحرية التشكيلات النقابية والحزبية؛ وهذا بالطبع يتعارض مع رؤية الزبيرى للزعامة، التى يراها مطلقة فى شخصه، فهو الحزب كشخص، والشخص كحزب، الذى يجب أن يتفرّد على الساحة السياسية[٣٢٤].

ونتيجة لهذه المعطيات الجديدة، وجدنا الزبيرى يدخل فى صراع مع الشباب اليمنيين، الذين أفرزهم الواقع الثورى القومى الجديد فى مصر بطريقة أشد وأنكى من صراعه مع الإمام أحمد[٣٢٥]. ومما زاد من حنق الزبيرى ونعمان أنهما بدآ يشعران بانفضاض الشباب من حولهما،وبدء الانشقاقات عن حزبهما الذى أسساه فى القاهرة تحت اسم الاتحاد اليمنى؛ بسبب نزوعهما الاستبدادى ومواقفهما المزدوجة[٣٢٦].

وكعادة الزبيرى ونعمان فى المغالطة والتحايل فى تفسير مواقف من لا يروق لهم من الرجال، بدأ الزبيرى يرشق هؤلاء الطلبة بشتى الشتائم والاتهامات، مثل قوله بأن غاية هؤلاء المعارضين لاستبداده، هو التحطيم والتشكيك فيه وفى قضيته، وأن فى هؤلاء الطلبة جواسيس يتسترون وراء مذاهب سياسية ودينية[٣٢٧]. ويضيف الزبيرى بلهجة استعلائية قائلا عن هؤلاء الطلبة المعارضين لاستبداده: إنهم معاول هدم وجبناء، غير مؤهلين مثله للمضى فى المعارضة، وأنه هو الوحيد المؤهل ليبقى شرف الحق بين يديه، وأن معارضة الطلبة له ما هو إلا حسدًا على مكانته الرائدة لدى الشعب، وكرهًا لنجاحاته العظيمة، ولا أدل على هذه الاتهامات التى وجهها الزبيرى للطلبة أكثر من قصائده التالية التى عبَّر فيها عن مشكلته مع شباب اليمن المثقف:

أيها الغاضبون من ثقة الشعب ... بنا والمؤلبون علينا
أيها المرهقون يأسًا وغمًّا ... وانهماكا فى هدم ما قد بنينا

أيها الحاسدون من أجل عبء قد ونينا من ثقله وانحنينا
لو حملتم من أمره ما حملنا لأشتكيتم من الأسى ما اشتكينا
أيها الزاعمون إنا احتكرنا دعوة الحق وحدنا وانزوينا
ما احتكرنا نضالنا بل دعونا فرفضتم أن تفهموا ما عنينا
هالكم صبرنا على كل خطب فوقفتم من ذعركم ومضينا
ساءكم أننا انفردنا بعزم وصمود وأننا ما انثنينا
انتموا ليس نحن غبتم ليبقى شرف الحق لله في يدينا
ايها الكارهون ان يقبل الشعب علينا، بالله ماذا جنينا[٣٢٨]

وقد ساهمت هذه القصائد أكثر فى انسحاب البقية الباقية من الشباب فى الاتحاد اليمنى، ورفع لواء التمرد والاصطراع العنيف مع الزبيرى[٣٢٩]، فما كان من الزبيرى إلا أن ردَّ على الشامتين فيه، بعد أن أصبح وحيدًا فى العراء مع بضعة طلبة لا يتعدون أصابع اليد الواحدة بقوله: «إن الأحرار اليمنيين لم يختلفوا ولم ينشقوا، ولكنهم طهروا أنفسهم من أدعياء الوطنية، فتحوا أعينهم، ونظموا صفوفهم، وانبعثوا من جديد. لقد كان على الاتحاد اليمنى بمصر أن يقوم بخطوة التطهير منذ زمن بعيد»[٣٣٠].

وإضافة إلى تلك النكسة الكبيرة الى واجهها الزبيرى ونعمان مع الشباب اليمنى، فقد وقعت عليهما نكسة أخرى كالصاعقة، أشد وأنكى من الأولى، وهى بزوغ نجم معارض جديد، كان له الحظوة لدى السلطات المصرية، وهو عبدالرحمن البيضانى المولود من أم مصرية، حيث أتاح له جمال عبدالناصر ما لم يتحه للزبيرى وصاحبه نعمان من رعاية وظهور فى إذاعة صوت العرب والصحافة المصرية[٣٣١]؛ مما دفع الزبيرى لتقديم الكثير من التنازلات فى سبيل توثيق صلته بعبدالناصر، ونيل الحظوة لديه، كما نالها البيضانى، ومن تلك التنازلات التى قدمها الزبيرى، وضع نفسه تحت نظر المخابرات المصرية، لتوجيهه وصياغة خطاباته على النسق الذى تريده القيادة المصرية؛ لبثها من إذاعة صوت العرب[٣٣٢].

ولم يكتفِ الزبيرى بتلك التنازلات، بل كعادته فى الحربائية والتلون، تنكَّر لحلفائه السابقين من الإخوان المسلمين، باعتناقه للفكر القومى الناصرى، والترويج له فى كتاباته[٣٣٣]، بل بلغت انتهازية الزبيرى فى تقربه من عبد الناصر أكثر من ذلك، إلى الحد الذى انطلق فيه يُروّج للفكر الاشتراكى، ويُزيّن للجماهير اعتناقه، ولا أكثر صدقًا على هذه الحقيقة من قوله فى أحد كتبه: «إن هناك شيئًا جديدًا لا بد أن ينضم إلى كلمة الديموقراطية وهو العدالة الاجتماعية، ولكن الديموقراطية السليمة النزيهة السليمة فى عهد

ثورى نظيف سيتيح للأكثرية الكادحة أن تختار الاشتراكية نظامًا اقتصاديًا»[٣٣٤]. وهذه الانعطافة العجيبة للزبيرى أرعبت أصدقاءه القدامى من الإخوان المسلمين، وأولهم عمر بهاء الدين الأميرى، الذى تعجَّب كل التعجب من بهلوانية الزبيرى فى التذبذب والانقلاب المفاجئ، وعدم الالتزام بالأمانة والمبدأ الذى كان يتشدق به يوم أن كان حليفًا للإخوان المسلمين منذ مطلع الأربعينيات[٣٣٥]، إلا أن الزبيرى كعادته فى اجتراح المبررات، لم تهتز له شعرة من تبديل مواقفه، فالغاية عنده تبرر الوسيلة مهما كانت كريهة، وهو لا يمانع من ركوب أى موجة مهما كانت فى سبيل غاياته، وإن تعارضت مع صميم المبادئ التى يدعو إليها، فمصلحته تقتضى تغيير جلده، والتزلف والتملق لعبد الناصر؛ لأن عبدالناصر أصبح المطية الذهبية، صاحب اليد العليا الذى سوف يوصله إلى أهدافه[٣٣٦].

وبالرغم من كل تلك التنازلات التى قدَّمها الزبيرى لعبد الناصر،إلا أن عبدالناصر اكتفى بصرف مرتبات شهرية ومصاريف سكن له ولأسرته[٣٣٧]، مقابل خدماته الخطابية التحريضية فى إذاعة صوت العرب، ولم تعد القيادة المصرية ترى فيه ولا فى زميله نعمان إلا صورة المعارضة المستهلكة المرتكزة على قوى طبقية وقبلية إقطاعية متخلفة، لا تملك أن تقدم معارضة تنسجم مع استراتيجية عبد الناصر فى الثورة الشاملة على كل قديم؛ مما أزعج الزبيرى وجعله يشعر بأن القاهرة تدفع بالأمور فى الاتجاه غير المناسب له ولزميله نعمان،فخيوط اللعبة لم تعد بأيديهما، والمسألة قد أصبحت أكبر من حجمهما وأعمق مما يتصوران،فرياح التغيير قد أضحت أشدّ ضررًا وخطرًا عليهما من الإمامة نفسها، التى أفنيا أعمارهما فى محاربتها؛ لأن هذه الرياح الجديدة سوف تزيحهم تمامًا من الصورة، وتجردهما من الصدارة والمرجعية ليتحولا إلى مجرد حلقة صغيرة فى سلسلة المعارضة الجديدة، وهم من كانا مؤسسين وأقطاب رحى للمعارضة التى يحلمان بتصدر مشهدها السياسى كليًا؛ لذلك لم يجد الزبيرى ونعمان من طريقة يتداركان بها ما بقى لهم من هيبة وكرامة بدأت تهتز، إلا بمدِّ حبال الود والوصال مع ولى العهد الأمير البدر بن الإمام أحمد[٣٣٨]، الذى قال عنه أحمد محمد نعمان: إنه أضعف أمير تستطيع القوى التقدمية تسييره كما تشاء[٣٣٩].

ولأن الزبيرى ونعمان كما قال الكاتب محمد على الشهارى وجدا فى شخصية البدر الضعيفة قابلية للتوجيه[٣٤٠]، وفرصة ذهبية لتمرير طموحاتهما الخفية عبره، لمرحلة ما بعد الإمام أحمد، الذى كان قاب قوسين أو أدنى من الموت، وسبحان مغير الأحوال، كيف أن الزبيرى ونعمان بعد أن كانا يشتمان نظام الإمامة والقائمين عليها ليلا نهارًا، ويعدان أن مصلحة الشعب يكمن فى إسقاط هذا النظام؛ لأنه حسب زعمهم مصيبة على اليمن؛ وجدناهم بعد علاقتهم الجديدة مع البدر يصرحون بالقول: «إنا لنعتقد أن كل من يوهم

الناس أن مصلحة العرش وحقوقه تناهض مصلحة الشعب، فهو عدو للشعب، ومرتزق، يتملّق، ويتنكّر، ويغش»[٣٤١].

وذهب الزبيرى ونعمان إلى أبعد من ذلك فى خوفهما من البيضانى والشباب الثورى الذين لفظوهما، فصرَّح الزبيرى ونعمان بمعارضتهما القوية لأى دور تقوم به مصر، وحذرا من أن الاستعانة بالجيش المصرى لإسقاط الإمامة، سوف يكون وصمة عار فى جبين اليمن، وأصدر الزبيرى كتابه المسمى (ثورة الشعر) فى مايو ١٩٦٢م، أى قبل قيام ثورة سبتمبر بأربع أشهر تقريبًا، ويقول فيه: «فلنفرض جدلاً أن الثورة العربية فى مصر تجاوزت عن ظروفها الذاتية والمحلية، وصنعت لليمنيين ثورة، وخلّصتهم من حكم الإمام الرجعى، فهل يكون ذلك شرفًا لليمنيين، أم يكون عارًا وشنارًا؟ أما أنا فإنى أضرع إلى الله أن يثبت سياسة الجمهورية العربية المتحدة على الابتعاد عن التدخل الثورى فى الشؤون الداخلية لليمن، حتى لا تهزها العاطفة فى يوم من الأيام، فتتصدى للقيام بعمل ثورى ضد الرجعية اليمنية نيابة عن الشعب؛ لأن ذلك يعنى أن يدمغ الشعب بوصمة فى جبينه إلى الأبد»[٣٤٢].

وزيادة فى توثيق الزبيرى ونعمان علاقتهما بالبدر؛ تلافيًا لأعدائهما الجدد من الشباب اليمنى، وضمانًا لمواقعهما فى مرحلة ما بعد الإمام أحمد؛ فقد أرسلا إلى الإمام البدر برقية تهنئة عند توليه السلطة بعد وفاة أبيه بتوقيع أحمد محمد نعمان[٣٤٣].

الزبيرى ونعمان وقد التفا حول الأمير البدر منذ النصف الثانى من الخمسينيات بانتهازية لافتة، بعد أن لفظهما الشباب اليمنى، ولفظتهما كافة الأحزاب التقدمية اليمنية فى القاهرة، وبعد أن شعرا بجمال عبدالناصر يدفع بالأمور فى الاتجاه غير المناسب لمصالحهما. ويذكرنا هذا الالتفاف حول البدر بالتفافهما السابق حول مطيتهم الذهبية فى الأربعينيات سيف الإسلام إبراهيم.

الزبيرى ونعمان وقد أحاطا بمطيتهما الذهبية فى الأربعينيات، سيف الإسلام إبراهيم بن الإمام يحيى إحاطة السوار على المعصم.

وقد فوجئ الزبيرى ونعمان بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر، التى أربكت حساباتهم[٣٤٤]، وبمجرد أن خسر البدر موقعه فى السلطة، وجدنا الزبيرى ونعمان ينفضان من حوله مديرين له ظهورهما، فى محاولة منهما للحاق بالقطار الثورى قبل أن يفوتهما. فأصدر الزبيرى تصريحات وكتابات مناقضة تمامًا لما كان يبثه فى تمجيد البدر، والحرص على إمامته من السقوط، ومن تلك الكتابات ما اختطه الزبيرى فى كتيبًا سماه الإمامة وخطرها على اليمن[٣٤٥]، وفيه يقول: إن الإمامة هى الطاغوت والشؤم الذى لا يمكن إصلاحه، والسبب فى مصيبة اليمن حتى اليوم. وفى محاولة من الزبيرى لنيل الحظوة التى حظى بها البيضانى لدى القيادة المصرية، وجدناه يبدل من موقفه تجاه مسألة تواجد الجيش المصرى فى اليمن للمرة الثانية، فأيَّد دخول الآلاف من الجنود المصريين تأييدًا كاملا، مع أنه منذ بضعة شهور خلت كتب فى مؤلفه (ثورة الشعر)، أن تواجد الجيش المصرى فى اليمن وصمة عار فى جبين اليمنيين، بل بدأ الزبيرى فى موقفه الجديد يبرر تواجد الجيش المصرى فى اليمن بتخريجات شرعية دينية، حيث يقول فى إحدى خطبه: «نحن استعنا بإخوتنا فى العروبة وإخوتنا فى الإسلام، وهذا من صميم ديننا، ومن صميم شريعتنا، فإذا قيل لكم: هؤلاء مصريون فقولوا: أبدًا إنهم إخوتنا، ولا فرق بين مصرى ويمنى، إننا كلنا عرب ومسلمون، وتسقط الحدود بين الدول العربية»[٣٤٦].

وانطلق الزبيرى بمواقفه الجديدة ببهلوانية قل نظيرها، وكله أمل فى أن الجمهورية الوليدة فى اليمن لن تبخس حقه فى الزعامة، باعتباره من المؤسسين والرواد المناضلين الأوائل ضد الإمامة، وإذا به يتفاجأ بتجاهل السلطات المصرية له فى اليمن، التى عدته مجرد موظف فى منصب وزير التربية[٣٤٧]، وقد كان فيما مضى الكوكب الذى تدور من حوله الأقمار لأكثر من عقدين، والطامح للوصول إلى منصب رئاسة الجمهورية[٣٤٨]. وفى مقابل تجاهله من قِبل السلطات المصرية، وجد الزبيرى النجم الجديد الصاعد عبد الرحمن البيضانى يسرق شرف كفاحه ونضاله، ويحتل الصدارة بتعيينه فى خمسة مناصب حكومية حساسة فى أول حكومة للثورة، وهى نائب لرئيس الجمهورية، ونائب لرئيس مجلس قيادة الثورة، ورئيس لوزراء، ووزير للخارجية، ووزير للاقتصاد[٣٤٩].

وعقب هذه التطورات جُنّ جنون الزبيرى، وبدأ فى مهاجمة البيضانى هجومًا شرسًا قائلا: «هل يجوز أن يصير مثل هذا الشخص قائدًا مؤتمنًا على الرقاب، والدماء، والتخطيط، وتراث الأحرار ورصيد الأحرار وشرف الأحرار، بينما نكون نحن مبعدين عن ذلك، مكتومًا عنا كل شىء». ويضيف الزبيرى قائلا: «ولما تبيَّن لى أن الأمور كلها أصبحت فى يد البيضانى تألمت؛ لأن معنى ذلك هو إلغاء كل ثقة بنا جميعًا وإهدار لكرامتنا، بل إن المعنى قد يكون أخطر من ذلك، وهو الضيق بالأحرار البارزين، وتدعيم الشخصيات التافهة النكرة، ولن يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه سيتطور إلى حد أن نتعرَّض فى المستقبل للاضطهاد جميعًا، وهذا نذير خطير لنا إذا لم نثبت وجودنا منذ الآن»[٣٥٠].

ولتصفية الزبيرى حساباته مع خصمه الجديد المدعوم من القيادة المصرية، وجدناه ينتهز فرصة سقطات البيضانى وانحرافاته العنصرية فى استهداف الطائفة الهاشمية فى اليمن بكتاباته فى الصحف، وخطاباته من على إذاعة صوت العرب؛ فيتقمص الزبيرى دور الشفيق الناصح، نكاية ومكايدة للبيضانى، محذرًا اليمنيين من سوء مغبته وخطره على الوحدة الوطنية، متهمًا إياه بإثارة النعرات العنصرية، وتهديد السلم والأمن الاجتماعى فى اليمن، فيقول: «كانت الفكرة الوحيدة التى ينادى بها البيضانى، هى ثورة القحطانية ضد الهاشمية؛ لأنه يعرف أن لها أنصارًا متحمسين يمكن أن يخدعهم، وقد خامرنى الشك فى موقفه؛ لأنى أعرفه مهرجًا ومخادعًا ولا يمكن الثقة به».

ويضيف الزبيرى بقوله: «أعلن البيضانى ثورة القحطانية ضد الهاشمية ليخدع الشعب ويخدعكم، إلى أن يقول: إن البيضانى أغراكم بفكرة القحطانية، وأنتم لا تتصورون ما وراءها، إن الأحرار سيدفعون ثمنها غاليًا؛ لأن البيضانى لا يقصد بها إلا تمزيق القوة الوطنية فى اليمن الأعلى، ثم يعتمد بعد ذلك على إثارة العصبية بين الشافعية والزيدية»[٣٥١]. ولم يكتفِ الزبيرى باتهام البيضانى بإثارة النعرات العرقية والطائفية، بل بدأ يهاجم أول رئيس جمهورية لليمن وهو عبدالله السلال، بعد أن وجده يقلب له ظهر المجن، رافضًا أن يُلبى له أيًا من طلباته، فصبَّ عليه اللعنات والاتهامات بإثارة الفتنة الطائفية بين الزيود والشوافع[٣٥٢].

وليظهر الزبيرى نفسه أمام الجماهير على أنه الرجل الأرجح عقلاً، والأرفع خلقًا، والأكثر حرصًا على أمن الوطن ووحدة شعبه، مقارنة بخصومه الجدد البيضانى والسلال؛ وجدناه يبدأ بالمزايدة والرفع لقميص عثمان، بانتحال صفة المنافح عن الطائفة الهاشمية بزخرف من الشعر، وفى ذلك يقول:

وبنو هاشم عروق كريمات　　لنا من جذورنا اليعربية
إنهم اخوة لنا غير اسياد　　علينا فى عنصر او مزية
ارضنا ارضهم تقاسمنا نحن　　واياهم العلى بالسوية[٣٥٣]

ثم نجد الزبيرى وهو يتقمَّص دور الداعية الإسلامى النزيه المحارب لداء العصبية الجاهلية والعنصرية العرقية، فيقول: «إن الإسلام ليبرأ أشد البراءة من الروابط العنصرية، إذ هو إنما ظهر بمناهضة العصبية العرقية الجاهلية، وأثار حربًا مقدسة ومحاها وألغاها، واستبدل بها الإخاء الإسلامى، الذى لا يدع فرقًا بين الجنسيات والعنصريات»[٣٥٤].

ثم نجده وهو يضع حول نفسه هالة من الصلاح والاستقامة بالدعوة لاستبدال الحمية العرقية بحمية الإسلام، فيقول: «المسلمون قد استبدلوا بالحمية العرقية حمية الإسلام، فحميت عزائمهم، وامتلأت بها صدورهم، وأرهفت عليها صوارمهم»[٣٥٥]. ثم نجده وهو يتمظهر بدور الرجل المثقف الواعى العصرى، الذى يحترم نفسه بالبعد عن الافتخار والتمجد بالسلالية والعرقية، فيقول: «لا يوجد رجل مثقف يحترم نفسه يقبل أن يتمجَّد على قومه بسلاله»[٣٥٦].

ومقابل هذه الطروحات الجميلة، والعبارات المنمقة، والأقوال المزخرفة التى أراد الزبيرى أن يظهر من خلالها أمام الجماهير بمظهر الداعية العاقل، المنافح عن الطائفة الهاشمية، والمحارب للعصبية وداء العنصرية والعرقية والجاهلية؛ نجد له طروحات أخرى مناقضة تمامًا تنضح بالعداء السافر للهاشميين، بما يفصح عن حقيقة مكنون نفسه، وطبيعة ما يجول فى خاطره، وبما يؤكد على أنه كبيرالمستهدفين للطائفة الهاشمية فى اليمن،وكبير الداعين إلى العنصرية والعرقية،وكبير المتمجدين على قومه بالسلالة الحميرية والقحطانية، وكبير المتحزبين لحميتها وعصبيتها، والمنظرين لعرقيتها الجاهلية العمياء، وما السلال والبيضانى إلا تلاميذ صغار فى مدرسته، فمن هو أول من بعث نعرة القحطانية واستنفر عصبيتها للوقيعة بين الهاشميين والقحطانيين غير الزبيرى، منذ أول خطاب تحريضى يرسله فى الأربعينيات إلى الجامعة العربية بتاريخ ٣ أبريل عام ١٩٤٦م، فى محاولة منه لتصدير الفتنة العرقية إلى الخارج، بعد أن فشل فى تسعيرها فى الداخل، حيث يقول فى خطابه إلى عزام باشا أمين عام الجامعة العربية: «إن البعثة الأمريكية على وشك الوصول إلى اليمن، وقد سيق أبناء قحطان بالجنود والسياط مسخرين لتعبيد الطريق للسيارات الأمريكية التى ستقل هذه البعثة»(٣٥٧)؟

ومن هو أول من روَّج لثقافة الكراهية ضد الهاشميين بالتشويه المتعمد لتاريخهم، وبتصوير رموزهم بالنبتة الشيطانية بطريقة أشد وأنكى مما كان يبثه البيضانى والسلال، حين شبه الزبيرى أئمة الهاشميين بالفئران التى اضطلعت خلال ألف سنة من حكمهم لليمن بمهمة التخريب المستمر، وتعطيل طاقات الشعب اليمنى، وتشويه إنسانيته، وإذلال كرامته، وهدم إرادة الحياة فيه، واتخاذ سلالة حمير ومعين وقتبان عبيدًا لهم(٣٥٨)؟ وحين صرَّح بقوله: «نريد أن نوقف الحرب التاريخية التى أعلنت فى بلادنا منذ ألف عام»(٣٥٩)، وقوله: «كنت أحس إحساسًا أسطوريًّا بأنى قادر بالأدب وحده على أن أقوض ألف عام من الفساد والظلم والطغيان»(٣٦٠)، وقوله: «إن الشعب اليمنى كله يشعر أن العائلات الهاشمية كلها طبقة متعالية متميزة منفصلة عنه، كأنها ليست من الشعب فى شيء، بل كأنها أجنبية عنه دخيلة عليه»(٣٦١)؟

ومن هو الذى هندس للوقيعة، وأسّس للاصطراع بين قبائل اليمن والهاشميين غير الزبيرى، عندما أطلق الدعوة لإبادة قبيلة حاشد على لسان شخصية هاشمية من آل البيت

ابتدعها فى مخيلته المريضة، حيث تقول هذه الشخصية فى كتابه (مأساة واق الواق) الآتى: «ألا تزال حاشد منذ تركتها إلى اليوم عاصية باغية ضدنا آل البيت؟ ألا يوجد من آل بيتنا من يبيدها من الوجود»[٣٦٢]؟

ومن هو الذى لم يحترم نفسه بالتمجد والافتخار على قومه بالسلالية والعرقية غير الزبيرى، إلى درجة الاستفزاز الصادم، الذى كان من شأنه تشبيهه من قِبل الكثير من الكتاب والمفكرين المحترمين فى اليمن بالتحول إلى واحد من شعراء الجاهلية فى سوق عكاظ، رافعًا عقيرته بنبرة متعالية مليئة بالزهو، تمجِّد قبائل بعينها، بوصفها قبائل زيدية قحطانية[٣٦٣]؟

وفى نظر الزبيرى، فإن العرب قاطبة يدينون بوجودهم عبر التاريخ لقبائل همدان القحطانية، التى هى محور الوجود التاريخى فى اليمن حسب زعمه[٣٦٤]، وصاحبة التاريخ المجيد، أما العناصر الأخرى، كالشوافع، والعدنانيين، والمذحجيين، والزرانيق، والهاشميين؛ فهم أصفار على الشمال، وليس لهم وجود ولا تاريخ، وليسوا من الشعب اليمنى فى شىء، فلا عجب إذًا أن يُصنّف الدكتور محمد على الشهارى الزبيرى على أنه شاعر القبيلة الضيقة والطائفية المقيتة، ويصفه بقوله: إنه تنضح منه رائحة القبلية والطائفية معًا، بطريقة تزكم الأنوف، وتسد الأنفاس[٣٦٥].

وقد يتصوّر بعضهم أن الدكتور الشهارى يبالغ فى التجنى وإلقاء الاتهامات على الزبيرى بهذه الصفات النرجسية، إلا أننى على ثقة أنه بمجرد أن يتناول المرء كتابات الزبيرى وأشعاره بالقراءة؛ فسوف يستجلى حقيقة مقاصده ورغباته الدفينة، وسوف يفهم ماذا يعنيه الدكتور الشهارى عن نرجسية الزبيرى وأدبياته، التى أورثت المجتمع اليمنى آثارًا سلبية، ما زالت تجرجر أذيالها حتى اليوم، فهذه عينة من قصائده النرجسية التى تقول:

قحطان أصل العرب منذ تهاونوا ... بحياتها عاشوا وهم أيتام
لهم الجبال الراسيات وأنفس ... مثل الجبال الراسيات عظام
ولدوا عمالقة محنطة كما ... ولدت فراعنة لها الأهرام
قدموا من التاريخ فى جبهاتهم ... من آل حمير غرة ووسام
يتسائلون أحمير فوق الورى ... كالأمس أم تلك الرؤى أوهام

أيـن السـلالـة مـن معيـن وحميـر هـل أيقظـوا الـدنيـا لهـم أم نـامـوا
هـل سـابقـوا الأقطـار فـى وثبـاتهـا هـل حلقـوا حـول النجـوم وهـامـوا[٣٦٦]

وهذه عينة أخرى ذات دلالة بالغة عن امراض الزبيرى العرقية وعقده العنصرية:

أبنـــاء قحطـان عبيـد بعـدمـا عبـدتهـم الـزعمـاء والحكـــام
كـــانـت سيوفهـم تـؤدب كـل جبـار بغيـر السيـف ليـس يقـام
كانوا الأباة وكـانت الدنيـا لهـم والملك والـرايـــات والأعــلام
ماذا دهـا قحطـان فى لحظتاتهـم بـــؤس وفـى كلمـاتهـم آلام
والنـاس بيـن مكبـل فـى رجلـه قيـد وفـى فمـه البليـغ لجـام
أو خـائـف لـم يـدر مـا ينتـــابه منهم أسجن الدهر أم إعدام؟[٣٦٧]

ويبلغ السفه العرقى والعنصرى فى شخصية الزبيرى منتهاه، عندما يبدأ فى تبخيس عموم الشعب اليمنى فى الدار الآخرة، مقابل تمجيد قبيلة همدان التى ينتمى إليها، حيث يقول عنها بأنها القبيلة العربية العظمى التى لها الزلفى والدرجات الأعلى فى الجنة، وبدرجة لم ولن يبلغها أحد من الشهداء اليمنيين الذين لا ينتمون إلى سلالة همدان الكبرى، مبررًا علو أصحابه فى الجنة، لمجرد أنهم يمثلون همدان كلها[٣٦٨].

أما خصوم الزبيرى من غير قبيلة همدان، فيصنّف منازلهم، ويقرّر درجاتهم فى كتابه (مأساة واق الواق) فى الدرك الأسفل من نار جهنم، مُنصّبًا نفسه خازنًا للجنة والنار، وهو يقوم برحلة شعرية فى مخيلته إلى الدار الآخرة، يوزّع فيها صكوك الرحمة والعذاب على من تشتهيه نفسه، فكل من دان للإمام يحيى أو كان من رجاله، سواء من الحكام أو القضاة أو شيوخ القبائل، فهم فى نظر الزبيرى فى نار جهنم، ويخصُّ الزبيرى بالذكر قبيلة الزرانيق التى أغاظه تمكّن الإمام أحمد من احتوائهم واستقطابهم إلى جانبه، بعد أن كانوا من أشد خصومه فى الماضى، فتحولوا إلى أشد المخلصين له، إلى درجة أن أصبحوا من حماته وحراسه الخلص، فنفث الزبيرى جام غضبه وحقده على هذه القبيلة بتصويره إياهم بالفيران البشعة التى مسخها الله فى نار جهنم؛ لإخلاصها للإمام أحمد. أما عن الإمام يحيى نفسه، ففى لوثة عقلية من لوثات الزبيرى، التى لم يسبق إلى مثلها أحد من قليلى العقول، وجدناه يؤكد متأليا على الله أن الإمام يحيى يقيناً فى نار جهنم يتقلب فيها، وحتمًا لن يغفر الله له أبدًا؛ لأن الغفران له يهدم ويناقض كل نواميس العدل؛ إلا إذا غفر

الله لفرعون، ونيرون، والنمرود،وجنكيز خان،عندئذ يقول الزبيرى: إنه سيفهم لماذا غفر الله للإمام يحيى؛ لأن هناك مداهنة ومحاباة فى الآخرة حسب زعمه، مثلما هو حاصل فى الحياة الدنيا[٣٦٩].

وبالتوازى مع حملات الزبيرى العرقية والعنصرية التى كان يستفز بها مشاعر المواطنين فى اليمن، وجدناه يُمثّل دور الضحية المظلوم، رافعًا عقيرته بالشكاء والبكاء لدى السلطات المصرية من خصومه الجدد: البيضانى والسلال، الذين لم يقدروه حق قدره، وحرموه من حقه فى الصدارة، وعندما لم تجد شكاويه وبكاويه آذانًا صاغية وجدناه يحزم أمره، ويقرّر الانقلاب علىٰ الجمهورية التى لم تحقق له أحلامه فى الزعامة؛ فوجد ضالته فى بعض القبائل اليمنية التى طلب حضورها لمؤتمر شعبى أقامه فى منطقة عمران عام ٦٣، للدعوة إلى قيام دولة إسلامية[٣٧٠]، ذات صبغة مشيخية عشائرية رآها الزبيرى أجدر من الجمهورية[٣٧١]، عسى أن يجد فيها المهاد الذى سيوصله إلى أحلامه فى الزعامة والحكم،بعد أن لفظته الجمهورية والملكية وكافة الأحزاب التقدمية ومنسوبيها من طلبة اليمن فى الخارج، وفى هذا الصدد يقول المؤرخ شاعر اليمن عبدالله البردونى: «إن شخصية الزبيرى فقدت توازنها بين المطمح العالى والأعلى، فانتهج المعارضة بعد الثورة كطريق إلى الحكم»[٣٧٢]. أما الدكتور الأكاديمى عبد العزيز قائد المسعودى، فيتحدَّث عن مشروع الزبيرى فى البروز السياسى الشخصى، وحقيقة دوافعه السلطوية التى كانت تتوارى خلف شعاراته البراقة ومثالياته، مؤكدا على انه كان مدفوعًا بطموح شخصى جامح لتولى منصب رئاسة الجمهورى»[٣٧٣] وفى ظل خط الزبيرى الجديد فى الاستقلال بنفسه عن الناصرية والجمهورية فى اليمن، وجده الناس فى مفارقة عجيبة وقد بدأ فى إلقاء الدروس عن الاستقلالية، مهاجمًا كل القادة العرب والمسلمين الذين اتهمهم بالتسكع على أبواب أعدائهم لحل مشاكلهم، فيقول: «أصبحنا نرى قادة المسلمين اليوم يبحثون عن كل وسيلة من وسائل الإنقاذ لشعوبهم مما هى فيه، فيذهبون إلى الغرب والشرق، ويناشدون كل من هبَّ ودبَّ، ويستجدون الإصلاح من المفسدين، والرشاد من المضلين، ويستجيرون من الرمضاء بالنار، ويشكون إلى الطامعين فيهم شكوى الجريح إلى الغربان والرخم، ثم لا يخطر ببالهم فى أثناء هذا البحث الملح أن يرجعوا إلى أنفسهم، وإلى ما خلَّفه ماضيهم، وإلى ما اختصتهم رحمة الله به من شريعة خالدة»[٣٧٤]، وتناسى الزبيرى أنه كان أول المتسكعين على أبواب الإنكليز فى عدن، واضعًا نفسه أداة طيعة فى أيديهم، وأول من كان يستجدى الرشاد من عبد الناصر لحل مشاكله مع السلال والبيضانى.

وكعادة الزبيرى فى الحربائية والتلون، نجده وقد تنكّر لكل ماضيه فى مصر، مرتدًا عن كل المبادئ القومية التى كان يعتنقها ويروج لها يوم أن كان لاجئًا لدى عبد الناصر؛ مما أصاب الكثير من المفكرين بالدهشة، معتبرين دعوته الجديدة لقيام دولة عشائرية دينية فى اليمن، يكون هو زعيمها؛ عودة إلى الوراء، ومخالفة لمنطق العصر، وارتماء فى أحضان الرجعية بطريقة أشد وأنكى من الرجعيين أنفسهم. فالفجوة واسعة جدًا بين دولة الدستور، التى كان يدعو إليها الزبيرى، ويرفع شعارها منذ منتصف الأربعينيات وهو فى عدن، والدولة العشائرية الدينية التى بدأ يدعو إليها فى منتصف الستينيات، فكيف يستقيم فى العقل تأسيس دولة قائمة على قاعدة وثقل قبلى أصولى، بعد أن كان الزبيرى يتشدّق بالدعوة لإقامة دولة مؤسسات تفصل بين السلطات وتحدد الاختصاصات؟ إلا أن الزبيرى كعادته فى تغيير جلده، لم يشعر بالغضاضة أبدًا، توخيًا لطموحاته فى البروز السياسى ومصالحه الشخصية، فلقد أدرك سرّ قوة الملكيين فى الحرب الأهلية، باعتمادهم على العصبية القبلية، فأراد محاكاتهم فى الاعتماد على العنصر القبلى لأنه أجدر بالأمر من كل القوى[٣٧٥].

ويكثف الزبيرى من جولاته بين القبائل، إلى أن يدعو إلى مؤتمر جديد فى منطقة برط، ليشكّل فيها حزبًا خاصًا به سماه حزب الله[٣٧٦]، ومن طبيعة اسم هذا الحزب نستطيع أن نتلمّس مقاصد الزبيرى فى مداعبة وجدان القبائل، ودغدغة مشاعرهم؛ بهدف اختراقهم وتجيير عاطفتهم الدينية لحسابه الشخصى، مستغلا البداوة والأمية الغالبة للمشايخ الذين عاش فى كنفهم، حيث كانوا يفتقدون للحد الأدنى من الدرك والوعى السياسى، مقارنة بغيرهم من المثقفين الذين أدركوا حقيقة الزبيرى ومقاصده السلطوية، منذ أن كان فى مصر إسلاميًا قحًا فى مطلع الأربعينيات، معتنقًا لفكر الإخوان المسلمين، إلى أن انقلب على الإخوان المسلمين فى مطلع الخمسينيات، معدًا إياهم دجالين فى السوق السياسية العربية، أفسدتهم ولوثت ضمائرهم النزعة التجارية بمصائر الشعوب[٣٧٧]، إلى أن اعتنق الفكر القومى فى منتصف الخمسينيات وهو فى مصر[٣٧٨]، وبدأ يروّج للفكر الاشتراكى فى مطلع الستينيات[٣٧٩]، إلى أن وجد ضالته فى المشيخة العشائرية فى منتصف الستينيات، مؤسسًا لحزب الله فى برط، حيث أصبح من خلال هذا الحزب الفارس الأوحد فى الميدان القبلى، الذى لم يجد فيه منافسًا أو بالأحرى كاشفًا لحقيقته.

والشيء المثير للسخرية هنا، أن الزبيرى بعد أن أسس هذا الحزب بدّل موقفه من مسألة تواجد القوات المصرية فى اليمن للمرة الثالثة، وبدأ يدعو صراحة إلى طردهم من اليمن[٣٨٠]، مع أنه منذ سنة خلت عندما كان ما يزال يؤمل فى تحقيق احلامه عبر القيادة المصرية كان يقول:

إنهم إخوان فى العروبة والإسلام، ولا بأس فى الاستعانة بهم؛ لأننا كلنا عرب ومسلمين تسقط بيننا الحدود»[٣٨١]، فهل مرَّ على تاريخ اليمن منذ حضارة سبأ ومعين وحمير شخصية أكثر حربائية تجيد التلون واللعب على كافة الحبال، مثل الزبيرى الذى قدَّم كل المبادئ التى كان ينادى بها قرابين من أجل الوصول إلى أهدافه الخفية؟ أترك الجواب للقارئ.

وحتى لا يتهمنى أحد بالمبالغة فى وصفى للزبيرى بالأكثر حربائية وتلونًا فى تاريخ اليمن، أجدنى مضطرًا إلى الإشارة لصفحات مجهولة من حياته الشخصية فى الكذب والتلون والازدواجية، حيث كان يعيش متناقضًا مع نفسه، ومن تلك الصفحات المجهولة ما كانت تقرأ له الجماهير وهو يعيش لاجئًا فى مصر من مقالات وحملات فى الصحف والمجلات تحذِّر من القات وسمومه، وتنكر على المتعاطين له أشد الإنكار، مسميًّا القات بالنبتة الشيطانية الخبيثة، التى عدها سبب المصائب وأم الشرور فى اليمن: صحيًّا، واقتصاديًّا، وأخلاقيًّا، وإذا باليمنيين يتفاجؤون حال عودته إلى اليمن بعد قيام الثورة بتناوله للقات بشراهة فى المجالس العامة، متجاهلا كل ما خطته أنامله عن خطر القات وشروره، ومتناسيًا كل مواعظه للناس فى ترك تعاطيه. وبالرغم من إنكار واعتراض الكثير من تلاميذ الزبيرى ومريديه لذلك التناقض العجيب، ومنهم مريده الشيخ عبدالمجيد الزندانى، الذى حاول ثنى الزبيرى عن تعاطى القات بتذكيره بحملاته الشنيعة عليه؛ إلا أن الزبيرى ردّ عليه بالقول: على رغم أنف الزندانى[٣٨٢].

ومن الصفحات الأخرى المجهولة عن تناقضات الزبيرى العجيبة فى حياته الشخصية، ما كان يلقيه على الجماهير من دروس حول مكارم الأخلاق والمرؤة وعفة اللسان، وإذا بالناس يتفاجؤون به أول من ينتهك معانى المرؤة ومكارم الأخلاق، منذ أن كان لاجئًا فى باكستان، التى ادعى حبها وإجلالها، فى الوقت الذى كان يلقى على شعبها سقط الاتهامات بالخلو من المرؤة التى لا يوجد لها اصل عند الباكستانيين اصحاب الطبائع الموحشة حسب تعبيره[٣٨٣]، هذا مع أن الشعب الباكستانى كان الوحيد بين أمم الأرض الذى قِبل به لاجئًا فى أرضه بعد فشل انقلاب عام ١٩٤٨م.

أما عن دروس الزبيرى التى كان يلقيها على الناس فى عفة اللسان، فحسبنا أن نشير إلى كثير من أدبياته الفاحشة التى تدنّت إلى مستوى لا يليق حتى بأبناء الشوارع فما بالك بهامة فكرية وأدبية مثل الزبيرى، ناهيك عن الألفاظ السوقية التى كان يطلقها دون أى رادع أخلاقي. فأسرة حميدالدين – على سبيل المثال – يُطلق عليها الزبيرى لقب أسرة خراب الدين الداعرة الفاجرة[٣٨٤]، وأفرادها – حسب زعم الزبيرى – ينظرون إلى الشعب اليمنى نظرة أشد احتقارًا من

نظرة الإقطاعى إلى حظائر الخنازير، والإمام يحيى فى نظر الزبيرى سيترك الشعب اليمنى ميراثًا لذريته، كما يترك الأثرياء لأولادهم الكسالى المدللين حضائر البغال والحمير والخنازير[٣٨٥].

أما عن مواقف الجناح الآخر من قادة انقلاب عام ١٩٤٨م، والمتمثل فى رأس الانقلاب عبدالله الوزير ورئيس وزرائه على الوزير، فبتتبعنا لسيرتهما سنرى كيف أنهما تمكنا من تسويق كذبة كبرى بعد الانقلاب، بادعائهما حمل الهم الوطنى، ورعاية الدين والمبادئ والأخلاق، وبدآ يكثران من التغنى بشعارات الحرية، والدستور، والشورى، ودعاوى الإصلاح، إلا أنه يحقُّ لنا أن نطرح جملة أسئلة، وأولها: هل من الدين والمبادئ والأخلاق فى شىء خيانة الإمام يحيى والغدر به باغتياله غيلة بتلك الصورة البشعة، بالرغم من إكرامه لهما، وإحسانه إليهما برفعهما إلى أعلى مراتب الدولة، وتشريفه لهما بتزويج بناته لأبنائهما؟ وهل الهم الوطنى الذى ادعيا حمله يعدُّ مفصلا كمواسم تنشط وتخبو حسب الطلب؟ فأين كان هذا الهم الوطنى الذى لم نسمع به بتاتًا عندما كانا يسبحان بحمد الإمام يحيى وهما شركائه فى الحكم، ومن أعمدة نظامه لأكثر من ثلاثين عامًا؟ وهل كان يتوازى أسلوب معيشة آل الوزير الأرستقراطى المترف فى القصور والدور والسرائر الناعمة[٣٨٦] وبعثرتهما للأموال يمينًا وشمالا دون حساب[٣٨٧]، مع ما كانا يسوقانه من ادعاءات حول العصامية والنزاهة؟ وأين كان التغني بشعارات الحرية، والدستور، والشورى، ودعاوى الإصلاح، عندما كانا متفردين بحكم أكبر ولايات اليمن فى لواء تعز والحديدة لمدة عشرين عامًا؟ وكيف نفسّر صحوة الضمير الفجائية مباشرة بعد أن أقصاهما الإمام يحيى من ولاياتهم؟ وكيف لم تتفتق قريحتهم وبصيرتهم عن إدراك استبداد الإمام يحيى وظلمه وطغيانه حسب زعمهم، إلا بعد أن شعرا بأن حضورهما فى دنيا الحكم والسياسة قد بدأ يضيق[٣٨٨]؟ وكيف نفسّر قول قائد الحركة الانقلابية عبدالله بن أحمد الوزير لأمين الريحانى: إن اليمن بفضل الإمام يحيى بلاد العدل والدين والصدق والوفاء، وأن الحكم الكامل العادل تراه عندنا فى اليمن[٣٨٩]؟ وكيف نفسّر نكثهما بيعة الإمام يحيى سرًّا، وإظهارهما الولاء له، وعدم البرائة منه حتى اللحظات الأخيرة من حياته، باقتراح عبدالله الوزير على الإمام يحيى قبل اغتياله بأسابيع محدودة أن يأخذ البيعة لابنه سيف الإسلام أحمد، وأنه أى عبدالله الوزير سيكون أول المبايعين لسيف الإسلام أحمد بالخلافة بعد وفاة الإمام يحيى[٣٩٠]، وأنه يقسم بالله الأيمان المغلظة، أنه لا طمع له فى الإمامة، ولا علاقة له بالمتآمرين من رجال حزب الأحرار وغيرهم، ولا علم له بميثاق ولا غيره[٣٩١]، هذا كله وهو الإمام الطاغية، الظالم، المستبد حسب زعمهم بعد الانقلاب؟

ذكرى مولد مولانا صاحب الجلالة

بقية المقال الافتتاحي

وبهذه المناسبة السعيدة ترفع (الايمان) واسرتها أسمى آيات التبريك الى حضرة مولانا صاحب الجلالة أمير المؤمنين المفدى ايده الله تعالى مبتهلة الى الله جل مجده ان يضاعف اعوام عمره ، ويزيده قوة الى قوته ، وسلطانا الى سلطانه ، ويمكن له في الارض ويلبسه كل يوم حلة جديدة من حلل العافية ، ويعدم عقد الامامة ويبقيه سندا وملاذا للاسلام والمسلمين ، ويشد ازره بمولانا ولي عهد الخلافة سيف الاسلام احمد المعظم وانجاله سيوف الدين اليمانيين . .

في ربيع ولدت مولد طه

ننشر للقراء القصيدة التالية لصاحب الامضاء وهي احدى القصائد المرفوعة الى الحضرة الشريفة الهاشمية أعلى الله شأنها برسم التهنئة بمناسبة ذكرى المولد الامامي الميمون وهي

لك عمر رغم العداة كبير ... ياإماما به الوجود منير
وعلو على الملوك وفضل ... وجلال وعزة وظهور
علم الله أنك السند الاو ... حد في العصر والامام الخبير
فتولاك واجتباك وأولا ... ك فواتك كيف شئت الامور
في ربيع ولدت مولد طه ... فاستحق الثناء وعم الحبور
ثم فيه جلست في المجلس الار ... فع شأنا فما كبرته الشهور
فهو عيد لنا يحق له التب ... جيل والاحتفاء والتقدير
كيف لا نحتفي به وبه جا ... ءتنا فكل طرفه قرير
ساجع الطير منشدا مطرب الار ... واح لكن شدوه التكبير
يسرد الشكر بكرة وأصيلا ... فهو بالعز والنجاح بشير
هي مليككا معظما في حبور ... وهناء فمجدك المشكور
فيك العصر مشرق تتباهى ... بلياليه النيرات العصور
بعث (يحيى) لمن جدك وكنا ... شاعرا حوله من الحزم سور
وليدم عزك المنيع ومن نا ... وانك في الفل بائس منبور
من يناويك تحت نعلك والها ... مد بالغيظ قلبه مفطور
أنت للمسلمين حصن منيع ... كل باغ عن بابه مدحور

أيها الباهمون ماذاع بالاس ... س من المفترين طور الزور
هم أرادوا إطفاء نور ويأبى الله ... الا ان يستطيل النور
ياالهنا الله من يفوه بافك ... واختلاق هو الخنا والفجور
فلقد موه القبيح أناس ... في ضلال وكل افك يبور
ويطرد القلوب كم نلق الذكر ... وهذا بيانه مسطور
والذي قبل لم يكن عنه والله ... عجيب لذا ذي التطور
فاندوم ثم في الملك الما ... لد (يحيى) عما يزين قصور ؟ ؟
لا وربي ما ذاك الا حسام ... بتار من طاشي به مبتور
فهو ملك ماجاد قط ولكن ... ذاك كهف من كل جور مجير
كم من المسلمين ذاد عدوا ... تاشيا سيف بغيه مشهور
حكم ليحيى من منة وأياد ... عظمت فالقليل منها كثير
هكذا العدل والسيادة والاح ... سان والفضل والتقى الموفور
وكذا تشرق الخلافة في وجه ... سعيد له الاله نصير
نحمد الله حكم حينا ان من ... نعمة لم نحط بها تقدير
فبه والله كل بؤس فلا زا ... ل غياثا به تسر الصدور
لست أدرى أبالثناء أحتب ... أم الدين بالثناء الجدير ؟
فهو محتسب وحمة وأمان ... كل فرد بيره مغمور
حفظ الله ذاته فهو لحسى ... وبنوه المطهرون بدور
سيما نجله المعظم شمس الـ ... دين بحر الندى الهزبر الهصور
انما يعرف الحقائق ذو العلـ ... م وذو الجهل في عمى محسور
فعلى المصطفى الصلاة مع التسـ ... ليم والآل ما النجوم تنير

محمد بن عبدالله الشكرى

الى جمعية الشباب اليمني بعدن

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

حضرة رئيس جمعية الشباب اليمني بعدن والاعضاء الكرام أدام الله توفيقكم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فاني أحمد الله اليكم وأشكر مواقفكم الجليلة ومساعيكم الطيبة على ما قمتم به من تعزيز كيان الدين وتشييد بنيان جمعية الشباب اليمني والذب عن مكارم المسلمين

شعور الامة نحو مولانا ولي عهد الخلافة

بقية المنشور على الصفحة الاولى

من كثير من البرقيات والرسائل التي تلقاها سموه المعظم من امثال السيد المذكورة وهي :

مولانا ولي العهد أيدكم الله (تعز)

قد سمعتم خرافات المخذولين المارقين الناقمين الماكرين خيب الله آمالهم واخزاهم وقد كذبوا وشهد على كذبهم الله والناس اجمعون بما اخبروا به من وفاة مولانا أمير المؤمنين ايده الله وهو بعون الله متمتع بكامل الصحة والعافية قائم بامور الامة في كل حين ثم كذبوا باجماع عقلاء الشعب الذي هو من آخره تحت ارادتكم وسيكفيهم كل عاقل فأينهم واين الشعب ؟ ! وكم المدة بينه وبين الكاذبين ؟ ! واين المراسلة التي يمكن ان تجمعهم ؟ ! (انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) ولعل الذي جرأهم على كل ذلك هو خيبة آمالهم وانقطاع كل ما كانوا يؤملونه وانه سول لهم الشيطان وانفسهم الخبيثة انه سيكون لذلك اي اثر او وحدة يريدونها لمسكات تسويلاتهم وبالا عليهم وخزيا الى خزيهم (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ٧ ربيع الاول سنة ٦٧

المملوك

عبد الله الوزير

وأنتم في الدين ويسرني أن تروا شكري وشكر سائر الشباب اليمني منشورا على صفحات جريدة الايمان الغراء التي أصبحت أداة اتصال اليمن بالعالم العربي والاسلامي تقديرا لجدكم وغيرتكم الدينية وتأييدا لنشراتكم المحمودة الرفقة والى كثيرين من أبناء اليمن الغيورين نشعر عند مطالعة نشراتكم بوجدان يختلج بين الجوانح فيشرح الصدور وينطق الالسن بالثناء والشكر والتأييد لعملكم المبرور غيرة لله ولرسوله وللمؤمنين وذودا عن حمى الدين مما جعلنا نتطلع الى التصريح بموافقتكم والانخراط في سلك نظام جمعيتكم وانا نهيب بجمعية الشباب ونرجو منها نشر مالمولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين أيده الله من اعمال مشكورة ومكارم مشهورة ومآثر خالدة تطوقت بها أعناق اليمنيين خاصة والعرب عامة فلقد سار فينا منذ ولايته المتوكلية سيرة الخلفاء الراشدين والائمة الهادين المقتفين سنة رسول رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذه شتى الاصلاحات التي قام أيده الله بها تراها موجودة ودلائلها في اليمن موجودة ظاهرة للعيان كظهور الشمس في رابعة النهار لايكذبها الا جاحد ولا ينكرها الا مارق ، كيف لا . ولولا جهوده الجبارة ، وهمته الوقادة ، وصبره الطويل وعمله المتواصل ، لكنا ولا نزال في الحضيض الادنى ، ومن كان يجهل بعض الحقيقة فلينظر وليوازن بين حالة اليمنيين الآن في عهده ادام الله سلطانه وبين حالتهم اليوم كانوا مستعبدين بغزوهم واذلاء في ارضهم ، كانت الشريعة في كثير من نواحي اليمن ميتة شعائرها ، والفرائض مهملة ، والمساجد لا يرفع فيها الباطل الطاغية على امتثالها وبأخذ بيد الضعيف فيحكم له بالحق على القوي ، بينما كان هذا في الماضي يعد من المحال . نعم وأمات الاحكام الطاغوتية والعادات اللادينية كانت الطرقات مخوفة لمنيا والركاة عنوة فاخذها وصرفها وكانت المواريث للنساء ممنوعة فاوجبها وأتيها والمدارس مغلقة فاحياها وفتحها

استفتح البلاد النائية والقبل العاتية وأقام الدين وأحيى سنة سيد المرسلين و و و و مما يضيق عنه الحصر

ويعدأصبح الدين في اليمن مشيد الاركان قوي البنيان وأصبحت المعارف بجميع أصولها وفروعها معمورة والمدارس منتشرة في جميع الانحاء اليمنية

أصبحت اليمن والحمد لله حكومة مستقلة استقلالا تاما مطلقا وعلى عرشها خليفة رسول الله وخيرة أبنائه تقوم بكل حاجة أهلها بنفسها بايد عاملة وقلوب متحصنة لهذا سارت البلاد اليمنية سعيدة بكل مافي السعادة من معاني

أصبحت الاحكام متوجة بتاج الشريعة النبوية يرجع اليها جميع الرعايا سيان فيها القوي والضعيف والغني والفقير والامير والمأمور

فبمالمقام مولانا امير المؤمنين وولي عهده ناصر الدين ايدهما الله تعالى أصبح كل فرد منا مطوقا باحسانهما وفداء لحياتهما ولقد خاص الحب والاخلاص لهما كل قلب واستملك العدل والاحسان منهما كل لب فنحن ندعو الله لهما عقب كل صلاة وعند كل تلاوة وفي ضمن كل حديث

ياحضرة الرئيس بالله ان تمكنتم فاسألوا أولئك الافراد المتقولين بالباطل أي الحاية رحمهم وأنعامهم ؟ وأي المدارس ربتهم وأنتجتهم ؟ تجدون جميعهم غرس إحسان مولانا امير المؤمنين وثمرة اجتهاده فهلا رعوا الفضيلة حقها ، وفيدوا النعمة بشكرها ، وقولوا لهم (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير)

هذا ولي الختام أسأل الله رضاه والهداية والتوفيق ؟

في ٣ ربيع الاول سنة ١٣٦٧

شبام كوكبان

السيد عبد الكريم بن محمد

صورة من مبايعة عبد الله الوزير لسيف الإسلام أحمد بولاية العهد والتى نشرها عبد الله الوزير فى جريدة الإيمان قبل شهر تقريبا من تدبيرة عملية إغتيال الإمام يحيى.

وكيف نفسر تلقب عبدالله الوزبر بصاحب الجلالة الملك الإمام عند توليه الحكم فى فترة الانقلاب[٣٩٢]، بالرغم من أن أحد ذرائع آل الوزير لقتل الإمام يحيى، أن الإمام يحيى حول الإمامة إلى ملك؟ وهل اختلاف آل الوزير على ولاية العهد[٣٩٣] يتوازى مع ما يسوقونه للعامة من معارضتهم للسلطة الوراثية فى الحكم، أم أن دعاوى الشورى والحرية التى كانوا يتشدقون بها، ما هى إلا للاستهلاك المحلى؟ وهل اتصالاتهم وارتباطاتهم المشبوهة مع الإنكليز، والتى أبدوا فيها استعدادًا منقطع النظير للتضحية باستقلال اليمن وسيادته ومصالحه فى سبيل الوصول إلى السلطة؛ تعدُّ من ضمن مبادئ الدستور، وتنطلق من مفاهيم الشورى؟ وهل أجواء عدم الثقة بين آل الوزير أنفسهم تدلّ على صدق التوجه ووحدته، أم على مقاييس التنافس على السلطة، والتكالب على المنفعة، واقتسام كعكة النفوذ والسلطة؟ يقول حسين المقبلى فى هذا الصدد فى مذكراته، وهو أحد زملائهم المتآمرين فى انقلاب عام ١٩٤٨م: «كان الشك والغيرة لدى عبدالله الوزير من أبناء عمومته على الوزير وابنه عبدالله قد أعمياه عن رؤية الصواب، فرفض أن يولى على الوزير لواء تعز، كما رفض أن يخرج من العاصمة تحت تأثير النصيحة، بأن عبدالله بن على الوزير سيثب على الخلافة لو ترك عبدالله الوزير العاصمة صنعاء[٣٩٤]، وفى المقابل كان عبدالله بن على الوزير يكره عمه عبدالله بن أحمد الوزير بمقدار ما يكره الإمام يحيى؛ مما جعل عمه يخشاه[٣٩٥].

أما عن أجواء الشك والريبة بين آل الوزير ورجال حزب الأحرار، فيظهر جليًا فى معارضة أحمد محمد نعمان تولية على الوزير رئيسًا للوزراء، ومعارضته تركيز السلطات فى يد آل الوزير؛ خوفًا من محاصرة نفوذ آل نعمان[٣٩٦]، إضافة إلى نصح على الوزير رئيس وزراء الانقلاب لابن عمه عبدالله الوزير قائد الانقلاب بالقضاء على الأحرار قبل أن يبادروا بالقضاء على أسرة آل الوزير[٣٩٧]. ناهيك عن قول أحمد حسين المرونى، وهو أحد المتآمرين الآخرين فى الانقلاب، من ان عبدالله الوزير كان يضمر للأحرار أمرًا غير حميد، وأنه كان يتوعد ويهدد أنه سيتخلص لاحقًا منهم[٣٩٨].

ويتسائل حسين المقبلى أثناء فترة الانقلاب موجهًا كلامه إلى جميل جمال العراقى، القائد العسكرى للانقلاب: «هل يعتقد الأحرار اليمنيون أن عبدالله الوزير سيكون أفضل من الإمام يحيى؟ فى رأيى أن عبدالله الوزير أشد تأخرًا من الإمام يحيى نفسه، إنه حتى الآن لا يقبل أن يسمع جهاز الراديو، فكيف تجعلونه إمامًا لليمن؟»[٣٩٩].

وكيف لم تجد دعاوى الشورى لها ترجمة فى سلوكيات عبدالله الوزير حين اعتلائه السلطة، حيث استبد بالأمر، وأبطل مبدأ الشورى[٤٠٠]، بعد أن قبض بمفاصل السلطة هو وممثل الإخوان المسلمين الفضيل الورتلانى، إلى درجة قول محازبهم حسين المقبلى بعد أن اعترض على استبداد ه أثناء فترة الانقلاب: «ها هو عبدالله الوزير ينقض الشورى، ويعمل بأسلوب الإمام يحيى[٤٠١]، وكيف نفسر الخروج على مبادئ ونصوص الميثاق الوطنى الذى سطره الانقلابيون للاستهلاك المحلى، حينما أقصى آل الوزير كافة رجال اليمن من ممثلى القبائل لصالح الأسر المتنفذة المرتبطة بهم فى النظام الجديد، ولم يقوموا بأى خطوة جادة لإشراكهم فى النظام الجديد؛ مما أرسى نظامًا قائمًا على أساس الولاءات الأسرية، وليس على أساس المساواة والعدل، كما جاء فى نصوص الميثاق الوطنى[٤٠٢]؟

وللإجابة عن كل تلك التساؤلات الآنفة الذكر، يجدر بنا تسليط الضوء أولا على طبيعة علاقة آل الوزير برجال حزب الأحرار، وكيف كان ابتدائها منذ أن صاغوها فى مصر عام ١٩٣٩م، كتكوين أسرى إقطاعى يجمع ما بين ممثلى الأسر الأرستقراطية الحانقة على حكم الإمام يحيى، وهم عبدالله بن على الوزير ابن أمير تعز المخلوع، وأحمد محمد نعمان ممثل عمه عبدالوهاب نعمان، المسجون على خلفية تآمر مع الإنكليز؛ لفصل إقطاعية آل نعمان فى لواء تعز عن الدولة الموحدة، وما بينهما كان يعيش محمد محمود الزبيرى مستأنسًا بظل آل الوزير، الذين تربى فى كنفهم، ودرس فى مصر على حسابهم، مرافقًا لولدهم عبدالله بن على الوزير، ليعمل لديه بمثابة سكرتير خاص[٤٠٣]؛ مما جعل الزبيرى مصنفًا من قِبل الكثير من رموز اليمن الفكرية وكتابه المعروفين على أنه ذيل معبر عن مصالح آل الوزير خلال فترة احتضانهم له، وهو لا يطمح لأكثر من إزاحة أسرة حميد الدين لصالح أولياء نعمته[٤٠٤].

وقد استمر شهر العسل بين هذه الأطراف الثلاثة إلى أن تحولت هذه العلاقة من نطاق التكوين الأسرى، إلى نطاق التكوين الإنكليزى الحزبى الذى صاغه المندوب السامى بعد هروب الزبيرى ونعمان إلى عدن فى عام ١٩٤٤م[٤٠٥].

وقد بدأت طموحات الزبيرى ونعمان تتبلور بمؤثرات مختلفة، ومنها كما يقول شاعر اليمن عبدالله البردونى: بدء شعور الزبيرى بالأهمية والعظمة الشخصية[٤٠٦]؛ مما جعله يخرج عن وصاية آل الوزير، ويشب عن طوقهم هو وزميله أحمد نعمان نحو الطوق

الإنكليزى، مع العلم أن عبدالله بن على الوزير ابن أمير تعز المخلوع، كان ما يزال وهو فى مصر على الخط معهم بمشاركته المادية والمعنوية[٤٠٧]، إضافة إلى أبيه على بن عبدالله الوزير، الذى كان يعيش فى اليمن أجواء الحسرة على خلعه من ولايته فى تعز، ويرسل الأموال إلى الزبيرى سرًّا لتمويل صحيفة صوت اليمن، الموجهة توجيهًا واضحًا ضد حكم الإمام يحيى، الذى خلعه من منصبه[٤٠٨].

وبهذا لم يعد آل الوزير الموجهين للزبيرى ونعمان بقدر ما أصبحوا المنسقين، فى حين أن الإنكليز أصبح لهم اليد العليا فى تسيير وجهة جميع المتآمرين بلا استثناء، ومن هنا بدأت نظرة الزبيرى ونعمان ومن لفَّ لفهم من المتآمرين تجاه آل الوزير تتغير، حيث عدُّوهم نسخة كربونية عن الإمام يحيى، ومن نفس طينته وجيله ومدرسته، بل إنهم رأوا فى قائد الحركة عبدالله الوزير صفات تفوق الإمام يحيى، تعصبًا فى النظريات الدينية[٤٠٩]، ورأوا منه إشارات لا تقل خطرًا عليهم عن خطر الإمام يحيى[٤١٠]. فالزبيرى ونعمان كانا بالنسبة لابن الوزير ليسا أكثر من جسر عبور أو حلفاء مؤقتين يستخدمهما، ثم يتخلَّص منهما بعد استنفاذ غرضه، وهذا ما شعر به الزبيرى ونعمان وجماعتهما، بعد أن لاحظا تغيرًا لابن الوزير أدهشهما، خاصة بعد توليه الحكم، وأفزع الزبيرى ونعمان أكثر تسريب نبأ أسرّه عبدالله الوزير نفسه إلى أحد الشخصيات الأكثر التصاقا به واسمه عزيز يعنى، حيث عبَّر له عن رغبته فى التخلص من الأحرار قريبًا[٤١١]؛ مما جعل الزبيرى يؤكد على أن ابن الوزير سيحطّم حركة الأحرار حال توطيد حكمه[٤١٢].

وبالرغم من أجواء الشك والريبة بين الطرفين، إلا أنه كان هناك عوامل أخرى لا يمكن إغفالها، ساهمت فى تجسير الهوة، ولزوم العلاقة بين الطرفين، وأهم هذه العوامل دور الإخوان المسلمين الذين جمعوا بين النقيضين، كما سأوضح ذلك لاحقًا فى هذا الفصل[٤١٣]، إضافة إلى خشية آل الوزير من الأنباء التى تواترت عن إمكانية ترشيح سيف الإسلام إبراهيم بن الإمام يحيى إمامًا على اليمن، مدعومًا بالدوى الدعائى الكبير فى العواصم العربية التى لم تسمع خبرًا من قبل يتعلَّق بخروج أمير على أبيه الحاكم، فتوجس آل الوزير خيفة من انتقال السلطة من الأب إلى ابنه فى أسرة حميد الدين؛ مما يغلق الباب أمام مطامعهم فى الوصول إلى عرش اليمن بعد الإمام يحيى، وتحت كل هذه الضغوط لم يجد آل الوزير بدًّا من التحالف والارتباط برجال حركة الأحرار، بالرغم من أجواء عدم

الثقة، وانعدام التماسك والتجانس الفكرى بينهما، قانعين من العملية كلها بالخلاص من أسرة حميد الدين، بوصفها العقبة الكأداء فى طريق النفوذ والثروة التى يحلمون بها[٤١٤].

هل انطلق انقلاب عام ٤٨ من أجندة يمنية خالصة ذات مشروع وطنى صرف، أم أن وراءه أجندة بريطانية التئمت مع أجندة المتآمرين؟

يقول شاعر اليمن ومؤرخها عبدالله البردونى: إن عدائية الإمام يحيى للإنكليز جرَّ عليه مؤامرات المناوئين[٤١٥]. ويقول الأكاديمى الدكتور صادق عبده على: «إن بريطانيا ركَّزت هدفها فى نيل اعتراف من الإمام يحيى فى حق بريطانيا فى الوصاية على عدن ومشيخات الجنوب، غير أن الإمام كان يعدُّ هذه المناطقَ جزءًا لا يتجزأ من المملكة المتوكلية اليمنية؛ لهذا عملت بريطانيا على دعم المتمردين ضد السلطة المركزية»[٤١٦].

ويقول الدكتور محمد على الشهارى: إن انقلاب عام ٤٨ كان يقف وراءه الاستعمار القديم؛ طمعًا فى فتح مملكة الإمام المقفلة، وإلحاقها سياسيًّا بمنطقة نفوذه المباشر فى جِنوب البلاد؛ حتى يتسنى له بسط سيطرته على اليمن كلها، وتجنيب هذا الجزء الشمالى منها من الوقوع فى قبضة الخصم الألد والمنافس الأكبر، المثل فى الولايات المتحدة الأمريكية، التى كانت تزحف إلى مملكة الإمام يحيى»[٤١٧].

ومن هذا الباب الذى استندتُ فيه على شهادات ثلاث من أبرز كتاب اليمن ومفكريها؛ نستطيع أن نربط ما بين تماهى الأهداف وتناغم الأجندة البريطانية مع أجندة القائمين على انقلاب عام ١٩٤٨م، ناهيك عن الميثاق الوطنى الذى يوضِّح هذه الحقيقة، والذى ألّفه المتآمرون كدستور لانقلابهم، وبقراءة سريعة لهذا الميثاق، لا نجد فيه أى ذكر لرغبة فى تحرير الجنوب بعد التخلص من الإمام يحيى، بل نجد فيه إشارة صريحة تجعل من بريطانيا فى الجنوب جارة لها كل حقوق الجار[٤١٨]، وليس محتلا يجب محاربته، وهذا ما تهدف إليه بريطانيا التى سبَّب لها الإمام يحيى صداعًا ومتاعب لأكثر من ثلاثين عامًا، وهو يناضل بعزم لا يلين لاسترداد أراضى الجنوب المحتل. أما الانقلابيين أنفسهم فحسبنا أن نشير إلى برقية وزير خارجييتهم، التى أرسلها بعد اغتيال الإمام يحيى إلى المندوب السامى، والتى تشى بمقاصدهم فى التضحية بوحدة أراضى اليمن فى سبيل تعزيز الصداقة البريطانية، حيث تقول البرقية : «إن الحكومة الحرة المستقلة، والتى أتشرف بعضويتها؛ يسرها أن تعتمد من هذه اللحظة على صداقة بريطانيا، المؤسسة على علاقة الجوار الودية،

على أن تكون مع أية دولة عربية أخرى»[٤١٩]. فالانقلابيون لم يكتفوا بعرض الصداقة مع المحتل لنصف اليمن، بل أبدوا تفضيلهم للتعاون مع بريطانيا المحتلة، على أن يتعاونوا مع أى دولة عربية.

أما عن بريطانيا وإن كانت فيما سبق قد غسلت يدها من الإمام يحيى منذ عشرينيات القرن الماضى، عندما صرّح حاكم عدن البريطانى ستيوارت بوجوب إسقاط الإمام يحيى عن الحكم؛ بسبب تصلبه أمام مساوماتها، ورفضه الخضوع لإملاءاتها[٤٢٠]، إلا أنها كانت مسيطرة على الوضع تمامًا بإدارة علاقتها مع الإمام يحيى بالأزمات، فلا يكاد يخرج الإمام من أزمة إلا ليدخلوه فى أزمة جديدة تضرب حوله طوقًا من الحصار، وتبقيه فى حالة ترقب وإرباك تمنعه من التحرر من ثقلهم السياسى، وتفوّت عليه أية فرصة لالتقاط الأنفاس للتفرغ للبناء الداخلى، أما وقد دخلت الولايات المتحدة الأمريكية على الخط بعد الحرب العالمية الثانية بتوقيع اتفاقية عام ١٩٤٦م مع الإمام يحيى، فالسيل قد بلغ الزبى، إلى حدّ دقّ نواقيس الخطر على المصالح الاستراتيجية البريطانية، ولم يعد يجدى نفعًا أن تتبع بريطانيا سياسة الاحتواء والنفس الطويل، اللتين اتبعتهما سابقًا مع الإمام يحيى، بل وجب عليها حسم الموقف سريعًا قبل أن يخترق الإمام الخطوط الحمراء بإدخال قوى جديدة قادرة على منازعة المصالح البريطانية فى جنوب الجزيرة العربية، وفى هذا السياق يقول الدكتور الشهارى: «كان على المخابرات البريطانية فى عدن أن تتحرك دون إبطاء، وأن تستبق الولايات الأمريكية قبل فوات الأوان، وأن تضرب ضربتها السريعة الحاسمة، ولم يعد يهم وزارة الخارجية البريطانية وقد قررت الإجهاز على حكم بيت حميد الدين، وكسر ساق الاستعمار الأمريكى المتكالب المتغول؛ أن تراعى حتى شكليات البروتوكول والمجاملات الدبلوماسية، فعندما قدم سيف الإسلام عبدالله بن الإمام يحيى إلى عدن، قلب الإنكليز له ظهر المجن، وأشاروا عليه بالرحيل»[٤٢١].

وعلى الرغم من أن الإنكليز كانوا يدركون هشاشة رجال حزب الأحرار ومن لفّ لفهم من المتآمرين، ويدركون افتقادهم إلى التجذر والارتباط بالقاعدة الشعبية؛ بدليل الخطاب الذى وجهه المندوب السامى البريطانى فى عدن إلى وزير شؤون المستعمرات بتاريخ ٢١ ديسمبر من عام ١٩٤٦م، والذى يقول فيه: «إن حزب الأحرار لن يتمكّنوا من النجاح بأنفسهم إلا بمساعدة حكومة أجنبية، حيث إن نشاطاتهم تقتصر على إحداث اضطراب

غير مثمر، ويستطيع الإمام يحيى أن يقضى على حركتهم إن أراد بقتل بعض رجالهم؛ لأن روح هذه الحركة غير قوية»[٤٢٢]، وبدليل ما عبَّر عنه الضابط محمد حسن، وهو أحد أعضاء البعثة العسكرية العراقية المتواجدة فى اليمن لتدريب الجيش اليمنى، حيث يقول عن حزب الأحرار: «إنهم جماعة طامحة بلا مؤهل، وبلا شعبية، وليس لى مكسب من الإمام أو المعارضة، فلا أبالغ إذا ما قلت: إن المعارضة تتكوَّن من خمسة أشخاص، أما نجل الإمام إبراهيم الذى التحق بهم، فهو من صغار أولاد الإمام، ومن أقلهم شأنًا»[٤٢٣].

وفى سبيل تحقيق بريطانيا لأجندتها الخاصة فى التخلص من الإمام يحيى، لم تجد أمامها من فئة يمنية مستعدة للتواطؤ، سوى هذه الزمرة من الرجال المسميين بالأحرار؛ مما شجَّع الإنكليز على احتضانهم فى سبيل استغلالهم، وفى هذا الصدد يقول الدكتور محمد على الشهارى فى كتابه (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال): «إن الاستعمار البريطانى الذى لم يتمكَّن من النفاذ سياسيًّا إلى مملكة الإمام المقفلة فى وجهه، والذى لقى مقاومة مستمرة إيجابية وسلبية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، والذى لم يكتفِ بعقد معاهدة صنعاء، التى حصل عليها بالقوة، وأتاحت له فرصة أن يحكم اليمن الجنوبى لمدة ٤٠ عامًا، مع احتفاظ اليمن بحقوقها القانونية، والذى يئس من إقناع إمام صنعاء، وحتى بالضغط، بأن يحكم باسم ملك بريطانيا. هذا الاستعمار إزاء عناء وتعنت وتمرد ابن حميد الدين، الذى رفض أن يسلس قياده له، كما فعل غيره من ملوك وحكام العرب الآخرون، وجد فى حركة الأحرار اليمنيين حلمه المنشود، والقبضة الصالحة التى يضرب ويؤدب بها يحيى حميد الدين، ويقوّض بها مملكته الموصدة فى وجه أطماعه الاستعمارية»[٤٢٤].

ويضيف الدكتور الشهارى قائلاً «وهكذا تقدم حزب الأحرار، الذى كان للمصالح الإنجليزية بمثابة حصان طروادة، والذى لم يكن يعدو أن يكون عاصفة سياسية منطلقة فى نفس مهب واتجاه الأطماع الاستعمارية البريطانية، حتى ولو رفع مطالب إصلاحية إلى تنفيذ المهمة السياسية الموكولة إليه، والمتفقة مع حدود رؤيته السياسية إلى تنفيذ المخطط السياسى، الذى تم بحثه والاتفاق عليه سلفًا مع المعتمد البريطانى المستر سيجر، المختص والمتابع لمسار حركة المعارضة، والصديق الشخصى لأحمد محمد نعمان، كما يقر بذلك نعمان نفسه دون أدنى حرج»[٤٢٥].

والحقيقة أنه لم يكن فى أجندة الإنكليز اغتيال الإمام يحيى لمجرد الاغتيال، بقدر ما كان الهدف دفع توغل الولايات المتحدة عن مناطق نفوذهم فى جنوب الجزيرة العربية، وإبقاء

اليمن فى إطاره الجغرافى الضيق تحت نظرهم عبر تعميق التشطير بين الشمال والجنوب، وإشعال العداوات المذهبية بين الشافعية والزيدية فى اليمن[٤٢٦]، واستخدام النعرات العنصرية والعرقية؛ لخلق التناقض بين العدنانيين والقحطانيين[٤٢٧]، وهذا هو عين ما فعله رجال حزب الأحرار، الذين كانت أدبياتهم وطروحاتهم الفكرية متماهية مع المخططات البريطانية فى تعميق التشطير، وإشعال العداوات المذهبية والعرقية. فبريطانيا أوقدت نار الفتنة الطائفية والعرقية، وكان الحطب هو كتابات رجال حزب الأحرار وأدبياتهم وأشعارهم، وأسوق للقارئ مقتطفات من تلك الكتابات والأشعار التى تشى بهذه الحقيقة.

يقول محمد عبدالله الفسيل، وهو أحد رجال حركة ٤٨ البارزين فى سياق أفكاره للتخلص من الملكية فى اليمن: «إن فكرة تقسيم اليمن إلى منطقتين: زيدية وشافعية فى كل منها حكومة، يجب أن تنفذ فى أقرب وقت ممكن»[٤٢٨].

أما زميله عبدالرحمن الإريانى، الذى أصبح ثانى رئيس جمهورية لشمال اليمن، فيرى فى سياق مطارحاته الفكرية مع محمد أحمد نعمان فى كتاب (من وراء الأسوار) «إن الطريق الصحيح للتخلص من الملكية الهاشمية، هو بانفصال اليمن إلى دولتين زيدية وشافعية؛ حتى يتخذ من الدولة الشافعية قاعدة للتخلص من دولة الإمامة الزيدية فى فترة لاحقة»[٤٢٩].

أما زميلهم على ناصر العنسى، فيبرر تواطؤ المتامرين مع بريطانيا بقوله: «إذا لم تكن الأمة واعية ولا شاعرة بمصلحتها، ولا بما يضرها وما ينفعها، وإنما هى اتباع كل ناعق وعبيد القوى، ولو كان شرًّا عليها، ففى مثل هذه الحالة لا بأس على قادتها من أجل مصلحتها أن يستعينوا بدولة أخرى لإنقاذها، ولو قدموا لهذه الدولة المنقذ ة ثمنًا أو بعض الثمن من مصالح الأمم المنقذة»[٤٣٠].

أما الزبيرى فيتجلى إذكائه لنيران الطائفية وعزفه على مشاعرها فى اليمن فى أشعاره وكتاباته التى ما فتئت تطلق الأحقاد من عقالها، وتستثير الوحش الطائفى الكامن فى الأعماق؛ لتفتيت وحدة المجتمع اليمنى، وفى هذا الصدد يقول الدكتور محمد بن على الشهارى: «إن الزبيرى يزودنا من ذات نفسه ودون انتظار مساءلة بوثائق لا تقبل التأويل، تحدِّد ليس فقط انتماءه، بل وتعصبه الطائفى، فالزبيرى إذًا ليس طائفيًّا فقط، إنما هو متعصب للطائفية أيضًا»[٤٣١]، وحتى لا يعتقد البعض أن الدكتور الشهارى يرمى الكلام

على عواهنه، أسوق للقارئ مقتطفات طائفية مما كان يبثه الزبيرى فى أشعاره، على شاكلة الحوار الذى أداره فى مخيلته المريضة بين الراعية العجوز الشافعية المذهب، وعسكرى الإمام الزيدى المذهب، فى محاولة منه لتصوير الإمام يحيى وكأنه طاغية يهدم بيوت رعيته من الشوافع المساكين، ويفرض عليهم الجزية، وكأنهم رعايا ذميين غير مسلمين، إذ يقول:

الراعية:

يارب كيف خلقت الجند وليس لهم عندى طعام ولا شاء ولا نعم
ويلاه مالى أرى وحشًا وبندقه أذلك العسكرى الغاشم النهم

العسكرى:

نعم أنا البطل المغوار جئت الى عجوزة لم يهذب طبعها الهرم
إنا جنود أمير المؤمنين فلم لا تذبحى الكبش يا حمقاء دونهم
أين الدجاج وأين القات فابتدرى إنا جياع وما فى حيكم كرم

الراعية:

يا سيدى ليس لى مال ولا نشب ولا ضياع ولا قربى ولا رحم
إلا بنى الذى يبكى لسغبة وتلك أدمعة الحمراء تنسجم
ماذا يريدون من جوعى ومبغتى إنى لكالحمل المشوى بينهم
يطلبون زكاة الأرض ليس بها إلا الحمام وإلا الحجر والرخم
أم جزية الكوخ لا كانت جوانبه السودا ولا نهضت فى ظله قدم

العسكرى:

إنى إذا راجع للكوخ أهدمه يا شافعية إن الكذب دأبكم[٤٣٦]

أما عن تأسيس الزبيرى لوعى أهوج فى اليمن، يقترب من درجة الهمجية، فيتجلى فى تبنيه لجرثومة العرقية، وتغذيته لنعرتها وعنجهيتها، فقد سبق مرضى النفوس فى مصر، ولبنان، والعراق، والمغرب العربى، ممن دعوا إلى الفرعونية، والفينيقية، والآشورية، والبربرية؛ بدعوته إلى الحميرية، والمبالغة فى تعظيمها وإجلالها، وتقديس رموزها فى

كل طروحاته وأشعاره ولفتاته، ولكأن الإسلام لم يحررنا بعد من دعاوى الجاهلية. والعرق الحميرى فى عرف الزبيرى، هو وحده سيد اليمن، ويجب على كل اليمنيين كافة. تمجيده دون باقى الأعراق، يتجلى ذلك واضحًا فى قوله: «أنا لا أعرف فى بلادى شافعية أوزيدية، وإنما هى حمير وحدها سيدة بلادها»[٤٣٣]. و ليت أن الزبيرى بدلا من حبس اليمن فى إطار الهوية الحميرية، رفع شعار إخوة الدين والوطن، بدلا من إلهاب حس الجماهير بدعاوى الجاهلية، كما هو متجسد فى المقتطفات التالية من أشعاره:

أيـن السـلالـة مـن معيـن وحميـر   هـل أيقظـوا الـدنيـا لهـم أم نـامـوا
هـل سـابقـوا الأقطـار فـى وثبـاتهـا   هـل حلقـوا حول النجوم وهاموا[٤٣٤]

أما عن ضيق الزبيرى بالمعنى الوطنى الجامع لكل الطوائف والأعراق فى اليمن، ومحاولته إفقار وتجريف معنى المواطنة، بحصرها فى العرق الحميرى فقط، فيتجلى فى المقتطف التالى من إحدى قصائده التى تقول:

نحن شعب من النبى مبادينا   وفـى حميـر دمـانـا الـزكيـة
أرضنا حميرية العرق ليسـت   أرض زيدية ولا شـافعيـة[٤٣٥]

والشىء المثير للسخرية، أنه بالرغم من اللغة العرقية والطائفية غير المسؤولة التى اعتمدها الزبيرى فى أدبياته، والتى كان من شأنها تسميم الأجواء، وتكسير الأواصر، وغرس قيم التنافر، وتوريث الأجيال القادمة جرعات من الكراهية، وكمًّا من الأضغان والأحقاد يودى بالبلاد إلى شفير الهاوية؛ وجدنا البعض من محازبى الزبيرى يبحثون عن مخرج يبقى له شيئًا من مكانته، بعد انكشاف عواره العرقى والعنصرى، ومن هؤلاء الدكتور عبدالعزيز المقالح، الذى ما وجد حلا لتبرئة الزبيرى من تهمة العرقية، إلا بالسفسطة والفلسفة العقيمة فى تفسير أدبيات الزبيرى بشىء من الحيلة والتلفيق الذى يستخف بالعقول. فثقافة نبش التاريخ، وإثارة النعرات السلالية، والعرقية، والطائفية التى اتخذها الزبيرى منهجًا ونبراسًا له، فسرها المقالح بأنها ما هى إلا أداة لتحفيز الأجيال الطالعة، وتذكيرها بما كان للأجداد على هذه الأرض من حضارة، وبما ما يزال على الأرض من آثار تبعث الطموح، وتدفع إلى الإبداع والابتكار، وإلى الوقوف فى وجه القلة المالكة والمتحكمة[٤٣٦].

وفى مقابل اتخاذ الزبيرى وتلاميذه المتشنجين شعارات القحطانية والحميرية أدوات لإشاعة الفوضى، والتهييج العرقى، والتعبئة العنصرية فى اليمن فى عهد الإمام أحمد، وجدنا الإمام أحمد خلافًا لرعونة الزبيرى وتلاميذه يتخذ من شعارات القحطانية والحميرية أدوات لإثراء التنوع الوطنى، فكم من كتب، ومصنفات، وجدليات فكرية وثقافية قحطانية وحميرية سمح الإمام أحمد بتداولها بلا حساسية، ودون أن يشعر بالغضاضة تحت شعار تنوع الهوية اليمنية ومفهوم المواطنة الكاملة، ويستطيع أى محلل أن يتابع الكتب التى نُشرت فى عهد الإمام أحمد عن تاريخ ممالك اليمن القديمة، والروايات التى تتحدث عن ملوك حمير وبلقيس ملكة سبأ، والقصص عن وضاح اليمن، والقصائد المحسوبة على شخصيات تاريخيية قحطانية ناصبت الأئمة العداء، وخالفت منهجهم الفكرى، مثل نشوان بن سعيد الحميرى، بل بلغت شفافية الإمام أحمد بأن سمى طائرات الدولة وبواخرها بأسامى تاريخية حميرية وقحطانية، كبلقيس ومعين وشبام[٤٣٧].

أما عن المكانة الاجتماعية للأسر القحطانية، وسياسة العدل والتوازن التى اتبعها الأئمة يحيى وأحمد فى التعيينات الإدارية، فيستطيع أى مراقب أن يحصى أن الأكثرية الساحقة من المسؤولين البارزين فى بلاط الإمامين كانا من القحطانيين، الذين ضارعوا الهاشميين فى المكانة الاجتماعية، ويعترف بهذه الحقيقة حتى الأعداء التقليديون للإمامين يحيى وأحمد، ومنهم محمد أحمد نعمان الذى يقول: «كان الإمام يحيى يتكئ على عكاز آخر من غير الهاشميين، إلى جانب العكاز الأول المتمثل فى الأسر الهاشمية، وهم من فئة القضاة القحطانيين، الذين قوى مركزهم فى ظل الإمامة، فكونوا أسرًا تضارع الأسر الهاشمية فى المكانة الاجتماعية والأثر السياسى والثراء. أراد الإمام يحيى من إبراز هذه الأسر على مسرح السياسة أن يضع توازنًا مع الشخصيات الكبيرة من الأسر الهاشمية»[٤٣٨]، وهذا لم يكن ليتم لولا البيئة الصحية التى كان الإمامان يحيى وأحمد يسعيان لسيادتها فى اليمن، والتى تؤشر على خلو ذهنيتهما من عقدة التمييز العنصرى، والتشنج العرقى، والضغائن التاريخية التى كانت معشعشة فى ذهن الزبيرى ونعمان. أما إذا تأملنا ما كانت تنشره الصحف الرسمية فى عهد الإمام أحمد من مضامين ودلالات، فسندرك كيف كانت الدولة الإمامية حريصة على تعزيز الوحدة الوطنية، وشجب التمييز بين طوائف المجتمع، ومن ذلك المقتطفات التالية من جريدة النصر، المتحدثة الرسمية باسم الحكومة، والتى تقول فى أحد أعدادها:

«لا شمال ولا جنوب،ولا زيدية، ولا شافعية، ولا عدنانية، ولا قحطانية إننا أمة يمنية واحدة»

والشافعي أخو الزيدي يكرمه فلا خلاف ولا ضد واضداد
وكلنا اخوة والحب رائدنا فلا عداء ولا غل واحقاد[٤٣٩]

ومقابل الشفافية والحكمة التى أبداها الإمام يحيي وابنه الإمام أحمد فى خلق التمازج والتناغم والميل بين مكونات المجتمع اليمنى، أسوق للقارئ مواقف أخرى للزبيرى تعبر عن هوسه فى خلق التناقض بين اليمنيين، ومرضه فى إطلاق الأحقاد التاريخية واستثارتها من رقادها، ومن هذه المواقف تصويره إعدام الإمام أحمد للشيخ حسين الأحمر ونجله حميد، بعد خروجهما المسلح على الدولة عام ١٩٥٩م[٤٤٠] بكربلاء الجديدة[٤٤١]، فهل كان يحاول الزبيرى استرجاع آلام الماضى وجدليته بإعادة إنتاج جراحات كربلاء بشخوص جديدة، وهى التى شغلت فيما مضى المسلمين فى مآسى الصراعات والانقسامات الطائفية والعنصرية لأكثر من ألف وأربعمائة عام، أم ماذا كان يقصد الزبيرى من إعادة سيرة هذه المأساة بتشبيهه الأخرق، الذى ينمّ عن ذوق ردئ وحس غير سليم، فيه نكء للجراح، وإدخال لليمن فى نفق مظلم من الانقسامات والأحقاد والفتن التى لا تبقى ولا تذر؟ فمن المعروف أنه بعد أن أعدم الإمام أحمد الشيخ حسين الأحمر ونجله حميد بتهمة الخروج المسلح على الدولة، وجدنا الزبيرى يتباكى عليهما مشبههم بشهداء كربلاء، مع أن الحقيقة التى لا جدال فيها، هى أن الزبيرى ونعمان هما الجهة التى كانت تقف خلف توريط الشيخ حميد الأحمر ووالده فى فتنة هذا الخروج المسلح على الدولة، عندما نفخا فى روعهما هاجس السلطة[٤٤٢]، حيث قاما بإقناع حميد الأحمر بالاشتراك معهما فى مؤامرة لقلب نظام الحكم، على أن يكون هو على رأس الدولة، ونائبه أحد رجال حزب الأحرار[٤٤٣]، ومن تلك اللحظة بدأ الحس يشيع فى نفوس بعض المشايخ لتأسيس دولة سلاطينية قحطانية خاصة بهم، فتجمعوا فى صنعاء أثناء غياب الإمام أحمد للعلاج فى روما، وبدؤوا تحركاتهم بزعامة الشيخ حميد الأحمر[٤٤٤] بالسير فى مواكب على ظهور الخيول، وهم يطلقون الرصاص فى الهواء فى شوارع العاصمة صنعاء[٤٤٥]، مرددين زوامل قبلية بطريقة استفزازية صادمة تقول:

سلام يا حاشد ويا صبة بكيل   من بعد هذا تسمعون أخبارها
إمامنا الناصر ومن بعده حميد   سبحان من رد العوايد لأهلها[٤٤٦]

إلا أن الإمام أحمد بلغته تلك التحركات التى اشتم منها مؤامرة تريد أن تحول الدولة فى اليمن إلى سلطنات على غرار وضع سلطنات الجنوب[٤٤٧]، فما كان منه إلا أن قطع رحلته العلاجية، وعاد إلى صنعاء من روما؛ للقضاء على الفتنة فى مهدها، فما كان من الشيخ حميد الأحمر ووالده حسين إلا أن خرجا خروجًا مسلحًا على الدولة؛ مما تسبَّب فى إعدامهما[٤٤٨]. وليت أن الزبيرى ونعمان اكتفيا بجانب التحريض على الخروج المسلح على الدولة، بل قاما بحرف الصراع عن مساره الطبيعى، بتحويل المواجهة السياسية مع الإمام أحمد، التى هى عمل قد يكون لدى البعض متفهمًا ولا غبار عليه، تحت دعاوى المعارضة السياسية، ومحاربة الاستبداد، حوّلا تلك المواجهة إلى صراع عرقى عنصرى غير مشروع، عماده التعصب للذؤابة القحطانية والحميرية، وفى هذا الصدد يقول الدكتور الشهارى: «إن الزبيرى لم يدعو لجمهورية وطنية ديموقراطية، إنما إلى سلطنة إقطاعية طائفية قبلية عرقية مستعلية، يكون على رأسها شيخ من قبيلة همدان»[٤٤٩].

أما عن إلباس الزبيرى للأحداث فى اليمن لباسًا طائفيًا عرقيًا، فيقول الدكتور الشهارى عن ذلك: «إن الطائفية والعرقية كانت أحد الأسلحة التى استخدمتها المعارضة فى مناواءات الحكم الإمامى[٤٥٠]»، ويكفى أى متابع أن يلقى نظرة سريعة على طروحات الزبيرى ونعمان الفكرية والأدبية، للتدليل على هذه الحقيقة التى فتحت شهية الشيخ حميد الأحمر وأبيه، للخروج المسلح على الدولة، حتى الدكتور عبدالعزيز المقالح، المصنف لدى الجميع على أنه من تلاميذ ومحازبى الزبيرى وأشياعه المقربين المستميتين فى الدفاع عنه، لم يتمكّن من إنكار حقيقة الأجواء العنصرية التى بدأت تشيع فى اليمن ببركات الزبيرى ونعمان، حيث يقول فى كتابه (الشعر المعاصر فى اليمن): «وجدت هذه النزعة العرقية الجاهلية مجالها الخصب لدى بعض الأسر الإقطاعية المتنافسة من الجانبين القحطانى والعدنانى، وكادت هذه الأسر تنجح فى أن تنحرف بالصراع فى اليمن عن مساره الطبيعى، وأن تترك صدعًا فى بناء المجتمع اليمنى المعاصر، وأن تحول الصراع ضد الأسرة الحاكمة والإقطاع إلى صراع متخلف قائم على نعرات عرقية لا سند لها من علم أو تاريخ»[٤٥١]، واستشهد كذلك بما كتبه محمد بن أحمد نعمان، فى محاولة منه لتبرئة ساحته هو وأبيه من تهم

العرقية والعنصرية بإلقاء اللائمة على الزبيرى بقوله: «إن جرثومة العرقية انتقلت إلى اليمن، ليس فى إطار الوعى السياسى فقط، بل وفى إطار الأدب الحديث الذى بدأ مع شعر الزبيرى وغيره، ممن بعثوا رموز القحطانية فى صور شعرية متفاوتة[٤٥٢]، وتناسى نعمان كتاباته هو وأبوه، بما تحمله من نبرة عنصرية مفعمة بالعرقية ونبش للأحقاد التاريخية، إلى درجة تمجيدهم للأسود العنسى، وعدهم إياه بطلا قوميًّا يمنيًّا ينافح عن حقوق اليمنيين فى مواجهة التسلط القرشى[٤٥٣]، وتفسيرهم لتاريخ اليمن وأحداثه من زاوية عرقية وطائفية بحتة أساسها الصراع بين القحطانية والعدنانية[٤٥٤]، وشحنهم للنفوس ضد الطائفة الهاشمية بقولهم: إن الهاشميين سبب الدماء اليمنية البريئة التى التى فاضت عبر اثنى عشر قرنًا[٤٥٥]، فلا عجب إذًا أن نجد أن الاستهداف المنهجى للطائفة الهاشمية فى اليمن منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر إلى ما قبل قيام ثورات الربيع العربى، ومحاولة تجريدهم من حقوق المواطنة، بوصفهم فى وسائل الإعلام أجانب وافدين من الحجاز، والإصرار على إقصائهم عن المراكز المؤثرة نحو هامش المجتمع، وممارسة الإرهاب الفكرى تجاههم، بمحاولة اجتثاث إرثهم الثقافى وتراثهم الفكرى، ومحو أى أثر إيجابى لهم عبر التاريخ، وأخيرًا الاضطهاد والسادية التى واجهوها على غرار محاكم التفتيش فى القرون الوسطى خلال فترة حروب صعدة العبثية مؤخرًا، التى أصبح فيها مجرد الانتساب للبيت النبوى الشريف تهمة، ومجرد ذكر فضائل آل البيت جريمة يعاقب عليها المرء وتستباح فيها دمائه ،نجد التفسيروالجذور العميقة لكل ذلك فى فكر الزبيرى ونعمان، الذين حوّلا بامتياز التنافس بين اليمنيين من دائرة الخيارات السياسية إلى دائرة العناوين العصبوية العنصرية، إلا أن هذا التضييق وهذا الاضطهاد والقمع الذى مُورس تجاه الهاشميين فى اليمن لعشرات السنين لم يفلح، بل كان هبة من السماء لهم، ساعدهم علي الصمود الأسطورى، إذ صاحبه شعور بالتحدى وإشعال للحماسة؛ مما أخرج لنا ذلك المارد الزيدى الهاشمى الذى رأيناه يخرج مؤخرا من قمقمه فى جبال صعدة متمدداً نحو كل أقاليم اليمن، والفضل فى ذلك يعود إلى أولئك الأغبياء الذين لم يقرؤوا التاريخ جيدًا، واعتقدوا ببلاهة مفرطة أنهم سيتمكَّنون من تحقيق ما فشل فى تحقيقه الجبابرة عبر أكثر من الف عام ابتداءً من بنى أمية، ومروراً ببنى العباس، وانتهاءً ببنى عثمان.

وفى مقابل أدبيات الزبيرى ونعمان القائمة على قاعدة العناوين العنصرية والطائفية، نجد أن الإمام أحمد كان بعيدًا كل البعد عن هذه اللوثة العقلية، حيث إنه لم يكن معنى

لا بهاشمية ولا بقحطانية، بقدر عنايته بالحفاظ على أمن الدولة، إلى درجة أنه لم يستثنِ أحدًا ممن أفسد فى الأرض من العقاب، بما فى ذلك أبناء عمومته الهاشميين، الذين أصدر فى حق الكثير منهم أحكامًا شرعية بالإعدام؛ لانتهاكهم الحرمات مثلهم مثل غيرهم، ولعله من المفيد التذكير فى هذا الصدد بقضية شرف المرونى المشهورة، التى وثقها الكثير من الكتاب والمسؤولين اليمنيين فى كتاباتهم ومذكراتهم، كمذكرات وزير الطيران السابق، العقيد عبد الرحيم السرورى، إضافة لما وثقه العميد محمد بن على الأكوع فى آخر مؤلفاته الكتابية عن شخصية الإمام أحمد، حيث كتب العميد الأكوع عن مشاهدته مقتل قاضى مدينة تعز أحمد الجبرى وأخيه، وسحل جثتيهما فى الشوارع على يد شرف المرونى خلال فترة غياب الإمام أحمد فى روما للعلاج، إضافة إلى إحراق المرونى لبيت محافظ العاصمة يحيى العمرى عمدًا[٤٥٦]، فما كان من الإمام أحمد إلا أن أمر بعد عودته إلى صنعاء من رحلته العلاجية بإنفاذ حد الحرابة والإفساد فى الأرض على شرف المرونى، والقاضى بقطع يده ورجله من خلاف، مع العلم أن شرف المرونى كان من أبناء عمومة الإمام أحمد الهاشميين، وضحاياه كانوا جميعًا من القحطانيين، إضافة للأحكام الشرعية التى أصدرها الإمام أحمد بحق أقرب الناس إليه، ومنهم سيافه الوشاح، الذى كان من خاصته وأصدقاء طفولته المقربين، القائمين على حراسته الشخصية، كيف أنه بعد أن قتل الوشاح مواطنًا بريئًا لم يحابه الإمام أحمد فى الحق، وأمر بإنفاذ حكم الشرع فيه وهو يبكى، بعد أن فشلت مساعيه وتوسلاته لأولياء الدم لقبول الدية.

والمفارقة هنا أن الزبيرى عدَّ أن موقف الإمام أحمد العادل هذا فى إنفاذ حد القصاص الشرعى فى حق الوشاح غدرًا وخيانة لصديق عمره[٤٥٧]، بل بلغ عدل الإمام أحمد فى تعامله مع كافة طوائف اليمن على قاعدة المواطنة المتساوية، إلى درجة أنه لم يتورع عن إنفاذ حكم الشرع فى حق اثنين من إخوته، وهم سيف الإسلام عبدالله، وسيف الإسلام العباس، بعدما خلعا الطاعة، وخرجا خروجًا مسلحًا على إمامته[٤٥٨].

أما الزبيرى فلم تقف همته فى تحويل الصراع السياسى إلى صراع عرقى وعنصرى عند حد تشبيه مصرع حميد الأحمر وأبيه بكربلاء الجديدة، بل ليستكمل الزبيرى مخططه فى الدس والوقيعة، وإذكاء الفتنة بين الطوائف والأعراق فى اليمن، علت همته بتوجيه أصابع الاتهام للإمام أحمد بفبركة وثائق خطية مزورة بقلم الشيخ حميد الأحمر، تدعو إلى قتل

الهاشميين واستئصالهم من اليمن، ليعطى نفسه مبررًا شرعيًّا يقتل به رجال آل الأحمر وغيرهم من المعارضين(٤٥٩). وليبرئ الزبيرى ساحته من الدس والوقيعة وإذكاء الفتنة العرقية والطائفية، وجدناه يقول: «لقد قالوا عنى: إننى ناديت بطرد الهاشميين من البلاد، وهذا بهتان مبين لفقوه لى»(٤٦٠)، إلا أنه يحق لنا أن نتسائل؟ منذ متى كان الإمام أحمد يفبرك وثائق مزورة ضد خصومه؟ وهل كان جباناً يخشى آل الأحمراو غيرهم من المشائخ ليلفق وثائق ليضربهم؟ ولماذا سيتجنى الإمام أحمد على حميد الأحمر بالذات، وهو لم يتجنَ على غيره من قتلة أبيه، الذين كانت له معهم خصومات وثارات أشد وأنكى؟ ومنذ متى عُرف عن الإمام أحمد سفك الدماء بدون سند شرعى؟ فبالرجوع إلى شهادات أعداء الإمام أحمد قبل أصدقائه، يسهل علينا تكذيب الزبيري. ومن هؤلاء الأعداء الذين شهدوا لصالح الإمام أحمد شخصيات محورية اشتركت فى انقلاب عام ٤٨، الذى أودى بحياة الإمام يحيى، مثل أحمد محمد نعمان، الذى أكد من خلال تجربته فى التعامل مع الإمام أحمد، أنه كان يتحرى الشرع فى إصدار الأحكام يراعى ولا يستهتر، وأكّد على عدم استجابة الإمام أحمد لتحريض العامة على قتله بعد فشل حركة ٤٨؛ لأن الإمام أحمد كما يقول نعمان: رفض أن يتلقى الأحكام من أفواه الناس، فاكتفى بسجن نعمان، ولم يعدم إلا من ثبتت عليه تهمة المباشرة فى قتل أبيه الإمام يحيى(٤٦١).

ومثل شهادة محمد الفسيل، الذى أكد على أن الإمام أحمد لم يعدم أحدًا إلا بحق(٤٦٢)، ومعروف من هو الفسيل، الذى لم يكتفِ بالاشتراك فى انقلاب ٤٨، بل استباح كل الحدود، إلى درجة أن تعرّض لشرف الإمام أحمد، بقذفه فى عرضه فى أحد مؤلفاته الكتابية، وفى هذا الصدد يقول الفسيل نفسه: «لو لم يكن إلا أنى ألّفت الكتاب الذى طعنت فيه شرف الإمام أحمد، لكفى ذلك حجة تقضى بإعدامى»(٤٦٣). وبالرغم من ذلك لم يقتله الإمام أحمد، بل اكتفى بسجنه التزامًا منه بالحدود الشرعية، التى لا تجيز القتل لمجرد الخصومة الشخصية. ومثل شهادة إبراهيم الحضرانى، الذى اشترك فى انقلاب ٤٨، وأكد على أن الإمام أحمد لم ينطلق انطلاقًا عشوائيًّا فى إعدام قتلة أبيه، بل أكثر من ذلك، شهد بأنه لم يعرض أحد من المتآمرين للعنف أو التعذيب، بعد أن سقطوا فى قبضته بعد فشل انقلاب ٤٨(٤٦٤).

ومثل شهادة عبدالله البردونى، الذى قال: «وعلى شدة الإمام أحمد ضد مناوئيه، فإن الشماحى نجا من عقوبة الإعدام؛ لعدم تورطه فى تأييد الانقلاب على الإمام أحمد

كتابيًّا[٤٦٥]، إضافة إلى ما ذكره القائم بالأعمال البريطاني في المفوضية البريطانية في تعز، حيث ذكر في أحد تقاريره التي كان يبعثها لحكومته، بعد أن شهد خلال فترة الخمسينيات الكثير من الإعدامات التي أمر بها الإمام أحمد، حيث شهد بالآتي: «إنه يجب إنصاف الإمام أحمد بالقول: إنه لا يعدم الناس جزافًا، بل يعمل تحقيقات شخصية، ثم يسلم البراهين المتجمعة لديه عن المتهم المدان إلى الحاكم المختص لإصدار الحكم الذى يستحقه[٤٦٦]، ناهيك عن العشرات ممن اشتركوا في انقلاب عام ٤٨، ولم يسفك الإمام أحمد دماءهم؛ لأنهم لم تنطبق عليهم الحجة الشرعية و لم يكن لهم يد مباشرة في القتل، فاكتفى بسجنهم بضعة سنوات، ثم أطلقهم وعينهم في مناصب حكومية، مثل عبد الرحمن الإرياني، وأحمد الشامي، ومحمد الشامي، ومحمد عبد القادر، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم[٤٦٧]، أفبعد كل هذه الشهادات عن تحرى الإمام أحمد الدقة في أحكام الشرع، هل ما زال هناك مجال لتصديق رواية الزبيرى عن فبركة الإمام أحمد للوثائق التي تدعو إلى تصفية الهاشميين وطردهم من اليمن، أم أنه بنظرة سريعة لمواقف الزبيرى المتذبذبة وتناقضاته التي تجرح في صدقيته، وتبيّن تفننه في بث الأكاذيب والأباطيل، وبالتمعن في أدبياته العرقية والعنصرية، وكتابات زميله نعمان الطافحة بالعصاب الطائفي المرضي، لن يرقى شك إلى أذهاننا عن صلتهما بهذه الوثائق الخطيرة، ودورهما في تغذية عقل الشاب حميد الأحمر بالمشاعر السلبية ضد الهاشميين، وزجه كالأضحية في مؤامرة لم يكن يدرك ابن الأحمر كنهها، ولا ما وراءها من مصائب. وفي محاولة ماكرة أخرى من الزبيرى لتبرئة ساحته من هذه الوثائق الخطيرة أمام جماهير اليمن، يقول: «إنني لا أعتبر الهاشميين إلا جزءًا أصيلاً من أبناء الشعب، لو نازعتني الدنيا كلها عليهم، لقاتلت في سبيل الاحتفاظ بهم، كما أقاتل من ينازعني على بلادي»[٤٦٨]، ولو أن هذا القول الجميل للزبيرى في الهاشميين لم يقابله عشرات الأقوال السلبية في حقهم، لربما صدقناه، ولكن كيف نفسر تشبيهه للهاشميين في مواضع أخرى بالفئران التي اضطلعت خلال ألف سنة من حكمهم لليمن بمهمة التخريب المستمر، وتعطيل طاقات الشعب اليمني، وتشويه إنسانيته، وإذلال كرامته، وهدم إرادة الحياة فيه، واتخاذ سلالة حمير ومعين وقتبان عبيدًا لهم؟[٤٦٩] وكيف نفسر قوله بأن الشعب اليمني كله يشعر أن العائلات الهاشمية كلها طبقة متعالية متميزة منفصلة عنه، كأنها ليست من الشعب في شيء، بل كأنها أجنبية عنه

دخيلة عليه؟[٤٧٠] وكيف نفسّر تحريضه وتهييجه للقبائل اليمنية ضد الهاشميين، بابتداعه شخصية هاشمية فى كتابه (مأساة واق الواق)، تدعو إلى إبادة قبيلة حاشد من الوجود؟[٤٧١] فهل ينسجم كل ذلك التهجم على الهاشميين مع ما يدعيه الزبيرى من محبة للهاشميين؟ وهل هو من قبيل المصادفة أن نجد أن أدبيات الزبيرى وأشعاره اليتيمة فى ود الهاشميين، إنما انطلقت من ظروف استثنائية مؤقتة، فرضت على الزبيرى التصنع والتكلف قسرًا، تحقيقًا لمصلحة شخصية وغاية خاصة، ولم تنطلق أبدًا من موقف أصلى، ولا من طبيعة تلقائية، ولا من سجية فى الزبيرى، بدليل أن المرة الأولى اليتيمة التى مدح فيها الزبيرى الهاشميين فى شعره، حين قال:

وبنو هاشم عروق كريمات ... لنا من جذورنا اليعربية
إنهم إخوة لنا غير أسياد ... علينا فتى عنصر أو مزية
أرضنا أرضهم تقاسمنا نحن ... وإياهم العلى بالسوية

إنما كانت لأغراض الدعاية الصرفة والتكسب الشخصى على إثر الحملات الإذاعية التى تهجَّم فيها عبدالرحمن البيضانى على الطائفة الهاشمية فى اليمن من إذاعة صوت العرب فى القاهرة، وما من فرصة ذهبية للزبيرى لضرب خصمه الجديد البيضانى والمزايدة عليه إلا بمدح الهاشميين، ليس حبًّا فيهم بقدر ما كان نكاية بالبيضاني، ورغبة من الزبيرى فى تلميع صورته أمام الجماهير، ليظهر نفسه بأنه أفضل وأرفع خلقًا من البيضاني، وأكثر حرصًا منه على وحدة مكونات الشعب اليمنى، والمرة الثانية التى نافح فيها الزبيرى عن الهاشميين كانت على إثر وقوع الوثائق الخطية المذكورة آنفًا، التى تدعو إلى طرد الهاشميين واستئصالهم من اليمن فى يد الإمام أحمد، وما من حبل للنجاة من هذه الوثائق الخطيرة الدامغة إلا بإظهار نفسه على أنه المحب والمنافح الأول عن الهاشميين فى اليمن، وغير ذلك الظرفين الاستثنائيين المحاطين بكثير من علامات الاستفهام، لم نسمع للزبيرى صوتًا ولا قرأنا له حرفًا إلا وهو يصب فى مهاجمة الهاشميين، ووصفهم بأقذع الصفات.

وحيث إن الزبيرى كان قد سبق له أن سنَّ لنفسه منهجًا ميكيافيليًّا يقول فيه: «إذا كانت الحرب خدعة، فالشعر أحيانًا سلاح من أسلحة الحرب، ولا بأس فى ميدان الصراع أن تكون الخدعة سلاحًا شاعرًا، على أن المعيار الحق فى وزن أقدار الرجال وآدابهم وأشعارهم لا يتجه إلى الاستثناءات، والمواقف المؤقتة، والجانبية والسطحية، وإنما ينبغى أن يتجه

إلى تقييم الاهتمامات الرئيسة ومظاهر السلوك وأهدافه، والطابع العام العميق، والنهايات الكبرى»[٤٧٢]، لن يرقى إلينا شك فى أن مدح الزبيرى للهاشميين لم يكن مدحًا بريئًا صادقًا ناتجًا عن محبة فى القلب، بقدر ما كان ذرًّا للرماد فى العيون، وخدعة كبرى نسجها الزبيرى ليصل إلى أهدافه الخفية، وفى نهاية المطاف، فإن الحجة القوية هى الغالبة.

ولمن لا يزال واقعًا فى فخ أشعار الزبيرى المزخرفة، ولا يعرف شيئًا عن حقيقة ما تنطوى عليه نفسيته من بغض للهاشميين، أسوق له رواية هنا ربما تُنشر لأول مرة، استقيتها من والدى الأمير محمد بن الحسين، والله على ما أقول شهيد، وهى أن الوالد فى الوقت الذى كان فيه قائدًا للقوات الملكية أثناء الحرب الأهلية بين الملكيين والجمهوريين، عندما بلغه انشقاق الزبيرى عن الجمهورية، وخروجه إلى مدينة برط للدعوة إلى قيام كيان لدولة إسلامية، بادر بالاتصال به عن طريق الشيخ على بن ناجى الشايف، وهو من مشايخ بكيل البارزين الذين بسطوا حمايتهم على الزبيرى فى عموم منطقة بكيل، ولقد فاتح الشيخ الشايف الزبيرى بعروض الوالد؛ لطى صفحة الماضى، والتعاون معًا بالشكل والمضمون الذى يحقِّق الخير والمصلحة العامة لليمن واليمنيين. وفى محاولة من الشيخ الشايف لإقناع الزبيرى بمساعى الوالد، أخبر الزبيرى بأنه إن كان يعتقد أن لديه مظلمة أو خصومة شخصية مع الإمامين يحيى وأحمد، فإن ذريتهما من أمراء آل حميدالدين شباب أبرياء، لم يكن لهم يد فى كل ما حصل، ومنهم الأمير محمد بن الحسين، الساعى للتعاون مع كل الخيرين من أبناء اليمن، إلا أن الشيخ الشايف ذُهل عندما رد عليه الزبيرى بقوله: «لا يمكن لى أن أضع يدى فى يد هاشمى قط، فمن باب أولى فرد من أفراد أسرة حميد الدين»، وبمجرد أن سمع الشيخ الشايف هذا الرد من الزبيرى؛ تغيَّر لونه، وامتقع وجهه من الغضب وطلب من الزبيرى المغادرة فورًا من برط وعموم أراضى قبيلة بكيل، التى بسط حمايته على الزبيرى فيها، وليبرئ الشيخ الشايف إلى الله من عنصرية الزبيرى، بعد أن تكشَّفت له سريرته، أعلن مناديه فى عموم أسواق منطقة بكيل، أنه قد رفع غطاء الحماية عنه.

هذه الحادثة كانت القاتلة للزبيرى، حيث بمجرد أن سمعت قبائل بكيل خبر رفع غطاء الحماية عن الزبيرى، أُطلقت عليه النيران من جهة مجهولة حال خروجه من مدينة برط، وهو متوجه إلى منطقة خمر ليستجير بقبيلة حاشد، فأردته قتيلا.

أما عن الشيخ حميد الأحمر، فقد يتلمس له البعض عذرا لاشتراكه فى هذه المؤامرة؛ بسبب جهله وقلة تجربته، وغرة شبابه الذى حجب عنه النوايا الخبيثة للزبيرى ونعمان الذين زرعا فى عقله فكرة الخروج المسلح على الدولة، وورطوه فى التوقيع على وثائق تدعو الى طرد الهاشميين واستئصالهم من اليمن وهو لا يدرك كنهها، ولا ما وراءها من مصائب.*

فالزبيرى ونعمان لم يكونا يمانعان فى التضحية والإفناء، ليس لابن الأحمر فحسب، بل لعموم الشعب اليمنى، فى سبيل تحقيق ذاتهم وهوس أحلامهم فى الزعامة، وحسبنا من دليل يوضِّح تورُّط أحمد محمد نعمان فى استدراج حميد الأحمر نحو شراك هذه المؤامرة قوله: «لقد كان آخر أمل لنا معلقًا على حركة ابن الأحمر، والآن خاب أملنا»(٤٧٣).

وهنا تتزاحم الأسئلة الساخنة: ألم تلتقِ أجندة المتآمرين الطائفية والعنصرية مع الأجندة البريطانية فى هتك نسيج المجتمع اليمنى؟ ألم تتوائم مشاريعهم مع المشاريع البريطانية فى تقويض نهضة اليمن، حينما قرروا ضرب أية محاولة انبعاث للبلاد تحت ظل أسرة حميد الدين، وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية؟ وهل تعليقات المفكرين اليمنيين تنبع من فراغ، حينما أكدوا على توائم المخططات البريطانية مع مخططات المتآمرين، ومنهم الدكتور محمد بن على الشهارى، الذى قال: «لقد كانت قيادة حزب الأحرار الورقة الرابحة التى رست عليها قرعة الاستعمار البريطانى فى صراعه مع الاستعمار الأمريكى على مملكة الإمام يحيى، الذى كان قد أخذ على عكس سياسته السابقة يتقرب من واشنطون؛ ليتمكَّن بمساعدتها باكتساب صداقتها من مواجهة المخطط الانقلابى الذى كانت أيدى سلطات عدن تنسج خيوطه بالتعاون الكامل مع الأحرار اليمنى»(٤٧٤).

---

* من عجائب القدر، أنه بعد ٥٤ عاماً من قضاء الإمام أحمد على فتنة حميد الأحمر العنصرية، وجدنا التاريخ وكأنه يعيد نفسه بإشعال ابن أخى الشيخ حميد، واسمه أيضًا حميد، فتنة عنصرية مماثلة لفتنة عمه، عندما هدَّد فى شهر سبتمبر من عام ٢٠١٣م بتصفية كل الهاشميين وطردهم، إلا أن حميد الألفية الثالثة فاق عمه فى انتهاك حدود الدين ومكارم الأخلاق إلى درجة الخسة والدنائة برعايته للمسلسلات التلفزيونية التى تخوض فى إعراض الشرائف من نساء بنى هاشم فى أحد القنوات الفضائية اليمنية.

ومنهم الكاتب عمر الجاوى، الذى قال: «لم ترفع حركة الأحرار شعار مناوأة الإمامة والاستعمار، بل ذهبت تغازل الاستعمار للانقضاض على الإمامة، وحين اجتمع الأحرار فى بيت الجبلى أثناء وجود الشيخ محمد أحمد باشا، طلبوا مقابلة المعتمد البريطانى لمحمية عدن؛ بقصد طلب السلاح لتحرير اليمن من ظلم الإمامة»(٤٧٥).

وبالرغم من كل تلك الشهادات والحقائق الموثقة التى تشى بعمالة رجال حزب الأحرار الواضحة للإنكليز، وجدنا كُتَّابًا فى اليمن يتلمسون لهم الأعذار فى العمالة والخدمة للمصالح البريطانية تحت دعاوى الاضطرار، ومن هؤلاء الدكتور عبد العزيز المقالح، الذى كعادته فى إضفاء طابع القدسية على الزبيرى، والانبراء لستر مخازيه هو وزميله نعمان، اعتبر ان التخلص من الإمام يحيى أولى من التخلص من الإنكليز؛ لأن التخلص من الظالم القريب حسب زعمه سوف يؤدى إلى التخلص من العدو البعيد، ويخرج اليمن من التسلط والطغيان، ويضعه على مشارف التطور والتقدم الاجتماعى والسياسى والاقتصادى(٤٧٦).

وغاب عن ذهن المقالح وأمثاله من ذوى النوايا غير الحسنة جملة حقائق، أولها أن التسلط والظلم والطغيان والاستخفاف بدماء الناس وحرماتهم، ما بدأ فى اليمن إلا مع قيام حكم العسكر، وأبسط مثال على ذلك، ظاهرة السجون الخاصة التابعة للمتنفذين من أبناء المشايخ، والتى عُذِّب فيها الكثير من الواطنين الأبرياء، إلى درجة أن تُرك الكثير منهم يموتون فى السجون جوعًا وعطشًا، دون أن يحرك المسؤولون فى الدولة ساكنًا، وقصة الشيخ صاحب الحاويات التى فطّس فيها مواطنين أبرياء فى مديرية جبل الشرق بعد أن تم سجنهم فيها، وقصة شيخ الجعاشن فى منطقة إب، وغيرها من القصص المحزنة، يعرفها القاصى والدانى فى اليمن. وثانى هذه الحقائق، أن القضية الخالدة لليمن، هى فى وحدة شعبه وسلامة نسيجه الاجتماعى، أما التخلف التنموى فلن يكون خالدًا؛ لأن التطور حتمية تاريخية، وسمة من سمات الوجود، وسوف يأتى إلى اليمن فى حينه، كما أتى إلى جوار اليمن سلميًّا فى ظلِّ القيادات التاريخية العريقة.

وثالث هذه الحقائق، أن الإمام يحيى بعد أن تراجع الشعور لديه بالخوف والريبة من السقوط فى شراك الاستعمار بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، غيَّر من بوصلة سياسته

الخارجية، مفسحًا المجال لحركة التاريخ، لتأخذ مكانها بعقد جملة اتفاقيات سياسية واقتصادية مع الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٤٦م؛ بهدف وضع اليمن على مشارف التطور والتقدم الاجتماعى، والسياسى، والاقتصادى.

ورابع هذه الحقائق، وهو الأهم، طرح التساؤل عن الاضطرار والأولويات التى يتذرَّع بها الدكتور المقالح وأمثاله؛ لتبرير عمالة الزبيرى ونعمان للإنكليز، فهل من الاضطرار فى شىء أن ينصب الزبيرى ونعمان أنفسهما وكلاء عن المصالح البريطانية فى المنطقة، إلى درجة محاربة مشاريع النهوض فى اليمن، ومعارضة استخراج النفط؟ وهل من الاضطرار والأولوية فى شىء الخروج على الضمير الشعبى العربى والإسلامى بالاصطفاف إلى جانب الإنكليز، والترويج لسياستهم، والدعم لمواقفهم فى الحرب العالمية الثانية ضد أعدائهم الألمان؟

فمن المعلوم والواضح للجميع أن ألمانيا كانت أمل الشعوب العربية والإسلامية المقاومة للاستعمار، وفضلها كان يكمن فى عدم تلطخ أياديها بالاستعمار، وقتالها للإنكليز والفرنسيين الجاثمين على صدور العرب والمسلمين؛ ولذا لم يكن غريبًا أن نجد أنه فى الوقت الذى استجابت فيه كافة الدول العربية للضغوط البريطانية فى قطع العلاقات مع ألمانيا، وإعلان الحرب عليها(٤٧٧)؛ وجدنا الإمام يحيى يتخذ موقفًا متفردًا باتصاله بالحكومة الألمانية، وعرضه عليها علاقة تعاهدية قائمة على التحالف والصداقة(٤٧٨)، فما كان من الحكومة الألمانية إلا أن أرسلت إلى صنعاء وزيرًا مفوضًا لها، دائم الاقامة فى صنعاء، ليمثِّل المصالح الألمانية فى اليمن(٤٧٩).

وزيادة فى تعزيز الإمام يحيى لعلاقته مع الحكومة الألمانية، فقد أعطى لهم واحدًا من المواقع الأولى فى التجارة الخارجية لليمن(٤٨٠)، وافتتح لهم محطة إذاعة لبث الدعاية والحملات الإعلامية ضد بريطانيا(٤٨١)، فما كان من الحكومة الألمانية إلا أن تجّملت لهذه المواقف الودية، ووعدت الإمام يحيى بأن مناطق اليمن الجنوبية، سوف تعود قريبًا إلى سابق عهدها موحدة تحت سيادة الإمام يحيى بمساعدة ألمانيا بعد انتهاء الحرب(٤٨٢). أما عن الزبيرى، فوجدناه خلافًا لمواقف حكومته ومواقف كافة المناضلين الوطنيين العرب المعادين للمخططات البريطانية فى المنطقة، أمثال الشيخ أمين الحسينى، ورشيد عالى الكيلانى، وجدناه يتخذ موقفًا سلبيًّا عجيبًا مناصرًا لبريطانيا المحتلة لنصف اليمن، ومعاديًا لألمانيا

المناصرة لقضية اليمن الوحدوية، فما الموجب لهذا الموقف المخالف لأبجديات العمل الوطني والمستفز لمشاعر الشارع العربي والإسلامي، وعلى اختلاف أصواته، لولا النكاية والانتقام، وتصفية الحسابات الشخصية مع الإمام يحيى، المعروف بعدائه للإنكليز، ولسان حال الزبيرى: يقول عدو عدوى صديقى؛ مما يشي بغلبة شهوة الانتقام لدى الزبيرى على كل ما عداها من قضايا وطنية، وفى هذا المضمار لا أجد دليلا يدين الزبيرى أفضل من أبياته التالية التى يستنفر فيها أوروبا الاستعمارية لمحاربة ألمانيا:

حطمى الأسر يا أوروبا وقومى وانثرى فى الفضاء قيود الزعيم
فإذا هاجمتك أجنحة الألمان تعثرت بالجحيم
تنزوى الأرض والسماء إذا ما وثبت فى المطار للتحويم
حملت جندها الأشاوس ينقضون منها كصاعقات الغيوم
لم يبالوا غزت بهم خط برلين أم استفتحت قباب النجوم[٤٨٣]

وشتان ما بين هذه القصائد الزبيرية فى مهاجمة الألمان، والتى تعبر عن ميزان الزبيرى المضطرب، وبين قصائد غيره من الوطنيين اليمنيين الذين وقفوا موقف الشامت من بريطانيا، ومنهم الشاعر على الحجرى، الذى يقول معبرًا عن مواقفه المعادية للإنكليز وحلفائهم فى قصيدة مطلعها:

جيش برلين فى البسيطة أمسى يكنس الغرب بالنيالق كنسا[٤٨٤]

وليت أن خدمة الزبيرى ونعمان للمصالح البريطانية اقتصرت على مهاجمة أعدائهم الألمان، بل وجدناهم عبر جريدتهم صوت اليمن، المتحدثة الرسمية باسمهم تمالئ المشاريع البريطانية فى وضح النهار وعلى رؤوس الأشهاد؛ لدرجة أن رأينا مقالات لزبيرى ونعمان كتباها لتحسين صورة الحكومة البريطانية فى الأذهان، فيما يتعلّق بسياستها وطريقة تعاطيها مع القضية الفلسطينية[٤٨٥].

أما عن تماهى الأجندة البريطانية مع أجندة الجناح الآخر من المتآمرين، المتمثل فى آل الوزير، فما من دليل أبلغ على هذ التماهى مما ورد فى كتاب مستشار الملك عبدالعزيز

خير الدين الزركلى (شبه الجزيرة فى عهد الملك عبدالعزين) عن برقية تم التقاطها بواسطة اللاسلكى السعودى، حيث يقول: «نخبركم ان إدارة اللاسلكى عندنا التقطت برقية سرية مرسلة من قائد الحركة الانقلابية عبدالله الوزير إلى والى عدن، يطلب منه إرسال طائرات بريطانية إلى صنعاء وبوارج حربية إلى الحديدة»[486].

فالإمام يحيى الذى أفنى عمره لأكثر من ثلاثين عامًا وهو يحارب الإنكليز؛ للحيلولة دون وقوع اليمن فى قبضتهم كباقى الدول العربية والإ سلامية المغلوب على أمرها، يأتينا قاتل الإمام يحيى عبدالله الوزير ليحقق امنية الانكليز فى فتح أبواب اليمن على مصراعيها لإدخال جيوشهم وطائراتهم وبوارجهم فى غمضة عين، ويرسل برقية للحاكم البريطانى فى عدن يخبره بأن اليمن قد أصبحت الحليفة المخلصة لبريطانيا العظمى، وأن حكومة اليمن الجديدة ترغب فى التعاون لأقصى الحدود الممكنة معها، فيرحب الحاكم البريطانى بسياسة اليمن الجديدة، ويطلب من عبدالله الوزير أن يرسل له تقارير يومية عن سير الأحداث فى اليمن[487]، ولكأن حاكم اليمن الجديد قد أصبح سكرتيرًا شخصياً لحاكم عدن البريطانى يمتثل لتوجيهاته وأوامره.

أما عن رئيس وزراء الحركة الانقلابية على بن عبدالله الوزير، فحسبنا أن نشير إلى إرساله لمندوبه السرى أحمد الأصنج إلى الحاكم البريطانى فى عدن عام ١٩٣٤م بصفة سرية، ومعه رساله طالبًا فيها التوجيهات فيما يستطيع أن يقوم به من خدمات لبريطانيا، مقابل دعم أسرته للوصول إلى الحكم، ومؤكدًا له أن هناك تطابقًا فى المصالح بين أسرة آل الوزير والإنكليز. ويضيف على الوزير طلبًا آخر إلى قائمة طلباته من الحاكم البريطانى فى عدن، وهو الرغبة فى تجنيد ألف مرتزق صومالى وتدريبهم فى عدن؛ لاستدعائهم إلى شمال اليمن حين تستدعى الحاجة لنصرة أسرته فى الوصول إلى الحكم[488]، ناهيك عن دوره التجسسى فى تسريب أسرار الدولة اليمنية المستقلة إلى الحاكم البريطانى فى عدن؛ كما وضحته الوثائق البريطانية[489].

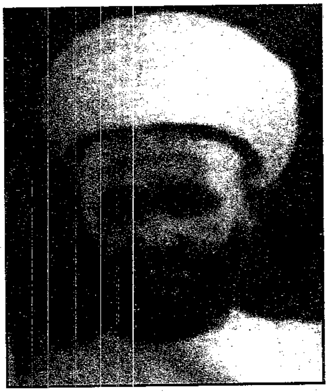

عبدالله بن احمد الوزير قائد انقلاب ٤٨ الذى طلب من بريطانيا ارسال الطائرات والبوارج الى شمال اليمن لنصرة اسرته

عبدالله بن على الوزير نجل رئيس وزراء انقلاب عام ٤٨ المشارك فى اغتيال صهره الامام يحيى، حيث كان زوجا لابنته الشريفة تقية

على بن عبدالله الوزير رئيس وزراء انقلاب ٤٨ الذى مارس دورا تجسسيا لصالح حاكم عدن البريطانى وطلب منه تجنيد الف مرتزق صومالى لنصرة اسرته

INWARD TELEGRAM

TO THE SECRETARY OF STATE FOR THE COLONIES

En Clair

FROM ADEN (Sir R. Champion)

D. 18th February, 1948.
R. 18th " " 16.15 hrs.

RECEIVED 18 FEB 1948 C.O.

IMMEDIATE.
No. 59

Addressed S. of S.
Repeated Civil Administrator Kamaran No. 7.
" H.M. Ambassador Cairo No. 7.
" H.M. Ambassador Baghdad No. 22.
" H.M. Ambassador Jedda No. 9.
" British Middle East Office Cairo No.
" H.M. Minister Addis Ababa No. 3.
" H.M. Minister Beyrout No. 25.
" Chief Administrator Eritrea No. 10.
" British Agent Eastern Aden Protectorate No. 47

1. I have received this morning a telegram addressed to me from Husain Al Kibsi conveying news of Imam's death and acclamation by people's leaders of Abdullah Al Wazir as successor and of formation of a constitutional responsible government based on the Sharia and of a representative Parliament. Message continues with cordial message of friendship with Britain. Sender signs himself as Minister for External Affairs and message is sent "on behalf of Prime Minister".

2. I have received separate telegram from Abdullah Al Wazir announcing Imam's death, stating that the Yemen will be Britain's ally and asking for reconnaissance aeroplanes to be sent as well as [illegible] to [illegible].

3. I understand information will be broadcast from Sanaa Radio at 16.30 hours GMT 18th February.

Copy sent to:
Foreign Office [illegible] Cable.

وثيقة تاريخية من وثائق الأرشيف البريطانى عن اليمن فى المجلد العاشر، صفحة٩٥، مؤرخة بتاريخ ١٨ فبراير عام ١٩٤٨م، توضّح برقية أرسلها قائد انقلاب عام ١٩٤٨م عبدالله الوزير بعد اغتياله للإمام يحيى، يطلب فيها من الحاكم البريطانى لعدن إرسال الطائرات البريطانية إلى صنعاء، والأساطيل البحرية إلى الحديدة للتعزيز من حكمه. وقوله: إن اليمن قد أصبحت بعد قتل الإمام يحيى حليفة مخلصة للإنكليز.

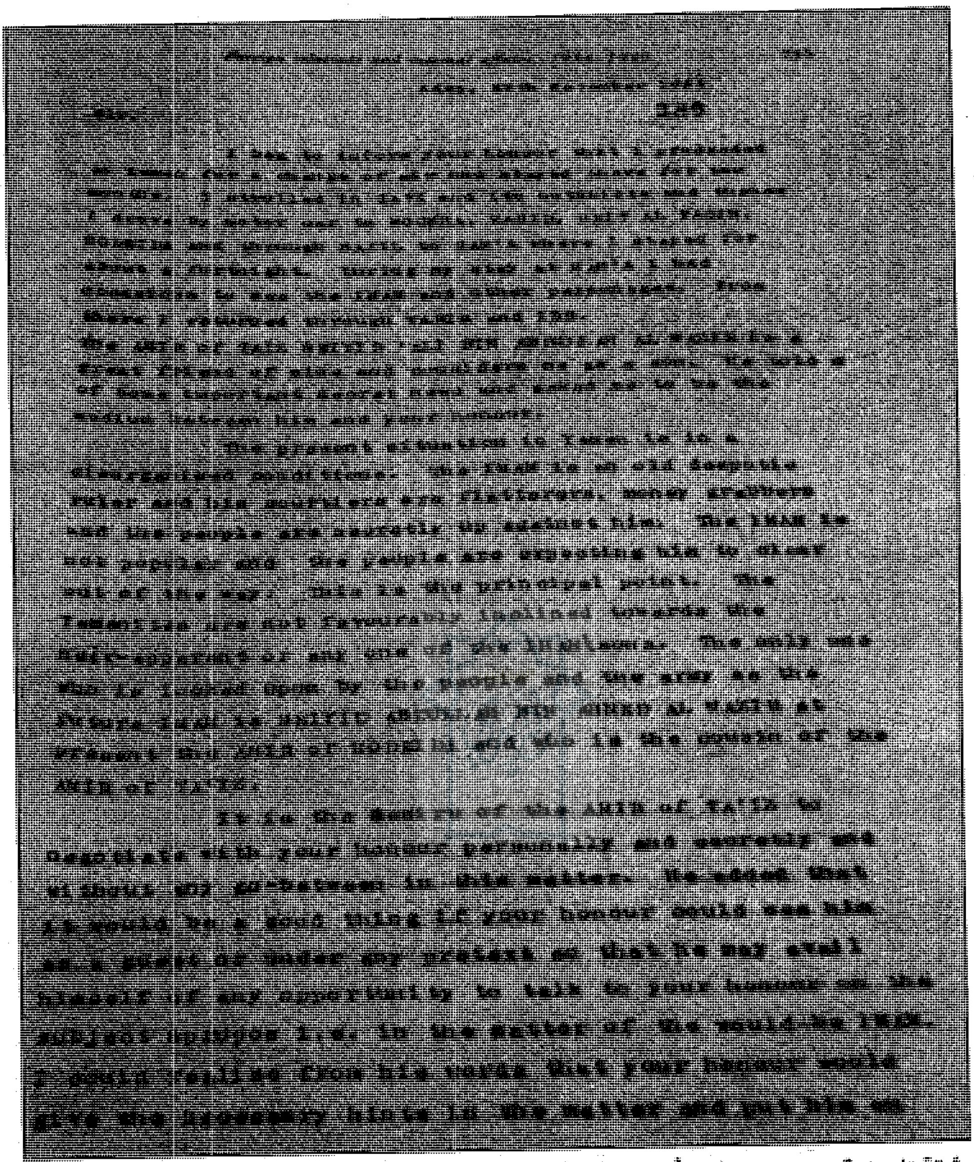

وثيقة تاريخية من صفحتين فى الأرشيف البريطانى عن اليمن فى المجلد الثامن، صفحة ٢٣٥ - ٢٣٦، مؤرخة بتاريخ ٢٩ نوفمبر عام ١٩٣٤م، توضح إرسال على عبدالله الوزير مندوبه السرى أحمد الأصنج إلى الحاكم البريطانى فى عدن لعرض خدماته، مقابل دعم أسرته فى الوصول إلى الحكم، وطلبه منه تجنيد ألف مرتزق صومالى وتدريبهم فى عدن، لاستدعائهم حين تستدعى الحاجة؛ لدعم أسرة الوزير فى الوصول إلى الحكم.

the way because he could understand from me that your honour is reasonable and frank-hearted and not like the other statesmen, and on you one can depend and confy. In short he wants your honour to hear what he has to say and to suggest to him what he can do and act upon. At the same time he wants your honour to be helpful to him and in return he would become your sincere friend. He sees your interest as identical as his. He contemplates to raise an army numbering 1000 men from among the Somalis who would be trained by your honour in Aden at his own expense until necessity calls for them.
This what he has told me and requested me to represent to your honour and expect your reply.

Regarding Italy she is already in diplomatic relations with the Yemen where she has got some helpers, and the Yemenites especially Al Wazir felt that Italy might make an inroad upon Yemen with might and main and very shortly, directly after she has come to some understanding with the British Government and with France regarding the debts due to the latter against Yemen during the time the Turks were in Yemen and on the subject of the Hodeidah Railway Company which was previously in Yemen. There is a rumour of terror prevailing in Yemen on account of Italy's aim in view.

If the Wazir people could find any helpful means to repulse the ambition of Italy and put back the [illegible]

الصفحة الثانية من الوثيقة التى تبين طلب ابن الوزير من الحاكم البريطانى لعدن تجنيد الف صومالى وتدريبهم لنصرة اسرته فى الوصول الى الحكم

هل كان انقلاب عام ٤٨ ذا طابع محلى، أم كان له طابع خارجي مستورد تاجرَ سياسيًّا بقضية اليمن، وجعل من البلاد حقل تجارب للمشاريع الخارجية؟

للجواب عن هذا السؤال، فإنه لابد من الإشارة إلى الشخصيات الأجنبية الجزائرية، والعراقية، والمصرية التى كان لها الدور المحورى الأكبر فى رسم وتوجيه هذ الانقلاب، بما يخدم مشاريعها الخارجية، وقد يتعجَّب القارئ عندما يعلم أن كثيرًا من هذه الشخصيات الأجنبية التى لا تمت بصلة لليمن، ولم تعش بين اليمنيين لأكثر من بضعة أشهر، كانوا قد عُينوا فى الحكومة الانقلابية كوزراء وقياديين، بالرغم من أنهم يمثّلون مصالح أطراف خارجية بريطانية وإخوانجية، ومنهم ممثل المصالح البريطانية جميل جمال العراقى، الذى عُيّن وزيرًا للدفاع، وممثل مصالح الإخوان المسلمين الفضيل الورتلانى الجزائرى، الذى دارت مباحثات لتعيينه رئيسًا للوزراء، إلا أن الانقلابيين رجحوا تعيينه مستشارًا للدولة؛ حفظًا لماء وجه الانقلاب[٤٩٠]، إضافة للمصرى الإخوانى مصطفى الشكعة، الذى عُيِّن مديرًا للإذاعة اليمنية[٤٩١].

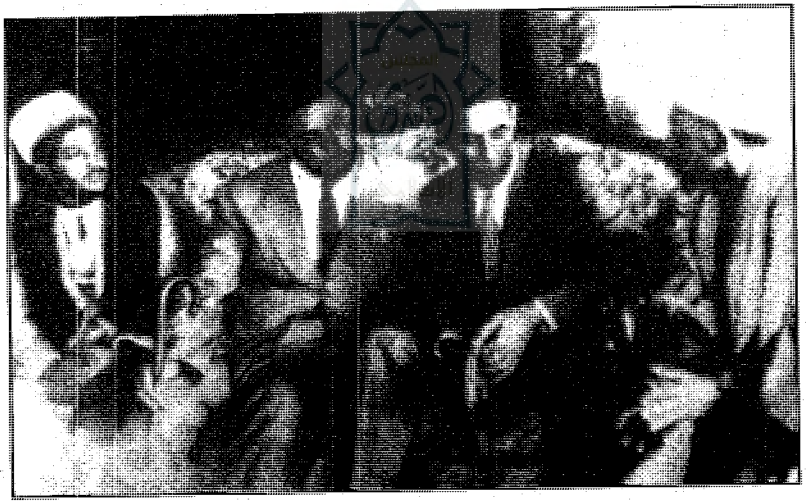

الزبيرى ونعمان وهم يطبخان فى مصر المؤامرة مع الجزائري الفضيل الورتلانى وأحد المصريين من منسوبى الإخوان المسلمين.

العميل البريطانى جميل جمال العراقى جالسًا مع طلبة الكلية الحربية فى صنعاء، حيث كان يسمم عقول الطلبة بالأفكار الثورية، ويُشكِّل الخلايا السرية فى الجيش اليمن بتوجيه من الإنكليز، للانقلاب على الدولة.

وزاد المتآمرون على ذلك بعدم تحرجهم من إرسال برقية إلى الجامعة العربية يدعون فيها عيانًا بيانًا إلى احتلال العاصمة صنعاء، حيث تقول البرقية: «فوضناكم أن تحتلوا صنعاء احتلالا، وتحكموها بأنفسكم عسكريًّا وإداريًّا، وفوضنا لكم تفويضًا مطلقًا فى طريقة حكمها، وتقرير مصير شعبها(٤٩٢)»، بل ذهبوا فى مواقفهم العبثية اللامسوؤلة واستعدادهم للتضحية بسيادة اليمن واستقلاله إلى الاعلان عن استعدادهم لقبول حكم عربى غير يمنى تشرف عليه الجامعة العربية(٤٩٣)، وكأن اليمن دولة هجينة عاجزة عن إنجاب الرجال لحكم البلاد، فاضطرت إلى استجداء رجال من الخارج للتصدير إلى اليمن.

وفى معرض الحديث عن الطابع الخارجى المستورد، أسوق للقارئ شهادات تشى بهذه الحقيقة، وردت على لسان أقطاب من رجال الحركة الانقلابية نفسها، ومنهم أحمد محمد الشامى، الذى يقول: «فى اعتقادى أن العالم المجاهد الجزائرى الفضيل الورتلانى، هو الذى غيَّر مجرى تاريخ اليمن فى القرن العشرين؛ لأن ثورة الدستور فى عام ١٩٤٨م هى

من صنعه»[٤٩٤]. ويقول: «أؤكد أن الرئيس جميل جمال العراقى كان هو الروح العسكرية لثورة الدستور، وأن أحدًا ما كان ليستطيع القيام بما قام به من تكوين الخلايا السرية فى الجيش، ولم شتات ضباطه؛ لأنه وحده بكفاءته، وإخلاصه، وصدقه، وسلوكه؛ قد ملك ثقة الجميع»[٤٩٥]، ويقول: «كانت المعارضة بلا تنظيم، واتجاهات زعمائها مختلفة ومتباينة لا توحدهم رابطة، والنقد والتبرم غير موجهين توجيهًا سياسيًا هادفًا بناءً، والطموحات تتنافس فيما بينها، وكلٌّ متربص بالآخر، وينتظر موت الإمام يحيى الذى جاوز الثمانين، والزعامات العلمية والدينية والسياسية قد خدرها الوهن، وجمدتها الأطماع والتحفزات الوطنية، وليس لها زعماء أكفاء ذوو مؤهلات قيادية، فلما جاء السيد الفضيل الورتلانى عمل ما لم يعمله أحد من اليمنيين، فوحّد شتات المعارضة فى الداخل والخارج، وأرشد المطالبين بالإصلاح والمناشدين بالتغيير والتطوير إلى طرائق العمل، وجمعهم فى رابطة وطنية، وقارب بينهم وبين أرباب الطموحات السياسية، والزعامات العلمية، والدينية، والقبلية، والتحفزات الإصلاحية من الناقدين والمتبرمين، وصهر مجهوداتهم، وأهدافهم، واتجاهاتهم، وآمالهم، وأمانيهم فى بوتقة الميثاق الوطنى المقدس». ويؤكد أحمد الشامى جازمًا بأن أحدًا ممن سماهم بالمناضلين اليمنيين لم يحاول، أو فكر أن يحاول بأن يجمع شتات القوى الوطنية ويوحدها فى جبهة متحدة لها ميثاق وطنى مقدس قبل أن يصل إلى اليمن الفضيل الورتلانى[٤٩٦].

أما الزبيرى فيعترف بعد فشل الانقلاب بالطابع الخارجى المستورد له، متحسرًا على تحوله على يد تجار السياسة العربية إلى مطية وحقل تجارب لمشاريعهم السياسية الخارجية، حيث يقول: «إن تفكيرنا من أساسه كان مجلوبًا من السوق السياسية العربية، بما فيها من جمعيات، وأحزاب، وصحف، ومحاضرات، وزعماء، ودجالين، ممن أفسدتهم ولوثت ضمائرهم الخصومات والأغراض والنزعة التجارية بمصائر الشعوب. لقد تقبلنا منهم كل شيء، وتحمسنا له، وجعلنا لأنفسنا منهم مثلاً عاليًا، وحملنا أنفسنا وعائلاتنا ما لم يستطع أن يتحمله أحد سوانا، وذلك بناء منا على أنهم أبرار أتقياء يقولون ما يعتقدون، ويرونه حقًّا وصوابًا، وقد تبيَّن لنا بعد ذلك أن تلك السوق السياسية موبوءة، دنسة، خبيثة»[٤٩٧].

أما أكبر تجليات الطابع الخارجى المستورد لهذا الانقلاب، فيتمثّل فى علاقته بالإخوان المسلمين فى مصر، حيث كان لهم الدور المحورى فى نسج مؤامرة الانقلاب وتوجيهه، إلى

درجة أن صُنِّفوا من قِبل الكثير من الكتاب بأنهم المهندسين الحقيقيين له[٤٩٨]، فهم من كان لهم الدور الحاسم فى دعم حزب الأحرار، وفى رسم خطة الانقلاب وتنفيذه، بالتوافق مع بريطانيا نفسها، التى كانت تهدف استراتيجيتها إلى بعث حركات إسلامية لتتصارع مع الحكومات العربية، ولتغرق العالم الإسلامى فى فتن لا تنتهى وفى صراعات دينية قومية تشقُّ وحدة الصف، وتلهى الشعوب العربية عن التنمية و المطالبة بالاستقلال، وتلك هى الاستراتيجية نفسها التى مارستها اسرائيل فى تسليم حركة حماس قطاع غزة بشكل منفرد لتتصارع مع منظمة فتح؛ لإلهاء الشعب الفلسطينى فى تقاتل داخلى.

والاستراتيجية نفسها التى اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية فى تأييد حركة الاخوان المسلمين عقب ثورات الربيع العربى بهدف زعزعة المؤسسة العسكرية المصرية* التى كان الاخوان يخططون لتفتيتها عبر تنظيمهم السرى من صغار الضباط والمجندين الجدد.

وقد يسأل سائل: وما شأن الإخوان المسلمين باليمن؟ إلا أن الراسخين فى العلمِ يدركون طبيعة تفكير الإخوان المسلمين وتطلعاتهم السياسية فى تأسيس دولة، تكون منطلقًا لتعزيز حركتهم فى مصر، ونواة لدولتهم المستقبلية هناك، وحقلاً لمشاريعهم الخارجية فى باقى البقاع الإسلامى، فلم يجدوا بلدًا أمثل من اليمن لمخططاتهم، بوصفه بلدًا خامًا لم تمسسها يد مستعمر[٤٩٩]؛ مما يجعلها الحقل المناسب لتجاربهم وحركاتهم التى فشلت فى مصر وباقى أصقاع العالم العربي، ولم يجدوا رجلاً أطوع لهم من عبدالله الوزير، قائد الانقلاب الذى قدّم لهم بمجرد تسلّمه السلطة دعمًا ماليًا منقطع النظير متمثلاً بحوالات مالية تقدر بمئات الآلاف من الجنيهات المصرية، فى محاولة منه لشرائهم مع أبواقهم الإعلامية فى مصر[٥٠٠].

وليصل قادة الاخوان المسلمين فى الأربعينات إلى اهدافهم، كانوا يفجرون فى الخصومة، ولا يتورعون عن استخدام أية وسيلة مهما كانت قذرة، دون أى رادع أخلاقى، أو دينى، وتتجلى تلك القذارة فى أبلغ معانيها فى بعض مؤلفاتهم، التى تعكس نموذجًا من طريقة

---

* غير خاف على كل ذى عقل المخططات الأمريكية الهادفة لتحطيم الجيوش العربية الفاعلة، واعادة رسم المنطقة بما يتوافق مع مصلحة اسرائيل، فبعد ان تم القضاء على قدرات الجيش العراقى والسورى، جاء الدور على الجيش المصرى، وللأسف الشديد ان الوقود لهذا المخطط الخبيث هو خصام الإخوان المسلمين مع المؤسسة العسكرية المصرية والذى كان من شانه ادخال مصر فى نفق مظلم من الاحتراب والاستنزاف لفعالية الجيش المصرى بما يخلى الساحة للعربدة الاسرائيلية

تفكيرهم وأدبياتهم فى الحياة، كالكتاب الذى ألّفه القيادى الإخوانى مصطفى الشكعة عن الإمام يحيى وأسرته (مغامرات مصرى فى مجاهل اليمن)، حيث لم يتورع هذا الرجل بعد فشل انقلاب عام ١٩٤٨م عن إطلاق الروايات السوقية الخسيسة فى مؤلفه، مشككًا فى نسب الإمام يحيى، ومنتهكًا لشرف أسرته، إلى درجة الطعن فى أعراض الرجال، والقذف لشرف النساء، وما أن يقرأ المرء هذا الكتاب؛ حتى يصاب بالغثيان والذهول، ويتساءل: كيف يمكن أن تصدر كل تلك الخسة والسوقية والفجور من رجال يدعون الفضيلة، إلا أن لله فى خلقه شؤون، وما ذلك الكتاب الذى ألفه الشكعة إلا وثيقة تاريخية سوف تدين الإخوان المسلمين إلى أبد الدهر، إلا أنه ما يجبر الخاطر أن الشكعة بمؤلفه هذا حرَّك فى جماهير اليمن نخوة الرجال، وشهامة القبيلة، فطالبوا بمحاكمته على كتابه، الذى انتزعوا كافة نسخه من معرض الكتاب اليمنى فى مطلع السبعينات، وقاموا بتمزيقها على الملأ[٥٠١].

والغريب فى الأمر أن الراعى الرسمى لإصدار هذا الكتاب، هو مركز البحوث والدراسات اليمنى، الذى كان يرأسه الدكتور عبد العزيز المقالح، وهو من يفترض أن يكون حاملاً للمسؤولية الأخلاقية فى تربية أجيال اليمن على قيم الفضيلة والمثل العليا، بوصفه كان مديرًا لجامعة صنعاء، وأحد الوجوه الثقافية البارزة لليمن، إلا أن الله إذا أراد أمرًا سلب ذوى العقول عقولهم.

ولا يمكننا الحديث عن دور الإخوان المسلمين فى انقلاب عام ٤٨، ما لم نتحدَّث عن الباب الذى دخلوا منه إلى اليمن، مما يُحتِّم علينا الحديث عن رحلة عبدالله بن على الوزير إلى مصر عام ١٩٣٩م، الذى وصل إليها وهو يحمل من الإحن ما لا يمكن وصفه على الإمام يحيى؛ بسبب إقصائه لأبيه على عبدالله الوزير عن إمارة تعز، وعمه عبدالله أحمد الوزير عن إمارة الحديدة، بعد تكشف اتصالاتهم المشبوهة مع الإنكليز.

لقد كان الغطاء لرحلة عبدالله على الوزير إلى مصر هو الدراسة، إلا أن الهدف الحقيقى من رحلتة كان ارتقاب ما يكون من أمر أبيه مع الإمام يحيى، وتهيئة الوسيلة المناسبة للعمل السياسى ضد دولة الإمام يحيى[٥٠٢]. وقد رافقه فى هذه الرحلة محمد محمود الزبيرى، الذى تفتقت قريحته الأدبية، وبرزت مواهبه الشعرية والنثرية منذ سن مبكرة من عمره، حيث لمح فيه أمير تعز على الوزير قبل خلعه من إمارته ذكاء ونبوغًا فاق أقرانه من الطلبة، فألحقه بديوانه، وأولاه رعاية خاصة، إلى درجة أن أرسله إلى القاهرة

للدراسة في دار العلوم على نفقته الخاصة، مرافقًا لابنه عبدالله؛ بهدف الاستفادة من قدراته مستقبلاً[٥٠٣]. وفعلاً أصبح الزبيرى فى مصر المتحدث الرسمى، والممثل الملهم لأسرة آل الوزير، حيث كان يُطلق عليه فى الصحف المصرية لقب السكرتير الخاص لعبدالله بن على الوزير[٥٠٤]؛ فلا غرابة إذًا أن يطلق عليه الكثير من الكتاب والمفكرين اليمنيين بالمُعبِّر الأيديولوجى عن مصالح المجموعة الإقطاعية التى كان يتزعمها على عبدالله الوزير[٥٠٥].

ولم يتنكر الزبيرى لهذا المعروف، حيث وجدناه منذ وطئت أقدامه مصر وهو يلازم ولى نعمته عبدالله بن على الوزير، متأثرًا بما كان يبثه من دعايات سيئة ضد الإمام يحيى لدى المصريين، ومتفاعلاً بما كان يقوم به ابن الوزير من اتصالات مشبوهة مع كبارالشخصيات السياسية والفكرية المصرية التى كانت تستقبله، لما كان يحمله من لقب صهر الإمام يحيى[٥٠٦]. لقد مكّنت صهارة عبدالله بن على الوزير للإمام يحيى من إبقائه فترة ليست بالقصيرة فى ضيافة الحكومة المصرية فى القاهرة[٥٠٧]، ومن ثم ساعدته هذه الصهارة على الاتصال برئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا، وأمين الجامعة العربية عبدالرحمن عزام[٥٠٨]، الذى كان له ميول إخوانية، وعلى صلة بحسن البنا[٥٠٩]، ومن هنا بدأ نسج العلاقة مع حركة الإخوان المسلمين، ابتداء من اتصال عبدالله بن على الوزير مباشرة بحسن البنا[٥١٠]، الذى أفرد له مساحات واسعة فى الصحف والمجلات المحسوبة على الإخوان المسلمين، مثل صحيفة النداء، والمصرى، والبلاغ؛ لتشويه صورة الإمام يحيى لدى الرأى العام العربى[٥١١]، إضافة إلى مجلة الكشكول الجديد التى كانت تبثُّ من الافتراءات والأكاذيب؛ مما يبعث على السخرية والتندر[٥١٢].

وبسفر أحمد محمد نعمان إلى مصر والتحاقه بعبدالله الوزير والزبيرى فى عام١٩٣٩م، وهو يشعر بالسخط على الإمام يحيى، بعد أن تبددت أحلام أسرته بقيام سلطنة خاصة بهم تحت حماية الإنكليز، اكتمل العقد، وتم تشكيل النواة الأولى للتحالف السياسى بين هذه الأطراف التى فقدت سلطانها فى اليمن وبين الإخوان المسلمين، الذين كانوا يبحثون عن السلطان[٥١٣].

وبمساعدة الإخوان المسلمين وجدنا عبدالله بن على الوزير وزميليه الزبيرى ونعمان ينجحون فى اختراق الساحة الإعلامية فى مصر، ولعل نجاحهم يُعزى إلى أنه لم يقابل نشاطاتهم أى نوع من النشاط المضاد للدفاع عن وجهة النظر الرسمية لحكومة الإمام يحيى.

وقد أشار الرحالة نزيه مؤيد العظم إلى حقيقة عدم عناية الإمام يحيى بالإعلام ومفهوم العلاقات العامة، عندما نصح الإمام يحيى بتكذيب الإشاعات، والرد على الحملات التشويهية، فكان جواب الإمام يحيى: «أنا لا أعول على أخبار الجرائد، ولا أكذّب شيئًا، ولا أهتم بما ينشر عنى أبدًا، فلو أردت أن أكذب كل خبر غير صحيح ينشر عنى وعن اليمن فى الجرائد التى يبلغ عددها ألوفًا كثيرة، لأضعت جميع وقتتى فى هذه القشور، وضيَّعت اللباب». وعندما حاججه العظمه بقوله: إن للجرائد تأثيرًا لا يُستهان به فى الدعايات والنشرات، ردَّ عليه الإمام يحيى: «أيوجد فى البلاد العربية بلد فيها جرائد أكثر من مصر؟ وهل حقّقت هذه الجرائد الكثيرة لمصر استقلالها؟»[٥١٤]

ولو تصفحنا مقتطفات من مجلة الإخوان المسلمين المسماة بالكشكول الجديد، بما فيها من افتراءات؛ لأدركنا ماذا نقصد بكلمة الاختراق الذى حقَّقه معارضو الإمام يحيى، ومن ذلك الكتابة زورًا وبهتانًا من أن الإمام يحيى وأسرته يحاربون العلم والثقافة، إلى درجة أن ولى العهد أحمد بن الإمام يحيى كان يُهدّد الطلبة فى المدارس بقوله: من أراد منكم أن يتعلَّم غير الفاتحة وأركان الوضوء وضعته فى فم المدفع[٥١٥]. والكتابة عن إجبار الإمام يحيى شعبه على قراءة التمائم والطلاسم، بدلاً من تقديم الخدمات الطبية؛ لمعالجة الأمراض، والادعاء بأن الإمام يحيى كان يقول للناس بأن الطاعون رحمة من الله يختصُّ بها من يشاء من عباده، فكيف نعمل على رفع رحمة الله عن عباده[٥١٦]، إضافة إلى الافتراء بمقالات تتهم الإمام يحيى بسجن المواطنين الأبرياء ظلمًا وعدوانًا، وتعذيبهم، ودهن أجسامهم بالقطران، وصلبهم حتى الموت[٥١٧]، وما إلى ذلك من الترهات والدعايات البليدة التى إن حدَّثت بها العاقل؛ لانفجر ضاحكًا من سخافتها، إلا أن الشيء المؤسف أننا ما نزال حتى اليوم نجد من الكتاب من لا يزال يتخذ من مقالات مجلة الكشكول ومثيلاتها من المدونات الإخوانية مرجعًا يعتمد عليه فى الكتابة عن سيرة الإمام يحيى.

وفى سياق المؤامرة لتشويه سمعة الإمام يحيى، أورد رسالة لعبدالله بن على الوزير، بعثها إلى أبيه وهى من ضمن الوثائق التى ضُبطت فى بيت والده على عبدالله الوزير بعد فشل انقلاب عام ٤٨، وفيها توضيح كافٍ للدور المحورى الذى قام به آل الوزير فى الدس والبث للإشاعات المغرضة؛ بهدف تكوين رأى عام مصرى وعربى مناوئ لحكومة اليمن، حيث يقول فى خطابه: «لقد تمكَّنت من إثارة كثير من الرأى العام فى مصر نحو اليمن

وقضيته، بما أوجدته من اتصالات، وبما ينشر من دعايات؛ حتى أصبح الكثير من الرأى السائد فى مصر، هو أن الإمام يحيى رجعى، وأن اليمن يكره البيت المالك، ويكره الوضع الحالى. كما قمت بدعاية بواسطة ومباشرة لعرقلة بعض المشروعات التى يريدون إدخالها اليمن، والحيلولة دون تحقيقها، وأوجدت فكرة أن اليمن لا يريد التعاون مع العرب، واتفقت مع بعض الجماعات بالمقاومة، كما أنى ومن معى نعمل على بث الروح المناوئة المتشككة مباشرة، وبواسطة كل من يذهب إلى اليمن، لتكوين فكرة سيئة ؛ حتى لا يخرج إلا وهو مهيئ بالسخط»[٥١٨].

يبقى أن نشير إلى أن هذه الحملات الإعلامية التى كان يقوم بها ابن الوزير، لم تكن بعيدة عن إطار التوجيهات البريطانية، وهناك من البراهين ما لا يعد ولا يحصى، للتدليل على الدور البريطانى فى توجيه هذه الحملات، ومنها ما عبَّر عنه الملك عبد العزيز لمستشاريه أثناء أحد الاجتماعات الرسمية بقوله: «إن الدعايات الشيطانية التى تقوم بها بعض العناصر اليمنية فى الداخل والخارج ضد الإمام يحيى سبَّبت لى قلقًا وشجنًا؛ مما يستلزم منى التواصل مع الإمام يحيى لإيجاد حلٍّ»، وفعلا بعث الملك عبد العزيز مستشاره تركى بن ماضى إلى الإمام يحيى وفى جعبته نصيحة تقول بأن مصالح حكومة اليمن تكمن فى أخذها موقف ودى مع الحكومة البريطانية، بدلا من الموقف العدائى التصادمى، الذى لم يجنِ منه الإمام يحيى سوى المتاعب، وضرب الملك عبد العزيز مثلا بخلافاته الحدودية مع الإنكليز فى إمارات الخليج، لتوضيح وجهة نظره. حيث إنه بالرغم من إيمان الملك عبد العزيز بأن تلك المناطق كانت فيما مضى تحت حكم أجداده، إلا أنه لم يرَ أن من المصلحة الدخول مع الإنكليز فى تصادم من أجلها * ؛ مما وفّر على نفسه موؤنة المؤامرات البريطانية[٥١٩].

---

* الواقع أننا لا نستطيع أن نلوم أى من الزعيمين العظيمين فى خيارهما السياسى عند التعامل مع بريطانيا؛ لأن الخيارات السياسية لا تقوم عادة على الآمال والأمانى، بقدر ما تقوم على المعطيات على الأرض، وقوة الأمر الواقع. ويتعيّن التذكير هنا أن الملك عبدالعزيز تمكّن من هضم تداعيات اتفاقه مع الإنكليز بأقل التكاليف، حيث اقتصر تنازله على كبت آماله فى إدخال إمارات الخليج فى حوزة الدولة السعودية؛ تسليمًا بالتواجد الإنكليزى هناك، أما الإمام يحيى فبسبب موقع اليمن الاستراتيجى على مضيق باب المندب، فإن من استحقاقات اتفاقه مع الإنكليز، تنازله عن عدن وما يحيط بها من محميات، تسليمًا بالتواجد الإنكليزى هناك، وهذا ما لا يمكن احتماله، وهذا مما يدلّل على أن الجغرافيا هى العامل الحاسم فى صناعة السياسة والتاريخ.

وبرهان آخر يمكننى أن أستشهد به للتدليل على دور بريطانيا الكبير فى توجيه الحملات الدعائية ضد الإمام يحيى؛ بهدف تركيعه، هو مقولة المبعوث السوفياتى إنكارين، الذى زار اليمن عام ١٩٢٨م لتوقيع اتفاقية سياسية تجارية مع اليمن، حيث يقول: «إنه يمكن باختصار رفض التصور الذى ينشره الصحافيون الأجانب عن الامام يحى، كواحد من أكثر الملوك رجعية وبخلاً واستبدادًا، ومقارنته بالملوك العرب الآخرين، مضيفًا أن هذه التصورات ما هى إلا نتيجة النضال العنيد الذى يخوضه الإمام يحيى ضد محاولات التغلغل الإمبريالى فى اليمن»[٥٢٠].

أما عن دور الإخوان المسلمين، فبتحليل النهج الذى سار عليه أعضاء حزب الأحرار، فلن يخفى علينا أيادى الإخوان المسلمين الخفية فى التوجيه والتسيير لنشاطاتهم فى اليمن خلال فترة الأربعينيات، حيث قطع محمد محمود الزبيرى دراسته فى مصر، مع أن ذريعة سفره إليها فى عام ١٩٣٩م كانت التحصيل العلمى لنيل الشهادة من دار العلوم، فلماذا قطع الزبيرى دراسته بعد سنة واحدة من الالتحاق بدار العلوم، التى التحق بها عام[٥٢١] ١٩٤٠م، وتركها عائدًا إلى اليمن فى عام ١٩٤١م[٥٢٢]، لولا أنه كان مكلفًا من الإخوان المسلمين وآل الوزير بمهمة أعظم شأنًا من التخرج والشهادة، وهى السفر للبدء فى نسج خيوط المؤامرة تحت ستار نشاطات دعوية دينية إطارها جمعية للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟[٥٢٣]

وبنظرة سريعة إلى برنامج جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الذى كُتب فى مصر[٥٢٤]، نلمس مديونية كل مادة فيه للمرشد العام للإخوان المسلمين، ونكتشف المقاصد والنيات الحقيقية لهذا البرنامج، فالنفس والتطابق فى المعانى والأهداف واحدة[٥٢٥]، ومن ذلك الدعوة إلى نشر الخطباء فى المساجد والمجتمعات العامة والمدن والقرى المختلفة، بدعوى الإرشاد والتعريف بمعالم الدين، وكأن اليمن مجتمع علمانى يفتقد إلى التربية الدينية والإرشاد، وواقع الأمر هو الرغبة فى نشر فكر الإخوان المسلمين وأدبياتهم فى مجتمع اليمن، ومن ذلك الدعوة إلى إنشاء النوادى والفرق الكشفية والشعب الرياضية، بدعوى الصحة وتقوية الأجسام، والتربية على الانضباط، وواقع الأمر محاولة اختراق تجمعات الشباب فى الأندية، وإنشاء تنظيمات شبه ميليشوية يطوعونها لمشاريعهم المستقبلية، ومن ذلك الدعوة لجمع التبرعات من أهل الخير، بدعوى دعم الإرشاد والدعوة

إلى الله، وواقع الأمر محاولة إيجاد مصادر تمويل خاصة بالمتآمرين، إضافة إلى أننا لو قرأنا ما بين سطور هذا البرنامج، لوجدنا فيه تحريضًا مبطنًا ودعوة ضمنية للتمرد على الدولة وممارسة العنف،

نجد ذلك متجسدًا فى كثير من المواد، ومنها مقاطع من المادة٩، التى تقول: إن من مبادئ برنامج الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الرئيسة، الدعوة إلى القوة. والمادة ٢٣ التى تقول: ولا شك أنا سنجد عقبات كأداء فى دعوتنا، ولكنا سنقتحمها بما وطدنا أنفسنا عليه من صبر لا يحدُّ، وعزيمة لا ترد، وسنصمد لكل ما يصيبنا بإرادة فولاذية تستعذب الآلام، وتبتسم للنوائب.

والمادة ٣٠ التى تقول: يا قوم، الجبن اقهروه، قاوموه، حاربوه فى أبنائكم، اقضوا عليه من دخائل أنفسكم، تتبعوا أصوله وجذوره ولا تبقوا عليه، فهو الداء العضال، والعقبة الكاداء فى حياة الأمم. إن المال والصحة والجاه ليست هى السعادة والهناء، ما دام الجبن مستوليًا على النفوس، ما هذا الجمود الذى كاد أن يكون موتًا، يا قوم اعلموا أنكم إن ظللتم على هذه الوتيرة فالمستقبل مظلم مرعب. إضافة إلى مقاطع من المادة ٣٦ التى تقول: «يجب علينا أن نزيل ذلك الخوف الذى استولى على النفوس، ونشيع الثقة، ونوحِّد الصفوف، ونحارب ذلك الاضطراب النفسى. إن اليأس والخوف والألم ليست أوهامًا وخيالات أُسدلت على القلوب والنفوس من غير بصيرة. أيها الشباب الناهض، يجدر بكم أن تتبينوا جيدًا فى مستهل حياتكم من أنتم، فأعلموا أنكم قادة المستقبل، وأن فكرتكم ستظهر، ودعوتكم ستسير مسير الشمس، بثوا أفكاركم، اقتلوها شرحًا وتمحيصًا»[٥٢٦].

وينتهى كتيّب برنامج الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالمقولة التالية، ولسان حال الإخوان المسلمين يقول: كاد المريب أن يقول خذونى: «ونود أن يعلم الجميع أن دعوتنا هذه دعوة بريئة نزيهة، قد تعالت فى نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية، وخلَّفت وراءها الأغراض والأعواء، ومضت فى الطرق التى رسمها الحق تبارك وتعالى»[٥٢٧].

لقد أوكل الإخوان المسلمون إلى الزبيرى مهمة حمل البرنامج إلى صنعاء فى عام ١٩٤١م؛ بقصد العمل على ضوئه، وتجنيد رجال دين على أساسه؛ بهدف نشر أيديولوجية الإخوان المسلمين، وإقامة فرع لحزبهم فى اليمن[٥٢٨]. وفى سياق سياسة الإخوان المسلمين والزبيرى

فى استخدام الدين لأهداف سياسية، يقول الزبيرى: «أدركنا أنه لا يتم عمل ولا تقدم، ولا تنجح دعوة عن غير طريق الدين، الذى يستمد الحكام منه سلطتهم، وقلنا: إنه لا بد لنا من أحد الحسنيين، فإما أن يسمح الحكام للفكرة بالانتشار، وهو النجاح السلمى على مستوى الحكومة والشعب، وإما أن يرفضوها ويقاوموها وهى دعامة حكمهم، فيضطرون لهدم هذه الدعامة، ويصبح حكمهم بغير أساس»[٥٢٩].

أما موقف الإمام يحيى من هذه الجمعية، فعند اطلاعه على برنامجها أحال الموضوع إلى رئيس الاستئناف، وإلى هيئة قضائية لدراسته، ورفع تقرير بشأنه[٥٣٠]، ولم يبالِ الإمام يحيى بداية من خطر هذه الجمعية، بل تجاوب مع القائمين عليها؛ لأنه كان متدينًا بطبعه، ويتعاطف مع كل من يخاطبه باسم الدين، إلا أن الإمام تفاجأ بعد ذلك بخلاف ما أظهره الزبيرى من رغبة بالدعوة إلى الله، والنصح بالحكمة والموعظة الحسنة[٥٣١]، حيث لجأ الزبيرى ورفاقه إلى منهج الإثارة والتحريض السياسى، وإلقاء الخطب والقصائد والمنشورات المناهضة للمؤسسة الحاكمة[٥٣٢]، ولم يكتفِ الزبيرى بذلك، بل بدأ بمهاجمة علماء اليمن المحيطين بالإمام يحيى، واصفًا إياهم بالخونة وعلماء السلطان وجواسيس الطغيان[٥٣٣]، وليت الأمر وقف عند ذلك، بل بلغت الجرأة به وبزملائه المتآمرين، إلى درجة أن وزعوا منشورات تدعو صراحة إلى الخروج المسلح على ولى الأمر[٥٣٤]، واقتحام قصر الحكم لنهب خزينة الدولة[٥٣٥]؛ فما كان من الإمام يحيى على أثر هذه الفتن إلا أن اعتقل الزبيرى وزملاءه، وساقهم إلى السجن.

أما فى مصر، فقد توسعت حملات التشويه على حكم الإمام يحيى بشكل غير مسبوق، بعد اعتقال الزبيرى، حيث إن عبدالله بن على الوزير كان ما يزال ناشطًا هناك، يقوم بالحملات وينشر الدعايات والأباطيل فى الصحف، ولدى الشخصيات المصرية البارزة[٥٣٦]، وكان يعاونه فى حملاته بعض المتآمرين القاطنين فى مصر، مثل محيى الدين العنسى، وصالح المسمرى[٥٣٧]، تحت إشراف الصحفى المصرى عبد الغنى الرافعى، وزميله أمين سعيد صاحب مجلة الرابطة العربية، التى كان يمولها المتآمرون[٥٣٨].

وعلى الرغم من كل تلك الشبهات والقرائن التى دارت حول صلة آل الوزير بتلك النشاطات، إلا أن الإمام يحيى لم يمسسهم بسوء؛ ربما لعدم وصوله إلى درجة اليقين عن تورطهم، إضافة إلى أن سماحته دفعته إلى العفو عن الزبيرى، وإطلاق سراحه من السجن

بعد تضرعه بأبيات شعرية، معتذرًا عما بدر منه من إساءات[٥٣٩]؛ إلا أن الزبيرى ظلَّ متربصًا إلى أن واتته الفرصة للهروب مع زميله نعمان إلى عدن فى عام ١٩٤٤م، بتشجيع من الإنكليز أنفسهم عبر عميلهم عبدالله الحكيمى، الذى وصل إلى مدينة تعز من عدن للتفاهم مع الزبيرى ونعمان، لنقل نشاطاتهما السياسية إلى عدن، مع الوعد بالمساعدة فى تأسيس حزب معارض[٥٤٠]. ويبقى التعريف بالحكيمى ناقصًا، ما لم نعرف حقيقة انخراطه فى جيش المستعمر البريطانى فى عدن[٥٤١]، وخدمته فى هذا الجيش لمدة سبع سنوات[٥٤٢]، وتلقيه تدريبًا عسكريًّا على يد القادة والخبراء الإنكليز؛ حتى احتل مرتبة ضابط كبير لدى الإدارة البريطانية؛ مما جعله مصنفًا بالصداقة والولاء لبريطانيا العظمى[٥٤٣].

وقد ينبرى البعض للدفاع عن الحكيمى،والتشكيك فى دوره المرسوم من قِبل الإدارة البريطانية فى تحفيز الزبيرى ونعمان على الهروب إلى عدن، إلا أنه بالعودة إلى ما كان يكتبه الحكيمى فى الصحف والمجلات، يظهر لنا جليًّا دوره المشبوه فى خدمة المصالح البريطانية، إلى درجة الخيانة العظمى لوطنه، حيث إنه كان يدعو صراحة إلى انضواء اليمن تحت العلم البريطانى[٥٤٤]، وليته توقَّف عند هذا الحد من الخيانة، بل وجدناه يدعو الدول العربية إلى الاعتراف بالتواجد البريطانى فى عدن، عبر افتتاح قنصلية عربية تُمثِّل كافة أعضاء الجامعة العربية هناك[٥٤٥].

وبمجرد عبور الزبيرى ونعمان حدود الجنوب المحتل، وفَّر لهما الحكيمى الترخيص للدخول[٥٤٦]، وأنزلهما ضيوفًا فى مسكنه فى عدن، ثم استأجر لهما بيتًا بجوار داره ليكون مقرًا خاصًا لهما، بعد أن التحق بهما معارضين آخرين، مثل زيد الموشكى، وأحمد الشامى، ثم سعى الحكيمى للتعريف بهم وتسويقهم أمام الجماهير وكافة المنتديات والمحافل الاجتماعية فى عدن، بدفعهم للاجتماع مع محررين صحفيين ورؤساء الجاليات المختلفة، وبلورتهم للظهور بمظهر الوطنيين الأحرار[٥٤٧].

ومما هو جدير بالذكر، أن الزبيرى ونعمان عندما هربا إلى عدن كانا بحاجة إلى غطاء وحجة قوية لتبرئة ساحتهما من تهمة العمالة للإنكليز، لاسيما أنهما واجها سيلاً من الانتقادات الجماهيرية بعد تركهما الجزء المحرر من الوطن، وارتمائهما فى حضن الإنكليز الحاكمين للجزء المحتل منه، فما وجدا من عذر يستندان إليه أفضل من إطلاق ولى العهد أحمد تهديداته بقتل من كان يطلق عليهم عصريين، ممن بلغه خوضهم فى مسائل

العقيدة الدينية بأسلوب ساخر فيه استهزاء بالدين، والتشكيك في ثوابته، كوجود الجنة والسماوات السبع، فروّج الزبيرى ونعمان المقولة من أن سيف الإسلام أحمد لم يكن يعنى أحدًا بكلمة العصريين إلا هما[٥٤٨]، إلا أن تلك الحجة التى استندا عليها للتغطية على سبب هروبهما الحقيقى إلى عدن، وإن بدت ضعيفة وغير مقنعة لأى متابع من المثقفين وأصحاب الرأى الذين يرون الأمور بعين البصيرة، إلا أنها انطلت على العامة من الناس. فسيف الإسلام أحمد لو أنه كان حقًّا يريد رؤوسهما، لما فوّت فرصة اقتناصهما، عندما كانا يعيشان فى كنفه وحماه آمنين مطمئنين فى تعز لأكثرمن ٤ سنوات، بعد إطلاقهما من سجن الإمام يحيى[٥٤٩]، فلماذا يهددهما سيف الإسلام أحمد بالقتل بعد مرور ٤ سنوات وهما لم يُعرف عنهما يومًا سخرية فى حق الدين أو تشكيك فى مسائل العقيدة؟ أما إذا استعرضنا برهانًا آخر، فلن نحتاج إلى كبيرعناء لاستخلاص السبب الحقيقى لهروبهما إلى عدن، هذا البرهان ورد على لسان نجل أمير تعز المخلوع، عبدالله بن على الوزير، الذى أشار على الإخوان المسلمين وهو فى مصر بضرورة انتقال المعارضة إلى عدن[٥٥٠]، حيث الاستعمار والإنكليز الذين عدهم ابن الوزير أصدقاء له حسب تعبيره فى أحد تصريحاته لمجلة الرابطة العربية، وفى ذلك يقول: «وبطبيعة الحال، فالميل والعطف فى قلوب اليمانيين يتجه إلى الديموقراطية وتمنى فوزها، خاصة أن بريطانيا صديقة العرب وصديقة اليمن، ودفاعها عن الديموقراطية يجعل النفوس أكثر تقربًا منها»[٥٥١]، فمنذ متى كانت بريطانيا صديقة لليمن، وهى تحتل نصف اليمن، وتحارب تطلعاته فى النهوض.

أما الإخوان المسلمون فلم يكتفوا بالتنسيق السرى مع آل الوزير، سواء فى مصر مع نجل أمير تعز المخلوع عبدالله بن على الوزير، أو فى مكة بالتقاء حسن البنا شخصيًّا مع مبعوثين لقائد الانقلاب عبدالله بن أحمد الوزير فى موسم حج عام ١٩٤٤م[٥٥٢]، بل عقدوا العزم على تعويض الفراغ فى شمال اليمن، بعد هروب الزبيرى ونعمان إلى عدن باختراق الإمام يحيى نفسه تحت ستار رباط الإخاء الإسلامى، مستغلين الحس الدينى الذى كان يسير الإمام نحو التعاطف مع الحركات ذات الصبغة الإسلامية فى العالم العربى، وعولوا على الثقة المطلقه التى أولاهم إياها الإمام يحيى، إلى درجة أن الإمام طلب من حسن البنا أن يختار له بنفسه من الإخوان المسلمين مرافقًا أمينًا يرافق ابنه سيف الإسلام الحسين فى رحلاته الدبلوماسية إلى لندن وباريس، ليقوم بمهمة الترجمة والسكرتارية أثناء عقد المباحثات، وفعلاً عيَّن حسن البنا له محمودًا أبا السعود، الذى رافقه فى رحلاته[٥٥٣].

ولم يكتف الإمام يحيى بذلك السقف من الثقة، بل طلب باسم حكومة اليمن موافقة وزارة المعارف المصرية على انتداب حسن البنا ليقوم بشؤون التعليم فى اليمن, إلا أن الحكومة المصرية رفضت هذا الطلب رفضًا باتًا[٥٥٤]، ربما لمعرفة الدوائر الأمنية فى مصر بحقيقة المقاصد والنوايا السلطوية لحسن البنا، فاستعاض الإخوان المسلمون عن ذلك بإرسال مجموعة من المدرسين بصفة فردية تحت ستار التعليم، وهم فى واقع الأمر خلايا تآمرية استغلت تواجدها فى اليمن لنسج خيوط المؤامرة، وبثّ روح التمرد، والقيام بدور الموجه للمتآمرين[٥٥٥]؛ وفعلا نجح الإخوان المسلمون فى الاختراق فيما لم ينجح غيرهم، بعد أن تسلَّل إلى اليمن أكثر من ٢٤ معلمًا إلى شمال اليمن[٥٥٦]، إضافة إلى تسلل آخرين منهم إلى مدينة عدن بصفة مراسلين صحفيين، مثل إبراهيم زكى محمود، وعلى طريح، وهم من الكوادر الصحفية للإخوان المسلمين اللذين كلفا بمهمة مساعدة ودعم النشاطات الصحفية لجريدة صوت اليمن المعارضة، الناطقة باسم حزب الأحرار، إضافة إلى تحرير وكتابة المقالات المناوئة التى تهاجم الإمام يحيى وتشتمه[٥٥٧]. وتمثَّلت قمة نجاحات الإخوان المسلمين فى إرسال ممثلهم الفضيل الورتلانى مهندس الانقلاب، الذى وصل إلى صنعاء فى عام ٤٧ ومعه ميثاق للحركة الانقلابية، أعده مسبقًا فى مصر مرشد الإخوان المسلمين حسن البنا[٥٥٨]، بمعرفة زعماء الإخوان المسلمين فى الشام والعراق[٥٥٩]، الذين وعدوا بالتأييد والمساندة[٥٦٠].

لقد وصل الفضيل الورتلانى تحت غطاء تقديم النصح والمشورة والمساعدة فى قيام مشاريع تعود بالفائدة والخير لشعب اليمن، ولم يدع الإمام يحيى كرامة إلا أكرمها له من حسن الاستقبال، إلى الحفاوة، إلى الإسكان فى دار الضيافة[٥٦١]، وغمره بكامل الثقة إلى حدِّ السماح له بالخطابة فى المساجد بلا تحفظ، وإلقاء المحاضرات الدينية والأدبية فى كافة المنتديات والمحافل اليمنية[٥٦٢]، إضافة إلى تهيئة كافة السبل له لحرية الحركة والاتصال باليمنيين، انطلاقًا من رباط الإخوة الإسلامية، وسمعة الورتلانى كمعارض متفانٍ ضد التدخل الاستعمارى فى الشؤون العربية. وكانت قمة ثقة الإمام يحيى بذوى القربى من إخوانه المسلمين أن أذن لممثلهم الورتلانى بتأسيس الشركة اليمانية للتجارة والصناعة والزراعة والنقل برأس مال وقدره مليونين جنيه مصرى[٥٦٣]، وأصدر مرسومًا حكوميًا بتشكيلها، والموافقة على قانونها، مستثنيًا مشاركة الحاج محمد سالم المصرى فيها، وهو تاجر معروف، وعضو بارز فى جمعية الإخوان المسلمين[٥٦٤].

وبالرغم من إحسان الإمام يحيى للفضيل الورتلاني وثقته العمياء به، وإبدائه له الاستعداد التام لقبول كل إرشاد من طرف الإخوان المسلمين(٥٦٥)؛ وجدنا الفضيل الورتلاني لم يرد تلك التحية بأحسن منها، بل في الوقت الذي كان يُقدّم النصح والمشورة للإمام يحيى، كان يستعجل الانقلاب ضده(٥٦٦). وفي الوقت الذي كان يشيد بالإمام يحيى، ويُصرِّح أمامه بحبه له؛ لمحافظته على اليمن من الاستعمار، واستمساكه بكتاب الله نظامًا شاملاً(٥٦٧)، وجدناه يلعنه ويحط من شأنه سرًّا، إلى درجة قوله لليمنيين في جلسات خاصة من أن الإمام يحيى مصيبة على الإسلام والمسلمين، وجرثومة خبيثة يجب أن تُجتث من عروقها إذا ما أُريد لليمن وللإسلام والمسلمين أن يحتلوا مكانهم اللائق بين الشعوب، وأنه لولا حكم الإمام يحيى لأعادت اليمن للأمة الإسلامية أمجادها وعظمتها(٥٦٨).

وفي خلال مدة بقاء الفضيل الورتلاني في اليمن وهي عشرة أشهر(٥٦٩)، وجدناه يعرج على عدن في سفريات متعددة، ليستكمل طبخ المؤامرة بعمل همزة وصل ما بين المتآمرين في صنعاء، والمتآمرين في عدن(٥٧٠)، ووجدناه يضع الخطط والدسائس بالتنسيق مع الجناح العسكري للمتآمرين، متمثلا في جميل جمال العراقي، الذي بعثته بريطانيا إلى اليمن، ووجدناه يتواصل مع حسن البنا في مصر ليطلعه على التطورات أولاً بأول، متخذًا من منزل قائد الانقلاب عبدالله بن أحمد الوزير مقرًا لعقد الاجتماعات السرية، ووضع المخططات، استعدادًا لتفجير المؤامرة، وقد اتصل صاحب الدار عبدالله بن أحمد الوزير بمن كان يثق فيهم من خصوم الإمام يحيى(٥٧١)، وفي مقدمتهم قاتل الإمام يحيى المباشر، الشيخ القردعي، الذي كان يحمل من العداوات والإحن ما لا يمكن وصفه ضد الإمام يحيى؛ بسبب إقصائه له عن مشيخته في حريب؛ بسبب سلوكياته المتمردة على الدولة(٥٧٢).

وبلغ الجنون بالإخوان المسلمين إلى درجة افتائهم بوجوب قتل الإمام يحيى، على لسان الفضيل الورتلاني، الذي قال بأن قتل الإمام يحيى واجب على كل مسلم(٥٧٣).

هذه الفتوى في وجوب قتل الإمام يحيى كان يقابلها مواقف مناقضة تمامًا من حسن البنا، الذي كان دومًا يعدُّ الإمام يحيى في مكاتباته واتصالاته معه رمزًا ومرجعًا إسلاميًّا يُعوِّل عليه لتحمُّل أمر الأمة الإسلامية، إلى درجة أن رشَّحه لتولى منصب الخلافه الإسلامية(٥٧٤)، فكيف نفسِّر هذه الازدواجية في المواقف، وهذا التلون في النهج، إلا إذا أدركنا حقيقة انغماس الاخوان في وحول المراوغة الميكيافيلية، والتآمر السرى القائم

على فكرة أن الغاية تُبرِّر الوسيلة، وعبر تاريخهم الماضى والحاضر؛ لم يتورعوا عن الكذب والانقلاب على كل من أحسن إليهم، متخلين عن المبادئ والقيم عند أول منعطف تقتضيه تكتيكات السياسة، وفى جعبتهم عشرات المبررات والتخريجات الشرعية التى يؤولونها فى سبيل الوصول إلى الحكم.*

والشواهد كثيرة فى هذا الشأن، منها نهجهم فى العهد الملكى فى مصر، عندما كانوا يضعون القنابل والمتفجرات فى دور السينما والفنادق والمحاكم باسم الدين، ويغتالون الوزراء والقضاة باسم الجهاد الدينى، ابتداء من اغتيالهم لرئيسىّ وزراء مصر النقراشى باشا وأحمد ماهر باشا، إضافة إلى الوزير بطرس باشا، واغتيالهم للقاضى فى محكمة الاستئناف أحمد بيك الخزندار، ومحاولتهم اغتيال رئيس مجلس النواب حامد جودة، ونهجهم فى العهد الجمهورى، عندما حاولوا اغتيال الرئيس عبد الناصر فى حادثة المنشية عام ١٩٥٤م، ونهجهم خلال فترة احتضانهم فى الجزيرة العربية، بعد أن نُصبت لهم المشانق فى مصر وبلاد الشام، ولم يجدوا سوى المملكة العربية السعودية ودول الخليج أرضًا تأويهم، فاستغلوا كرم من آواهم واستقبلهم أحسن استقبال، وبدؤوا من جديد تحت ستار التدريس والجمعيات الخيرية فى التآمر وإنشاء التنظيمات السرية، ونشر الأفكار والخطابات المؤدلجة المعادية للدول التى آوتهم، وبلغت قمة النكران للجميل والعض لليد التى أحسنت إليهم أن أخرجوا بيانًا يؤيدون فيه غزو صدام حسين للكويت، بالرغم من أن دولة الكويت كانت من أكثر الدول التى ناصرت قضاياهم.

أما فى الإمارات العربية المتحدة، فغير خافٍ على أحد الخلايا السرية التخريبية للإخوان المسلمين التى تم اكتشافها مؤخرًا فى إمارتى دبى وأبو ظبى، وها نحن نرى اليوم وقد توحد غالبية الشعب المصرى ومؤسساته ضدهم، من القضاء، الى الجيش، إلى الشرطة، إلى الأزهر، الى الكنيسة القبطية، الى كافة قوى المجتمع المدنى ومؤسساته، بعد أن تكشفوا على حقيقتهم فى الكذب والتلون والانتهازية والمراوغة، والأمر هنا لا يتعلق بمجرد اتهامات، بل يستند إلى جملة حقائق استعدوا بها عشرات الملايين من المواطنين المصريين اللذين خرجوا

* ينبغى التمييز هنا ما بين العامة الصادقين، الذين انظموا الى جماعة الاخوان المسلمين انخداعا بشعاراتهم البراقة، وبين الانتهازيين الكاذبين من قادة الإخوان المسلمين، ولا الوم الصادقين على انضمامهم لتنظيم الإخوان المسلمين استجابة لعاطفتهم الدينية، فلقد سبقهم الامام يحيى بالإنخداع الى أن أفتى الاخوان المسلمين بوجوب قتله.

إلى الشوارع مطالبين باسقاطهم، فبماذا نفسر ايصالهم للبلاد وهم فى السلطة الى حالة من الانقسام،والتشرذم، والاحتراب الأهلى،والعنف المجتمعى، غير رفضهم المطلق للتعددية، واصرارهم على الهيمنة والاستحواذ على كل شيئ، باقصاء كل من لا يتوافق معهم من ذوى العلم والخبرة، وتقديم مبدأ الانتماء الحزبى والايديولوجي على مبدأ الكفائة.

أما بعد سقوطهم، فبماذا نفسر دعوتهم للدول الغربية للتدخل فى شؤون مصر، ورفعهم للسلاح، وحيازتهم للمتفجرات، واطلاقهم للنيران من على مآذن المساجد، وحرقهم للجامعات والمبانى التابعة لمؤسسات الدولة، وقطعهم للطرق واشاعتهم للفوضى، وتحريكهم للخلايا الارهابية فى القاهرة وكرداسة والمنصورة وسيناء وغيرها من المحافظات والتى اشار اليها ضمناً احد رموز الاخوان المسلمين (محمد البلتاجى) متوعدا معارضيه من الشعب المصرى بالمزيد ان لم يسلموا تسليما كاملا لسطوة جماعته،واخراجهم للنساء والأطفال إلى الميادين التى اعتصموا فيها للتدَرُّع بهم، فهل هذه الممارسات من تعاليم الاسلام فى شيئ، أم إنها من تعاليم الشيطان؟ والشيئ المضحك والمثير للسخرية هو استشهادهم وهم فى السلطة بآيات تطبيق الحرابة على كل من يعارضهم بالإعتصام فى الميادين وقطع الطرق، أما بعد سقوطهم فأصبح كل من يعتصم ويقطع الطرق ويحرق الجامعات ومؤسسات الدولة ويشيع الفوضى من جماعاتهم مجاهداً فى سبيل الله، فهل هناك نفاق وازدواجية أكثر من ذلك.

وفى سياق النفاق والإزدواجية التى يعيشها الاخوان المسلمين اليوم، هناك سؤالا مهماً يجدر بنا طرحه وهو: كيف يمكن لأناس يدعون العصامية، ويرفعون شعارات العدالة ومحاربة الظلم والفساد، أن لا يجدوا من يمثلهم فى اليمن سوى القتلة المجرمين كعلى محسن الأحمر حامى حمى تنظيم القاعدة وسند التكفيريين فى اليمن وصاحب المجازر الدموية فى منطقة صعدة والجنوب، والظلمة الفاسدين كحميد الأحمر مجند الانتحاريين وصاحب المليشيات المسلحة القاطعة للطرق والقاتلة للشيوخ والنساء الأطفال، والدجالين المنافقين(*) كعبدالمجيد الزندانى صاحب المواقف المزدوجة واللحية التجارية الناهبة لأموال الضعفاء والمساكين تحت غطاء الاستثمار الإسلامى.

---

* يظهر نفاق الزندانى جليا فى الكثير من المواقف وأخص بالذكر منها موقفين بالتحديد، أولاهما موقفه من الرئيس على عبدالله صالح الذى كان يسميه بالصادق الأمين، ثم بعد أن راودت أحلام السلطة خياله عقب ثورات الربيع العربى بدأ يصرح بوجوب أسقاطه بوصفه طاغية وكذاب لا أمان له، وثانى مواقف النفاق هو موقفه من الهاشميين حيث كان يؤلب تلاميذه عليهم بقوله أنهم سبب الظلم فى اليمن، وبمجرد أن أستشعر بزوغ نجم الحوثيين بدأ يصرح بمظلوميتهم.

أما عن خيانة الاخوان المسلمين للثقة والأمانة التى أولاها لهم الشعب المصرى بعد وصولهم إلى السلطة، وما بدر منهم من تنكُّر للجميل، وانتهاك لمبادئ المرؤة والنخوة تجاه دول الخليج التى آوتهم،فهو نفس ما حصل منهم فى الأربعينيات من القرن الماضى، حيث خانوا الأمانة وجحدوا المعروف وانتهكوا الحرمات فى اليمن تحت ستار الدعوة إلى الله بإصدار فتوى على لسان الفضيل الورتلانى، تقول بأن قتل الإمام يحيى واجب على كل مسلم[٥٧٥]؛ مما أثمر عن اغتيال الإمام يحيى على يد الشيخ القردعى، الذى استجاب للفتوى بالتقطع بثلة من رجاله لسيارة الإمام يحيى فى كمين مسلح فى منطقة سواد حزيز، التى ذهب إليها الإمام وحيدًا لزيارة مزرعته بدون أن يرافقه أحد سوى سائقه، وحارسه الخاص ابن قلالة، ورئيس وزرائه القاضى العمرى، وحفيده الحسين، حيث اُستشهدوا جميعًا بأكثر من خمسين طلقة رشاش وُجدت على جسد الإمام يحيى[٥٧٦].

وبمجرد أن اعتلى عبدالله الوزير الحكم بعد اغتيال الإمام يحيى، وجدناه يبعث الحوالات البنكية للإخوان المسلمين بمئات الآلاف من الجنيهات المصرية؛ للاستعانة بنفوذهم الأدبى والسياسى فى مصر[٥٧٧]، وفى مقابل ذلك وجدنا حسن البنا يُرسل نائبه عبد الحكيم عابدين مع ثلة من المتطوعين الإخوانيين لدعم الحركة الانقلابية[٥٧٨]، فوصلوا إلى صنعاء على طائرة خاصة استأجروها، وبدؤوا فى استخدام قدراتهم الخطابية من إذاعة صنعاء لتهييج الجماهير، وحضهم على مساندة الانقلاب، وأصبحوا يتصرفون وكأنهم أصحاب الأمر فى اليمن، إلى درجة أن دارت مباحثات لتعيين ممثلهم الفضيل الورتلانى رئيسًا لوزراء الحركة، إلا أنه كان أكثر نفوذًا من رئيس وزراء فى سلوكياته بعد الانقلاب، فهو المتحدث بلسان اليمن على هواه أمام الجامعة العربية والعالم أجمع[٥٧٩]، وهو من كان يضع أختام الدولة على هواه، وهو من كان الآمر الناهى المتصرف فى الإذاعة اليمنية؛ مما تسبَّب فى امتعاض الإمام الجديد عبدالله بن أحمد الوزير من سلوكياته التى وجد فيها تهميشًا له[٥٨٠].

وهو من بدأ يقرر السياسة الخارجية لليمن، وما على وزير خارجية الانقلاب إلا أن يضع اسمه مذيلا به البرقيات والرسائل، ولم يعد الفضيل الورتلانى ذلك الرجل الناصح والواعظ، والذى كان يمثّل دور التواضع، بل بدأ يرى الناس أبهة الملك أكثر بعشرات المرات مما أراها الإمام الجديد عبدالله الوزير، حسب ما أكده أحد رجال الانقلاب فى مذكراته، وهو حسين المقبلى، الذى أضاف قائلاً: «تركت الفضيل وأنا أؤمن من أعماق نفسى بأنه إذا تم الأمر لابن الوزير واستقرت الأحوال، فإن خليفته القريب العاجل هو الفضيل الورتلانى». والشىء الملفت للنظر، والدال على انتهازية الإخوان المسلمين ووصوليتهم فى

أبلغ معانيها، عندما وجدنا ممثلهم الفضيل الورتلانى ذا الأصول البربرية، وقد بدأ يروِّج لنفسه بين الناس فى اليمن من أنه علوى فاطمى النسب من نسل الرسول، تمهيدًا للدعوة إلى نفسه بالإمامة[٥٨١].

أما إذا سلطنا الضوء على مواقف الإخوان المسلمين بعد فشل الانقلاب، فسوف نصاب بالغثيان من آفة الحربائية والتلون التى جُبلوا عليها، فبمجرد أن بدؤوا يشعرون بميل كفة ميزان المعركة لصالح سيف الإسلام أحمد، وهو يتأهب للدخول إلى صنعاء للأخذ بثأر أبيه، وجدناهم وقد بدؤوا يُغيّرون من لهجتهم تجاهه؛ لأنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من السلطة، فبعد أن كانوا أثناء الانقلاب يتخذون منه موقفًا عدائيًّا، ويوزعون بالطائرات المنشورات التى تندد به[٥٨٢]، وبعد أن كانوا يُحقّرونه فى صحفهم ووسائل إعلامهم بتصويره فاقدًا للأهلية، ومغتصبًا للعرش وخارجًا على صاحب الشرعية عبدالله الوزير، الذى عدوه الإمام الشرعى الوحيد المؤهل لتولى عرش اليمن[٥٨٣]؛ وجدناهم بعد أن حقَّق الإمام أحمد النصر ينزلون عليه الرضا الحميم، متزلفين ومتملقين له بالقول: إنه صاحب الشرعية الحقيقى، وأن حضورهم إلى اليمن خلال فترة الانقلاب لم يكن فى واقع الأمر دعمًا لابن الوزير، بقدر ما كان مسعى لإقناع ابن الوزير بالتنازل عن السلطة للإمام أحمد[٥٨٤].

فكم هى يا ترى عدد المرات التى غيَّر فيها الإخوان المسلمون من جلودهم منذ أن وطئت أقدامهم أرض اليمن، مبتدئين بمدح الإمام يحيى وابنه أحمد، اللذين عدوهما صاحبا مآثر جليلة، وحاكما لدولة الحق والعدالة، إلى أن تحولوا إلى ذم الإمام يحيى ولعنه مع نجله سيف الإسلام أحمد أثناء فترة الانقلاب، وعدوهما طغاة فاقدين للشرعية، وحكاما لدولة الظلم والظلام، إلى أن غيروا من موقفهم للمرة الثالثة بعد فشل الانقلاب بانتصار الإمام أحمد، الذى عدوه صاحب الشرعية، والمؤهل الوحيد لحكم اليمن.

وموقف آخر يجدر بنا أن نُسلّط الضوء عليه لكشف انتقائية الإخوان المسلمين، وازدواجية معاييرهم فى التعاطى السياسى، بما يُقوّض مصداقيتهم ويكشفهم على حقيقتهم، هو موقفهم من عمالة حزب الأحرار للإنكليز. فبالرغم من تيقنهم من أن احتضان الإنكليز لأعضاء حزب الأحرار لم يكن مجانيًّا، بل ثمنه استخدامهم ورقة ضغط وابتزاز للإمام يحيى، لتقديم تنازلات تمس مبادئ الدين والوطن. وبالرغم من أن الإخوان المسلمين لطالما تشدقوا بالتبرؤ، وقطع الصلة بأى جهة ترتبط بالإنكليز، حسب ما ورد فى صحفهم الرسمية التى تقول فى أحد أعدادها: «إننا أشد الناس كراهية للأجانب، ولو لجأت حكومة اليمن أو أية حكومة

غيرها إليهم، وفتحت أمامهم ثغرة من ثغرات التدخل فى شؤون هذا الوطن العربى أو الإسلامى؛ لكنا أول الناس سخطًا عليها، وأشدهم حربًا لها[٥٨٥]، وجدنا الإخوان المسلمين يصنفون رجال حزب الأحرار كمناضلين أطهار ووطنيين أحرار يجب التعاون معهم، فهل وجدت شعاراتهم فى صحفهم ووسائل أعلامهم ترجمة على أرض الواقع، أم أن الإخوان المسلمين لهم استثناء فى عدم قرن القول بالعمل؟!

أما المحك الحقيقى لمروءة الإخوان المسلمين، فتتجلى فى تخليهم عن رجالهم عند النوازل وحلول المصائب على رؤوسهم، فبعد أن فشل الانقلاب بدأت السلطات المصرية تلقى سهام الاتهامات على الإخوان بالتورط فى اغتيال الإمام يحيى، فما وجد الإخوان المسلمون من سبيل للتخلص من هذه الورطة الخطيرة، سوى التبرؤ من الفضيل الورتلانى، فنشرت صحفهم بيانًا يعلنون فيه براءتهم التامة منه، مؤكدين على أنه لم يكن فى يوم من الأيام ممثلاً لهم، ولا عاملاً باسمهم، ولا رسولاً لهم إلى اليمن، بل أنكروا حتى عضويته فى جماعة الإخوان المسلمين[٥٨٦]، وتركوه عرضة للجوع والتشرد، وهو يتنقل بين الموانئ البحرية العربية التى رفضت استقباله[٥٨٧].

هذه حقيقة انقلاب عام ١٩٤٨م الدموى، الذى أضفى عليه إعلام العسكر فى اليمن صفة القداسة، وعدّه المأجورون من الكتاب وحملة المباخر قمة الأمجاد، ومبعث الافتخار، وعنوان الشرف اليمنى. وهذه حقيقة المتآمرين القائمين على هذا الانقلاب،الذين تحت شعارات الحرية والإصلاح والشورى، تاجروا بالمبادئ الوطنية، وارتبطوا بالمشروع البريطانى ومخططاته الهادفة لتفتيت وحدة اليمن، وخلعوا المشروعية الدينية على الإرهاب والاغتيال السياسى، والغدر والخيانة ونكث العهود، وتحولوا إلى معول هدم وعقبة كبرى فى مسيرة التطوير والإصلاح، ورفعوا راية الغرائز العنصرية والأحقاد العرقية والطائفية، وقاموا بتسميم الأجواء وشحن مناخات العداء بإعطاء جرعات يومية من الكراهية بين اليمنيين،وهم يعدون أنفسهم رعاة المبادئ والأخلاق، ولسوف يأتى اليوم الذى تتم فيه محاسبتهم محاسبة تاريخية قاسية، فالتاريخ لا يرحم، والقضية هنا ليست قضية تصادم بين نظام سياسى ومعارضة انقلابية، ولكنها قبل كل شىء قضية أمن وطن من التصدع، وسلامة مجتمع من التهتك.

فالمعارضة والنضال الشريف الهادف والنبيل فى أخلاقياته، لا اعتراض عليه، والتنافس السياسى الإيجابى لا بأس به، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون. والنقد المنهجى البناء

المطالب بالإصلاح حقٌّ مشروع لكل فرد يمني كائنًا من كان، إن خلصت النية وصدقت النفوس، ولكن هناك قواعد يجب أن تُحترم، وسقف أخلاقيات يجب الوقوف عنده، وثوابت دينية ووطنية لا يمكن تجاهلها. وبتتبع سيرة هؤلاء الانقلابيين، خاصة الزبيرى ونعمان؛ فسوف نجد أن معارضتهم قد تحولت إلى خنجر فى خاصرة الوطن، وقد سبق أن وثّقت الكثير من مواقفهم التخريبية التى مارسوا فيها دورًا جهنميًّا فى تقويض كل ما له علاقة بنهضة اليمن وعزته؛ مما ضيَّع على البلاد فرصة تاريخية كان يمكن أن تنقل البلاد نقلة حضارية نادرة.

وفى نهاية هذا الفصل، فحسبى أن أستشهد بموقف أخير لمحمد محمود الزبيرى، وأحمد محمد نعمان، وعمه عبدالوهاب نعمان، فيه خروج على الإجماع الوطنى، بما يؤكّد خلو ثقافتهم من التمييز بين مفهوم المعارضة ومفهوم الوطنية، وتغليبهم شهوة الانتقام والتشفى على معانى الانتماء للوطن، وإلا فما معنى أن يتنكروا لمشاعرهم الوطنية بالاصطفاف والمؤازرة مع من كانوا فى حالة حرب مع وطنهم، وكل ذلك بدافع النكاية بالإمام يحيى؟ وبنظرة سريعة لمقالات نشرها الزبيرى ونعمان فى جريدتهما المعارضة (صوت اليمن)؛ فسندرك الخزى والعار الذى سوف يلحق بسيرتهما عندما تقرأ الأجيال القادمة كتاباتهما عن الحرب السعودية اليمنية، والتى تنضح بالعداء السافر لوطنهما، وتبث روح التخاذل بمواطنيهما، وتتعاطف تعاطفًا واضحًا مع القوات السعودية المحتلة لتهامة اليمن، مانحين أمير جيزان صفة رجل السلام والإخوة، وهو من قادة الحرب فى الجانب السعودى، بينما يتهمان عبدالرحمن السياغى، ممثل الإمام يحيى، وأحد قادة حربه بالتشدد والجفاء وغلظة القول، بل أكثر من ذلك، وصفا فى جريدتهما المعارضة الحرب بين السعودية واليمن بأنها كانت حربًا عدوانية تشنها حكومة اليمن بلا مبرر ضد حكومة عربية مسالمة، وزاد الزبيرى ونعمان على ذلك بأن وصفا اليمنيين الذين قاتلوا مع الإمام يحيى فى تلك الحرب بأنهم مرتزقة(٥٨٨)، فأين الحس الوطنى وغيرته لدى الزبيرى ونعمان، اللذين روج الإعلام الجمهورى فى اليمن عنهما أنهما قادة تاريخيين أحبا وطنهما إلى حدِّ التقديس، وأن نضالهما فى سبيل عزة الوطن ومجده وكرامته قد ملك كل وجدانهما؟ فهل تستقيم طروحاتهما عن الحرب السعودية اليمنية مع معانى الحب والانتماء للوطن؟ وهل القادة الوطنيين يقفون مثل هذا الموقف المخزى إذا ما تعرض الوطن لغزو خارجى؟

أما عن عبدالوهاب نعمان، فقد فاق الزبيرى وأحمد محمد نعمان فى التنكر لمعانى الانتماء للوطن، بشعوره بالشماتة والتشفى والارتياح عند دخول القوات السعودية إلى الحديدة(٥٨٩)، وباتصالاته السرية مع ابن سعود، والمعركة على أشدها بين القوات اليمنية والسعودية(٥٩٠)، بل أكثر من ذلك، حسب ما كشفته الوثائق البريطانية؛ تم العثور على وثائق خطية بتوقيعه تشى بالتآمر على الوطن فى مثل تلك الظروف العصيبة(٥٩١)، وفى هذا الصدد يقول البردونى مؤرخ اليمن وشاعرها: «إذا كان التحول عن الإمام يحيى إلى الجانب الوطنى، فإن القصد شريف، أما الذين تحولوا إلى جانب الملك عبدالعزيز، فإن هؤلاء يُشكّلون خروجًا على الوطن، مهما كان نوع السلطة فيه، وهل الإشمات بالإمام يحيى فى هذا الموقف يعدُّ نزوعًا وطنيًا»(٥٩٢).

الإمام أحمد بعد أن أظهره الله على أعدائه يقرأ الفاتحة وهو جاثٍ على قبر أبيه الشهيد

المراجع:

١ - (اليمن الجمهوري، عبدالله البردوني، الطبعة الأولى، ص٤٨٣).
٢ - (حياة الأمير علي بن عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص٥٠٠).
٣ - (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، الطبعة الأولى، ص١٧).
٤ - (ثورة ٤٨ الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمني، ص ١٣٢).
٥ - (الثقا فة والثورة في اليمن، عبدالله البردوني، ١٩٩١م، ص ٣٤٣).
٦ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٢١٤).
٧ - (معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن، محسن العيني، ص٦٦).
٨ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، د. محمد علي الشهاري، الطبعة الأولى، ص٣٦).
٩ - (الحركات الاجتماعية والسياسية في اليمن، الدكتورصادق عبده علي، ص٦٨).
١٠ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، مرجع سابق، ص١٣٠).
١١ - (الزبيري شاعرًا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، الطبعة الأولى، ص٢٨).
١٢ - (الثقافة والثورة في اليمن، عبدالله البردوني، ١٩٩١م، ص٣٤٣).
١٣ - (الزبيري شاعرًا ومناضلاً، مجموعة من الكتاب اليمنيين، مرجع سابق، ص٢٨).
١٤ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، مرجع سابق، ص٣٧).
١٥ - (معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن، محسن العيني، ص٦٦).
١٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص١١٣).
١٧ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي، الطبعة الأولى، ص٢٨٩).
١٨ - (حياة الأمير علي بن عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، مرجع سابق، ص٤٥٧).
١٩ - (أحمد الحورش الشهيد المربي، الدكتور عبدالعزيز المقالح، الطبعة الثانية، ص٩٥).
٢٠ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، مرجع سابق، ص٩٩).

٢١ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، الطبعة الأولى، ص٢٣١).
٢٢ – (لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، على محمد عبده، الطبعة الأولى، ج٢، ص٧٣ – ٧٤).
٢٣ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، مرجع سابق، ص١٠٠).
٢٤ – (المصدر نفسه، ص٣٩٩).
٢٥ – (المصدر نفسه، ص٤٣٨).
٢٦ – (الفكر والموقف، محمد أحمد نعمان، الطبعة الأولى، ص٢٢٥).
٢٧ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، مرجع سابق، ص٤٦).
٢٨ – (المصدر نفسه، ص٤٠٠).
٢٩ – (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، الطبعة الأولى، ص٢٨٦).
٣٠ – (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٩٩).
٣١ – (فنون الأدب الشعبى فى اليمن، عبدالله البردونى، ص١٣٧).
٣٢ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، ١٩٩١م، ص٩٩).
٣٣ – (مع الشعر المعاصر فى اليمن، أحمد محمد الشامى، الطبعة الثالثة، ص ٤٢ – ٤٣).
٣٤ – (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، مرجع سابق، ص٩٩).
٣٥ – (مذكرات أحمد محمد نعمان، الطبعة الأولى، ص٢٤٥).
٣٦ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، مرجع سابق، ص٩٦).
٣٧ – (مذكرات أحمد محمد نعمان، مرجع سابق، ص٢٥٢).
٣٨ – (المصدر نفسه، ص٢٤٨).
٣٩ – (المصدرنفسه، ص٢٤٦، ٢٤٧).
٤٠ – (رياح التغيير فى اليمن، أحمد الشامى، مرجع سابق، ص٣٨٧).
٤١ – (مذكرات أحمد محمد نعمان، ص٢٤٥).
٤٢ – (المصدرنفسه، ص٢٥٢).

٤٣ - (زيد الموشكى شاعرًا وشهيدًا، الدكتور عبدالعزيز المقالح، الطبعة الأولى، ص١١٧).
٤٤ - (مذكرات أحمد محمد نعمان، مرجع سابق، ص٢٤٧).
٤٥ - (دور جريدة فتاة الجزيرة، فى احداث سنة ١٩٤٨م، سلطان ناجى ص١٨، الطبعة الأولى).
٤٦ - (مذكرات أحمد محمد نعمان، الطبعة الأولى، ص٢٤٧).
٤٧ - (دور جريدة فتاة الجزيرة فى أحداث سنة ١٩٤٨م، سلطان ناجى، الطبعة الأولى، ص١٧).
٤٨ - (مذكرات أحمد محمد نعمان، مرجع سابق، ص١٥٩).
٤٩ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد الشامى، ص١٣٥).
٥٠ - (دور جريدة فتاة الجزيرة فى أحداث سنة ١٩٤٨م، سلطان ناجى، الطبعة الأولى، ص٢٠).
٥١ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد الشامى، مرجع سابق، ص٤٤٢).
٥٢ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ص٤٨٩).
٥٣ - (المصدر نفسه، ص٩٥).
٥٤ - (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، الطبعة الأولى، ص ٢٨١ - ٢٨٢).
٥٥ - (من أول قصيدة إلى آخر طلقة، عبدالله البردونى، الطبعة الثالثة، ص٢٥).
٥٦ - (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص٣٠٩).
٥٧ - (المصدر نفسه، ص٣٠٥).
٥٨ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص٩٩).
٥٩ - (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن، عبدالعزيز المقالح، ط٢، ص٩٩).
٦٠ - (محاولة لفهم المشكلة اليمنية، زيد الوزير، ص١١٦، طبعة عام ١٩٧١م).
٦١ - (نفس المصدر، ص١٠١).
٦٢ - (مذكرات أحمد محمد نعمان، الطبعة الأولى، ص١٦٧).

٦٣ – (المصدر نفسه، ص١٣١).
٦٤ – (لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، على محمد عبده، الطبعة الأولى، ج٢، ص٥٥ – ٥٦).
٦٥ – (الفكر والموقف، محمد أحمد نعمان، الطبعة الأولى، ص٢١).
٦٦ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ص٣٦٧).
٦٧ – (لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، على محمد عبده، الجزء الأول، ص٢٩٨).
٦٨ – (رياح التغيير فى اليمن، أحمد الشامى، ص٤٤٢).
٦٩ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، مرجع سابق، ص٢١٣).
٧٠ – (مذكرات أحمد محمد نعمان، مرجع سابق، ص١٦٧).
٧١ – (اليمن والغرب، أريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسين العمرى، الطبعة الثانية، ص١٥٩).
٧٢ – (الثقافة والثورة، عبدالله البردونى طبعة عام ،ص٤٢، طبعة عام ١٩٩١م).
٧٣ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص٣٠٢).
٧٤ – (الثقافة والثوره فى اليمن، عبدالله البردونى، ص١٨٨، طبعة عام ١٩٩١م).
٧٥ – (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة ، الدكتور عبدالعزيز قائد المسعودى، ص٢١٥، الطبعة الأولى).
٧٦ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، ص٤٢، طبعة عام ١٩٩١م).
٧٧ – (مذكرات احمد محمد نعمان، ص١٦٧، الطبعة الأولى).
٧٨ – (المصدر نفسه ١٦٨).
٧٩ – (اليمن الجمهورى – عبدالله البردونى – ٢٢٦ – الطبعة الأولى).
٨٠ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٣٩٣، الطبعة الأولى).
٨١ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص٩٥).
٨٢ – (اليمن والغرب، ص ١٦٤).
٨٣ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، احمد محمد الوزير، ص٤٢٠).

٨٤ – (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة، الدكتور عبدالعزيز قائد المسعودى، ص٢٣٠، الطبعة الأولى).
٨٥ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، احمد محمد الوزير، ص٣٠٣).
٨٦ – (نفس المصدر، ص٣١٨).
٨٧ – (نفس المصدر، ص٣٠٩).
٨٨ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٢٣٣ – ٢٣٦).
٨٩ – (حياة الامير على عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، ص٣٧٠، الطبعة الأولى).
٩٠ – (نفس المصدر، ص ٤١١ – ٤١٢).
٩١ – (نفس المصدر، ص٢٨٩).
٩٢ – (نفس المصدر، ٢٧٣).
٩٣ – (نفس المصدر، ص٣١١).
٩٤ – (نفس المصدر، ص٤٣٥).
٩٥ – (نفس المصدر، ص٤١٤).
٩٦ – (سيرة الامام يحى المجلد الاول، عبدالكريم بن احمد مطهر، ص٢٥٩).
٩٧ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، احمد بن محمد الوزير، ص ١٦٩ – ١٧٠ الطبعة الأولى).
٩٨ – (سيرة الامام يحى، عبد الكريم بن احمد مطهر، المجلد الاول، ص٢٦٨، الطبعة الأولى).
٩٩ – (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، ص١٣٦، الطبعة الأولى).
١٠٠ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢١٠، الطبعة الأولى).
١٠١ – (ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٣٥٤، الطبعة الأولى)
١٠٢ – (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، ص٤٣٦، الطبعة الأولى).
١٠٣ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢١٠، الطبعة الأولى).
١٠٤ – (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، ص١٢٦، الطبعة الأولى).
١٠٥ – (نفس المصدر، ص٥٦٩).
١٠٦ – (مذكرات احمد محمد نعمان، ص٢٤، الطبعة الأولى).

١٠٧ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق،ص٨٩، الطبعة الأولى).
١٠٨ - (مذكرات احمد محمد نعمان، ص١٢٩،الطبعة الأولى).
١٠٩ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات،مرجع سابق،ص٣٩٧،الطبعة الأولى).
١١٠ - (نفس المصدر، ص٤٩٨).
١١١ - (نفس المصدر، ص٥٠٥).
١١٢ - (مذكرات احمد محمد نعمان - ص ٢٤٩ - ٢٥٠، الطبعة الأولى).
١١٣ - (اليمن الجمهورى - عبدالله البردونى - ٥٣ - الطبعة الأولى).
١١٤ - (مذ كرات احمد محمد نعمان، ص٢٥١، الطبعة الأولى).
١١٥ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات - مرجع سابق، ص٥٠٥).
١١٦ - (مذكرات احمد محمد نعمان،ص ١٤٥ - ١٤٦، مرجع سابق).
١١٧ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص١٨٦، الطبعة الأولى).
١١٨ - (لمحات من تاريخ حركة الاحرار اليمنيين، الجزء الأول،على محمد عبده، ص٢٩٤، الطبعة الأولى).
١١٩ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى،ص٤٠٢ - ٤٠٣، الطبعة الأولى).
١٢٠ - (نفس المصدر، ص٢١٠).
١٢١ - (مذكرات احمد محمد نعمان، ص٤٤، مرجع سابق).
١٢٢ - (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير،احمد بن محمد الوزير، ص ٥٨٤ - الطبعة الأولى).
١٢٣ - (لمحات من تاريخ حركة الاحرار اليمنيين،الجزء الأول،على محمد عبده،ص١٤٨، الطبعة الأولى).
١٢٤ - (مذكرات احمد محمد نعمان،ص١٣١،الطبعة الأولى).
١٢٥ - (نفس المصدر، ص١٣٣).
١٢٦ - (الزبيرى شاعرا ومناضلا،مجموعة من الكتاب اليمنيين،ص٩٥،الطبعة الأولى).
١٢٧ - (زورق الحلوى،حمود بن محمد الدولة،ص٥٦٧،الطبعة الأولى).
١٢٨ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال،الدكتور محمد على الشهارى،ص٣٨، الطبعة الأولى).

١٢٩ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٣٠١، الطبعة الأولى).
١٣٠ - (الزبيرى شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص٦، الطبعة الأولى).
١٣١ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص١٧٥، الطبعة الأولى).
١٣٢ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص١٧٥، الطبعة الأولى).
١٣٣ - (اليمن الجمهورى - عبدالله البردونى - ٣٢٧ - الطبعة الأولى).
١٣٤ - (زيدالموشكى شاعرا وشهيدا، الدكتور عبدالعزيز المقالح، ص٦٦، الطبعة الأولى).
١٣٥ - (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى ص١٢١، الطبعة الأولى).
١٣٦ - (رياح التغيير، احمد محمد الشامى، مرجع سابق، ص٢٨٩).
١٣٧ - (المصدر نفسه، ص١٧٩).
١٣٨ - (الثقافه والثوره فى اليمن، عبدالله البردونى، ص٣٤٤، طبعة عام ١٩٩١م).
١٣٩ - (زيد الموشكى شاعرا وشهيدا، الدكتور عبدالعزيز المقالح، ص٥٢ - الطبعة الأولى).
١٤٠ - (الثقافة والثوره فى اليمن، عبدالله البردونى، ص٣٣٨، طبعة عام ١٩٩١م).
١٤١ - (من أول قصيدة إلى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص١٩٤، الطبعة الثالثة).
١٤٢ - (الثقافة والثوره فى اليمن، عبدالله البردونى، ص٣٥٣، طبعة عام ١٩٩١م).
١٤٣ - (زيد الموشكى شاعرا وشهيدا، الدكتور عبدالعزيز المقالح، ص٥١، الطبعة الأولى).
١٤٤ - (المصدر نفسه، ص٦٦).
١٤٥ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٣٨٧، الطبعة الأولى).
١٤٦ - (زيد الموشكى شاعرا وشهيدا، الدكتور عبد العزيز المقالح، ص١١٧، الطبعة الأولى).
١٤٧ - (مذكرات احمد محمد نعمان، ص ٢٤٧، الطبعة الأولى).
١٤٨ - (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، ص٣٦١، الطبعة الأولى).
١٤٩ - (اليمن الانسان والحضارة، عبدالله الشماحى، ص٢٢٠، طبعة عام ١٩٧٢م).
١٥٠ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٦١٧، الطبعة الأولى).
١٥١ - (الشيخ على ناصر القردعى، احمد شبرين القردعى، ص ٢٨، طبعة عام ١٩٩٣م).
١٥٢ - (نفس المصدر، ص٤٤).
١٥٣ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٢٣٦، الطبعة الأولى).
١٥٤ - (الشيخ على ناصر القردعى، احمد شبرين القردعى، ص٤٧، طبعة عام ١٩٩٣م).

١٥٥ - (نفس المصدر، ص٥٦).
١٥٦ - (نفس المصدر، ص٥٢).
١٥٧ - (نفس المصدر، ص٥٦).
١٥٨ - (نفس المصدر، ص٣٤٢).
١٥٩ - (نفس المصدر، ص٣٧).
١٦٠ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٦٧، الطبعة الأولى).
١٦١ - (نفس المصدر، ص٤١).
١٦٢ - (نفس المصدر، ص٧٧).
١٦٣ - (نفحات من اليمن، احمد محمد الشامى، ص٤٧٩، الطبعة الأولى).
١٦٤ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص١٩٧، الطبعة الأولى).
١٦٥ - (نفس المصدر، ص٢٩١).
١٦٦ - (ثورة اليمن الدستورية، تأليف ضباط من رؤساء القيادة العسكرية لثورة ١٩٤٨م، ص٩١، ط٢).
١٦٧ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٣٦٠، الطبعة الأولى).
١٦٨ - (نفس المصدر، ص٣٧٠).
١٦٩ - (نفس المصدر، ص٥٠٢).
١٧٠ - (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، ص٥٨٥، الطبعة الأولى).
١٧١ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢٧٥ - ٢٧٨، الطبعة الأولى).
١٧٢ - (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص٦٦، الطبعة الأولى).
١٧٣ - (وثائق ودراسات، الجزء الثانى، محمد الشعيبى، ص٣٥، الطبعة الأولى).
١٧٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٦ - ١٨).
١٧٥ - (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص٦٣، الطبعة الأولى).
١٧٦ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢٧٨، الطبعة الأولى).
١٧٧ - (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، احمد بن محمد الوزير، ص٤٤٢، الطبعة الأولى).
١٧٨ - (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص٧٧، الطبعة الأولى).

١٧٩ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢٨١، الطبعة الأولى).
١٨٠ – (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص٣٩٣، الطبعة الأولى).
١٨١ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢٤٨ الطبعة الأولى).
١٨٢ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٢٨٠، الطبعة الأولى).
١٨٣ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٣١٩ – ٣٢٠، الطبعة الأولى).
١٨٤ – (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص١٤٤، الطبعة الأولى).
١٨٥ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، احمد بن محمد الوزير، ص٥٨١، الطبعة الأولى).
١٨٦ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، ص٤٧٨، الطبعة الأولى).
١٨٧ – (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص١٠٩، الطبعة الأولى).
١٨٨ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢٩٩، مرجع سابق).
١٨٩ – (نفس المصدر، ص٢١٠).
١٩٠ – (نفس المصدر، ص٢٨٩ – ٢٩١).
١٩١ – (كيف نفهم القضية اليمنية نحو النور، محمد عبدالله الفسيل، ص٣٤، الطبعة الأولى).
١٩٢ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، احمد بن محمد الوزير، ص٥٤٨، الطبعة الأولى).
١٩٣ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢٩٠، الطبعة الأولى).
١٩٤ – (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص٢٣٣، الطبعة الأولى).
١٩٥ – (التاريخ العسكرى لليمن، سلطان ناجى، ص١١٩، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
١٩٦ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص٥٣، الطبعة الأولى).
١٩٧ – (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبدالعزيز قائد المسعودى، ص٢٤٠، الطبعة الأولى).
١٩٨ – (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص٣٩٠، الطبعة الأولى).

١٩٩ – (مع الشعر المعاصر فى اليمن، احمد محمد الشامى، ص٥٤ – ٥٥،الطبعة الثالثة).
٢٠٠ – (من اول قصيدة إلى آخر طلقه،عبدالله البردونى، ص٣٤٣، الطبعة الثالثة).
٢٠١ – (مع الشعر المعاصر فى اليمن، احمد محمد الشامى، ص٧٠، اللطبعة الثالثة).
٢٠٢ – (من اول قصيدة إلى آخر طلقه،عبدالله البردونى، ص١٨٠، الطبعة الثالثة).
٢٠٣ – (مع الشعر المعاصر فى اليمن، احمد محمد الشامى، ص٧٠، الطبعة الثالثة).
٢٠٤ – (الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى، الدكتور عبد العزيز المقالح،ص٥٥، الطبعة الأولى).
٢٠٥ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبد الرحمن بعكر الحضرمى، ص٥٩، الطبعة الأولى).
٢٠٦ – (من اول قصيدة إلى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص١٧، الطبعة الثالثة).
٢٠٧ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٨٥، الطبعة الأولى).
٢٠٨ – (نفس المصدر، ص٣١٨).
٢٠٩ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٢٨٠، الطبعة الأولى).
٢١٠ – (الزبيرى شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص١٣٤، الطبعة الأولى).
٢١١ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٢٠٥، الطبعة الأولى).
٢١٢ – (صلاة فى الجحيم،محمد محمود الزبيرى، ص٥٥ – ٥٨، الطبعة الثانية).
٢١٣ – (نفس المصدر، ص١٦٣).
٢١٤ – (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن، عبدالعزيز المقالح، ص٩٩، الطبعة الثانية).
٢١٥ – (مع الشعر المعاصر فى اليمن، أحمد الشامى، ص٥١، الطبعة الثالثة).
٢١٦ – (لمحات من تاريخ حركة الاحرار اليمنيين، الجزء الأول،على محمد عبده،ص ٤٢٠، الطبعة الأولى).
٢١٧ – (من اول قصيدة إلى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص١٨٢، الطبعة الثالثة).
٢١٨ – (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن، عبد العزيز المقالح، ص١٠٠،ط ٢).
٢١٩ – (الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى، الدكتور عبد العزيز المقالح، ص٤٩، الطبعة الأولى).

٢٢٠ – (احمد الحورش الشهيد المربى، الدكتور عبدالعزيز المقالح، ص٩٢، الطبعة الثانية).

٢٢١ – (الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى، الدكتور عبد العزيز المقالح، ص٢٢، الطبعة الأولى).

٢٢٢ – (الزبيرى شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص٦١، الطبعة الأولى).

٢٢٣ – (ثورة اليمن الدستورية، تأليف ضباط من رؤساء خلايا القيادة العسكرية لثورة ٤٨، ص١٦، ط ٢).

٢٢٤ – (من اول قصيدة إلى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص١٣٤، الطبعة الثالثة) انظر كذلك (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، دكتور عبد العزيز قائد المسعودى، ص٢٤٢).

٢٢٥ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبد الرحمن بعكر الحضرمى، ص٨٢، الطبعة الأولى).

٢٢٦ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ص٢٨٤).

٢٢٧ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص٢٢٧).

٢٢٨ – (نفس المصدر، ص١٨٩).

٢٢٩ – (نفس المصدر، ص٢٢٥).

٢٣٠ – (نفس المصدر، ص٢٣٠).

٢٣١ – (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، ص٢٦٥، الطبعة الأولى).

٢٣٢ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٤٩٥، الطبعة الأولى).

٢٣٣ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٩٩ – ٢٠٠).

٢٣٤ – (الفكر والموقف، محمد أحمد نعمان، ص ٣٩٥ – ٣٩٦، الطبعة الأولى).

٢٣٥ – (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص١٩٠، الطبعة الأولى).

٢٣٦ – (الثقافة والثوره فى اليمن، عبدالله البردونى، ص٣٤٣، طبعة عام ١٩٩١م).

٢٣٧ – (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن، عبد العزيز المقالح، ص٢٢٦، ط ٢).

٢٣٨ - (مذكرات احمد محمد نعمان، ص٢٤٩، الطبعة الأولى).
٢٣٩ - (ثورة عام ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، محمد محمود الزبيرى، ص٨٠، الطبعة الأولى).
٢٤٠ - (الزبيرى شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص١٠١، الطبعة الأولى).
٢٤١ - (رياح تغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٣٣٨، الطبعة الأولى).
٢٤٢ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٤٩٦ - ٤٩٧، الطبعة الأولى).
٢٤٣ - (صوت اليمن العدد٤٠، تاريخ ٧ - ٧ - ١٩٤٧م).
٢٤٤ - (صوت اليمن - العدد ٩، تاريخ ٣١ - ٧ - ١٩٤٧م).
٢٤٥ - (صوت اليمن، العدد ٥، تاريخ ١٨ - ٩ - ١٩٤٧م).
٢٤٦ - (صوت اليمن العدد ٩، تاريخ ٣١ - ٧ - ١٩٤٧م).
٢٤٧ - (احداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، ص٥٢، الطبعة الأولى) نقلا عن جريدة صوت اليمن.
٢٤٨ - (الزبيرى شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص١٤٣، الطبعة الأولى).
٢٤٩ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ص٥٤، الطبعة الأولى).
٢٥٠ - (نفس المصدر، ص٤٩٦ - ٤٩٧).
٢٥١ - (من اول قصيدة إلى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص١٨٠، الطبعة الثالثة).
٢٥٢ - (مع الشعر المعاصر فى اليمن، احمد محمد الشامى، ص٦٩ - ٧٠، الطبعة الثالثة).
٢٥٣ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص٧٢، الطبعة الأولى).
٢٥٤ - (الزبيرى شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص٩٩، الطبعة الأولى).
٢٥٥ - (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، من وثائق الحكيمى، ص٤٨٩، الطبعة الأولى).
٢٥٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٨١ - ١٨٥).
٢٥٧ - (نفس المصدر، ص٤٨).

٢٥٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص٤٨).
٢٥٩ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال،الدكتور محمد على الشهارى، ص٧٢، الطبعة الأولى).
٢٦٠ - (احداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، ص٤٧، لطبعة الأولى).
٢٦١ - (مجلة اليمن الجديد، العدد العاشر، اكتوبر ١٩٨٦م، ص٥٠) نقلا عن جريدة صوت اليمن عدد ٤٩.
٢٦٢ - (رياح التغيير فى اليمن - احمد الشامى - ص٣٠١ - الطبعة الأولى).
٢٦٣ - (نفس المصدر، ص٣٠٣).
٢٦٤ - (مع الشعر المعاصر فى اليمن، احمد محمد الشامى، ص٧٧، الطبعة الثالثة).
٢٦٥ - (نفس المصدر، ص٧٦).
٢٦٦ - (الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى، الدكتور عبد العزيز المقالح، ص ٩، الطبعة الأولى).
٢٦٧ - (نفس المصدر، ص٧٢).
٢٦٨ - (ثورة الشعر، محمد محمود الزبيرى، ص ٥٨ - ٥٩، الطبعة الثانية).
٢٦٩ - (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص١١٨، الطبعة الثانية).
٢٧٠ - (مصرع الابتسامة، حميد احمد شحرة، ص٢٩٥، الطبعة الأولى).
٢٧١ - (اشتات، عبدالله البردونى، ص٣٦٤ - ٣٦٥، غير مذكور رقم الطبعة ولا تاريخها).
٢٧٢ - (اليمن الانسان والحضارة، عبدالله الشماحى، ص٢٩٠، طبعة عام ١٩٧٢م).
٢٧٣ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٤٨١، الطبعة الأولى).
٢٧٤ - (نفس المصدر، ص٤٨٤).
٢٧٥ - (اليمن الانسان والحضارة، عبدالله الشماحى، ص٢٨٩، طبعة عام ١٩٧٢م).
٢٧٦ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٤٣٦، الطبعة الأولى).
٢٧٧ - (كيف نفهم القضية اليمنية نحو النور، محمد عبدالله الفسيل، ص٤٠، الطبعة الأولى).
٢٧٨ - (مع الشعر المعاصر فى اليمن،احمد محمد الشامى، ص٤٨، الطبعة الثالثة).
٢٧٩ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٤٦٦، الطبعة الأولى).

٢٨٠ - (الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى،الدكتور عبدالعزيز المقالح، ص ١١١، الطبعة الأولى).
٢٨١ - (احداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، ص٢٠٩، الطبعة الأولى).
٢٨٢ - (نفس المصدر، ص٢٠٤).
٢٨٣ - (نفس المصدر، ص١٤٨).
٢٨٤ - (نفس المصدر، ص٦١).
٢٨٥ - (نفس المصدر ص٢٨٠).
٢٨٦ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٤٥٨، الطبعة الأولى).
٢٨٧ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص٩٠، الطبعة الأولى).
٢٨٨ - (نفس المصدر، ص٩٤) انظر كذلك (تاريخ اليمن المعاصر، تأليف مجموعة من المؤلفين السوفيات، ترجمة محمد على البحر، ص٩٩، طبعة عام ١٩٩١م).
٢٨٩ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص١١٤، الطبعة الأولى).
٢٩٠ - (نفس المصدر، ص٩٤).
٢٩١ - (الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها، الدكتور محمد عبدالملك المتوكل، ص٢٦٠، طبعة عام ١٩٨٣م).
٢٩٢ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص١١٤، الطبعة الأولى).
٢٩٣ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ص٧٤ الطبعة الأولى).
٢٩٤ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال،الدكتور محمد على الشهارى، ص٩٤، الطبعة الأولى).
٢٩٥ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ص٦٣، الطبعة الأولى).
٢٩٦ - (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص١٠٥، الطبعة الأولى).

٢٩٧ - (كنت طبيبه فى اليمن، كلودى فايان، ترجمة محسن العينى، ص١٦، الطبعة الثالثة).

٢٩٨ - (نفس المصدر، ص١٥).

٢٩٩ - (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص ١٠٥ - ١٠٦، الطبعة الأولى).

٣٠٠ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص٩٥، الطبعة الأولى).

٣٠١ - (نفس المصدر، ص٩١).

٣٠٢ - (نفس المصدر، ص٩٥).

٣٠٣ - (مقدمة الزبيرى فى كتاب الدكتورة كلودى فايان كنت طبيبة فى اليمن، المترجم إلى العربية، ص١٦).

٣٠٤ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال،الدكتور محمد على الشهارى، ص٩٦، الطبعة الأولى).

٣٠٥ - (معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن، محسن العينى، ص٨٠، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).

٣٠٦ - (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص ١٠٦، الطبعة الأولى).

٣٠٧ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص٩٦، الطبعة الأولى).

٣٠٨ - (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص١٢٢، الطبعة الأولى).

٣٠٩ - (الصحافة اليمنية قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م،علوى عبدالله طاهر، ص٣٧، طبعة عام ١٩٨٥م).

٣١٠ - (نفس المصدر، ص٥٤).

٣١١ - (التاريخ العسكرى لليمن،سلطان ناجى، ص١٩٨، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).

٣١٢ - (نفس المصدر، ص٢٠٠).

٣١٣ - (اليمن والغرب، اريك ماكرو، تعريب الدكتور حسين العمرى، ص٢٠٩، الطبعةالثانية).

٣١٤ - (نفس المصدر، ص٢٣١).

٣١٥ - (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث، امين سعيد، ص٢٨١).

٣١٦ - (الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها، الدكتور محمد عبدالملك المتوكل، ص ٢٦٠، طبعة عام ١٩٨٣م).
٣١٧ - (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص٦٧، الطبعة الثانية).
٣١٨ - (الزبيرى شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص٧٠، الطبعة الأولى).
٣١٩ - (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، ص٢٥٤، الطبعة الأولى).
٣٢٠ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص١٤٦، الطبعة الأولى).
٣٢١ - (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص ٢٣٤، الطبعة الأولى).
٣٢٢ - (الثقا فه والثوره فى اليمن، عبدالله البردونى، ص ٣٤٣، طبعة عام ١٩٩١م).
٣٢٣ - (الزبيرى شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص٢٨، الطبعة الأولى).
٣٢٤ - (من اول قصيدة الى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص ١٤٣، الطبعة الثالثة).
٣٢٥ - (نفس المصدر، ص ٢٢).
٣٢٦ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٤٦٦، الطبعة الأولى).
٣٢٧ - (لمحات من تاريخ حركة الاحرار اليمنيين، الجزء الأول، على محمد عبده، ص ٤٢٩، الطبعة الأولى).
٣٢٨ - (من اول قصيدة الى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص ١٤٣-١٤٤، الطبعة الثالثة).
٣٢٩ - (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، ص٢٥١، الطبعة الأولى).
٣٣٠ - (لمحات من تاريخ حركة الاحرار اليمنيين، الجزء الثانى، على محمد عبده، ص ٤٨، الطبعة الأولى).
٣٣١ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢٢، الطبعة الأولى).
٣٣٢ - (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص ٣٢٧، الطبعة الأولى).
٣٣٣ - (قضايا يمنية، عبدالله البردونى، ص ١٧٦، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
٣٣٤ - (الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى، الدكتور عبدالعزيز المقالح، ص ٢٣، الطبعة الأولى).
٣٣٥ - (من اول قصيدة الى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص ٤٠ الطبعة الثالثة).
٣٣٦ - (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص ٣٢٦، الطبعة الأولى).

٣٣٧ – (نفس المصدر، ص٣٣١).
٣٣٨ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ١٣٢–١٣٥، ط١).
٣٣٩ – (الفكر والموقف محمد احمد نعمان، ص ١٩٠، الطبعة الأولى).
٣٤٠ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد علي الشهارى، ص ٨٥، الطبعة الأولى).
٣٤١ – (الحركات الاجتماعية والسياسية فى اليمن، دكتور صادق عبدة علي، ص ١٣١، غير مذكور رقم الطبعة ولا تاريخها).
٣٤٢ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ١٣٤، الطبعة الأولى).
٣٤٣ – (نفس المصدر، ص ١٣٥).
٣٤٤ – (مذكرات احمد محمد نعمان، ص ٦٥، الطبعة الأولى).
٣٤٥ – (محاولة لفهم المشكلة اليمنية، زيد بن على الوزير، ص١٠٧، طبعة عام١٩٧١).
٣٤٦ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص ٢٢٦، الطبعة الأولى).
٣٤٧ – (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن، عبدالعزيز المقالح، ص٢٩٠، الطبعة الثانية).
٣٤٨ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص٢٥٧، الطبعة الأولى).
٣٤٩ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٢٥، الطبعة الأولى).
٣٥٠ – (نفس المصدر، ص ١٩) انظر كذلك (نفس المصدر، ٣٥).
٣٥١ – (نفس المصدر، ص١٨).
٣٥٢ – (التاريخ يتكلم، عبدالملك الطيب، ص ١٥٩، الطبعة الأولى).
٣٥٣ – (الزبيرى شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص١٥١، الطبعة الأولى).
٣٥٤ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص ١٦٨، الطبعة الأولى).

٣٥٥ – (نفس المصدر، ص ١٧١).
٣٥٦ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، مرجع سابق، ص ١١٧).
٣٥٧ – (ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٥٦٥، الطبعة الأولى).
٣٥٨ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص١٢٣–١٢٥، الطبعة الثانية).
٣٥٩ – (الفكر والموقف، محمد أحمد نعمان، ص٩٧، الطبعة الأولى).
٣٦٠ – (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن، عبدالعزيز المقالح، ص٨٥، الطبعة الثانية).
٣٦١ – (الامامة وخطرها على وحدة اليمن، محمد محمود الزبيرى، ص٣٥).
٣٦٢ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص٢٦١، الطبعة الثانية).
٣٦٣ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ٥٣، الطبعة الأولى).
٣٦٤ – (نفس المصدر، ص١٠٢).
٣٦٥ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ٥٣–٥٤، ط ١).
٣٦٦ – (صلاة فى الجحيم، محمد محمود الزبيرى، ص ٦١–٦٢، الطبعة الثانية).
٣٦٧ – (نفس المصدر، ص٦٠ – ٦٢).
٣٦٨ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص١٤٦، الطبعة الثانية).
٣٦٩ – (نفس المصدر، ص ٩٣–٩٩).
٣٧٠ – (من اول قصيدة الى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص ٢٨، الطبعة الثالثة).
٣٧١ – (نفس المصدر، ص١٤٧).
٣٧٢ – (نفس المصدر، ص ٣٤٩).
٣٧٣ – (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة، الدكتور عبدالعزيز قائد المسعودى، ص ٨١، الطبعة الأولى).
٣٧٤ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص١٧٦، الطبعة الأولى).
٣٧٥ – (من اول قصيدة الى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص١٤٧، الطبعة الثالثة).

٣٧٦ – (نفس المصدر، ص ٢٨).

٣٧٧ – (رياح التغيير احمد الشامى، ص ٣٠٣-٣٠٤،الطبعة الأولى).

٣٧٨ – (قضايا يمنية، عبدالله البردونى،مرجع سابق، ص ١٧٦).

٣٧٩ – (الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى،الدكتور عبدالعزيز المقالح،ص ٢٣،الطبعة الأولى).

٣٨٠ – (الزبيرى شاعرا ومناضلا،مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص٢٤، الطبعة الأولى).

٣٨١ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى،ص٢٢٦،الطبعة الأولى).

٣٨٢ – (نفس المصدر، ص١٦١).

٣٨٣ – (لمحات من تاريخ حركة الاحرار،على محمد عبده،ص ٣٣٨، الجزء الأول،الطبعة الأولى).

٣٨٤ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى،عبدالرحمن بعكر الحضرمى،ص٢٢٥-٢٢٦،الطبعة الأولى).

٣٨٥ – (ماساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى،ص١٢٢،الطبعة الثانية).

٣٨٦ – (ثورة ١٩٤٨الميلاد والمسيرة والمؤثرات،مرجع سابق، ص ٤٨٨،الطبعة الأولى).

٣٨٧ – (نفس المصدر،ص٤٧٤).

٣٨٨ – (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة، الدكتور عبدالعزيز قائد المسعودى،ص ٢١٥، الطبعة الأولى).

٣٨٩ – (ملوك العرب، الجزء الأول امين الريحانى،ص١١٠،غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).

٣٩٠ – (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى،ص ١٢٤،الطبعة الأولى).

٣٩١ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى،ص٢١٩،الطبعة الأولى).

٣٩٢ – (نفس المصدر، ص ٢٨٦).

٣٩٣ – (اليمن الجمهورى،عبدالله البردونى،ص٢٢٧،الطبعة الأولى).

٣٩٤ – (مذكرات المقبلى،محمد حسين المقبلى،ص ١٧٠،الطبعة الأولى).

٣٩٥ – (نفس المصدر،ص١٥٧).

٣٩٦ – (وثائق ودراسات،الجزء الثانى،محمد الشعيبى،ص٣٨، الطبعة الأولى).
٣٩٧ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال،الدكتور محمد على الشهارى،ص ٤٤،الطبعة الأولى).
٣٩٨ – (الخروج من النفق المظلم،احمد حسين المرونى، ص١٦٠، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
٣٩٩ – (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى،ص ١٣٦، الطبعة الأولى).
٤٠٠ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال،الدكتور محمد على الشهارى، ص ٤٥، الطبعة الأولى).
٤٠١ – مذكرات المقبلى،محمد حسين المقبلى،ص ١٥٨،الطبعة الأولى).
٤٠٢ – (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة، الدكتور عبدالعزيز قائد المسعودى، ص ٢٨٦، الطبعة الأولى).
٤٠٣ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال،الدكتور محمد على الشهارى،ص ٤٥، الطبعة الأولى).
٤٠٤ – (نفس المصدر، ص٤٧).
٤٠٥ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات،مرجع سابق،ص ٣٧٦، الطبعة الأولى).
٤٠٦ – (قضايا يمنية، عبدالله البردونى،ص ١٧٧، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
٤٠٧ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق،ص ٣٧٩، الطبعة الأولى).
٤٠٨ – (الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها، محمد عبدالملك المتوكل، ص ٥٦، طبعة عام ١٩٨٣م).
٤٠٩ – (الفكر والموقف،محمد احمد نعمان،ص ٤٥،الطبعة الأولى).
٤١٠ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات،مرجع سابق،ص ٣٩٤،الطبعة الأولى).
٤١١ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى،ص٣٩٣،الطبعة الأولى).
٤١٢ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات،مرجع سابق،ص ٣٠٩،الطبعة الأولى).
٤١٣ – (نفس المصدر، ص ٢٥٢).
٤١٤ – (الفكر والموقف،محمد احمد نعمان،ص ٣٤٨ – ٣٤٩،الطبعة الأولى).
٤١٥ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى،ص٢٣٧، الطبعة الأولى).

٤١٦ – (الحركات الاجتماعية والسياسية في اليمن، الدكتور صادق عبده على، ص ٩٩).
٤١٧ – (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد على الشهاري، ص ٤١، الطبعة الأولى).
٤١٨ – (الزبيري شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص٢٩، الطبعة الأولى).
٤١٩ – (الحركات الاجتماعية والسياسية في اليمن، د. صادق عبده على، ص ١٢٣).
٤٢٠ – (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٨).
٤٢١ – (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد على الشهاري، ص ٧٤، الطبعة الأولى).
٤٢٢ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٦٧).
٤٢٣ – (من اول قصيدة الى آخر طلقه، عبدالله البردوني، ص٢٦، الطبعة الثالثة).
٤٢٤ – (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد على الشهاري، ص ٦٨ – ٦٩، ط١).
٤٢٥ – (نفس المصدر، ص ٧٤).
٤٢٦ – (تاريخ اليمن المعاصر، تأليف مجموعة من المؤلفين السوفيات، ترجمة محمد على البحر، ص٣٤، طبعة عام ١٩٩١).
٤٢٧ – (الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها، محمد عبدالملك المتوكل، ص ١٧٢، طبعة عام١٩٨٣م).
٤٢٨ – (الفكر والموقف، محمد أحمد نعمان، ص ٢٢٧، الطبعة الأولى).
٤٢٩ – (نفس المصدر، ص ٢٠٥).
٤٣٠ – (نفس المصدر، ص ٢٣٠).
٤٣١ – (الزبيري شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص١٠٧، الطبعة الأولى).
٤٣٢ – (صلاة في الجحيم، محمد محمود الزبيري، ص١٧٩–١٨٠الطبعة الثانية).
٤٣٣ – (الزبيري شاعرا ومناضلا، مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص١١١، الطبعة الأولى).
٤٣٤ – (نفس المصدر، ص١٥٣).
٤٣٥ – (دامغة الدوامغ، أحمد الشامي، ص ٣٢، طبعة عام ١٩٦٦م).
٤٣٦ – (احمد الحورش، الدكتور عبدالعزيز المقالح، ص٨٩، الطبعة الثانية).

٤٣٧ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، ص٤٢٣–٤٢٤، الطبعة الأولى).
٤٣٨ – (الفكر والموقف، محمد احمد نعمان، ص ٣٤٠، الطبعة الأولى).
٤٣٩ – (الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها، محمد عبدالملك المتوكل، ص ١٧٥، طبعة عام ١٩٨٣).
٤٤٠ – (اليمن الانسان والحضارة، عبدالله الشماحى، ص ٣١٠–٣١٢، طبعة عام ١٩٧٢م).
٤٤١ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص١٤٩، الطبعة الثانية).
٤٤٢ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ١١٣، الطبعة الأولى).
٤٤٣ – (لمحات من تاريخ حركة الاحرار اليمنيين، الجزء الثانى، على محمد عبده، ص ٨٨، الطبعة الأولى).
٤٤٤ – (فنون الأدب الشعبى فى اليمن، عبدالله البردونى، ص ١٣٨، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
٤٤٥ – (مذكرات الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، ص ٥٥، الطبعة الأولى).
٤٤٦ – (نفس المصدر، ٥٦).
٤٤٧ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، ص٤١٦، الطبعة الأولى).
٤٤٨ – (لمحات من تاريخ حركة الاحرار اليمنيين، الجزء الثانى، على محمد عبده، ص١٨٣ – ١٨٤).
٤٤٩ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ١٠٣، الطبعة الأولى).
٤٥٠ – (نفس المصدر، ص ٥٠).
٤٥١ – (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن، عبدالعزيز المقالح، ص ٢٥٦، ط ٢).
٤٥٢ – (الفكر والموقف، محمد احمد نعمان، ص ٢١، الطبعة الأولى).
٤٥٣ – (نفس المصدر، ص٣٦١).
٤٥٤ – (نفس المصدر، ص ٣٧٣).
٤٥٥ – (نفس المصدر، ص ٣١٣).

٤٥٦ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ٩٨، الطبعة الأولى).
٤٥٧ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص ١٣١، الطبعة الثانية).
٤٥٨ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، ص٢٥٢، طبعة عام ١٩٩١م).
٤٥٩ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص٢٦٧، الطبعة الثانية).
٤٦٠ – (نفس المصدر، ص١٩٩).
٤٦١ – (مذكرات احمد محمد نعمان، ص٤٩، الطبعة الأولى).
٤٦٢ – (احداث ثورة ١٩٥٥، العميد محمد على الأكوع، ص ٢٧٤، الطبعة الأولى).
٤٦٣ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٣٦٨، الطبعة الأولى).
٤٦٤ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٤١٤–٤١٥، الطبعة الأولى).
٤٦٥ – (انقلاب عام ١٩٥٥م فى اليمن، حيدر على العزى، ص٣٧٤، طبعة عام ٢٠٠٤م).
٤٦٦ – (نفس المصدر، ص٣٧٣).
٤٦٧ – (من اول قصيدة الى آخر طلقه، عبدالله البردونى، ص١٥٦، الطبعة الثالثة).
٤٦٨ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص ١٩٩، الطبعة الثانية).
٤٦٩ – (نفس المصدر، ص١٢٣ – ١٢٥).
٤٧٠ – (الامامة وخطرها على وحدة اليمن، محمد محمود الزبيرى، ص٣٥).
٤٧١ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، ص٢٦١، الطبعة الثانية).
٤٧٢ – (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن، عبدالعزيز المقالح، ص ٩٩، الطبعة الثانية).
٤٧٣ – (الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ١١٣، الطبعة الأولى).
٤٧٤ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ٤٨، الطبعة الأولى).
٤٧٥ – (نفس المصدر، ص٤٣، الطبعة الأولى).
٤٧٦ – (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن، عبدالعزيز المقالح، ص، ١٧٥، ط ٢).

٤٧٧ – (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث،امين عيد،ص١٢٨).
٤٧٨ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٣٩١).
٤٧٩ – (اليمن والغرب،اريك ماكرو،ص ١٥٣،تعريب الدكتور حسين العمرى،الطبعة الثانية).
٤٨٠ – (تاريخ اليمن المعاصر،تأليف مجموعة من المؤلفين الروس، ص ٥٩، طبعة عام ١٩٩١م).
٤٨١ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم،ص ٤٦١،الطبعة الرابعة).
٤٨٢ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص٣٩١).
٤٨٣ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص ٨٩، الطبعة الأولى).
٤٨٤ – (قضايا يمنية،عبدالله البردونى،ص ٢١٣،غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
٤٨٥ – (الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها،الدكتور محمد عبدالملك المتوكل، ص ١٩١، طبعة عام ١٩٨٣م).
٤٨٦ – (شبه الجزيرة فى عهد الملك عبدالعزيز،خير الدين الزركلى،ص ١٣٠٤،الطبعة الثالثة).
٤٨٧ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر ، ص ٩٥ – ١٠٠).
٤٨٨ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن ، ص ٢٣٣ – ٢٣٦).
٤٨٩ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٣٩١).
٤٩٠ – (الفكر والموقف،محمد احمد نعمان،ص ٧٧، الطبعة الأولى).
٤٩١ – (مصرع الابتسامه،حميد احمد شحرة،ص١٦٧،الطبعة الأولى).
٤٩٢ – (دور جريدة فتاة الجزيرة فى احداث سنة ١٩٤٨،سلطان ناجى،ص ٦٣،الطبعة الأولى).
٤٩٣ – (الزبيرى شاعرا ومناضلا،مجموعة من الكتاب اليمنيين، ص٢٤١،الطبعة الأولى).
٤٩٤ – (رياح التغيير فى اليمن،احمد الشامى،ص ١٩٤،الطبعة الأولى).
٤٩٥ – (نفس المصدر، ص ٢٧٨).
٤٩٦ – نفس المصدر،ص ١٩٤ – ١٩٧).

٤٩٧ – (نفس المصدر، ص ٣٠٣ – ٣٠٤).
٤٩٨ – (نفس المصدر، ص ٢٠٨).
٤٩٩ – نفس المصدر، ص٢٤٨).
٥٠٠ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٤٨٦، الطبعة الأولى).
٥٠١ – (الثقافة والثوره فى اليمن، عبدالله البردونى، ص ٢٥، طبعة عام ١٩٩١م).
٥٠٢ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص٢٧٠، الطبعة الأولى).
٥٠٣ – (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة، د. عبدالعزيز قائد المسعودى، ص ٢٠٦ – ٢٠٧، الطبعة الأولى).
٥٠٤ – (الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ٤٥، الطبعة الأولى).
٥٠٥ – (نفس المصدر، ص٤٧).
٥٠٦ – (احداث ثورة ١٩٥٥، العميد محمد على الأكوع، ص ٤٣، الطبعة الأولى).
٥٠٧ – (ثورة ١٩٤٨الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٤٧٦، الطبعة الأولى).
٥٠٨ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، احمد بن محمد الوزير، ص ٤١٢، الطبعة الأولى).
٥٠٩ – (الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص٨٢، الطبعة الأولى).
٥١٠ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، احمد بن محمد الوزير، ص ٤١١، الطبعة الأولى).
٥١١ – (دور جريدة فتاة الجزيرة فى احداث سنة ١٩٤٨، سلطان ناجى ص٥٢، الطبعة الأولى).
٥١٢ – (الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ١٣، الطبعة الأولى).
٥١٣ – (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة، الدكتور عبدالعزيز قائد المسعودى، ص ٢٢٤، الطبعة الأولى).

٥١٤ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، ص ٢٦٤، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
٥١٥ - (مجلة الكشكول الجديد تاريخ ٢٠ - ١٠ - ١٩٤٧م)
٥١٦ - (الكشكول الجديد تاريخ ١٣ - ١٠ - ١٩٤٧م).
٥١٧ - (الكشكول الجديد ٢٠ - ١٠ - ١٩٤٧م).
٥١٨ - (احداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، ص ٤٣، الطبعة الأولى).
٥١٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر ، ص ١٥١ - ١٥٢).
٥٢٠ - (مذكرات دبلماسي في اليمن، استاخوف انكارين، ترجمة قائد محمد طربوش، ص ١٥٩).
٥٢١ - (من اول قصيدة الى آخر طلقه، عبدالله البردوني، ص٣٥، الطبعة الثالثة).
٥٢٢ - (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص٥٣، الطبعة الأولى).
٥٢٣ - (نفس المصدر، ص٥٣).
٥٢٤ - (الفكر والموقف، محمد احمد نعمان، ص٣٩٠، الطبعة الأولى).
٥٢٥ - (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة، د. عبدالعزيز قائد المسعودى، ص ٢٣٩ - ٢٤٠، الطبعة الأولى).
٥٢٦ - (مصرع الابتسامة، حميد أحمد شحرة، ص، ٢٥٩ - ٢٦٩، الطبعة الأولى).
٥٢٧ - (نفس المصدر، ص ٢٧٠).
٥٢٨ - (الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص٦٧، الطبعة الأولى).
٥٢٩ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ص ٥٣، الطبعة الأولى).
٥٣٠ - (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص٥٥، الطبعة الأولى).
٥٣١ - (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة، الدكتور عبدالعزيز قائد المسعودى، ص ٢٤٠-٢٤١، الطبعة الأولى).

٥٣٢ – (نفس المصدر،ص٢٤٠).
٥٣٣ – (نفس المصدر، ص٢٤٢ – ٢٤٣).
٥٣٤ – (نفس المصدر،ص٢٤٦).
٥٣٥ – (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، عبدالرحمن بعكر الحضرمى، ص٥٦، الطبعة الأولى).
٥٣٦ – (احداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، ص ٤٣، الطبعة الأولى).
٥٣٧ – (لمحات من تاريخ حركة الاحرار اليمنيين، الجزء الثانى، على محمد عبده، ص ٦٦، الطبعة الأولى).
٥٣٨ – (مجلة اليمن الجديد، ص ٥٧، العدد الأول، فبراير – مارس ١٩٨١م).
٥٣٩ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص٨٥، الطبعة الأولى).
٥٤٠ – (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ٨٨، الطبعة الأولى) انظر كذلك (لمحات من تاريخ حركة الاحرار اليمنيين، الجزء الأول، على محمد عبده، ص ١٧٧).
٥٤١ – (كواكب يمنية فى سماء اليمن، عبدالرحمن بعكر، ص ٧٥٥، الطبعة الاولى).
٥٤٢ – (الصحافة اليمنية قبل ثورة ٢٦ سبتمبر١٩٦٢م، ص ٤١، طبعة عام ١٩٨٥م).
٥٤٣ – (الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص٨٨، الطبعة الأولى).
٥٤٤ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٧٣).
٥٤٥ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٥٦٨، الطبعة الأولى).
٥٤٦ – (الفكر والموقف، محمد احمد نعمان، ص ٣٩٢، الطبعة الأولى).
٥٤٧ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص١٣٠ – ١٣١، الطبعة الأولى).
٥٤٨ – (نفس المصدر، ص١١٤ – ١١٥).
٥٤٩ – (الفكر والموقف، محمد احمد نعمان، ص ٣٩٠، الطبعة الأولى).
٥٥٠ – (ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٤٧٦، الطبعة الأولى).
٥٥١ – (الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص٦٢، الطبعة الأولى).

٥٥٢ – (ثورة ١٩٤٨الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٣٦٧، الطبعة الأولى).
٥٥٣ – (مصرع الابتسامة، حميد احمد شحرة، ص ٤٧، الطبعة الأولى).
٥٥٤ – (نفس المصدر، ص٤٠).
٥٥٥ – (مذكرات احمد محمد نعمان، ص ١٦٥، الطبعة الأولى).
٥٥٦ – (مصرع الابتسامه، حميد احمد شحرة، ص ٦٦–٦٩، الطبعة الأولى).
٥٥٧ – (نفس المصدر، ص١٠٣).
٥٥٨ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص ٢٤٨–٢٤٩، الطبعة الأولى).
٥٥٩ – (نفس المصدر، ص ٢١٣).
٥٦٠ – (نفس المصدر–ص ٢٢٥).
٥٦١ – (نفس المصدر، ص ٢١٣).
٥٦٢ – (ثورة ١٩٤٨الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٣٧٤، الطبعة الأولى).
٥٦٣ – (مصرع الابتسامه، حميد احمد شحرة، ص ١٢٧، الطبعة الأولى).
٥٦٤ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص ٢٠٦، الطبعة الأولى).
٥٦٥ – (كيف نفهم القضية اليمنية نحو النور، محمد عبدالله الفسيل، ص١١٠، الطبعة الأولى).
٥٦٦ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، ص٣٣٠، الطبعة الأولى).
٥٦٧ – (وثائق ودراسات، الجزء الثانى، محمد الشعيبى، ص ٥، الطبعة الأولى).
٥٦٨ – (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص ٩٥ – ٩٦، الطبعة الأولى).
٥٦٩ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص ١٩٩، الطبعة الأولى).
٥٧٠ – (ثورة ١٩٤٨الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٢٨٠، الطبعة الأولى).
٥٧١ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص ٣٢١–٣٢٢، الطبعة الأولى).
٥٧٢ – (ثورة ١٩٤٨الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٢٣٦، الطبعة الأولى).
٥٧٣ – (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص ١٤٤، الطبعة الأولى).
٥٧٤ – (الثقافة والثوره فى اليمن، عبدالله البردونى، ص ٤٦، طبعة عام ١٩٩١م).
٥٧٥ – (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص ١٤٤، الطبعة الأولى).
٥٧٦ – (اليمن والغرب، اريك ماكرو، تعريب الدكتور حسين العمرى، ص١٦٢، الطبعة الثانية).
٥٧٧ – (ثورة ١٩٤٨الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٤٨٦، الطبعة الأولى).

٥٧٨ – (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص ١٧٩، الطبعة الأولى).

٥٧٩ – (الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهارى، ص ٨٠–٨١، الطبعة الأولى).

٥٨٠ – (ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص ٣٨٥، الطبعة الأولى).

٥٨١ – (مذكرات المقبلى، محمد حسين المقبلى، ص ١٦٠ – ١٦١، الطبعة الأولى).

٥٨٢ – (مصرع الابتسامه، حميد احمد شحرة، ص١٨٦، الطبعة الأولى).

٥٨٣ – (نفس المصدر، ص ١٧٦ – ١٧٩).

٥٨٤ – (نفس المصدر، ص ١٧١).

٥٨٥ – (نفس المصدر، ص ١٨٠).

٥٨٦ – (نفس المصدر، ص ٢٤٩).

٥٨٧ – (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، ص ٢٦٦، الطبعة الأولى).

٥٨٨ – (الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها، محمد عبدالملك المتوكل، ص ١٦٢، طبعة عام ١٩٨٣) انظر كذلك (جريدة صوت اليمن عدد ٨ ص٤ وعدد ٢٩ ص١).

٥٨٩ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، احمد بن محمد الوزير، ص ١٨٦، الطبعة الأولى).

٥٩٠ – (نفس المصدر، ص٥٧٠).

٥٩١ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٠٥).

٥٩٢ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، ٤٧٨ – ٤٧٩، الطبعة الأولى).

الفصل الحادى عشر

العلاقات اليمنية السعودية فى عهد الإمام يحيى

لم تحظَ دولتان عربيتان فى تاريخنا المعاصر بتماثل وتجانس كما حظيت به المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية. وفى هذا الصدد، يقول المؤرخ السعودى والمستشار السياسى للملك عبد العزيز، خير الدين الزركلى، فى كتابه (شبه الجزيرة العربية فى عهد الملك عبدالعزيز): «فى قيام الحركتين النجدية واليمنية، وفى أهداف الزعيمين العربيين عبد العزيز ابن سعود، ويحيى حميد الدين تشابه عجيب، فكلاهما قام فى أوائل القرن الرابع عشر للهجرة، أحدهما الإمام يحيى فى جنوب الجزيرة العربية، يعمل على استرداد ملك سلف لأسلافه، فيصارع الزحوف التركية العثمانية، ويتغلَّب عليها، فتمد إليه يد الود، وتجىء الحرب العالمية الأولى فيأبى أن يعالنها العداء، وبانتهاء الحرب ينتهى ما كان لها من سلطان فى بعض بلاده، ويستقل أشرف استقلال وأنقاه. والثانى فى شرقى الجزيرة العربية، عبدالعزيز آل سعود، تفتَّحت عيناه على ملك سلف لأسلافه، اقتسمه الترك العثمانيون وبعض المتغلبة من أتباع آبائه، واجتمع المتسلط العثمانى والمتغلب العربى على حربه، فكان يضرب هذا وذاك، واستمر قرابة عشرين عامًا، يكاد يكون وساده سرج فرسه أو ظهر ذلوله، فأجلى الترك عمّا كان فى أيديهم من بلاده، وسحق إمارة المتغلب من أبناء جنسه. واشتعلت الحرب العالمية الأولى، فهادن الفريقين، وقضى بعد انقضائها على كل عقبة أمام وحدة بلاده واستقلالها، ثم انصرف إلى إصلاح ملكه وإسعاده، مستقلاً عزيز الجانب»[1].

أما أديب اليمن وشاعرها، عبدالله البردونى، فيقول فى صدد التشابه والتجانس بين الزعيمين فى كتابه (الثقافة والثورة فى اليمن): «لم يكن هنالك بديل لخليفة الأستانة بعد سقوط الدولة العثمانية إلا اثنان: الإمام يحيى بصنعاء، والملك عبد العزيز آل سعود فى نجد. كما تشى رسالة محمد رشيد رضا إلى الملكين، مرشحًا كلاً منهما للخلافة الإسلامية، حيث كان الملكان من الذين أهدى إليهم رشيد رضا كتابه الوحى المحمدى، وقد كانت مجلة المنار التى يصدرها رشيد رضا معنية بأمور المسلمين وولاة أمرهم. وبعد وفاة رشيد رضا عام ١٩٣٥م، أعاد الشيخ حسن البنا دعوة الإمام يحيى والملك عبد العزيز إلى تحمُّل أمر الأمة الإسلامية؛ لأن الرجلين حكما بلادهما بمقتضى الشريعة الإسلامية، وقاوما أى دستور وضعى دعت إليه أية جماعة فى الدولتين، فكانا موضع اختيار البنا»[2].

يتضح مما سبق، أن محور التشابه والتجانس بين الإمامين العظيمين ارتكز أولاً على شرعيتهما التاريخية القائمة على تحكيم الدين والشريعة، كيف لا، وقد توا رثا هذه

الشرعية عن أسلافهم، الذين مثَّلوا نسق الفضيلة والمثل العليا عبر قرون من الملاحم الجهادية التى تضرب جذورها فى أعماق التاريخ.

فالإمام يحيى كان يُمثِّل حلقة فى سلسلة تاريخية، ورأسًا للمدرسة الفكرية الزيدية، وإمامًا لدعوتها، ورمزًا لوحدة اليمن التاريخية، فى حين أن الملك عبد العزيز كان يُمثِّل رأس المدرسة الفكرية السلفية، وإمامًا لدعوتها، ورمزًا للوحدة السعودية. أما المحور الثانى فى التجانس، فتمثَّل فى استقلالية القرار السياسى والسيادة على الأرض من تسلُّط الدول الاستعمارية، التى كانت ترى فى دول العالم العربى والإسلامى - خلافًا لنظرتها لليمن والسعودية - مجرد بيادق فى رقعة الشطرنج التابعة لها.

أما المحور الثالث فى التجانس، فتمثَّل فى البيئة الموغلة فى المحافظة، والبعد القبلى الذى ميَّز طبيعة المجتمعات التى حكماها فى الجزيرة العربية، بما فيها من غلظة وشراسة، ونزوع دموى، ورفض مطلق لمنطق الدولة وقواعدها المركزية على الأرض.

وأما المحور الرابع فى التجانس، فيتمثَّل فى تشابه الظروف التاريخية، فكلاهما تزعَّم حركة تحرير وتوحيد لبلادهما تحت راية واحدة، وكل منهما حارب الأتراك، وحصل على الاستقلال بعد الحرب العالمية الأولى، وكلاهما عانى من عنت رجال عصبيتهما فى الحيلولة دون الانفتاح والتحديث.

ومع هذا التماثل والتجانس بين الزعيمين العظيمين، إلا أن هناك اختلافًا فى بعض الجوانب والصفات، وتباينًا فى الظروف المحيطة بكل منهما، بما لا يمكن إغفاله. فقد وقف الكثير من عوامل الجغرافيا السياسية ضد الإمام يحيى مصادفة، بما لم يمكنه من القفز عليها، كما عاكسته الكثير من عوامل التاريخ، التى لم يكن له دور فى تشكيلها، وكانت أكبر من قدرته على امتصاصها، فى حين أن الملك عبد العزيز قد توفَّر له من الفرص المتاحة ما لم يتوفَّر للإمام يحيى، حيث جاء بعضها عفوًا لظروف خارجة عن الإرادة، وبعضها الآخر كان من نتاج صنع الملك عبدالعزيز وشخصيته الفذة، التى كان لها دور كبير ولا شك فى تشكيل الملامح، وتسيير الأحداث والاتجاهات العامة. ونستطيع أن نجمل جوانب التباين والاختلاف فى ظروف الزعيمين العظيمين فى النقاط التالية:

١ - فرصة الاحتكاك بالعالم الخارجى الذى أُتيح للملك عبدالعزيز رغمًا عنه منذ صغره، عندما كان لاجئًا لمدة عشر سنوات مع أبيه فى الكويت[٣]، حيث كانت تلك البقعة

الصغيرة فى الخليج نقطة تقاطع استراتيجى، ومرتعًا للتجاذبات الدولية، وموطنًا لليبرالية والانفتاح تحت حكم الإنكليز، والذى كان من شأنه أن يتلقى الملك عبد العزيز وهو فى سنٍّ مبكرة من عمره لكل جديد؛ مما ساعد على تفتُّح شخصيته، وتوسّع آفاقه، وسبْقِه لثقافة مجتمعه النجدى المنغلق والمتزمت دينيًّا، والذى أدَّى بدوره إلى تشكُّل الرؤية البرجماتية والواقعية السياسية لديه عند التعامل مع القوى الغربية الكبرى، فى حين أن الإمام يحيى لم تُتح له فرصة الخروج من الجبال الجرداء فى شمال اليمن، ولا النفاذ من جلباب ثقافة بيئته المتزمته دينيًّا، والذى كان له الأثر فى طبع شخصيته بالتحفظ والحذر الشديد، وطول التروى عند التعامل مع الغرب.

٢ – اعتماد الملك عبد العزيز على نفسه وسيفه فى استرجاع ملك آبائه وأجداده، حيث كان يُصرِّح دائمًا بأن الفضل لله، ثم لسيفه فى الوصول إلى ما وصل إليه، بما لم يترك لأحد فضل عليه؛ مما حرَّره من قيود الرؤية المتزمته لرجال عصبيته الرافضين للانفتاح، فى حين أن الإمام يحيى لم تأتِ إليه الإمامة منقادة بسيفه، بل وصل إليها عبر الانتخاب، والذى كان الفضل فيه لرجال عصبيته، الذين كانوا ينظرون إليه بوصفه أميرًا للمؤمنين، يستمد شرعيته من كرسى خلافة، وليس كرسى ملك قائم على التغلب؛ مما جعلهم يفرضون عليه سقفًا محددًا فى الانفتاح، بما يتوائم مع رؤيتهم الدينية التقليدية المحافظة، والتى لم يكن بإمكان الإمام يحيى تجاوزها، إلا بشنِّ حرب عليهم، كتلك الحرب التى شنها الملك عبدالعزيز على الإخوان المتزمتين فى موقعة السبلة عام ١٩٢٩م، ولكن كيف كان يمكن للإمام يحيى أن يشنَّ حربًا على المتزمتين من رجال عصبيته، كما فعل الملك عبد العزيز، وقد كان ظهره مكشوفًا للإنكليز المتربصين به الدوائر.

٣ – تمكّن الملك عبدالعزيز من تصفية خلافاته مع الإنكليز، وتأسيس علاقات طبيعية هادئة آمنة الجانب معهم، وذلك بعقد اتفاقية عام ١٩٢٧م، التى تنازل بموجبها عن تطلعاته نحو كل إمارات الساحل الخليجى المتحالفة مع الإنكليز، كالكويت، والبحرين، وقطر، والإمارات؛ مما كفّ شرور بريطانيا عنه، وكفاه مؤونة المواجهة معهم، فى حين أن تصفية الإمام يحيى خلافاته مع الإنكليز كان يعنى تنازل الإمام يحيى عن عدن وسلطنات الجنوب، التى تُشكِّل نصف مساحة اليمن، وهذا ما لا يمكن

احتماله؛ مما أدّى إلى تسلُّط بريطانيا عليه طيلة ثلاثين عامًا؛ لرفضه التسليم باحتلالهم لجنوب اليمن، ومن ذلك التسلط، الحيلولة بينه وبين الدول الكبرى، لمنع أى اعتراف باستقلاله السياسى[٤]، ومعارضة حقِّه فى أى تواصل أو نسج علاقة، خاصة مع الولايات المتحدة، حتى على مستوى إبرام اتفاقيات تجارية، ومحاصرة شواطئ اليمن؛ لشل اقتصاده[٥]، وقصف مدن اليمن بالطائرات للترهيب، وتحريض الانفصاليين من الأسر الاقطاعية، واحتضان المعارضة فى عدن، ودعم الانتفاضات القبلية بالأسلحة والأموال، ومحاربة الإمام يحيى فى المنتديات العالمية؛ لمنع انضمام اليمن إلى عضويتها، كإحباط بريطانيا مساعيه للانضمام إلى عصبة الأمم المتحدة[٦]، ناهيك عن شنِّ الحروب النفسية والإعلامية فى الصحافة العربية والعالمية، بالتنسيق مع خصومه السياسيين؛ لتشويه سمعته؛ مما لم يترك مجالاً للإمام يحيى لالتقاط أنفاسه، حتى بلغ قمة التآمر البريطانى أن دعّموا مؤامرة اغتياله فى انقلاب عام ٤٨.

٤ - إن من محاسن صدف المملكة العربية السعودية أن موقعها الجغرافى لا يقع ضمن منطقة تنازع دولى، كالمضائق والممرات المائية الاستراتيجية، ومن ثم لم يكن هناك مدعاة تجاذب بين الملك عبد العزيز والإنكليز؛ لأن الإنكليز عبر تاريخهم لم يعنوا بالتوغل إلى الداخل، أو السيطرة على الشواطئ المفتوحة، بقدر ما كان اهتمامهم منصبًا على احتلال المضائق والممرات المائية الاستراتيجية، ابتداء من مضيق جبل طارق، ومرورًا بقناة السويس ومضيق باب المندب، وانتهاء بالممرات المائية الاستراتيجية فى الإمارات، والبحرين، وقطر، والكويت، فى حين أن قدر اليمن الجغرافى أن يكون رابضًا على مضيق باب المندب، وهو من أهم المضائق الاستراتيجية فى العالم، التى يمرُّ عبرها خطوط مواصلات الملاحة الإمبرطورية البريطانية نحو مستعمراتهم فى القارة الهندية والآسيوية؛ مما جعل مسألة الصدام بين الإمام يحيى والإنكليز مسألة حتمية لا مفر منها.

٥ - إن وقوع الأراضى المقدسة تحت ولاية الملك عبد العزيز، حمى مملكته السعودية من التحرشات الاستعمارية فى البحر الأحمر، خاصة المؤامرات البريطانية والإيطالية، بسبب تمتّع مملكته بمناعة القداسة الدينية فى أرض الحجاز، والتى كبّلت أيادى بريطانيا وإيطاليا عن التدخل المباشر فى أراضى الحرمين الشريفين؛ خوفًا من استفزاز مشاعر المسلمين فى مستعمراتهم فى حين أن الإمام يحيى لم يكن لبلاده من مناعة

القداسة الدينية، مما كان لجاره فى الحجاز، ومن ثم لم يكن هناك ما يدعو بريطانيا للتحفظ عن التدخل فى شؤون الإمام يحيي، والتحرش به، والقصف لأراضيه بالطائرات، وإيواء معارضيه، ونسج المؤامرات عليه طيلة فترة حكمه.

٦ - التجانس المذهبى السنى لسكان المملكة العربية السعودية، مقابل الأقلية الشيعية غير المؤثرة، والذى أدّى إلى التفاف الشعب السعودى حول قيادته، مرحبين بحكم الملك عبدالعزيز؛ مما ساعده على سدِّ الثغرات الطائفية، وتفويت الفرصة على الاستعمار الغربى للعب بورقة ثمينة، فى حين أن نصف سكان اليمن كانوا من الشيعة الحاكمين، ونصفهم الآخر كانوا من السنة المحكومين؛ مما أفقد الإمام يحيي عامل الجذب؛ بسبب الاختلاف المذهبى، الذى وجد فيه الإنكليز ورقة رابحة، وفرصة ذهبية لتغذية النفور من الإمام يحيي، ومحاولات الانفصال عن حكمه.

٧ - إن دخول الحجاز تحت ولاية الملك عبد العزيز فى عام ١٩٢٦م، حقَّق للمملكة العربية السعودية نوعًا من البناء التأسيسى والتجربة التنظيمية التى بذرها العثمانيون فى الحجاز، انطلاقًا من أهمية الديار المقدسة، ناهيك عن أن الحجاز كان فيه نوع من التراكم المعرفى والبعد الحضارى فى حقول الدين والدنيا، عبر التبادل الثقافى والاحتكاك بالحُجّاج، بل أكثر من ذلك، كان للحجاز - بعد انسحاب العثمانيين أيام حكم الأشراف - علاقات دبلوماسية مع الدول الأوروبية التى افتتحت لها ممثليات فى مدينة جدة، واستمرت تخدم فى مواقعها بعد دخول الملك عبد العزيز إلى الحجاز. وللتدليل على سَبْقِ الحجاز لجواره فى الانفتاح على العالم فى بداية القرن العشرين، أشير إلى أن حكومة الحجاز كانت واحدة من الحكومات القليلة التى بعثت مندوبيها للوقوف على معاهدة فرساى فى باريس عام ١٩١٩م[٧]. وقد أمدَّت هذه الحقائق الدولة السعودية بناصية، وهياكل، وكوادر، وأجهزة إدارية ساعدتها على تجاوز الكثير من العثرات، ودفعتها نحو آفاق لم تكن لتحظى بارتيادها، لولا دخول الحجاز تحت جناحها، خلافًا لما كان عليه الحال، لو بقيت نجد وحيدة تتلمّس طريقها فى ركن قصى من العالم، كحال الإمام يحيي فى جبال اليمن الجرداء، حيث تلقّت حكومته هجوم العصر قبل أن تستعد لمواجهته، فلم يكن لليمن قبل عهد الإمام يحيى احتكاك مسبق مع العالم الخارجى؛ بسبب ظروف الجغرافيا، والحصار العثمانى الذى فرض

على اليمنيين التخندق فى الجبال لقرون عدة، فلا تبادل فكرى، ولا تلاقح حضارى، ولا ممثليات دبلوماسية، ولابناء تأسيسى، ولا كوادر وهياكل إدارية، ولا حد أدنى من التجربة التنظيمية أو المؤسسية التى يمكن الاعتماد عليها، كل ما كان لدى الإمام يحيى، تراث فكرى تقليدى قائم على القرآن، والسنة، والأدب العربى، وقشرة إدارية بسيطة لا يتعدَّى عدد أفرادها أصابع اليد الواحدة، ممن كان لهم اتصال مسبق بالإدارة التركية، ورفاق نضال يجلسون مع الإمام يحيى على الحصير، ويحلون المشاكل بين الأفراد بالعرف القبلى، أو باللجؤ الطوعى للمتخاصمين إلى الإمام أو أحد القضاة، مما اضطر الإمام يحيى أن يبدأ بناءه لليمن من درجة الصفر، وما دون الصفر، دون أن يمتلك الناصية، ولا الرجال الأكفاء القادرين على ادخال اليمن بثقة إلى عالم الحداثة؛ مما تسبَّب فى البطء فى مجاراة الإيقاع المتسارع للعصر، والتعثُّر فى كثير من جوانب البناء، ولنا فى تجربة الإمام يحيى مع إيطاليا عبرة.

٨ - تفجُّر النفط الذى بلغت عائدات تصديره فى عام ١٩٣٩م أكثر من ثلاثة عشر مليون جنيه إسترلينى فى السنة[٨]، وقبل ذلك عوائد مواسم الحج والعمرة، التى بلغت ثلاثين مليون ريال فى السنة[٩]، وقبل ذلك القروض المالية والمساعدات الاقتصادية البريطانية[١٠]؛ كل ذلك رفد الملك عبدالعزيز بقوة اقتصادية ساعدته على تجاوز آثار الأزمات الاقتصادية العالمية خلال الحربين العالميتين، وساعدته على احتواء معارضيه بالعطاء المادى؛ مما رسَّخ ملكه، وساعد على تماسك الدولة السعودية، وحمايتها من خطر المؤامرات والتفتت، ناهيك عن الأهمية الاستراتيجية للنفط التى دفعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تشكيل غطاء أمنى ساعد على استتاب الأمن والاستقرار فى المملكة، فى حين أن الإمام يحيى كان يعانى من انعدام أى غطاء دولى، وانقطاع أى مدد أو مساعدات اقتصادية من أى دولة كبرى، بعد سقوط الدولة العثمانية، بل كان يتجرَّع حصارًا اقتصاديًّا وسياسيًّا بريطانيًّا[١١]، وإذا أضفنا إلى ذلك شحّ الموارد الاقتصادية لبلاده، والتى كانت لا تخرج عن إطار الزكوات الشرعية على الزراعة والمواشى؛ لأدركنا لماذا كان يتبع الإمام يحيى سياسة التقشُّف والتوفير الاقتصادى، خاصة أن عهده تزامن مع قيام حربين عالميتين، وأزمات اقتصادية عالمية، كأزمة عام ١٩٢٩م، إضافة إلى سنوات طويلة من القحط والجدب، ناهيك عن حلمه فى تحرير

الجنوب وجبهته المفتوحة مع بريطانيا، والذى كان يتطلب أعباء مالية ومجهودات حربية طيلة ثلاثين عامًا.

٩ - الحلف الاستراتيجى الذى عقده الملك عبد العزيز بين مملكته والولايات المتحدة الأمريكية، ساعد المملكة فى الحصول حتى تاريخنا المعاصر على ظهير معنوى ونصير خارجى، يمدها بالسلاح والوسائل الحديثة لمواجهة أعدائها، وساعدها أيضًا على تغيير الكثير من معادلات التوازن السياسى والاستراتيجى فى الجزيرة العربية، فى حين أن الحلف الاستراتيجى الذى عقده الإمام يحيى مع إيطاليا الفاشية لمواجهة أعدائه، كان وبالاً عليه وعلى اليمن؛ بسبب مكر الإيطاليين، وسواد طويتهم التى جعلتهم لا يصدقون النية مع الإمام يحيى، كما صدقت الولايات المتحدة الأمريكية مع الملك عبد العزيز، بدليل بيع إيطاليا لليمن طائرات وأسلحة ومكائن فاسدة، وبأسعار باهظة[١٢]؛ مما دفع الإمام يحيى للتحول بنظره نحو اليابان فى الثلاثينيات، على أمل تعويض تحالفه مع إيطاليا التى خذلته، إلا أن دخول اليابان الحرب الثانية وانهزامها، خيَّب آمال الإمام يحيى، واضطره أخيرًا إلى تحويل نظره نحو الولايات المتحدة الأمريكية، لكسر الطوق البريطانى؛ مما استفزَّ الإنكليز لوأد هذا التوجه، فقاموا بدعم مؤامرة اغتياله.

١٠ - إن معادلة الحكم فى اليمن فى ظل دولة الأئمة كانت على درجة من التعقيد والإختلاف الجذرى مقارنة بالمعادلة فى المملكة العربية السعودية، فآلية انتقال السلطة فى نظام حكم الملك عبد العزيز الملكى تمّت بهدوء، وبطريقة سلمية، وسلسة، وواضحة، ومحددة فى أبنائه الأكبر فالأكبر؛ لأنه لم يكن هناك ما يمنع شرعًا فى عرف مجتمعه النجدى، ولا تراث فكره السلفى؛ مما أغلق باب الاصطراع والتسابق على السلطة؛ الأمر الذى ساعد على الاستقرار السياسى والأمنى للمملكة العربية السعودية، فى حين أن آلية انتقال السلطة فى اليمن بعد الإمام يحيى، لم تكن واضحة المعالم، ولا محددة، ولا سلسة؛ بسبب البيئة الثقافية التى فرضت على الإمام يحيى التقيد بأدبيات الفقه الزيدى، الذى يُحرّم ولاية العهد؛ مما شكَّل ثغرة عرَّضت اليمن لكثير من الاضطرابات السياسية التى كان فى غنى عنها.

ومن الملاحظ أن هذه الحقائق المذكورة آنفًا، مع أن الإمام يحيى لم يكن له أى دور فى تشكيلها، لصلتها بمنطق الجغرافيا والتاريخ، وظروف البيئة المحيطة، إلا أنه لم

يتناولها أو يُشر إليها أحد من الباحثين أو الدارسين عند المقارنة بين الزعيمين العظيمين، ولعل السبب فى ذلك التجاهل، يعود إلى انعدام الموضوعية عند الكتابة عن تاريخ الزعماء أو الدول التى دخلت فى ذمة التاريخ، بعد زوالها من الخريطة السياسية.

وفى هذا السياق وجدنا الكثير من الكتاب لم يقفوا عند حدِّ التجاهل لهذه الحقائق فقط، بل تعدوا ذلك إلى التحامل والتجريح المستمر للإمام يحيى، بتحميله أوزار الحاضر، وتجريده من منجزات الماضى، ولكأن توحيده لليمن تحت راية واحدة، وحفاظه على الهوية الإسلامية، وإقامته للشريعة، وتأمينه للناس، وحفاظه على الأموال العامة، وفرضه للعدالة، وإنصافه للمظلومين من تسلُّط المشايخ والإقطاعيين؛ ما هو إلا نتاج مصادفات سعيدة، كما ذكر ذلك أحد المتشنجين من خصوم الإمام يحيى. ولعله من المفيد هنا أن أورد مقتطفات من كتاب (العلاقات السعودية اليمنية)، للدكتور عبدالله القباع، لتوضيح ما أعنيه من تجاهل، وتحامل، وانعدام موضوعية فى حقِّ الإمام يحيى.

فقد كتب الدكتور القباع، نقلاً عن كتاب (محاولة لفهم المشكلة اليمنية)، لزيد بن على الوزير: «وكما قال أحد المثقفين اليمنيين فى مجال المقارنة الشخصية بين كل من الملك عبد العزيز والإمام يحيى، فإن فروقًا كبيرة قد وُجدت بين هذين الزعيمين، وأن الرؤية السياسية لكل منهما كانت متباعدة، وأن كل ذلك قد ترك أثرًا بالغًا على الطريقة التى تعامل بها كل منهما مع القضايا الدولية. فالملك عبد العزيز، وهو زعيم مذهب دينى، كان يتحلى بالطموح، والحزم، كريم اليد، شجاع الفكر، أخضع ممالك ثلاث لحكومة مركزية واحدة، وذوّب قبائل نجد وعشائر الحجاز فى صلب مجتمع دولة لا مجتمع قبيلة، ولعب أدوارًا رئيسة فى السياسة العربية والدولية على السواء. وعلى الضد من ذلك تمامًا، كان الإمام يحيى، وهو وإن كان زعيم مذهب دينى يتقد حماسًا، إلا أنه محدود الطموح، قعدت به همته عن تحقيق ما أُريد له، ضعيف الإرادة، شحيح اليد، وإلى جانب ذلك، فإن الإمام يحيى كان يفتقد المقومات الحقيقية لشخصية الزعيم القائد، وكان أسلوبه فى الحكم يميل إلى العزلة، ويفتقر إلى عنصر الصمود والثبات. وفى حين كان الفكر السياسى للملك عبد العزيز يتميَّز بالوضوح والشمولية، كان فكر الإمام يحيى يتسم بنوع من الجمود وعدم الشفافية، وفى معظم الأحيان، فإن تفكير الإمام لم يتجاوز حدود الدولة الزيدية.

ويضيف الدكتور القباع أيضًا، نقلاً عن كتاب زيد الوزير: «وتُشير معظم المصادر إلى أن الرؤية السياسية للإمام يحيى، لم تكن تستند إلى أية اعتبارات استراتيجية، وإنما كانت تنطلق من نظرته الضيقة للأمور، ومن طريقته فى التفكير، وأسلوبه الفريد فى التحليل والتنظير، فقبوله بصلح دعان – على سبيل المثال – وموافقته على شروط الدولة العثمانية التى وردت فى هذا الصلح، وتخليه عن لقب أمير المؤمنين، واكتفائه بالزعامة على أتباعه من الزيود، فى ظلِّ التبعية للدولة العثمانية؛ يعدُّ دليلاً قاطعًا على قصر النظر، وعلى محدودية التفكير والطموح؛ وكنتيجة لهذه السياسة، فقد قام الإمام بإلغاء ختمه الرسمى، الذى يحمل مُسمّى أمير المؤمنين، واستبدله بختم آخر، هو ختم أمير الزيود، وإذا كان هذا يدلُّ على شىء، فإنه يدلُّ – بلا شك – على تواضع الأهداف، وتقاعس الهمة»[١٣].

وأنا بدورى أتساءل: هل يحتاج الدكتور القباع إلى من يُعلّمه الأسس العلمية لتقييم الشخصيات التاريخية، فمن الأبجديات لأى أكاديمى مثقف ألا يستقى المعلومة على عواهنها من خصوم الشخصيات التاريخية، دون تحليل أو تمحيص يلتزم بمعايير التثبت، فهل تحرّى الدكتور القباع عن خلفية الكاتب زيد الوزير، قبل أن يعتمد عليه مصدرًا يستقى منه المعلومات عند الكتابة عن الإمام يحيى، خاصة أن زيد الوزير معروف عنه لدى القاصى والدانى، أنه صاحب ثأر وغرض انتقامى، ولا قضية له منذ نصف قرن، سوى تفريغ شحنات الحقد على الإمام يحيى، والحط من شأنه وأسرته؛ تبريرًا لجريمة أبيه وعمه فى اغتيال الإمام يحيى، وانتقامًا لكرامة أسرته الجريحة التى أعدم الإمام أحمد بن الإمام يحيى أفرادها المتآمرين قصاصًا، فإن كان يدرى الدكتور القباع كل تلك الحقائق وهو ينقل عن زيد الوزير، فتلك مصيبة، وإن كان لا يدرى، وهو المصنف بالشخصية العلمية المرموقة، فالمصيبة أعظم.

ومع الإقرار بعبقرية الملك عبد العزيز، وما كان يتمتَّع به من قدرات خارقة، ومواهب فذة فريدة من نوعها، جعلته ينجح فى بناء هذا الكيان العظيم للمملكة العربية السعودية، إلا أن ذلك لا يعنى أن نوافق المتشنجين أو المهووسين فى التقليل من شأن الإمام يحيى حميد الدين، والتجنى عليه بإلصاق التهم السامجة، التى لا تخرج عن إطار تصفية الحسابات السياسية لأشخاص يجرُّون أذيال الخيبة، ويجترون العُقَد والإنفعال والتشنج منذ فشل انقلاب أسلافهم فى عام ١٩٤٨م.

أما عن بدء تاريخ العلاقة السعودية اليمنية المعاصرة، التى نسجها الزعيمان العظيمان، الإمام يحيى والملك عبد العزيز، فلن تتضح الصورة للقارئ بجلاء، ما لم يتم التحدث عن منطقة عسير وتهامة فى جنوب شبه الجزيرة العربية، حيث كانتا مصدر نزاع تاريخى، وسببًا لتصادم الكثير من القوى السياسية فى الجزيرة العربية، خاصة بعد سقوط الدولة العثمانية، وبروز قوى محلية جديدة على أنقاضها، وأهمها الدولة السعودية فى نجد، ودولة الأشراف فى الحجاز، ودولة الأئمة الزيدية فى اليمن، ودولة الأدارسة فى تهامة، والمخلاف السليمانى، والسبب أن هذه الدول كانت ما تزال فى طور التشكُّل، ولم يكتمل بعد بناؤها ولا حدودها، ولم يكن هناك مفرٌّ من حصول تصادم ومواجهات سياسية وعسكرية بين زعمائها؛ بسبب تطلُّع كل طرف إلى بسط سيادته على تلك المناطق فى جنوب الجزيرة العربية، ومما زاد المسأله تعقيدًا، أن كل طرف كان يستند على الكثير من الحجج التى عدَّها تُعطيه الشرعية والحقوق التاريخية الثابتة لحكم تلك المناطق.

والواقع أنه لم يكن هناك حدود تاريخية فى الجزيرة العربية، نستطيع أن نقول: إنها فاصلة قاطعة تستند على حتميات الجغرافيا والتاريخ، ولم يكن هناك وحدات سياسية محددة ومرسومة الأطراف على شاكلة ما نراه اليوم، ولم يكن هناك خرائط معتمدة يمكن الرجوع إليها عند وقوع اختلاف أو تعدٍّ، بل كان هناك - بسبب طبيعة المجتمع القبلى المتداخل والمتغير الولاءات والتحالفات - تمدد وانكماش لكل دولة فى خلال فترات تاريخية متقطعة، كانت فيها القبائل تخضع تارة لآل سعود، وتارة للأئمة الزيدية، وتارة للأشراف، وتارة لآل عائض، وتارة للأدارسة. وقد أتت فترات تمدَّدت الدولة السعودية، ووصلت إلى مسافات تجاوزت - فىَ تقدير العديد من المؤرخين - الحدود التى وصلت إليها الدولة السعودية المعاصرة، وجاءت فترات انكمشت فيها إلى حدود منطقة الدرعية، وكذلك دولة الأئمة الزيدية، أتت فترات وقد تمددت إلى منطقة عسير وظفار، وجاءت فترات انكمشت إلى حدود منطقة صعدة.

وإزاء تلك المعطيات، نصل إلى أن كلاً من الزعيمين اليمنى والسعودى، كانا يستندان على حجج عداها منطقية؛ مما جعل مسألة التصادم مسألة وقت، وإن كانت الظروف الداخلية فى بداية الأمر، قد حالت دون ذلك؛ لانشغال كل من الزعيمين بمشاكله الداخلية المتعلقة بتوطيد أركان الحكم الداخلى فى كل من نجد واليمن، بعد سقوط الدولة العثمانية،

إلا أنه بدخول قوات الملك عبدالعزيز إلى شرق عسير، بعد القضاء على إمارة آل عائض فى عام ١٩٢٣م، جعل الدولة السعودية على مقربة من تخوم اليمن، ومقدمة للتماس بين حدود البلدين.

وصادف أن حصل فى السنة نفسها من عام ١٩٢٣م حادث مؤسف، ساعد على شحن الأجواء بالتوتر بين الزعيمين، وهو مقتل أكثر من ثلاثة آلاف حاج يمنى كانوا فى طريقهم إلى مكة، وسلب أمتعتهم فى منطقة تنومة فى عسير على يد الإخوان[١٤]. وقد وقعت هذه الحادثة قبل أن يكون بين الزعيمين اليمنى والسعودى أى تخابر، أو صلات تعاقدية أو تعاهدية، فى الوقت الذى كانت فيه قوات الملك عبدالعزيز من الإخوان الوهابيين مشتبكة فى القتال مع قوات الشريف حسين، فهاجم جند الإخوان – على ما بهم من غلظة وقسوة – هذه القافلة من الحجاج، بذريعة أنها لم تقدم فى تلك الساعة من اليمن إلا لنصرة الشريف حسين وقواته، ولم يصل الخبر للملك عبدالعزيز، حتى تبرأ من هذه الجريمة، وتأسّف عليها أسفًا شديدًا، ولم يخلِ الملك عبد العزيز الإخوان من المسؤولية[١٥]،

إلا أنه لم يتمكّن من تأديبهم ومجازاتهم بالجزاء العادل الذى يستحقون فى حينه على جريمتهم النكراء؛ لأن ظروفه لم تكن تسمح بفتح أكثر من جبهة، إلا أنه دفع ديات الحجاج[١٦]، وبعد بضعة سنوات من تلك الحادثة، بعد أن استتب له الأمر فى نجد والحجاز، جدع الملك عبد العزيز رؤوس المتسببين فى هذه المجزرة فى موقعة السبلة عام ١٩٢٩م[١٧].

أما الإمام يحيى، فمع سماعه من أطراف شتى ما كان يثير الحفيظة، خاصة أولئك الذين ما انفكوا عن التحريض والضغط عليه، للأخذ بثأر الشهداء من قتلى الحجاج اليمنيين فى تنومة[١٨]، إلا أنه لم يستجب لهؤلاء المحرضين، ومال إلى ضبط النفس؛ لأنه كان أعلم منهم ببرائة الملك عبد العزيز من دماء الحجاج الضحايا، خاصة بعدما شاهد لاحقا الإجراءات العنيفة التى اتخذها الملك عبد العزيز فى حقِّ القتلة.

وابتدأ فصل جديد فى الجزيرة العربية بعد حادثة الحجاج، وهو خضوع الإمارة الأدريسية للدولة السعودية فى عام ١٩٢٦م، بموجب اتفاقية مكة، التى قلبت الحسابات والموازين بتغيير المعادلة السياسية التى وضعت كلاً من الزعيمين على المحك المباشر وجهًا لوجه. حيث أرسل الملك عبد العزيز وفدًا سعوديًا فى يوليو ١٩٢٧م إلى صنعاء، حمل معه

نسخة من اتفاقية مكة، التى تنصُّ على دخول الإمارة الإدريسية تحت الحماية والرعاية السعودية، ومع هذه النسخة رسالة إلى الإمام يحيى طالبًا منه التقيد ببنودها.

وقد حمل هذه الرسالة وفد سعودى مؤلف من سعيد بن مشيط، وعبد الوهاب أبو ملحة، وتركى بن ماضى، وقد دار بينهم وبين الإمام يحيى مباحثات طويلة، استمرت أكثر من شهر، اتضح خلالها للوفد السعودى أن الإمام يحيى يعدُّ عسيرًا جزءًا من اليمن، وأنه لا يعترف بانضمام بلاد آل عائض إلى الدولة السعودية، ولا ببسط الحماية السعودية على المقاطعة الأدريسية، فعاد الوفد السعودى إلى بلاده بلا نتيجة[١٩]. وقد أبرق الإمام يحيى إلى الملك عبد العزيز عقب المباحثات بين الجانبين، معبرًا له عن موقفه من الأدارسة، ومما ورد فى برقيته الآتى: «بعد الاحترام، نوضِّح لجنابكم الجليل أنه بينما نحن فى حال جميع الأنصار، لما حدانا إليه ما بلغكم من جرأة الأدارسة على الله وعلى الإسلام والمسلمين، بإدخالهم النصارى إلى بلاد المسلمين، إلى جزيرة فرسان وتمكينهم من ذلك، مع إهمال شريعة الله، وإضاعة أحكامها، واتباع غير سبيل المؤمنين، وقد علمتم أن الأدارسة ليسوا من الديانة فى شىء، ولم يكن لهم حمية اسلامية أو عربية لإرادة صالح الإسلام والمسلمين، أو إعزاز العرب التى يبذلها ذل الاحتلال، وأنى يكون ذلك من مثل أولئك، مع أنهم ليسوا إلا مغتصبين قطعة من بلاد اليمن من دون مشروعية أو استحقاق، وليتهم لم يطمعوا ولم يمكنوا الأجانب فى شىء من البلاد، فلو كان منهم ذلك، لكان لنا مندوحة فى الإعراض عنهم، ولنا حق الأولوية لطردهم من اليمن»[٢٠].

ومع فشل مفاوضات شهر يوليو من عام ١٩٢٧م بين الطرفين، إلا أن الملك عبد العزيز أرسل وفدًا آخر إلى صنعاء فى شهر ديسمبر من السنة نفسها، عسى أن يتحقَّق تقدُّم فى المفاوضات، واستمرت جلسات المباحثات مع ممثلى الإمام يحيى شهرًا كاملاً، لم يتحقَّق خلاله أى تقدَّم؛ لتصلُّب الإمام يحيى، ورفضه التزحزح عن موقفه فى أن عسيرًا جزء لا يتجزأ من اليمن، فعاد الوفد السعودى إلى مكة المكرمة وبصحبته ممثلين عن الإمام يحيى، أجروا مفاوضات مع الجانب السعودى هناك، إلا أنها أيضًا لم يُكتب لها النجاح[٢١].

والواقع أن فشل المفاوضات، قد أحدث تصدُّعًا وتوترًا فى العلاقة بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى؛ لإصرار كل منهما على تبعية الإمارة الأدريسية وبلاد آل عائض لدولته، إلا أن هذا التصدّع والاختلاف حيال مسألة عسير، لا يعنى أن الإمام يحيى لم يكن حريصًا

على شبك علاقات سلمية وودية إزاء أخيه ابن سعود، بدليل أنه لم يستغل الأحداث التى واجهها الملك عبد العزيز خلال ثورة الإخوان بقيادة فيصل الدويش، والتى تزامنت مع سير المفاوضات بين الجانبين، وكان فيها إمكانية لاقتناص فرصة ذهبية للضغط على ابن سعود لتقديم تنازلات فى حدوده الجنوبية[٢٢].

وكل ما فى أمر الخلاف بين الإمام يحيى مع الملك عبدالعزيز، أن الإمام يحيى كان يستند فى مسألة عسير على الحجة من أن أسلافه قد حكموا تلك المناطق، ومن أن الأدارسة غاصبون ودخلاء حديثو عهد بالجزيرة العربية، ولا يمتلكون من الجذور ما يُعطيهم الحقَّ فى عقد المعاهدات والتصرف فى تلك البقاع[٢٣]. ومما عزَّز من شعور الإمام يحيى بأحقيته فى الإمارة الأدريسية، أن قواته كانت قاب قوسين أو أدنى من احتلال الإمارة الأدريسية بالكامل، بعد دخول قواته إلى الحديدة وميدى، وتأهبها للدخول إلى جيزان وصبيا[٢٤]، وأنه لولا ارتماء الحسن الأدريسى فى أحضان الملك عبد العزيز طالبًا الحماية، لما أمر الإمام يحيى قائد جنده فى تهامة عبدالله الوزير بإيقاف الزحف على باقى الإمارة الأدريسية[٢٥].

ومهما يكن من أمر، فإن الملك عبدالعزيز لم يُسلِّم بمنطق الإمام يحيى، فبدأ بممارسة مسؤولياته فى الإمارة الأدريسية، بموجب اتفاقية مكة التى عقدها مع الأدارسة، حيث أرسل فهد بن زعير أميرًا على رأس موظفين رسميين، لتولى تنظيم الشؤون المالية والإدارية، بحيث أصبح واضحًا أن الإمارة الأدريسية، قد أصبحت من الناحية العملية جزءًا من الدوله السعودية[٢٦].

وفى عام ١٩٣١م لاحظ ابن زعير وهو يمارس مسؤولياته فى الإمارة الأدريسية، تقدُّم قوات تابعة للإمام يحيى إلى جبل العرو، متعدية بذلك حدود الوضع الراهن، فأرسل إلى الملك عبد العزيز يخبره بذلك، فأمره الملك عبد العزيز بتشكيل وفد برئاسته للمفاوضة مع الإمام يحيى، والذى كان من شأنه بعد مفاوضات طويلة تنازل الملك عبد العزيز عن هذا الجبل لليمن، بموجب معاهدة صداقة وحسن الجوار عُقدت فى ديسمبر١٩٣١م[٢٧]، إلا أن هذه المعاهدة لم تتطرّق إلى رسم الحدود بين البلدين.

وفى هذه الأثناء يبدو أن العلاقة بين أمير نجران فهد بن زعير والحسن الأدريسى أصابها التوتر؛ لشعور الأدريسى أنه قد تحوّل إلى مجرد حاكم صورى، فى ظلٍّ هذه الأوضاع غير الطبيعية. ومع الإعلان عن قيام المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢م، لم يحتمل الحسن

الأدريسى ذلك التطور، مما دفعه إلى التمرد على الدولة السعودية واحتلال جيزان، ووضع فهد بن زعير وموظفيه فى الأسر، فأرسل الملك عبد العزيز حملة عسكرية تمكّنت من استعادة جيزان، ومطاردة الحسن الأدريسى الذى هرب إلى اليمن، طالبًا حقَّ اللجوء السياسي. وتشير الكثير من المصادر إلى أن الإمام يحيى كان على علم بمخططات الأدريسى فى التمرد على الدولة السعودية، بل إن الكثير من الكتاب ذهبوا إلى القول بأن تمرد الأدريسى ما تم إلا بدعم الإمام يحيى وتأييده(٢٨). وعلى إثر فشل ثورة الأدريسى، أعلن الملك عبد العزيز رسميًا ضمَّ كافة المناطق التى كان يحكمها الأدارسة إلى أملاكه، وأصبح شأنها شأن الحجاز، ونجد، وحائل(٢٩).

وكان من المحتمل أن تنتهى الأمور إلى هذا الحد، بعد لجوء الأدارسة إلى اليمن، لولا دخول قوات الإمام يحيى، بقيادة ابنه سيف الإسلام أحمد إلى مدينة نجران فى شهر مايو من عام ١٩٣٣م، بحجة المحافظة على الأمن، ونشر أصول الدين الحنيف فى ربوع هذه المنطقة؛ مما دفع الملك عبد العزيز إلى حشد قواته على حدود نجران، للحيلولة دون وقوع مفاجآت أو مباغتات غير منتظرة من وراء الحدود(٣٠).

وفى ظلِّ هذه الأجواء المشحونة بالتوتر، دخل الطرفان فى مفاوضات جديدة حول مسألة نجران والأدارسة، عُقدت فى مدينة صنعاء، بتاريخ يوليو من عام ١٩٣٣م، فأثار رئيس الوفد السعودى تركى بن ماضى جدلاً حول مسألة الأدريسى، مطالبًا بتسليمه، وأثار موضوع معاهدة العرو، التى سبق عقدها بين الدولتين فى عام ١٩٣١م، معتبرا أنها قد حسمت الحدود بين البلدين بصفة نهائية، إلا أن الوفد اليمنى عدّ أن قبول الأدريسى لاجئًا فى اليمن، ينطلق من الرغبة فى عدم لجوئه إلى حكومة أجنبية، أما معاهدة العرو، فهى فى نظر حكومة الإمام اتفاق مؤقت لم يحسم الحدود بين البلدين، وغير مستند على توقيع العاهلين اليمنى والسعودى، ومن ثم فإن إدخال نجران داخل حدود اليمن، لا يتعارض مع معاهدة العرو، بل أكثر من ذلك، طالب الوفد اليمنى بتخلى الملك عبدالعزيز عن كافة مناطق الأدارسة فى تهامة وعسير(٣١)؛ ونتيجة لذلك فشلت المفاوضات بين الطرفين، وعاد الوفد السعودى إلى بلاده بلا ثمرة، وكتب تركى بن ماضى تقريرًا إلى الملك عبد العزيز جاء فيه: «إن خطة الإمام يحيى التى يسير عليها، تتلخّص فى إثارة بعض اللاجئين إليه من رعايانا، ثم إذا اعتقد أن الفرصة سانحة، أجهز على قطعة من أملاكنا، سواء بالحرب،

أو بالدسّ، أو بالتظاهر بحكم جلالتكم، كما حصل فى مسألة العرو. والمماطلة، والمراوغة، والتسويف من الوسائل الفعَّالة التى يلجأ إليها»[٣٢].

وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير عقب هذه التطورات، أنه بعد فترة وجيزة من دخول قوات الإمام يحيى إلى نجران، توجّهت قوات أخرى تابعة له إلى بعض المناطق الجبلية فى عسير لاحتلالها، كاجراء احترازى، بعدما شعر الإمام يحيى بإمكانية مهاجمة نجران من قِبل القوات السعودية، وفعلاً دخلت قوات الإمام إلى جبال فيفا، ومنطقة بنى مالك، والعبادل[٣٣]، وأرسل الإمام إلى هذه المناطق التعزيزات والكوادر الإدارية لممارسة مسؤولياتها، بما فى ذلك جمع واجبات الزكاة، بهدف تثبيت قواعد الدولة هناك[٣٤]. وقد أرسل الملك عبد العزيز للإمام يحيى يطلب منه تفسيرًا لتلك التحركات، فردَّ عليه الإمام بأن ذلك لم يكن إلا ردًّا على تحركات القوات السعودية، وتطمينًا للأهالى الذين أصابهم الفزع من الحشود السعودية، وأنه قد أمر ابنه سيف الإسلام أحمد بالكفِّ عن أى تحرك أو تجاوز بعد تلك النقطة[٣٥].

وفى خلال الفترة الممتدة ما بين ٢٠ يناير إلى أول فبراير من عام ١٩٣٤م، تبادل العاهلان سبع برقيات كُتبت فى صيغ مهذبة، وكل طرف يؤكّد حرصه على السلم، إلى أن تم الاتفاق على عقد مؤتمر أبها فى يوم ١٦ فبراير عام ١٩٣٤م، وسط جو مشحون بالتوتر[٣٦]، إلا أن اختلاف وجهتى نظر الطرفين أفشلت المفاوضات، خاصة مع إصرار الإمام يحيى على عدم الاعتراف بأن نجران جزء من الأراضى السعودية، ورفضه تثبيت الحدود بمعاهدة مكتوبة[٣٧].

ويروى محمد رشيد رضا صاحب المنار، أن الملك عبد العزيز كان يمكن أن يتساهل فى مسألة نجران، لولا أن وفد الإمام يحيى فى مؤتمر أبها طلب من الملك عبد العزيز إعادة النظر فى مسألة عسير برمتها[٣٨]، حيث عرض الملك عبد العزيز حلاً أخيرًا لهذه الأزمة، بأن تكون مدينة نجران منطقة محايدة بين الدولتين، إلا أن تصريحات سيف الإسلام أحمد بأحقية اليمن فى نجران[٣٩]، وإصراره على استخدام القوة فى بسط سيطرته على منطقة عسير، أشعل الموقف من جديد بين الدولتين اليمنية والسعودية[٤٠].

ولقد حمَّل محمد رشيد رضا سيف الإسلام أحمد السبب فى فشل المفاوضات، معدًّا إياه حجر عثرة فى الاتفاق بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى، ولم يكتفِ بذلك، بل قاد

الحملات التحريضية ضده فى جريدته المنار، ومن ذلك قوله بأن سيف الإسلام أحمد دائم التشوق والميل إلى إضرام نار الحرب فى الجزيرة العربية[٤١]، وأنه متوثب للاستيلاء على عسير[٤٢]، وأنه هو المعتدى على جبل العرو ونجران، وأنه هو الذى يُحرِّض الأدارسة على الثورة على الملك عبد العزيز، ويؤوى النشطين من أعضاء الحزب الحجازى المعارضين للدولة السعودية[٤٣]. وختم محمد رشيد مقالاته التحريضية، بأن وجَّه تحذيرًا للإمام يحيى من توثّب وتطرُّف ابنه سيف الإسلام أحمد بقوله: «أيها الإمام الحكيم، لقد علم الرأى العام الإسلامى، ولا سيما العربى، أنه لو فجعت الأمة بكم، لقضى ولى عهدكم الشاب على جزيرة العرب، فنرجو أن تبادروا قبل كل عمل إلى الاتفاق مع أخيكم الملك عبدالعزيز»[٤٤].

وهنا نفذ صبر الملك عبد العزيز، بعدما شعر أن المفاوضات والبرقيات بين الجانبين لم تثمر عن شىء، سوى التطويل واستمرار الإمام يحيى فى احتلال نجران، والمناطق الجبلية فى بنى مالك، ومنطقة فيفا، فقرَّر أن يضع حدًّا نهائيًّا لهذه المشكلة الحدودية، حيث أمر قواته بالعبور إلى ما وراء الحدود اليمنية، والدخول فى حرب رسمية مع اليمن[٤٥]، وأرسل برقية إلى الإمام يحيى، جاء فيها: «لقد بذلت أقصى ما أستطيع بذله لإقرار السلام، وإثبات الصداقة، بالرغم من تكرار اعتداءاتكم، واكتساح جنودكم لبلداتنا، وأرسلت الوفود تلو الوفود منذ سبع سنوات، حتى أعيانى أمركم، واستنفذت سائر الوسائل المكنة، ولم يبقَ لنا إلا أن نخبركم بالصراحة التى نراها واجبة علينا: إننا توكلنا على الله، واستمددنا من حوله وقوته على أداء الواجب الذى يحفظ أمانينا، ويُؤمِّن رغبتنا، ويصون شرفنا، وأمرنا بالدفاع لإنقاذ بلادنا، وقد أحببنا إحاطة حضرتكم علمًا بهذا العزم، لتكونوا على بينة منه، وباب السلم مفتوح إذا أردتموه، وليس عندنا غير ما طلبناه فى السابق، وهو إخلاء الجبال، وإطلاق رهائنهم، وترك أمرهم منا إليهم، وتحديد الحدود بيننا وبينكم بمعاهدة، وإبعاد الأدارسة بالحلِّ المقرر، ومسألة نجران بأى حال من الأحوال، وقد تقدمت الجنود متوكلة على الله، ونحن معذورون فى ذلك، وباب السلم مفتوح متى أردتموه على الشروط المذكورة أعلاه»[٤٦].

يتضح من البرقية المذكورة آنفًا، أن الملك عبد العزيز قد مال إلى ضبط النفس، ولم ينفذ صبره إلا بعد سبع سنوات من المحاولات التى بذلها، لحلِّ خلافاته الحدودية وديًّا مع الإمام يحيى، أما الإمام يحيى، فخلال فترة السبع سنوات منذ دخول عسير، والمخلاف

السليمانى تحت سيادة الملك عبد العزيز، فقد مال إلى الصبر الجميل، فى الوقت الذى كان يتنازعه أمران، أحلاهما مر، الأمر الأول إدراكه أن منطقة عسير والمخلاف السليمانى لم تسقط فى يد جهة تعطى للامام يحى المبرر الشرعى لقتالها وإراقة دماء المسلمين فى سبيلها. فالملك عبد العزيز كان يتمتَّع بجذور تاريخية فى الجزيرة العربية، وله شرعية دينية، وكان مستقلاً عن الإملاءات البريطانية، كحال الإمام يحيى تمامًا، وأهم من ذلك: أنه أصبح له حاكمية دينية وراية منصوبة فى منطقة عسير والمخلاف السليمانى، قبل أن يكون للإمام يحيى أى موطأ قدم فى تلك المناطق، وفوق ذلك، فقد نشر الملك عبد العزيز الأمن والطمأنينة والسكينة، وأنصف الناس، وحكم بالشرع، وأقام الفرائض، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وحارب البدع فى كل المناطق التى حكمها، فما المبرر الشرعى لقتاله إذًا؟

ومما زاد من حيرة الإمام يحيى، أنه كان يتذرَّع دائمًا فى كافة مكاتباته مع الملك عبد العزيز، بأنه لم يمتشق الحسام لمواجهة الأدريسى فى تهامة ومنطقة عسير، إلا لأنه ليس من الديانة فى شىء، وليس لديه حمية إسلامية أو عربية، وذلك بتمكينه للأجانب فى البلاد، ووضع نفسه خادمًا للمصالح الإيطالية، ومن ثم منفذًا للمخططات البريطانية، وأنه لولا ذلك، لكان للإمام يحيى مندوحة فى الإعراض عنه(٤٧)، فما هى ذريعته تجاه الملك عبد العزيز، مع ديانته واستقلاله عن الإملاءات البريطانية؟

أما الأمر الآخر الذى كان يتنازع الإمام يحيى، فطموحه الجامح، وتطلعاته فى بسط سلطته على عسير والمخلاف السليمانى، التى كان يرى أنها تستند إلى حقوق تاريخية، تتعلَّق بوحدة اليمن الكبرى التى لا يمكن التفريط فيها، إلا أنه أُسقط فى يد الإمام يحيى، وقامت عليه الحجة والبرهان، عندما خاطبه الملك عبد العزيز بلغته نفسها فى الدين والعقيدة، وخطابه نفسه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وطروحاته نفسها فى تجاوز الجاهلية، محملاً إياه الحجة فى حلِّ الخلاف بين المسلمين بالتى هى أحسن، وناصحًا له بعدم إثارة الفتنة، والتسبب فى إراقة الدماء المعصومة، لمجرد الرغبة فى التوسع إلى بقاع لم يكن للإمام يحيى فيها أى حاكمية أو راية منصوبة، بل كانت فيما سبق تحت راية الأدارسة وآل عائض؛ لذلك أصدرت جريدة أم القرى فى مكة بتاريخ أول رجب سنة ١٣٥٢بيانًا توضيحيًّا لموقف المملكة السعودية من دعاوى الإمام يحيى فى وحدة اليمن

التاريخية، التى كان يتمسّك بها، وقد جاء فى البيان الآتى: «إن قضية اليمن لليمنيين، وكلمة الوحدة اليمنية، وأن عسيرًا من اليمن، وجيزان من اليمن، وأكثر من هذا سمعناه قبل اليوم، وكنا نعرض عن البحث فيه، لاعتقادنا أن هذه دعوى لا يتمسك بها ذو دين، ولا من يفهم معنى القوميات فى العصر الحاضر، كما أنه لا يوجد دليل دينى ولا تاريخى يُعطى لصنعاء ومن فيها حقّ التحكّم فى كل ما تدعى له من اليمن.

أما الدين، فإن الإسلام قد آخى بين المسلمين، ولم يسمح بجعل الفروق القبلية أساسًا للحكم والسلطان، وكل من اطلع على الحديث، يرى الأحاديث الكثيرة فى نفى العصبية فى الإسلام. وقد رُوى عن رسول الله أشد الأقوال فى ذلك، مما لم يرو له مثل فى نهى أو زجر؛ حفظًا لجامعة الإسلام، فقد روى عن رسول الله قوله: «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه». وأن الرسول يوم دخل اليمن فى الإسلام، أرسل معاذًا من مكة ليعلّم أهلها الإسلام، فلم يجعل الرسول اليمن قومية خاصة، ولا كيانًا خاصًا، ولا مزية خاصة، وإنما هى بلد من بلاد العرب، دخلت فى الإسلام، فكانت جزءًا من أجزاء بلاد الإسلام، الذى لا فضل لعربى على أعجمى فيه إلا بالتقوى. فكل دعوى فى الإسلام إلى العصبية باطلة ساقطة؛ لأن الإسلام دين واحد، والمسلمون أمة واحدة، والعرب بعضهم أكفاء لبعض.

ومما نذكره فى هذه المناسبة، مع شكر الله وحمده، ما قام به جلالة الملك - حفظه الله - فى هذه الجزيرة العربية من إبطال العصبيات القبلية، ومنع الغارات والشحناء بين العرب فى سائر ما امتد إليه حكمه فى دياره، فقد كانت القبائل يتحامى بعضها على بعض، كل يدعو قبيلته ونفيره، ويستعديه على أخيه، فدعاهم إلى توحيد الله، ونبذ ما كانوا عليه من الشرك والضلال، فانقادوا لذلك طوعًا أو كرهًا، وجعل منهم أمة واحدة، لا تشعر بغير الشعور الإسلامى، ولا تعرف غير الإسلام مذهبًا دينيًا وسياسيًا، ولا تتخلّق بغير أخلاق العرب التى أقرّها الإسلام. أما دعوى الوحدات الجزئية من الأمة الواحدة، فقد انتشرت هذه الفكرة - للأسف - عن طريق مدارس التبشير المسيحية فى مصر وسوريا، ليفسدوا على المسلمين عقائدهم الدينية، وعلى العرب جامعتهم العربية السياسية، وما علموا أن ذلك سبب لضعفهم، وتفكيك أوصالهم، قالوا لهم نكاية بالترك يومئذ: مصر للمصريين، وسوريا للسوريين، والعراق للعراقيين، والحجاز للحجازيين، ونجد للنجديين، واليمن لليمنيين، ثم زادوا هذا الخرق اتساعًا فى سوريا خاصة، فقالوا: فلسطين للفلسطينيين، والشام للشاميين.

ولو سمحنا لأنفسنا بالاسترسال، وبالتسليم جدلاً بدعوى الجاهلية، لكان هناك مجال للقول بأن اليمن لليمنيين، ولا يمت من فى اليمن بنسب إلى قريش، وقريش فى الحجاز، وأهل اليمن من اليمن، كما أن الأدارسة لم يأتوا لتهامة إلا من إفريقيا، وهم ينتسبون لقريش أيضًا، على أن هذا مما نحمى لساننا عن قوله، ولا ندعو إليه، وننتهى بنهى الرسول عنه»[٤٨].

وقد أصدرت وزارة الخارجية السعودية كذلك الكتاب الأخضر، الذى يظهر فيه جليًا النفس الإسلامى فى تحميل الإمام يحيى الحجة عند سير جلسات المفاوضات السعودية اليمنية حول عسير ومنطقة المخلاف السليمانى، وجاء فيه: «إن البلاد التى تحت يدنا، هى اليوم فى يد حكومة عربية، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، أخذتها بتضحيات جسيمة من مال ورجال، وليست بأجنبية عنها، لا فى اللغة، ولا فى الأصل، ولا فى الديانة، ولا فى العقيدة»[٤٩].

«إزاء إقامة الملك عبد العزيز الحجة الشرعية، لم يجد الإمام يحيى مخرجًا من هذا المأزق الذى حشره فيه الملك عبدالعزيز، وهذه الحيرة والصراع النفسى منذ بدء التماس مع حدود الدولة السعودية، إلا باتباع سياسة تفادى المواجهة المسلحة، التى قد ينشأ عنها إراقة دماء معصومة بين طائفتين مسلمتين، يتمتّع إمامهما بالمسؤولية التاريخية والشرعية الدينية، مع اعتماد سياسة نَفَس طويل، قائم على المناورة والمطاولة فى المفاوضات لكسب الوقت؛ انتظارًا لفرصة سانحة، أو فتق، أو بروز معطيات جديدة على الأرض، قد تساعد الإمام يحيى على التمدد التدريجى فى تلك البقاع بدون اقتتال، وبأقل التكاليف. وبطريقة تضع الملك عبد العزيز أمام أمر واقع، يضطر فيه إلى الاعتراف به، وبناء الاتفاق عليه، كما حصل فى أزمة جبل العرو، عندما حكم الملك عبد العزيز على نفسه بالتخلى عن جبل العرو[٥٠]. هذه كانت أفضل الحلول فى رؤية الإمام يحيى الشرعية، التى من خلالها سيتمكّن من تحقيق مبتغاه، دون أن يضطر إلى تحمُّل وزر الدماء المسكوبة غير المبررة شرعًا.

وقد صدر الكثير من الوثائق التاريخية التى تُشير إلى حقيقة هذه الاستراتيجية المتبعة من قِبل الإمام يحيى فى خلافاته الحدودية مع الملك عبد العزيز، ومن تلك الوثائق، التقرير الذى أرسله رئيس الوفد السعودى إلى اليمن، تركى بن ماضى إلى الملك عبد العزيز خلال فترة المفاوضات بين الدولتين، حيث يقول التقرير: «الإمام يحيى ذو مطامع

غريبة، ومراميه بعيدة، كلما تكلمنا معه فى النقطة الممكنة لحل المشكل، زاغ عنها، وإن كان يقول قولاً بأنه يطلب الائتلاف، فله مقاصد بعيدة، فتحقّق لدى خادمكم أنه متربص للدوائر عن مقصد، وله آمال لا سمح الله بتحقيقها، وليس له مقصد عدوانى فى الوقت الحاضر، ولا يريد حسم المادة، والاعتراف بحدود معلومة له وعليه، بل يريدها مسالة ومكاتبة بغير نتيجة»(٥١).

ومنها التقرير التالى أيضًا: «إن الإمام يحيى يحترز من محاربتنا، ومجابهتنا وجهًا لوجه، وخطته التى يسير عليها تتلخّص فى أنه يعمل على إفساد القبائل والأهالى التابعين لنا، ويستعمل من أجل ذلك الغرض وسائل عديدة»(٥٢).

الحرب اليمنية السعودية:

بعد سنوات من المحادثات والمفاوضات غير المثمرة بين الوفود السعودية واليمنية لحل الخلافات الحدودية، تيقَّظ الملك عبد العزيز لسياسة الإمام يحيى فى التمدد التدريجى، واستخدام عامل الوقت، للوصول إلى طموحاته السياسية، فقرَّر أن يحسم المسألة لصالحه، بعد أن أعلن رسميًّا فى ٢٢ مارس ١٩٣٤م، فشل محادثات مؤتمر أبها بين مندوبى اليمن والسعودية لحل مشكلة الحدود. وقد أشاع هذا الإعلان الخبر عن قيام حرب بين الزعيمين، بإصدار الملك عبدالعزيز أمره إلى ابنيه الأمير سعود، والأمير فيصل بعبور حدود اليمن فى يوم ٥ أبريل عام ١٩٣٤م.

وقد أصدرت المفوضية السعودية فى لندن بيانًا رسميًّا فى اليوم نفسه، لتعريف العالم بمجريات الأحداث، جاء فيه: «إن جلالة الملك ابن سعود، بعد أن يئس من الوصول إلى اتفاق مرضٍ مع الإمام يحيى، أصدر أوامره إلى ولى عهده الأمير سعود بأن يزحف بجنوده لمهاجمة قوات الإمام يحيى، ولقد تقدَّم الأمير فيصل بن سعد، ابن أخى الملك إلى باقم وأطرافها، كما تقدَّم ابن أخيه الآخر، الأمير خالد بنَ محمد إلى نجران وصعدة، وتقدَّم حمد الشويعر أمير تهامة عسير إلى حرض واحتلها، وتقدَّم الأمير فيصل ثانى أنجال الملك عبد العزيز على شاطئ تهامة، لتولى القيادة فيها، على حين أن الأمير محمد النجل الأصغر للملك، قد زحف من نجد بقوة احتياطية لإمداد أخيه الأمير سعود»(٥٣).

والواقع أن مصير هذه الحرب كان معروفًا سلفًا لدى معظم المحللين السياسيين، والدوائر الاستخبارية العالمية، فقد ورد فى تقارير الاستخبارات البريطانية تحليلاً عن

الحرب السعودية اليمنية، يقول بأن إخلاء الإمام يحيى منطقة تهامة من قواته، كان مرجحًا لأسباب معروفة تتعلق بخشية الإمام يحى من وقوعه في مصيدة عدم ولاء الشوافع من أهل تهامة له أثناء الحرب مما يجعل هناك إمكانية لإنضمامهم للقوات السعودية، ومن ثم فإن نجاح قوات الملك عبد العزيز فى اختراق تلك المنطقة، لن يكون له من أثر حقيقى في سير المعركة؛ لأنه من الواضح أن الميدان الحقيقى للمعركة ليس فى تهامة، بل فى صعدة، حيث سيقرر فيها المصير النهائى للحرب[٥٤]. أما تعليقات الصحف الغربية، فقد جاءت مطابقة للحوادث التى جرت على الأرض أثناء سير المعارك، وهى كما نقلت جريدة الأهرام عن جريدة المورننج بوست، التى علّقت على الحرب بقولها: «إن النزاع سينتهى متى بسط الملك عبد العزيز نفوذه على المناطق الصحراوية والساحلية السهلة». أما جريدة المانشستر جارديان، فقد علّقت بقولها: «إن الجنود اليمانيين الذين يعيشون فى الجبال، لا يمكن قهرهم فى بلادهم». وقد بنت هذه الصحف تعليقاتها على فرضية، أن المحاربين النجديين أقوياء، ولكن فى الصحراء فقط؛ لأنهم بدو أساسًا، ولهذا سيضطرون إلى وقف القتال عند احتلالهم السهل الساحلى؛ لأنه لن يكون أمامهم بعد ذلك إلا الجبال الوعرة، التى سيلجأ إليها اليمنيون بالضرورة، دفاعًا عن أنفسهم[٥٥].

وبقراءة كتب التاريخ، يتضح لنا كيف أن منطقة تهامة كانت لسهولة ساحلها المفتوح، وانبساط سهلها الآمن؛ مرتعًا للغزاة والحملات العسكرية الأجنبية، ومسرحًا للأحداث التاريخية التى كانت تحدث فى الجزيرة العربية، خلافًا لمنطقة الهضبة الشمالية فى اليمن، التى أحجم الغزاة، مثل الجراكسة، والأكراد، والعثمانيين عن التوغل فيها؛ لوعورة تضاريسها الشاهقة، وتعرُّج مسالكها، ووديانها السحيقة؛ لذا لم يكن من المستغرب أن تُركِّز قوات الملك عبد العزيز عملها فى تهامة، حيث نجح الأمير فيصل بن عبد العزيز فى التوغل على طول ساحلها، إلى أن وصل إلى مدينة الحديدة، خلافًا لما حصل فى منطقة الجبال حول صعدة، التى ظلت فى مأمن من الاختراق[٥٦].

والحقيقة أن توغُّل الأمير فيصل فى تهامة، كان بلا قتال؛ بسبب أوامر الإمام يحيى إلى قواته وجيوشه بعدم الاشتباك مع القوات السعودية، مفضلاً على ذلك الانسحاب إلى الجبال[٥٧]، حيث جلت قوات الإمام عن تهامة قبل وصول السعوديين إليها[٥٨]، باستثناء بعض المناوشات التى حصلت فى مدينة حرض، التى كانت أول مدينة يمنية على الحدود

تسقط فى أيادى القوات السعودية على حين غرة، قبل أن تصل أوامر الإمام بالانسحاب منها[٥٩]. وقد كان من الأسباب الرئيسة التى ساعدت الأمير فيصل على توغله السريع نحو تهامة اليمن، تزويد قواته بناقلات عسكرية من قِبل شركة أويل أوف كاليفورنيا، التى كانت لتوها قد حصلت على امتياز للتنقب عن النفط فى المناطق الشرقية من مملكة ابن سعود[٦٠]، إضافة إلى استخدام ابن سعود لعدد من البواخر لنقل القوات والأسلحة والمركبات عبر البحر إلى مدينة الحديدة[٦١]، خلافًا لحال القوات اليمنية، التى لم تعهد مثل هذه الوسائل فى حروبها السابقة، التى اعتمدت فيها على الجمال والدواب، والعدد المحدود من السيارات لنقل المؤن والأسلحة والإمدادات.

وقد وجّهت وزارة الخارجية السعودية مذكرة إلى ممثلى الدول الأجنبية فى جدة، تؤكّد فيها على خبر انسحاب قوات الإمام يحيى من تهامة بدون قتال، حيث جاء فى المذكرة الآتى: «أتشرَّف بإبلاغكم أن قوات الإمام يحيى انسحبت من تهامة، وتركت البلاد لتحتلها قوات جلالة الملك، وكانت النتيجة أن جنود الملك احتلت ميدى فى ١٢ محرم، الموافق ٢٦ أبريل، واللحية فى ١٧ منه، وتلقَّت الأوامر بالتقدم لاستلام الحديدة، التى انسحبت منها القوات اليمنية[٦٢].

الرقم ٢/١/٢ / ١٢٠
التاريخ ١٩ محرم ١٣٥٣
الموافق ٣ مايو ١٩٣٤

((تعميم))

ياصاحب السعادة

اتشرف باطلاعكم ان قوات الامام يحيى حميد الدين انسحبت من تهامة وتركت البلاد لكى تحتلها قوات حضرة صاحب الجلالة وقد كان من نتيجة ذلك ان جنود جلالته تمكنت من احتلال ميدى فى ١٢ محرم واللحية فى ١٧ منه وقد صدرت الاوامر المستعجلة بتقدم الجيوش لاستلام الحديدة التى نفهم ان القوات اليمانية انسحبت منها ايضا . وبناء على ذلك فقد اصبحت حكومة حضرة صاحب الجلالة مسؤولة عن ادارة البلاد التى تم احتلالها وبالطبع ستأخذ على عهدتها فى الوقت المناسب امر البلاد التى سيتم احتلالها قريبا .

احب ان اؤكد لكم ان مهمة حكومة حضرة صاحب الجلالة ستكون قائمة على توزيع العدل وتأمين الخائف واخذ حق الضعيف كما انها ستحرص كل الحرص على سلامة النزلاء الاجانب الموجودين فى البلاد المحتلة ولن تفرق بينهم فى المعاملة كما انها ستبذل جهدها لاجل تأمينهم وتقديم كافة التسهيلات والمساعدات لهم .

ان القوات التى يقودها حضرة صاحب السمو الملكى الامير فيصل قد تقدمت من اللحية الى الحديدة لاجل التعرف على ناحية الحال واقرار السكينة والامان فيها ، ونتظر ان يكون وصولها وقيامها بذلك [illegible] فى اقرب فرصة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

[illegible]

وزير الخارجية بالنيابة

وثيقة صادرة من وزارة الخارجية السعودية، موجهة للوزير المفوض البريطانى فى جدة، تشى بحقيقة دخول القوات السعودية إلى تهامة اليمن سلمًا لا حربًا، بعدما أمر الإمام يحيى قواته بالانسحاب نحو الجبال.

وكنتيجة لانسحاب قوات الإمام يحيى من مدن تهامة نحو الجبال دون قتال، ذهب الكثير من أصحاب الخصومات التاريخية مع الإمام يحيى إلى الرأى بأن انسحاب قواته من تهامة، ما هو إلا هزيمة منكرة، ودليل على هشاشة حكمه، وضعف شخصيته، وعدم تأهله للقيادة والزعامة، وما إلى ذلك من الترهات التي لا تخرج عن إطار المزايدات والهجاء السياسى للخصوم. ولكن قبل أن نلقى الأحكام جزافًا، ينبغى لنا أن ندرك السر الحقيقى وراء موقف الإمام يحيى فى سحب قواته نحو الجبال، دون الدخول فى اشتباك مسلح مع القوات السعودية الغازية.

وللذين يريدون أن يعرفوا السر أقول لهم بأن الإمام يحيى كان يُفكِّر بمنطق رجل الدولة المحنك، صاحب الرؤية والعقل الاستراتيجى، الذى يضع فى اعتباره الرأى قبل شجاعة الشجعان، ولم يكن يفكِّر بمنطق العنتريات الفارغة، ولا بردود الأفعال الغوغائية التى اُبتلى بها حُكّام الأنظمة الثورية المراهقة فى عالمنا العربى، فلقد بلغ الإمام يحيى الاتصالات السرية التى أجراها مشايخ الزرانيق مع الملك عبد العزيز[٦٣]، وهم سكان تهامة الأصليين، أصحاب الثأر المتربصين بالإمام يحيى الدوائر*؛ مما حدا بالإمام يحيى إلى سحب قواته من تهامة، حتى لا تقع فريسة سهلة بين فكى كماشة، أحد أطرافها القوات السعودية، والطرف الآخر قبائل الزرانيق، وفضَّل على ذلك ممارسة تكتيك استدراج القوات السعودية نحو الجبال، كما كان يفعل أسلافه مع كل القوى الغازية.

أما الأمر الآخر الذى يجدر بنا أن نناقشه، هو تعريف معنى النصر والهزيمة، فهل هو فى مجرد اختراق أراضى الغير؟ فإن كان كذلك، فسيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى كان قد سبق قوات الأمير فيصل بن عبد العزيز فى اختراقها للحديدة، عندما اخترقت قواته مدينة نجران، التى احتلها وأجزاء من عسير فى منطقة بنى مالكٍ وجبال فيفا[٦٤]. وما احتلال قوات الأمير فيصل بن عبدالعزيز ساحل تهامة، وصولاً إلى الحديدة، إلا ردة فعل على احتلال قوات سيف الإسلام أحمد لجزء من الأراضى السعودية، ناهيك عن أن قوات سيف الإسلام أحمد لم تنسحب من جبال عسير حربًا، بل انسحبت طوعًا بعد عقد التسوية، التى تم بموجبها انسحاب كل من الطرفين السعودى واليمنى من أراضى الغير[٦٥].

---

* مقابل العناصر اليمنية المتربصة بالإمام يحى التى أجرت إتصالات سرية مع الملك عبد العزيز، كان هناك عناصر سعودية متربصة بالملك عبد العزيز، أجرت إتصالات سرية بالإمام يحى بهدف الوثوب وتنسيق المواقف، كبعض الأشراف وأعضاء فى حزب الأحرار الحجازى وجماعات تابعة لحركة ابن رفادة وبعض قبائل عسير التابعة للإدريسى.

Ibn Sa'ud a very munificent king. These Sheykhs, who had not even enjoyed the honour of a cup of coffee with their ruler the Imam; and the only thing to their lot was the cudgel of the Yemeni officials, now found to their great surprise and in contrast to the bitter experience about their own ruler, that Ibn Sa'ud's ways are extraordinary which not only awards money but also various other gifts in the shape of swords, Abayas etc. The happy tidings passed with the flash speed throughout the length and breadth of the lands inhabited by the Shafee sects, eventually resulting in the fact that before Ibn Saud's army marched to Medi, all the Shafees were in secret negotiations with Ibn Sa'ud's army commander and were prepared to attack the Imam's trobps before a single gun was fired by the Sa'udi army. The Imam realised the situation and hence orders were issued to evacuate the whole area to let the Shafees try their luck with the new ruler. It is worthwhile to remember in this connection that since the great war, the Shafees of "Tahama" have passed through under several regimes, those of the Turks, the allied troops, later of the Idrissi and then of the Imam and now of Ibn Sa'ud. It shows the inner nature of the Shafee sect who like chameleons are oft-changing in the selection of their rulers in anticipation of finding out one who could prove profitable to them. It also shows that this sect is void of moral stamina and easily adaptable to circumstances which may afford them an opportunity to achieve their selfish interests and personal comforts. Consequently, the treatment of the Sd'udi Government towards this morally-weak opportunist Shafee sect will play an important part in the final determination of the future of Sa'udi Arab Government.

I have keenly watched the departure of Sheykh Abdullah Suleyman for Hudaidah, and this careful study of the matter leads me to believe that it throws light on the above question as stated before. I have inferred therefrom that the action of the Imam in causing the evacuation of Tahama has been perhaps nothing short of a political sagacity on his part, as it may lead him to the achievement of his goal withomt any loss.

He

وثيقة من وثائق الأرشيف البريطاني عن اليمن، فى المجلد الثامن، صفحة ١٥٧، مؤرخة بتاريخ ١٣ مايو من عام ١٩٣٤م، توضح الإتصالات السرية التى أجراها البعض من القيادات الشافعية مع الجانب السعودى للإتفاق على مهاجمة قوات الإمام يحى حال دخول القوات السعودية الى تهامة اليمن

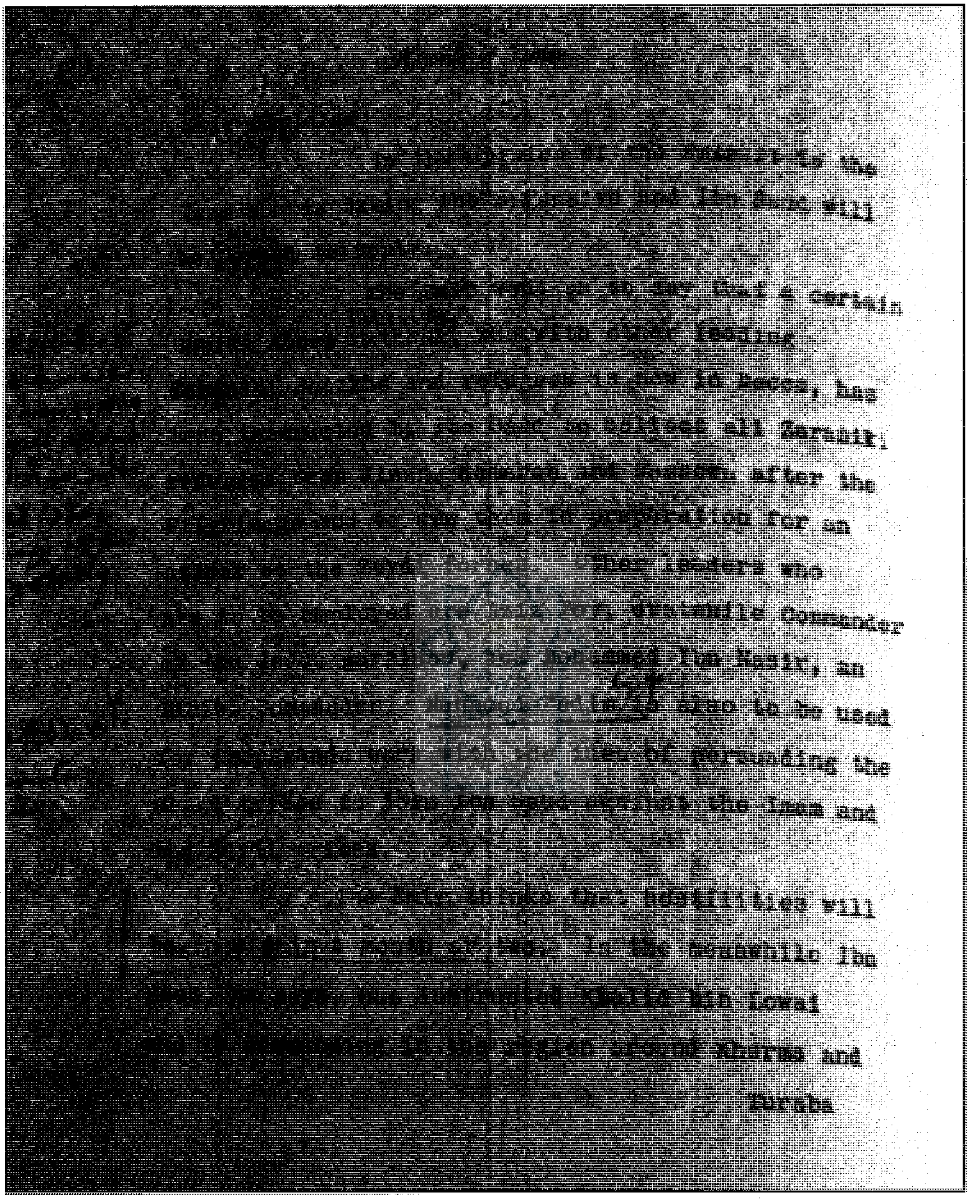

[illegible] the
[illegible] will
[illegible]
[illegible] certain
[illegible] leading
[illegible] in Mecca, has
[illegible] all Zaraniq
[illegible] after the
[illegible] preparation for an
[illegible] Other leaders who
[illegible] Commander
[illegible] Ibn Nasir, an
[illegible] also to be used
[illegible] persuading the
[illegible] the Imam and
[illegible]
[illegible] hostilities will
[illegible] meanwhile Ibn
[illegible]
[illegible] and
Turaba

وثيقة من وثائق الأرشيف البريطاني عن اليمن، في المجلد السابع، صفحة ٤٧٢، مؤرخة بتاريخ ٤ مايو من عام ١٩٣٠م، توضح تواصل شيخ قبائل الزرانيق احمد الفتيني مع الملك عبد العزيز لتلقى التعليمات منه بالتسلح منذ عام ١٩٣٠م للتحضير لهجوم وشيك على قوات الإمام يحى

والأمر الأخير الذى ينبغى ألا نسقطه من اعتبارنا، هو موقع الدين من نفس الإمام يحيى ومقاصده فى تفادى سكب دماء غير مبررة بين المسلمين، فالخوف من الله لم يكن سرًّا فى سيرة الإمام يحيى وجوهر شخصيته. والباحث الأكاديمى لن يعدم الأدلة التى تؤكِّد على أن الإمام يحيى لم يكن يشكو من الضعف فى الإمكانيات، ولا من القلة فى الرجال، ولا من الضيق فى الفرص المتاحة أمامه، ولا من انعدام هامش التحرك، ليضطر إلى الانسحاب بدون أن تُطلق رصاصة واحدة، بل كان يستطيع أن يُطيل من أمد الحرب بالمواجهة المباشرة، وبوجود حلفائه الإيطاليين فى البحر الأحمر، والذين رفضوا الاعتراف بسيادة ابن سعود على عسير(٦٦)، وكانوا يُحرّضونه منذ عام ١٩٢٧م على مهاجمة عسير، مع الوعد بتقديم المساعدة(٦٧).

ولقد بلغت الأخبار عن استعداد الإيطاليين لتقديم العون للإمام يحيى، إلى درجة أن بدأت صحف الشرق والغرب تتحدَّث واهمة عن تولى ضباط إيطاليين لبعض الأعمال العسكرية فى جيش الإمام(٦٨)، إلا أن الإمام يحيى لم يكن مستعدًا لتجاوز الشرعيات ولا الأخلاقيات فى حروبه، ولا تحمُّل وزر الدماء المسكوبة لطائفتين من المسلمين قيادتهما شرعية، ولكل منهما منطقه الذى لا غبار عليه حول أراضٍ مُتنازع عليها، لم تكن فيما سبق تحت راية أو حاكمية محددة، ولم تكن تحمل ولاء حقيقيًّا أو إخلاصًا صادقًا لأحد. ولم يكن يبغى الإمام يحيى كذلك تحمُّل ذنوب الاستعانة بإيطاليا لمواجهة ابن سعود؛ لأنه كان يدرك مقاصدها البعيدة، ورغبتها فى الصيد فى الماء العكر بين المسلمين، وإلا فما الفرق بين الإمام يحيى والأدريسى، الذى كانت أكبر ذنوبه الاستعانة بإيطاليا وبريطانيا، لضرب خصومه ومنافسيه السياسيين المسلمين، وما الفرق بين من يقاتل تحت مبادئ الدين، وفى ظلِّ الشرعية الوطنية، وبين من يقاتل بهدف توسيع رقعة السلطان، وزيادة الثروة.

وخلافًا لموقف الإمام يحيى فى تهامة المتنازع عليها، كانت اللحظة الحاسمة فى اختبار صلابة موقفه وتجلده فى المواجهة، فى الهضبة الشمالية، حيث لم يشعر بالغضاضة أبدًا من الدفع برجاله بكل قوة، وبدون أى تحفُّظ للقتال؛ دفاعًا عن موطن آبائه وأجداده، وذلك لسلامة موقفه الشرعى والوطنى، الذى أعطاه القوة المعنوية، والرضا النفسى، والاطمئنان القلبى بمشروعية القتال فى تلك المناطق؛ لذا لم يكن غريبًا أن تفشل قوات الأمير سعود بن عبد العزيز فى اقتحام مواطن الإمام يحيى التاريخية، والمعقل التاريخى الذى انطلقت

منه الدعوة الزيدية فى اليمن فى منطقة صعدة[٦٩]، فيما تمكّنت قوات أخيه، الأمير فيصل بن عبد العزيز من اقتحام تهامة، وصولاً إلى الحديدة.

يبقى الإشارة إلى أننى على دراية تامة من أن موضوع توخى الإمام يحيى السلامة فى موقفه الشرعى من الحرب، والذى دفعه إلى ضبط النفس، وتفادى الاحتكاك بالقوات السعودية إلا للضرورة، لن يخلو من السخرية، والتهكم، من قِبل البعض، خاصة من يسوؤهم أى حقيقة من شأنها إنصاف الإمام يحيى، إلا أننى لا أقول هذا القول رجمًا بالغيب، أو من باب الالتفاف على الحقائق بزخرف القول، وإنما أقوله من خلال القراءة المتأنية لسيرة الإمام يحيى، التى نجد فيها الدين والسلامة الشرعية هما المحرك الأساسى فى كل توجهاته السياسية.

والباحث المنصف يستطيع من خلال قراءة سيرته أن يُدرك كيف كان يعيش ويحيا على الدين، وينظر من خلال ثقب الدين، ويسير فى تفاصيل حياته على هدى الدين، وإلا فليجبنى المشككين فى ذلك، ما الذى دفعه إلى أن يجر على نفسه الكثير من الصعاب والويلات التى كان فى غنى عنها، لمجرد أنه كان يشعر أنه ملزم بها شرعًا، فهل من قبيل المصادفة أن يتفرّد الإمام يحيى بالاصطفاف وحيدًا مع الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، مع غروب شمسها وضعفها، وعجزها عن الوفاء بالالتزامات المالية التى قطعتها للإمام يحيى فى صلح دعان، فى الوقت الذى كان فى أمسِّ الحاجة للأموال، وفى الوقت الذى كانت تعرض عليه بريطانيا كافة الإغراءات المادية والمعنوية، لفك ارتباطه مع الأتراك، فمن المغفل الذى يصطف مع دولة شمسها آيلة للغروب، ويعادى إمبرطورية بريطانية لا تغرب عنها الشمس، لولا أنه كان يحسب حساب السلامة الشرعية فى مواقفه السياسية.

موقف آخر للإمام يحيى فيه إشارات ومضامين جديرة بالتأمل، وهو رفضه للعرض البريطانى ببسط سلطته على محميات الجنوب، مقابل تسليمه بالتواجد البريطانى فى عدن، فمن المغفل الذى يرفض توسيع رقعة سلطانه إلى الضعف، لولا أنه يحسب حساب السلامة الشرعية.

ومن الحجج والبراهين الأخرى التى نوردها، للتأ كيد على تحرى الإمام يحيى الدقة الشرعية فى مواقفه السياسية، سواء عند شنِّ الحروب، أو نسج العلاقات مع

الدول الكبرى، وهو ما ورد على لسان الكثير من الشخصيات العامة المحايدة، سواء من العرب أو الأجانب، ومنهم محمد رشيد رضا، حيث قال: «إن الذى عرفناه من أخلاق الإمام الجليل، أنه على ما أُوتى من شجاعة النفس وشدة البأس، رؤوف سلمى، يكره الحرب، وينظر إليها بعين الشرع، لا بعين الطمع والجشع، فيعدها من الضرورات لا من الضروريات، والضرورات تُقدّر فى الشرع بقدرها»[٧٠].

ويقول صاحب المنار فى موضع آخر: «ما اشتهر عن الإمام يحيى من تقوى الله، وحفظ حدوده، وكراهة سفك الدماء، ومن ترجيح السياسة السلبية على الإيجابية، ما لم تلجئ الضرورة إلى الثانية، ومن الأناة وطول التروى فى الأمور»[٧١].

ومنهم هارولد جيكوب، المساعد الأول للمندوب السامى البريطانى فى عدن، الذى كان يُمثِّل المرجع الأول لبريطانيا فى شؤون اليمن، حيث قال بعدما لمس تقوى الإمام يحيى وتدينه الشديد: «إن فكرة الدين متسلطة على الإمام يحيى، وهيامه الوحيد المسيطر عليه، هو إحياء الإسلام»[٧٢].

ومنهم هارولد إنجرامز، الضابط السياسى الأول لدى الحاكم البريطانى فى عدن، الذى قال: «كان الإمام يحيى تقيًّا، ملتزمًا بقواعد الدين والتقاليد، تحوطه هالة قداسة دينية تعود إلى النبى محمد»[٧٣].

ومنهم السير ستيوارت سيمس، الحاكم البريطانى فى عدن، الذى علّل السبب فى فشل بريطانيا فى احتواء الإمام يحيى وعقد اتفاقية تحالف معه، اعتماد حكمه على العناصر الدينية المحافظة، التى ترفض التعاهد مع القوى الصليبية، وترى أن أى تنازلات تجاهها يعدُّ خيانة، وخارجة عن إطار التقوى[٧٤].

وهذه التعليقات لأربع من الشخصيات المحورية فى زمن الإمام يحيى، إحداها إسلامية، مشهود لها بالغيرة على الدين، والأخرى بريطانية مشهود لها بالخبث السياسى، والخصومة مع الإمام يحيى، ولها مكانتها الرفيعة لدى الحكومة البريطانية، هل يجوز لنا أن نمرَّ عليها مرور الكرام بدون أن نتبصَّر ونتأمل.

وتأسيسًا على تلك الشهادات فى ديانة الإمام يحيى وتقواه، فلن يستعصى علينا فهم موقفه من الحرب مع الملك عبد العزيز، فبمجرد أن اخترقت القوات السعودية منطقة تهامة، أمر قواته بعدم الاشتباك معها، والانسحاب فورًا من ساحل تهامة إلى الجبال[٧٥]،

وأبرق إلى الملك عبد العزيز فى يوم ١٢أبريل يطلب الهدنة[٧٦]. وقد أذاعت الخارجية السعودية نصَّ البرقية المرسلة من الإمام يحيى إلى الملك عبد العزيز، والتى تقول: «يكفى ما قد كان، ونعوذ بالله من شرور المتربصين بالإسلام الدوائر، لتحقيق مطامعهم، وقد أمرنا برفع جندنا من بلاد نجران، وتفضّلوا بطلب السيد عبدالله الوزير إلى حضرتكم، لإكمال المعاهدة الأخوية، عافاكم الله».

وردَّ الملك عبد العزيز بأنه مستعد للعودة إلى المفاوضات وقبول السلم، إذا تحقَّق انسحاب قوات الإمام يحيى من نجران، وتسليم الأدريسى[٧٧].

وبالتزامن مع هذه الاتصالات بين الطرفين، أرسل الإمام يحيى برقيات أخرى إلى كافة الهيئات الإسلامية، لتأخذ على عاتقها مسؤولية التدخل، والتوسط بينه وبين الملك عبد العزيز، لإنهاء حالة الحرب[٧٨]، مفضلاً الركون إلى إخوانه المسلمين، على أن يرتمى فى أحضان الغرب ويستقوى به، خاصة إيطاليا التى كانت ترتبط بالإمام بمعاهدة، وما فتئت تُحرّضه على الصمود، وتُشير عليه بالرغبة فى مساعدته، ليس فقط لصدِّ التقدم السعودى فى تهامة، بل لدفع قواته نحو منطقة عسير وتهامة لاحتلالها[٧٩]، إلا أن الإمام يحيى صدَّ كل المحاولات الإيطالية للصيد فى الماء العكر، ولم يسمح لها بالتدخل، بالرغم من إرسال الطليان ثلاث بوارج إلى مدينة الحديدة[٨٠].

ومن تلك الهيئات الإسلامية التى تواصل الإمام يحيى معها، الاتحاد العربى العام فى القاهرة، الذى أرسل إليه برقية جاء فيها: «لقد أمرنا مندوبنا، السيد عبدالله الوزير ورفاقه الموجودين فى أبها، أن يبلغوا جلالة الملك عبد العزيز عزمنا على التفاهم الشفهى، فالإسلام يسألكم إيفاد رجل تعتمدون ديانته وإنصافه إلى مكة المكرمة، لمرافقة السيد عبدالله الوزير»[٨١]. إضافة إلى برقيات أخرى بعثها الإمام يحيى إلى المجلس الإسلامى الأعلى فى فلسطين، جاء فيها: «نحن محافظون على السلم والصداقة بيننا وبين أخينا الملك عبد العزيز، ولقد أمرنا مندوبنا الموجود الآن فى أبها، السيد عبدالله الوزير باللازم مع رفيقيه إلى جلالة الملك بالتفاهم الشفهى، فلا بأس من إرسال رجل تعتمدون ديانته إلى مكة، لمرافقة عبدالله الوزير، واستكمال الإيضاح له»[٨٢].

وقد أثمرت مساعى الإمام يحيى لدى إخوانه العرب والمسلمين عن تشكيل وفد للتوسط بين الفريقين المتنازعين، واتفق الرأى على أن يتكوَّن من بعض الشخصيات الإسلامية،

وبعض المفكرين والعلماء المعروفين بالحكمة، وعمق التفكير، وبعد النظر، ومنهم مفتي فلسطين، الشيخ أمين الحسيني، ومحمد على علوية باشا من مصر، والأمير شكيب أرسلان من سوريا، وهاشم بك الأتاسى من العراق، وجميل مردم بك، وعفيف الصلح بك من الزعماء السوريين، إضافة إلى شخصيات أخرى لا يسع المقام للتفصيل فيها[٨٣].

ومما لا جدال فيه، أنه كان لهذا الوفد مجهود لا يُنكر فى تقريب وجهات النظر، وتضييق شقة الخلاف بين الزعيمين، حتى تمَّ التسوية بينهما، ولا شك أيضًا أنه كان لمناشدات أصحاب الديانة وأهل الفكر والرأى فى العالم الأسلامى أثره على الزعيمين العظيمين، ومنهم محمد رشيد رضا، الذى خاطب الزعيمين قائلا: «إن جزيرة العرب هى تراث محمد رسول الله، وخاتم النبيين للإسلام والمسلمين، لا لعبد العزيز آل سعود، ولا ليحيى حميد الدين، فاختلافكما وتعاديكما يضيع الإسلام، ولئن ضاع الإسلام فى جزيرة العرب، فلن تقوم له قائمة فى غيرها، فجميع المسلمين تحت سلطان الأجانب، فيجب أن تتذكرا هذه التبعة، وتتقيا، وتحرصا على حسن الخاتمة»[٨٤]. ومن المناشدات الأخرى التى كان لها أثرها على الزعيمين، أشير إلى البرقية التى بعثها أعضاء جمعية التعارف الإسلامى، والتى تقول: «إن العالم الإسلامى وقع عليه كالصاعقة، خبر انقطاع المفاوضات بين مندوبى جلالتكم فى مؤتمر أبها، والاحتكام فى أمر ذلك الخلاف إلى السيف. إن هذا الاختلاف بينكم لا يستفيد منه إلا الأجانب، الذين يرصدون الفرَص فى المسلمين لينتهزوها، وهذه القوى التى تتطاحن فى جزيرة العرب، كان المسلمون يعلقون عليها آمالهم فى حماية الوطن الذى أشرق منه نور الهداية الإسلامية، وأعجب العجب أن تُسفك هذه الدماء الإسلامية بالأيدى الإسلامية فى الشهر الحرام، الذى لم يخرج رسول الله من هذه الدنيا الفانية إلا بعد أن أوصى أمته بحرمته»[٨٥].

إضافة إلى النداء الذى وجَّهه أعضاء جمعية الشبان المسلمين إلى الزعيمين، وإلى العالم الإسلامى، وفيه استصراخ للضمائر، وقد جاء فيه: «لقد وقع ما كنا نخشاه من اشتباك عاهلى الجزيرة العربية فى حرب تزهق فيها الأرواح البريئة، وتسيل فيها الدماء الطاهرة، ولا يخفى على أحد من المسلمين أن تلك الحرب سيستثمرها خصوم الإسلام وأعداؤه، وسيستغلونها لمصالحهم الاستعمارية ضد الإسلام والمسلمين، وسيكون لها من النتائج ما ترتعد له فرائص المسلمين، فيندمون يوم لا ينفع الندم. إن الدين يفرض على كل مسلم

أن يقوم بواجبه فى هذا الظرف الخطير، وإلا كنا مقصرين فى ذلك، وأن الحالة قد بلغت من الخطورة حدًّا لا يسمح بالتوانى، فليتقدم أولو الرأى من رجال الإسلام، ويضاعفوا من جهودهم للقيام بأشرف مهمة، ألا وهى التوسط بين ملكين مسلمين متحاربين، لحقن دماء المسلمين، وإزالة أسباب الجفاء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾»[٨٦].

وبناء على تلك المناشدات والنداءات، تم التسوية بين الزعيمين بأن سحب الإمام يحيى قواته من نجران، وسلَّم الأدارسة إلى مركز قيادة الملك فيصل فى الحديدة، وأمر بانسحاب قواته من جبال عسير[٨٧]،

فأذاعت الخارجية السعودية بلاغًا فى هذا الشأن، جاء فيه: «انسحبت قوات الإمام من بلغازى وفيفا، وانسحب أكثرها من بنى مالك، وأطلق القسم الأول من الرهائن، ولا يزال جند الإمام مستمرًا فى انسحابه من البلاد التى دخل إليها»[٨٨]. وبالتزامن مع ذلك أمر الملك عبد العزيز بانسحاب قواته من الحديدة، وباقى مدن تهامة، حتى تم الصلح بين الطرفين فى يوم ١٨ مايو فى الطائف[٨٩]، وتنفَّس العالم العربى والإسلامى الصعداء، إذ حُسمت المشكلة بين هذين القطرين الإسلاميين، وأُفسدت مخططات الدول الأوروبية الاستعمارية، وأُقفل باب التدخل فى وجهها.

وبهذا نجد أن خلاف الزعيمين العظيمين كان خلاف شرفاء، قائم على الخلق والنبالة، فقد أظهرا انضباطًا وحلمًا منقطع النظير، يتجسَّد فى العلو على النفس، والتجاوز للذاتية، بما يُشكِّل انقلابًا على كل ما هو معهود فى تاريخ الخلافات والصراعات الحدودية العربية المعاصرة، وضربا أروع الأمثلة فى الشعور بالمسؤولية التاريخية، مقدمين نموذجًا يُحتذى به فى الاستجابة لنداء الدين، والتبرئة للذمة فى مصير الأمة. فقد تحمل الطرفان الحجة، ورفضا أن تكون مواجهتهما رهن معطيات خارجية، أو دعوات تحريض من قِبل القوى المتربصة بالإسلام والمسلمين، خاصة إيطاليا التى لم تدخر وسعًا منذ عام ١٩٢٧م فى تقديم الوعود للإمام يحيى بالمساندة، إن هو مضى فى الهجوم والعدوان على قوات الملك عبد العزيز المتمركزة فى عسير[٩٠].

وبريطانيا التى كانت تُحرّض الملك عبدالعزيز منذ مطلع الثلاثينيات على شنِّ الحرب على الإمام يحيى الى درجة مساومته بعدم تسليم فيصل الدويش الا بشرط أن يشن الملك

عبد العزيز حرب على الإمام يحى؛ مما أزعج الملك عبد العزيز، وجعله انطلاقًا من غيرته على دينه وأمته، يكشف فى عام ١٩٣٠م المساومات البريطانية المتعلقة بتسليم فيصل الدويش* على رؤوس الأشهاد فى أحد اجتماعاته فى حفل غذاء فى جدة مع جمع من الأعيان(٩١).

فبريطانيا وإيطاليا كانتا الطرف الأكثر توقًا لاشتعال الموقف فى الجزيرة العربية، حتى يتمكنا من تحقيق أجندتهما الخاصة، ولهذا لم يكن غريبًا أن نجد الدعوات الصريحة من قِبلهما عبر الصحف الغربية للتدخل لحماية المصالح الغربية فى اليمن(٩٢). ولم يكن مستغربًا أن نجد بريطانيا وإيطاليا تسارعان فى إرسال سفنهما الحربية إلى الحديدة(٩٣)، وتباشران فى إنزال جنودهما إلى شواطئها، بدعوى حماية رعاياهم(٩٤).

ولم يصغ الزعيمان العظيمان كذلك لدعاة الشقاق وأصحاب النوايا السيئة، سواء من مسؤوليهم أو مستشاريهم السياسيين، الذين كانوا يؤججون الموقف، ويزينون الرأى للزعيمين فى دفع الأمور باتجاه التطرف والجنوح نحو الحل العسكرى، مثل عبدالله فلبى، الذى رغم اعتناقه للإسلام، إلا أنه لم يتمكن من التجرد من مشاعر حكومة وطنه الأم، فسعى بكل ما يملك من قوة لتأجيج الموقف فى الصحف الغربية بمقالاته التحريضية، خاصة جريدة التايمس البريطانية(٩٥)، وجريدة الديلى ميل، التى بعث لها البرقيات مصرحًا فيها من أن احتلال السعوديين للحديدة، يجب أن يكون دائمًا لتحرير سكانها من ظلم الزيود(٩٦). ولم يكتفِ بذلك، بل سعى إلى تحريض الملك عبد العزيز على فرض غرامة حربية على اليمن، كشرط لايقاف الحرب(٩٧).

ولم يلقَ الزعيمان بالاً لصخب العامة، الذين لا يقيمون وزنًا للمصلحة العليا، ولا يفقهون شيئًا عما وراء الاحتراب بين الدولتين العربيتين الوحيدتين المستقلتين فى العالم العربى والإسلامى فى ذلك الزمان، مثل أولئك الذين سبق أن أشرت إلى استفزازاتهم للإمام يحيى بحادثة مقتل الحجاج اليمنيين، بل وجدنا الزعيمين العظيمين، خلافًا للتعبئة، والتحشيد، والصخب الإعلامى، والدعوات التحريضية، يظهران مستوى رفيعًا من النضج

---

* كان فيصل الدويش أحد قادة الإخوان الوهابيين المتزمتين الذين ثاروا على الملك عبد العزيز بذريعة علاقته التعاهدية مع بريطانيا والتي حدث من تطلعات الإخوان لغزو الحدود الشمالية، إلا أن الملك عبد العزيز قضى على ثورته فى موقعة السبلة عام ١٩٢٩م، والشيئ المثير للسخرية أن فيصل الدويش الذى كان يعيب على الملك عبد العزيز علاقته الخاصة مع الإنكليز، وجدناه يستجير بالإنكليز بعد فشل ثورته لاجئا الى أحد بوارجهم الراسية فى الخليج.

والوعى السياسى، بالترفع عن الجراحات، واتباع موقفٍ إيجابىٍّ مشرفٍ، عماده التأكيد على التضامن العربى الإسلامى، بالاستعانة بإخوانهم العرب والمسلمين، الذين حكّموهم فى دفع الأمور نحو السلم، والخروج من هذه الأزمة على قاعدة لا ضرر ولا ضرار، ولا غالب ولا مغلوب، بالوصول إلى حل وسط، يرضى الطرفين، ولا يُفرط فى حقوق أى منهما.

فالملك عبدالعزيز قد تحقَّقت شروطه بانسحاب قوات الإمام يحيى من نجران، وبنى مالك، وجبال العبادل، وفيفا، وبلغازى، إضافة إلى تسليم الأدارسة الذين كانوا السبب فى الاضطرابات فى منطقة عسير والمخلاف السليمانى، ومقابل انسحاب القوات اليمنية من الأراضى السعودية، تحقَّق للإمام يحيى انسحاب القوات السعودية من الأراضى اليمنية فى الحديدة، وميدى، وحرض، وباقى مدن تهامة اليمن؛ وبناء على ذلك، اتخذ الإمام يحيى أحسن موقف يمكن لأى زعيم وطنى أن يتخذه، وهو يقف تحت ظروفه الصعبة نفسها فى مواجهة جبهتين مفتوحتين: سعودية من أمامه، وبريطانية من خلفه، حيث وائم بحكمة ما بين معطيات الظروف القاهرة على الأرض، وبين فنّ الممكن، فكبت آماله فى نجران وعسير إقرارًا بالأمر الواقع، ووافق على تعليق مشكلة البت والتسوية النهائية للحدود السعودية اليمنية إلى حين، ليحلّ الأزمة من يأتى بعده، دون أن يُخلّ ذلك الإجراء بالحقوق القانونية لوطنه، أو يُعطلّ مقاصد من يأتى بعده من حكام وطنيين لليمن.

ويبدو لى ولكل ذى عقل أن ما ساعد على الوصول إلى هذه التسوية، التى انسحب فيها كل طرف من أراضى الغير، هو عامل الردع المتبادل والتوازن فى القوى بين الطرفين فى ذلك الزمان. فالزعيمان أدركا أن الحروب دائمًا ما تنطوى على مفاجآت لا يتوقعها أحد، مع وجود قوتين متكافئتين، وإلا فإنه لا يُعقل أن يذعن أى من الطرفين لشروط الانسحاب التى فرضتها اتفاقية التسوية، لو أن عنده القوة الكافية لتقطيع الأوصال.

إضافة إلى أن الباحث الأكاديمى لن يغيب عن ذهنه أن المعركة الحقيقة بين قوات الزعيمين العظيمين، لم تكن قد بدأت بعد، وأن ما حصل بينهما من مناوشات وتقدُّم فى أراضى الغير، ما هو إلا جولة من جولات الحرب، وليس حسمًا للمعركة. فالزعيمان كانا يدركان بحكمتهما محاذير التورط فى حرب طويلة المدى، تستنزف قواهما، وتأكل الأخضر واليابس فى بلادهما. والإمام يحيى كان على يقين أنه لم يكن يواجه متطفلاً على الرئاسة والزعامة التاريخية، بل كان يواجه شخصية عظيمة وقوية، متمرسة قواتها فى القتال

وفنونه فى الصحارى والمناطق المنبسطة، كتهامة، ويستند على إرث تاريخى عريق لم تتمكّن الدولة العثمانية من اقتلاعه، بالرغم من المحاولات الحثيثة. والملك عبد العزيز كان أيضًا على دراية تامة، من أن الإمام يحيى لم يكن طارئًا على الإمامة، ولا على الزعامة التاريخية، مثل الأدريسى مثلاً، الذى سهل اقتلاعه ومسحه من الخريطة الدولية، بل كان الإمام يحيى ابن بيت عريق، تمتد جذوره القيادية فى اليمن لأكثر من ألف ومائة عام، ويستند على رجال تاريخهم شاهد لهم بالإقدام والبسالة وروح الفداء، إضافة إلى استناده إلى فكر دينى عريق له عصبيته وجذوره التاريخية، وطاقته الموروثة التى عجز الأمويون، ومن بعدهم العباسيون، ومن بعدهم العثمانيين عن دفنها؛

لذا لم يكن غريبًا ما ذكره الزركلى فى كتابه (شبه الجزيرة العربية)، وهو أحد مستشارى الملك عبد العزيز، عن حرص سيده فى عدم التورط فى اليمن، حيث قال: «لما سمع عبدالله فلبيى، أن الملك قرر الانسحاب من المواقع التى احتلها ولداه سعود وفيصل، وقف يبكى على باب الصيوان، فدعاه الملك إليه، وسأله: لم تبكى؟ فقال: على جهود أضعتها، وأموال بذلتها، حتى صار اليمن فى قبضة يدك، ثم تتخلى عن كل ذلك، فقال له الملك: يا مهبول، أين الرجال الذين أحكم بهم اليمن؟»[٩٨].

هذا الإدراك، وهذه الحكمة والواقعية لدى الملك عبد العزيز والامام يحيى، كان على طرفى نقيضها رؤية كل من ولديهما المتصدرين للمعركة، والمشرفين على سيرها فى الأرض، فلا سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى، ولا الأمير فيصل بن عبد العزيز، كانا على وفاق مع توجه والديهما السياسى للتسوية السلمية، ولم ينسحبا من أرض المعركة إلا على كره منهما[٩٩]، حيث عدًّا أن تلك التسوية، ما هى إلا إهانة لشرفهما العسكرى. فالأمير فيصل بعد أن دخلت قواته إلى حرض، وميدى، والحديدة وقرّ فى ذهنه أن قوات الامام يحى قد انهارت، وأن اليمن قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من إدخالها فى حوزة الدولة السعودية، كما حصل للحجاز. أما سيف الإسلام أحمد، فبعد أن دخلت قواته إلى نجران، وبنى مالك، وجبال فيفا، والعبادل، وبلغازى؛ دخل فى روعه أن الطريق نحو الحجاز قد أصبح سالكًا لاحتلاله، إلا أننا نتلمّس العذر لكل منهما؛ لأنهما كانا ما يزالان فى قمة الفورة الشبابية المتطلعة إلى بناء أمجاد تاريخية، ويعوزهما تجربة الشيوخ التى صقلت أبيهما الشيخين العظيمين الإمام يحيى، والملك عبد العزيز.

وبعيدًا من اللغة المثالية فى تفسير الأحداث ومسبباتها، دعونا نشير بالتحليل إلى جملة من العوامل الواقعية على الأرض، والتى كان لها أثرها فى دفع الزعيمين العظيمين إلى قبول الهدنة بينهما فى ١٣ مايو، ومن ثم الاقتناع بالتسوية من خلال الحل الوسط على قاعدة لا غالب ولا مغلوب، فعُقدت اتفاقية الصلح فى الطائف فى ١٨ مايو، بدلاً من الإصرار على مواصلة الحرب[١٠٠]، ومن تلك العوامل:

١ - إدراك الملك عبد العزيز بذكائه الفطرى للتكتيك الذى جبل عليه اليمنيين عبر قرون فى استدراج القوات الغازية إلى الجبال، لإيقاعها فى مصيدة يصعب الخروج منها؛ لذلك لم يكن مستغربًا أن يقول لابنه الأمير فيصل، بعد أن استأذنه بالتمدد إلى ما بعد الحديدة: إن اليمن سُميّت بمقبرة الأتراك، ولا أريد أن أضيع رجالى فى جبالها[١٠١].

وفى هذا الصدد ذكرت صحيفة المقطم المصرية الآتى: «وقف السعوديون فى الحديدة لا يزحفون منها؛ لأنهم يخشون من أن يباغتوا بكمين أعده لهم الإمام فى الجبال، فقد يبادر إلى الذهن فى أن جلاء الإمام عن الساحل يسير طبقًا للخطط القديمة، التى كان يسير عليها فى قتال الترك، فقد كان يتجنَّب قتالهم فى الساحل، ويستدرجهم إلى الجبال، ولا نظنُّ أن مثل هذه الاعتبارات تخفى على ابن سعود، وهو الذكى الفطن الذى يعرف أن فشلاً يلحق بجيشه فى الجبال، سيضطره للجلاء عن تهامة كلها»[١٠٢].

إضافة إلى أن المحللين السياسيين كانوا يدركون أن الحرب الحقيقية لم تكن قد بدأت بعد، وأن الزحف السريع للقوات السعودية فى تهامة، لم يكن له قيمة من الوجهة العسكرية، فها هو تركى بن ماضى مستشار الملك عبد العزيز يقول فى مذكراته: «أن الملك عبد العزيز كان يعلم أن الحرب فى تهامة لا تقاس بالحرب فى جبال اليمن، وأن النتائج فى حرب الزيود فى الجبال غير مضمونة[١٠٣]، فقوات الإمام يحيى كانت ما تزال موفورة وسالمة فى الجبال تنتظر الفرصة لاستدراج القوات السعودية نحوها، والعبرة فى ضرب الجيش، وتمزيق قواه، وهذا ما لم يحصل.

قد أشارت جريدة الأهرام المصرية إلى هذه الناحية فى مقال افتتاحى يقول: «لقد انتصر الوهابيون بسهولة على جميع الأعداء الذين التقوا بهم حتى الآن، غير أن الجنود اليمانيين الذين يواجهونهم الآن لأول مرة، خصوم معروفون بالبسالة والإقدام، كما عرف ذلك التراث عنهم، بما تكبّدوه من الخسائر فى حرب الأتراك عام ١٩٠٤م وما بعدها»[١٠٤].

٢ – إن الميزانية المالية لابن سعود قبل اكتشاف النفط لم تكن تحتمل حالة تعبئة طويلة المدى[١٠٥]، إضافة إلى أن طبيعة ميدان المعركة لم يكن فى صالح القوات السعودية ؛ لأنها كانت بعيدة عن مراكزها الأصلية، وتعانى من صعوبة المواصلات، وطول خطوط الإمداد والتموين، خلافًا لحال القوات اليمنية، التى كانت تنطلق من مراكزها التاريخية فى الجبال، مستندة على إمكانيات مادية وموارد زراعية، تساعدها على استمرار حالة التعبئة لسنوات طويلة، وصمودها القتالى فى مواجهة الأتراك لأكثر من عشرين عامًا شاهد على ذلك. وقد نقلت جريدة الأهرام المصرية عن جريدة المانشتر جاردين البريطانية مقالاً تناول هذه النقطة بالتحليل، جاء فيه: «إنه من الصعب التكهن بنتيجة الحرب اليمنية السعودية، فالملك ابن سعود مقاتل بارع، ولكن موارد اليمن غنية جدًا، وفوق ذلك، فإنه إذا كانت نجران تبعد أكثر من أربعمائة ميل عن مكة، فإنها لا تبعد إلا مائتى ميل عن عاصمة اليمن، وعلى ذلك، فإن مواصلات ابن سعود معها أصعب من مواصلات الإمام»[١٠٦].

٣ – العامل المذهبى ساعد على تقدم الأمير فيصل فى تهامة بيسر، حيث عدَّها جهات صديقة، أو على وجه التحديد، لم يكن هناك حس وطنى قد تبلور بعد فى تهامة؛ لحديث عهدهم بدولة الإمام. فأهل تهامة السنيين لم يعارضوا تقدُّم السعوديين السنيين مثلهم، ولم يعوقوا قواتهم، بل أكثر من ذلك، أن الكثير منهم أجروا اتصالات سرية مع حمد الشويعر، قائد القوات السعودية المرابطة على الحدود[١٠٧]، وانضم آخرون إلى هذه القوات، بمجرد تخطيها الحدود، كقبيلة الزرانيق مثلاً[١٠٨]، فى الوقت الذى كان فيه توغُّل قوات الملك عبد العزيز فى المناطق الجبلية بقيادة ابنه يعنى المحاربة فى ميادين غير آمنة، فيها شيعة زيود، لن يقفوا مكتوفى الأيدى فى أقاليمهم التاريخية، ومعقل عصبيتهم، وتربة آبائهم وأجدادهم؛ وبناء على ذلك، فإن الجيش اليمنى لم يكن وحده الذى سيحارب، وإنما كافة رجال العصبية الزيدية، وهذا ما تحاشاه الملك عبد العزيز؛ لأن فى ذلك مغامرة غير مأمونة الجانب.

٤ – حسب ما ورد فى تقارير الوثائق البريطانية، فإن الإمام يحيى وكافة المحللين السياسيين البريطانيين، كانوا يدركون أن شهر العسل بين القوات السعودية الغازية لتهامة اليمن والشوافع فى تلك المناطق، سوف يكون قصيرًا، بسبب أن أكثر الشوافع

هناك من الصوفية، الذين لم يكونوا يومًا عبر تاريخهم على وفاق مع تزمُّت الإخوان الوهابيين، وممارساتهم فى هدم القبور، واحتقار من هو على غير ملتهم، والتدخل فى شؤون الناس وحرياتهم، كمنع الدخان، وإجبار الناس كرهًا على الصلاة، وتحريم الغناء، وغير ذلك من الأمور التى لم يألفها الشوافع[١٠٩]. وقد شكّل هذا عاملاً مساعدًا فى اقتناع الملك عبد العزيز بوجوب انسحاب قواته من هناك، لإدراكه صعوبة بقاء قواته فى تهامة بدون احتلال الهضبة الشمالية فى اليمن، والتى قطعًا لن يسلم سكانها الزيود ببقائهم محصورين فى الجبال بدون أن يستردوا منفذهم البحرى الطبيعى نحو العالم الخارجى؛ مما يجعل مسألة استرداد الحديدة بالنسبة للإمام يحيى قضية حياة أو موت، ناهيك عن أن الزيود لن يتركوا فرصة امتعاض الشوافع الصوفيين من تطرف الإخوان تفلت من أيديهم، خاصة أن سكان تهامة معروف عنهم، أنهم لا يحملون إخلاصًا صادقًا لأحد؛ لتعدد ولاءاتهم حسب ما تقتضيه مصالحهم الخاصة[١١٠]، ويتجلّى هذا التلون واضحًا فى موقف كبيرهم فى تهامة، الشيخ الهادى هيج، الذى كان من أشد المخلصين للأدريسى، ثم حوّل ولاءه إلى الإمام يحيى قبل سقوط دولة الأدريسى، وأخيرًا تحوّل بنظره نحو الملك عبد العزيز، دون أن يرمش له جفن[١١١]. أما باقى السكان فى تهامة، فقد بلغت مزاجيتهم المتغيرة إلى درجة أن صرّحوا للإنكليز برغبتهم فى الانضمام إلى مصر، تحت حكم أسرة محمد على[١١٢]، وعدم ممانعتهم الخضوع لأى ملك عربى، بشرط أن يكون تحت الرعاية البريطانية[١١٣].

٥ – لا يمكن إغفال أن الزعيمين اليمنى والسعودى، كانا يخشيان عناصر الثورة المتربصين فى بلديهما، فقد سبق أن قامت انتفاضات على حكم الإمام يحيى فى منطقة المقاطرة وجبل حبشى، إضافة إلى ثورة الزرانيق فى تهامة، وكان هناك خشية من أن تتجدّد هذه الانتفاضات مع ظروف الحرب من قِبل العناصر الساخطة، التى وجدت فى إعلان الملك بن سعود الحرب فرصتهم الذهبية للانتقام، وأخذ الثار من الإمام يحيى، فبدؤوا بالتواصل السرى مع الملك عبد العزيز؛ لمساعدتهم على الانتفاض حال دخول القوات السعودية إلى اليمن[١١٤]. وقد أشارت الوثائق البريطانية إلى أن شيخ الزرانيق أحمد الفتينى، قد وصل بنفسه إلى مكة بصفة سرية لتلقى التعليمات من الملك عبد العزيز[١١٥]، إضافة إلى اتصالات الشيخ هادى هيج السرية بالملك عبد العزيز، وهو من أكبر مشايخ

تهامة[١١٦]. وفعلاً بمجرد دخول القوات السعودية إلى مدينة ميدى، انضم إليها العدد الوفير من قبائل الزرانيق، ورجال هادى هيج فى تهامة[١١٧].

مما يدلّل – حسب ما ذكرته التقارير البريطانية – على حصافة وصوابية القرار الذى اتخذه الإمام يحيى فى انسحاب قواته من تهامة، لأنها لم تعد ساحة آمنة للقتال، مفضلاً عليها التمترس فى الجبال، بدلاً من الوقوع فى مصيدة. أما إذا عرفنا أن الأمير فيصل بن عبد العزيز كان مرافقًا له عند دخوله إلى الحديدة الإقطاعى الكبير الهادى هيج، وشيخ الزرانيق أحمد الفتينى؛ فسوف تكتمل الصورة فى الأذهان[١١٨].

وفى مقابل ذلك، كان الملك عبد العزيز يواجه الظروف نفسها فى مملكته، حيث سبق أن قام بعض شيوخ القبائل بالانتفاض على حكمه، كانتفاضة ابن رفادة فى شمال الحجاز، وثورة فيصل الدويش فى نجد، وتمرُّد فرحان بن مشهور فى الأحساء[١١٩]، وقد وجد بعض هؤلاء الثوار فى الحرب السعودية اليمنية فرصة ذهبية للانقضاض من جديد، فأرسلوا المكاتبات إلى الإمام يحيى من الحجاز وعسير[١٢٠]،

وقاموا بشبك علاقات سرية مع سيف الإسلام أحمد فى محاولة منهم للاستقواء به على خصمهم الملك عبد العزيز، ومن هؤلاء رجال من الأشراف. وأعضاء من حزب الأحرار الحجازى، حيث أكد صاحب المنار، محمد رشيد رضا أن سيف الإسلام أحمد، كان يؤوى البعض منهم، ممن كان لهم نشاطات فى معارضة الدولة السعودية[١٢١]، إضافة إلى ثوار شمال الحجاز، التابعين لابن رفادة، الذين وجدوا فى سيف الإسلام أحمد الدعم والملجأ السياسى، بعد أن آوى الكثير منهم فى اليمن لاستخدامهم عند الحاجة، انطلاقًا من ميناء اللحية، القريب من الحدود السعودية[١٢٢]. وقد أشار تركى بن ماضى فى مذكراته إلى دور ملك الأردن، عبدالله بن الحسين فى شبك علاقة هذه العناصر مع اليمن خلال هذه الأزمة، عبر وفوده التى أرسلها إلى الحديدة، ومن تلك الوفود شخصيات، مثل حسين الدباغ وأخيه على الدباغ[١٢٣].

٦ – لا يمكن إغفال أن قوات سيف الإسلام أحمد كانت ما تزال متمركزة أثناء الحرب فى جنوب جبال عسير، فى منطقة فيفا، وبنى مالك، والعبادل، وبلغازى، ناهيك عن مرافقة السيد عبد الوهاب الأدريسى لتلك القوات فى جبال عسير، التى كان له فيها وفى وادى بيشة وصبيا أتباع كثيرون، يُحرّضهم على الثورة على ابن سعود[١٢٤]؛ مما

شكَّل عنصرًا ضاغطًا على ابن سعود للميل نحو التسوية والسلم، بعد أن فشلت المساعى العسكرية السعودية لإجلاء القوات الأمامية من تلك المناطق فى جبال عسير. وفى هذا الصدد ذكرت صحيفة المقطم الآتى: «ما يزال اليمانيون مرابطين فى المناطق الجبلية السعودية التى دخلوها فى شهر رمضان الماضى، فهم فى فيفا، وبنى مالك، وبلغازى، والعبادل من الجبال السعودية فى تهامة، ولم يأت فى البلاغات السعودية ما يدلُّ على أنهم طردوا منها، أو على أنها استردت»[١٢٥].

٧ - إن الذى حدّد مصير الحرب السعودية اليمنية، وقرّر الوضع الفاصل والنهائى لها، هو معركة باقم التى كانت أكثر العوامل ضغطًا لإيقاف زحف القوات السعودية. وعلى الرغم من تصميم القوات السعودية على احتلال منطقة باقم؛ لموقعها الاستراتيجى المتحكم فى الطرق المؤدية إلى المناطق الجبلية المتنازع عليها، وبهدف قطع الإمدادات والتموين، وقطع خط الرجعة على جند الإمام المتمركزين فى جبال فيفا وبنى مالك فى عسير[١٢٦]، إلا أن قوات الإمام استماتت فى الدفاع عنها؛ لأنها كانت مفتاح الطريق نحو مدينة صعدة معقل الزيدية، وحصنها الحصين التى انطلقت منها الدعوة الزيدية فى اليمن؛ مما اضطر القوات السعودية تحت ضغط المعركة للتراجع والانسحاب من الجبال نحو تهامة؛ لتجنب القتال فى مناطق وأقاليم الزيود التاريخية، كما تنبأ بذلك كافة الدوائر الاستخبارية العالمية[١٢٧].

ولقد انبلج من بين أنقاض معركة باقم حقيقة التوازن فى القوى، واستحالة انتصار القوات السعودية فى الجبال، مقارنة باختراقها السريع لمنطقة الساحل. وقد ربط مستشار الملك عبد العزيز، عبدالله فلبى السبب فى توقف هجوم القوات السعودية فى الجبال، واضطرارها إلى الانسحاب منها نحو تهامة، إلى طبيعة البلاد الوعرة، حيث واجهت قوات الأمير سعود بن عبدالعزيز صعوبة فى شقِّ طريقها فى الجبال؛ لعدم اعتيادها على اجتياز المناطق الجبلية، فضلاً عن القتال فيها، إذ تعودت الحرب فى الصحارى والسهول المنبسطة، ويضيف فلبى سببًا آخر، وهو مشكلة الحصول على التموين، والتزود بالذخيرة إلى خطوط الجبهة[١٢٨].

وتبعًا لنتائج معركة باقم، انفتحت خطوط الاتصال ما بين قوات سيف الإسلام أحمد المتواجدة فى صعدة، وقواته المتواجدة فى جبال فيفا، وبنى مالك، والعبادل، وبلغازى.

وقد أكَّد تقرير تحليلي استخباري بريطاني ورد في الوثائق البريطانية، يقول بأنه في حالة تمكّن القوات الأمامية من كسر القوات السعودية المرابطة على أبواب صعدة، وإجلائها عن تلك المناطق، فإن ذلك سوف يجعل دخول قوات الإمام إلى مدينة أبها عاصمة عسير أمرًا ميسرًا؛ مما سيؤدى بدوره إلى انضمام قبائل غامد وزهران فى الحجاز، مما سيشكل سلسلة مؤيدة للإمام تمتد نحو القنفذة، التى يتواجد فيها الأشراف[١٢٩]؛ وكان هذا سيشكل خطرًا يتمثَّل فى قطع الإمدادات عن الجيش السعودى فى تهامة، وطوقًا على هذه القوات، خاصة مع تربُّص الأشراف المتحالفين مع سيف الإسلام أحمد، الذى كان يُخطِّط بعد إجلاء القوات السعودية عن باقم للتمدد نحو مدينة جيزان[١٣٠].

ومع أن أكثر المصادر المعاصرة بعد سقوط دولة الإمام فى يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م حجبت أخبار معركة باقم، وتجاهلت أهمية دورها فى سير الأحداث؛ نظرًا لانعدام الحافز السياسى والاقتصادى، وحرصًا على الفوز برضا أرباب السياسة الذين يهمهم كتمان جانب هذه المعركة، إلا أن الحقيقة لم تضيع، فها هى الوثائق البريطانية تكشف حديثًا أجراه الوزير المفوض البريطانى فى جدة، السير أندرو ريان مع عبدالله فلبى، والشيخ يوسف ياسين، مستشارى الملك عبد العزيز، عن أهمية منطقة باقم فى الحسابات السعودية أثناء الحرب، حيث صرَّح هؤلاء المستشارون للوزير البريطانى بأن اقتحام منطقة باقم، يعدُّ الهدف الاستراتيجى الأول للقوات السعودية؛ لأن هذا الاقتحام هو الذى سوف يُحدِّد مصير المعركة[١٣١].

وها هو تركى بن ماضى، مستشار الملك عبد العزيز ومبعوثه إلى اليمن يُشير فى مذكراته إلى معركة باقم، ودورها فى سير الأحداث بقوله: «زحف الأمير سعود ولى العهد على الحدود اليمنية، واحتل بعض القرى، وبينما كان فيصل بن سعد ابن أخى الملك عبد العزيز ومعه بعض القوات محاصرًا باقم، انهزمت الجنود التى معه بسبب غير معلوم»[١٣٢]. وهذه الإشارة فى مذكرات تركى بن ماضى، وإن كانت عرضية لم يصاحبها تفصيل أو ارتقاء لمستوى الحدث، إلا أنها تشى بالحقيقة التى لا يمكن تجاهلها أو إنكارها.

وها هو الرحالة الأديب السورى، نزيه مؤيد العظم يُشير فى كتابه (رحلة فى بلاد العربية السعيدة) إلى دور معركة باقم فى وقف الحرب السعودية اليمنية بقوله: «انسحبت جيوش الأمير سعود بن عبد العزيز فى معركة جبل باقم تحت ضغط جيوش سيف الإسلام أحمد، وكانت هذه المعركة هى السبب الحقيقى فى توقف القتال، وعقد الهدنة، ثم المعاهدة»[١٣٣].

أما الصحف العربية المعاصرة لتلك الأحداث، فمع اتخاذ معظمها جانب الملك عبد العزيز في معركته مع اليمن، بسبب عنايته الخاصة بالصحافة والصحفيين، واعتماده مندوبين صحفيين له في كل من مصر، ودمشق، وبغداد، ولندن، ينشرون بلاغاته المطولة الداعمة لقضاياه(١٣٤)، خلافًا لما كان عليه حال الإمام يحيى، الذى لم يكن لديه أى مندوب صحفى فى أى عاصمة عربية، ولم يكن يُعنى بمتطلبات الحرب النفسية، ولا فنون الحرب الإعلامية وآلياتها؛ إلا إن الصحف لم تتمكّن من إنكار حقيقة معركة باقم، التى غيَّرت من مجرى الأحداث، ومن تلك الصحف جريدة المقطم المصرية، التى نشرت برقية وردت من مراسلها فى عدن، جاء فيها: «التقت القوات المتوكلية بجميع قوات السعوديين المرابطين حول باقم، ونقعة، وعلش، وبعد قتال شديد استمر يومى ٧ و ٨ مايو، أسفر الموقف عن اضطرار السعوديين للانسحاب تحت وطئة المعركة مرتدين إلى نجران»(١٣٥).

٨ – تربُّص الدول الاستعمارية الكبرى، التى كانت تلتمس المكر والفتنة بين سائر حكومات المسلمين، وتتنافس فيما بينها لاقتسام الغنيمة، دفع الزعيمين العظيمين إلى الجنوح نحو التسوية؛ سدًّا لذريعة التدخل الغربى، وتفويتًا للفرصة على بريطانيا وإيطاليا للصيد فى الماء العكر،فاستنادا إلى ما ذكره المؤرخ البريطانى المتخصص فى شؤون الجزيرة العربية (جون بالدرى)، أنه بمجرد سحب الإمام يحيى قواته من الحديدة فى الثلاثين من أبريل، وصلت إليها فى الأول من مايو بارجة بريطانية، ونزل قائدها الكابتن (بيفن) إلى شواطئها، بدعوى تأمين الرعايا البريطانيين، وبحث إمكانية إرسال قوات من عدن لطمأنة الرعايا؛ مما عجَّل بوصول ٤٠ من قوات الرماة البريطانيين إلى الحديدة فى ٤ مايو، بقيادة الكابتن (روبنز) مساعد (بيفن)، وكردة فعل على هذا الإجراء البريطانى، رست بارجة إيطالية فى الرابع من مايو فى الحديدة بقيادة الكابتن (ماريو بونيتى)، الذى أمر بإنزال قواته لتتمركز فوق بعض المباني؛ مما عقَّد الموقف بين الإيطاليين والإنجليز فى المدينة، ناهيك عن حوم بارجة فرنسية حول مدينة الحديدة، التى بدت وكأنها بؤرة تنافس دولى(١٣٦).

ويبدو أن كلا الزعيمين العظيمين كانا على بينة من المعطيات المذكورة آنفًا؛ مما جعلهما يستجيبان سريعًا لدعوات أهل التعقل والوفاق من زعماء المسلمين ومصلحيهم؛ الأمر الذى ساعد على الجنوح نحو التسوية، التى لا غالب فيها ولا مغلوب، متمثلة فى معاهدة الصداقة الإسلامية والإخوة العربية المعقودة فى الطائف، بتاريخ ١٩ مايو عام ١٩٣٤م.

بنود معاهدة الطائف:

المادة الأولى:

تنتهى حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة، وتنشأ فورًا بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم، وصداقة وطيدة، وإخوة إسلامية عربية دائمة، لا يمكن الإخلال بها جميعها أو بعضها. ويتعهَّد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يُحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التى قد تقع بينهما، وبأن تسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامى العربى فى سائر المواقف والحالات، ويشهدان الله على حسن نواياهما، ورغبتهما الصادقة فى الوفاق والاتفاق سرًّا وعلنًا، ويرجوان منه - سبحانه وتعالى - أن يوفقهما، وخلفاءهما، وورثاءهما، وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة، التى فيها رضا الخالق، وعز قومهما ودينهما.

المادة الثانية:

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تامًا مطلقًا، وبملكيته عليها، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة، الإمام يحيى، ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تامًا مطلقًا، وبالملكية على مملكة اليمن. ويعترف صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن، لحضرة صاحب الجلالة، الإمام عبد العزيز، ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تامًا مطلقًا، وبالملكية على المملكة العربية السعودية. ويسقط كل منهما أى حقّ يدعيه فى قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبنية فى صلب هذه المعاهدة.

وأن جلالة الإمام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أى حقٍّ يدعيه من حماية، أو احتلال، أو غيرهما فى البلاد التى هى بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التى كانت بيد الأدارسة وغيرها. كما أن جلالة الإمام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أى حقٍّ يدعيه باسم الوحدة اليمنية أو غيرها فى البلاد التى هى بموجب هذه المعاهدة

تابعة للمملكة العربية السعودية، من البلاد التى كانت بيد الأدارسة، أو آل عائض، أو فى نجران وبلاد يام.

المادة الثالثة:

يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التى تكون بها الصلات والمراجعات، بما فيه حفظ مصالح الطرفين، وبما لا ضرر فيه على أيهما، على ألا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث، ولا يوجب هذا على أى الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

المادة الرابعة:

خط الحدود الذى يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضَّح بالتفصيل الكافى فيما يلى، ويعدُّ هذا الخط حدًّا فاصلًا قطعيًّا بين البلاد التى تخضع لكل منهما:

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتبارًا من النقطة الفاصلة بين ميدى والموسم على ساحل البحر الأحمر، إلى جبال تهامة فى الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالًا إلى أن ينتهى إلى الحدود الغربية الشمالية، التى بين بنى جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهى إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة، وبين حدود يام، ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان عقبة رفادة، ثم ينحرف إلى جهة الشرق، حتى ينتهى من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدا يام من همدان بن زيد وائلى وغيره وبين يام، فكل ما عن يمين الخط المذكور، الصاعد من النقطة المذكورة التى على ساحل البحر، إلى منتهى الحدود فى جميع جهات الجبال المذكورة، فهو من المملكة اليمنية، وكل ما هو عن يسار الخط المذكور، فهو من المملكة العربية السعودية، فما هو فى جهة اليمين المذكورة هو ميدى، وحرض، وبعض قبيلة الحرث والمير، وجبال الظاهر، وشدا، والضيعة، وبعض العبادل، وجميع بلاد وجبال رازح، ومنبه مع عرو آل المشيح، وجميع بلاد وجبال بنى جماعة وصحار الشام يباد وما يليها، ومحل مريصغة من سحار الشام، وعموم صحار، ونقعة، ووعار، وعموم وائلة، وكذا الفرع مع عقبة نهوقة، وعموم من عدا يام ووادى ظهران من همدان بن زيد، هؤلاء المذكورة وبلادهم بحدودها المعلومة، وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها، مما لم يذكر اسمه، مما كان مرتبطًا ارتباطًا فعليًّا، أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢هـ، كل ذلك هو فى جهة اليمن؛

فهو من المملكة اليمانية، وما هو في جهة اليسار المذكورة، وهو الموسم، ووعلان، وأكثر الحرث والخوبة والجابرى، وأكثر العبادل، وجميع فيفا، وبنى مالك، وبنى حريص، وآل تليد، وقحطان، وظهران، ووادعة، وجميع وادعة ظهران، مع مضيق مروان وعقبة رفادة، وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام، ونجران، والحضن، وزور وادعة، وسائر من هو فى نجران من وائلة، وكل ما هو تحت عقبة نهوقة، إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة، وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها، مما لم يذكر اسمه، مما كان مرتبطًا ارتباطًا فعليًا، أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢هـ، كل ذلك هو فى جهة يسار الخط المذكور، فهو من المملكة العربية السعودية، وما ذكر من يام، ونجران، والحضن، وزور وادعة، وسائر من هو فى نجران من وائلة، فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز فى يام، والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية. وحيث إن الحضن، وزور وادعة، ومن هو من وائلة فى نجران، هم من وائلة، ولم يكن دخولهم فى المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر، فذلك لا يمنعهم. ولا يمنع إخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات، والمواصلات، والتعاون المعتاد والمتعارف به.

ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفًا بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية، وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن، فللمملكة اليمانية كل الأطراف والبلاد اليمنية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات.

وللمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات، وكل ما ذكر فى هذه المادة من نقط شمال، وجنوب، وشرق، وغرب، فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود فى اتجاه الجهات المذكورة، وكثيرًا ما يميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين. أما تعيين وتثبيت الخط المذكور، وتمييز القبائل، وتحديد ديارها على أكمل الوجوه، فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف، بحسب العرف، والعادة الثابتة عند القبائل.

المادة الخامسة:

نظرًا لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بدوام السلم والطمأنينة، والسكون، وعدم إيجاد أى شيء يشوّش الأفكار بين المملكتين، فإنهما يتعهدان تعهدًا متقابلًا بعدم

إحداث أى بناء محصن فى مسافة خمسة كيلو مترات فى كل جانب من جانبى الحدود، فى كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

المادة السادسة:

يتعهَّد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فورًا عن البلاد التى أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر، مع صون الأهلين والجند عن كل ضرر.

المادة السابعة:

يتعهَّد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالى مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالى المملكة الأخرى فى كل جهة وطريق، وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادى من الطرفين، وبرد كل ما ثبت أخذه بالتحقيق الشرعى من بعد إبرام هذه المعاهدة، وضمان ما تلف، وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح، وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان، ويظلُّ العمل بهذه المادة ساريًا إلى أن يُوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق، وتقدير الضرر والخسائر.

المادة الثامنة:

يتعهَّد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهدًا متقابلًا بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما، وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف، سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة، أو تفسير كل أو بعض موادها، أم كان ناشئًا عن أى سبب آخر بالمراجعات الودية. وفى حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة، يتعهَّد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذى توضّح شروطه، وكيفية طلبه وحصوله فى ملحق مرفق بهذه المعاهدة. ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة، ويحسب جزءًا منهما وبعضًا متممًا للكل فيهما.

المادة التاسعة:

يتعهَّد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزًا لأى عمل عدوانى، أو شروع فيه، أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر، كما أنه يتعهَّد باتخاذ التدابيير الآتية بمجرد وصول طلب خطى من حكومة الفريق الآخر، وهى:

١ – إن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير، فبعد التحقيق الشرعى وثبوت ذلك، يؤدّب فورًا من قِبل حكومته بالأدب الرادع، الذى يقضى على ما فعله، ويمنع وقوع أمثاله.

٢ – وإن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير، فإنه يُلقى القبض عليه فورًا من قِبل الحكومة المطلوب منها، ويُسلّم إلى حكومته الطالبة. وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب، وعليها اتخاذ كافة الإجراءات، لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب، وفى الأحوال التى يتمكّن فيها الشخص المطلوب من الفرار، فإن الحكومة التى فرَّ من أراضيها تتعهّد بعدم السماح له بالعودة إلى أراضيها مرة أخرى، وإن تمكّن من العودة إليها، يُلقى القبض عليه، ويُسلَّم إلى حكومته.

٣ – وإن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة، فإن الحكومة المطلوب منها، والتى يوجد الشخص على أراضيها، تقوم فورًا، وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى بطرده من بلادها، وعدّه شخصًا غير مرغوب فيه، ويُمنع من العودة إليها فى المستقبل.

المادة العاشرة:

يتعهّد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفرّ عن طاعة دولته، كبيرًا كان أم صغيرًا، موظفًا كان أم غير موظف، فردًا كان أم جماعة، ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها، لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده، فإن تمكّن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود، بالدخول فى أراضيه، فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجئ، وإلقاء القبض عليه، وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها، وفى حالة عدم إمكان القبض عليه، تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التى لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التى يتبعها.

المادة الحادية عشرة:

يتعهّد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء، والعمال، والموظفين التابعين له من المداخلة بأى وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة، ويتعهّد باتخاذ كامل التدابير التى تمنع حدوث القلق، أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة.

المادة الثانية عشرة:

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الأخر بموجب هذه المعاهدة، رعية لذلك الفريق. ويتعهّد كل منهما بعدم قبول أى شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له، إلا بموافقة ذلك الفريق، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين فى بلاد الفريق الآخر طبقًا للأحكام الشرعية المحلية.

المادة الثالثة عشرة:

يتعهَّد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الأجرام والأعمال العدائية التى يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين فى بلاده، (أى فى بلاد الفريق الذى منه إصدار العفو)، كما أنه يتعهَّد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا، أو إنحازوا، أو بأى شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر، عن كل جناية ومال أخذوا منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائنًا ما كان، وبالغًا ما بلغ، وبعدم السماح بإجراء أى نوع من الإيذاء، أو التعقيب، أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء، أو الانحياز، أو الشكل الذى انضموا بموجبه. وإذا حصل ريب عند أى الفريقين بوقوع شىء مخالف لهذا العهد، كان لمن حصل عنده الريب أو شك من الفريقين، مراجعة الفريق الآخر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة، وإن تعذّر على أحِدهما الحضور، فينيب عنه آخر، له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحى، ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين، والوفاء بحقوق الطرفين، بالحضور لتحقيق الأمر، حتى لا يحصل أى حيف ولا نزاع، وما يُقرّره المندوبان يكون نافذًا.

المادة الرابعة عشرة:

يتعهَّد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه، الذين يُعفى عنهم إليهم وإلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم، خاضعين لأحكام مملكتهم، وكذلك يتعهَّد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أى شىء من الحقوق والأملاك التى تكون لرعايا الفريق الآخر فى بلاده، ولا يُعرقل استثمارها، أو أى نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها.

المادة الخامسة عشرة:

يتعهّد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث، سواء كان فردًا، أم هيئة، أم حكومة، أو الاتفاق معه على أى أمر يخلّ بمصلحة الفريق الآخر، أو يضر ببلاده، أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له، أو يعرّض منافعها ومصالحها وكيانها للأخطار.

المادة السادسة عشرة:

يُعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الإخوة الإسلامية والعنصرية العربية، أن أمتهما أمة واحدة، وأنهما لا يريدان بأحد شرًّا، وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمتهما، فى ظلِّ الطمأنينة والسكون، وأن يبذلا وسعهما فى سائر المواقف، لما فيه الخير لبلاديهما، وأمتهما، غير قاصدين بهذا أى عدوان على أية أمة.

المادة السابعة عشرة:

فى حالة حصول اعتداء خارجى على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين، يتحتَّم على الفريق الآخر أن يُنفّذ التعهدات الآتية:

أولاً: الوقوف على الحياد التام سرًّا وعلانية.

ثانيًا: المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة.

ثالثًا: الشروع فى المذاكرة مع الفريق الآخر، لمعرفة أنجع الطرائق، لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق، ومنع الضررعنها، والوقوف فى موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدى الخارجى.

المادة الثامنة عشرة:

فى حالة حصول فتن أو اعتداءات داخلية فى بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين، يتعهَّد كل منهما تعهدًا متقابلاً بما يأتى:

أولاً: اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة، لعدم تمكين المعتدى أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه.

ثانيًا: منع التجاء اللاجئين إلى بلاده، وتسليمهم أو طردهم إذا لجؤوا إليها، كما هو موضح فى المادة (التاسعة والعاشرة) أعلاه.

ثالثًا: منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين، وعدم تشجيعهم أو تموينهم.

رابعًا: منع الإمدادات، والأرزاق، والمؤن، والذخائر عن المعتدين أو الثائرين.

المادة التاسعة عشرة:

يُعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما فى عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية، وتزييد الاتصال بين بلاديهما، وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما، وفى إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركى يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية، بتوحيد الرسوم الجمركية فى عموم البلادين، أو بنظام خاص، بصورة كافلة لمصالح الطرفين، وليس فى هذه المادة ما يُقيّد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى أى شىء، حتى يتمّ عقد الاتفاق المشار إليه.

المادة العشرون:

يُعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثلى ومندوبى الخارج إن وُجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر، متى أراد الفريق الآخر ذلك فى أى شىء، وفى أى وقت. ومن المفهوم أنه حينما يوجد فى ذلك العمل شخص من كل الفريقين فى مكان واحد، فإنهما يتراجعان فيما بينهما، لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التى هى كأمة واحدة. ومن المفهوم أن هذه المادة لا تُقيّد حرية أحد الجانبين بأى صورة كانت فى أى حق له، كما أنه لا يمكن أن تُفسّر بحجز حرية أحدهما، أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة.

المادة الحادية والعشرون:

يُلغى ما تضمَّنته الاتفاقية الموقع عليها فى ٥ شعبان ١٣٥٠هـ على كل حال، اعتبارًا من تاريخ إبرام هذه المعاهدة.

المادة الثانية والعشرون:

تبرم هذه المعاهدة وتُصدّق من قِبل حضرة صاحبى الجلالة الملكين فى أقرب مدة ممكنة؛ نظرًا لمصلحة الطرفين فى ذلك، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها، مع استثناء ما نصَّ عليه فى المادة الأولى من إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع، وتظلُّ سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر التى

تسبق تاريخ انتهاء مفعولها، فإن لم تُجدّد أو تعدّل فى ذلك التاريخ، تظلُّ سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين للفريق الآخر رغبته فى التعديل.

المادة الثالثة والعشرون:

تُسمّى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف، وقد حُرِّرت من نسختين باللغة العربية الشريفة، بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة، وإشهادًا بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه[١٣٧].

وباستعراض بنود الاتفاقية، نلاحظ أنه ليس هناك ما يثبت أنها تمت على أسس غير متساوية، بل العكس تمامًا، حيث تُشير كافة البنود إلى أن الاتفاقية كانت تستند إلى ندية و تكافؤ وتبادلية تامة، فكلا الفريقين اعترف باستقلال المملكتين استقلالاً تامًا مطلقًا، وبملكية كل حاكم وخلفائه الشرعيين، على ما تحت يده من مناطق البلاد. ومع أن الاتفاقية نصّت فى المادة الثانية منها على إسقاط كل حق يدعيه الطرف المقابل فى قسم من بلاد الآخر، إلا أن أيًّا منهما لم يحصل على فرصة ترسيم للحدود، أو حقوق قانونية قاطعة ونهائية لما تحت الأيادى من مناطق، كل ما فى الأمر أن الملك عبد العزيز والإمام يحيى أكّدا شمول ملكهما لمدة عشرين عامًا فقط على مناطق البلاد التى كانت تحت إيديهما قبل اندلاع الحرب، على أن يُعاد النظر فى الاتفاقية بعد انقضاء هذه الفترة، إما بالتعديل أو التجديد. وقد علّقت الوثائق البريطانية على هذا الأمر بقولها: «إن خلفاء الزعيمين هم من سيتحملون عبء التعقل الذى أبداه الملك عبد العزيز والإمام يحيى»[١٣٨].

وفعلاً تحمّل كل من خلفاء الإمام يحيى والملك عبد العزيز هذا العبء، بأن تحاشوا أى ممارسة فيها تكدير لصفو العلاقات بين البلدين، فتم تجديد هذه الاتفاقية فى عام ١٩٥٤م، فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز، والإمام أحمد بن الإمام يحيى لتسرى لفترة عشرين سنة قادمة، دون أن يُفصل فى الحدود التى ظلّت معلقة بين البلدين بدون أى تسوية، حتى سقوط حكم أسرة حميد الدين فى اليمن عام ١٩٦٢م.

وفى العهد الجمهورى بُتَّ فى الحدود النهائية بتاريخ ١٢ / ٦ / ٢٠٠٠م، فى عهد الرئيس على عبدالله صالح، الذى اعترف اعترافًا قاطعًا ونهائيًّا بالحدود الحالية، وبناء على ذلك تمَّ الترسيم النهائى الذى لا رجعة عنه للحدود بين البلدين. واليوم فأنا على يقين من أن كافة المواطنين اليمنيين لو عادت بهم عجلة الزمان إلى الوراء، وكُشف لهم

غطاء الغيب عما ستؤول اليه الأمور فى اليمن فى عهد الجمهورية، لتمنوا لو أنهم دخلوا كافة تحت لواء السيادة السعودية؛ لما لمسوه اليوم من عزة، وكرامة، وتنمية، وارتقاء حقّقه الحكم السعودى لمواطنيه، خلافًا لما حقّقه الحكم العسكرى الجمهورى فى اليمن لمواطنيه من شقاء، وبلاء، ونموذج مرعب فى التسيب الأمنى، والغوغائية، وحالة الفوضى، فلك الله يا شعب اليمن!

أما بالنسبة للإمام يحيى، فبالرغم من تعليقه البت فى الحدود النهائية بين البلدين، مع احتفاظه بالحقوق القانونية لبلاده، إلا أن الأهم من ذلك كله، هو أنه توصَّل مع الملك عبد العزيز إلى اتفاق يرقى إلى مستوى الحلف، أكَّدا فيه على قوة تضامنهما العربى، وإخائهما الإسلامى، وتغليبهما لمصلحة الأمة، والامتناع عن الرجوع للقوة لحلِّ المشكلات بينهما، والامتناع عن جعل أراضى الدولتين منطلقًا لأعمال عدوانية، وهذا شعور بالمسؤولية كان للوسطاء العرب الدور الأكبر فى إيجاده.

وقد نظر الكثيرمن المحللين السياسيين والمهتمين بالشؤون العربية إلى هذه الاتفاقية، على أنها تُمثِّل النداء الأول للوحدة العربية، مستدلين على ذلك بما ورد فى المادة العشرين من الاتفاقية، التى نصَّت على استعداد البلدين لأن يأذنا لمثليهم ومندوبيهم فى الخارج إن وجدوا بالنيابة أن يُمثّلا الفريق الآخر(١٣٩). فالإمام يحيى لم يمانع فى أن تقوم ممثلية حكومة المملكة العربية السعودية فى الخارج من الإنابة فى تمثيل مصالح اليمن فى بريطانيا وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية(١٤٠)، ويعنى هذا أنه قد أصبح هناك تنسيق شامل فى النواحى السياسية، وتوحيد لعمل الهيئات الدبلوماسية فى الخارج، وهو تطور جديد يخالف ما كان سائدًا فى المرحلة التى سبقت اتفاقية الطائف(١٤١).

وفى هذا الصدد يقول الكاتب أحمد عبد الغفور عطار، أن هذه الاتفاقية تعدُّ أول عمل جدى فى سبيل الوحدة العربية. أما الكاتب الإيطالى الذائع الصيت (سلفاتور أبونتى)، الذى زار اليمن، فيقول: «إن معاهدة الصلح التى أطلق عليها اسم معاهدة الطائف، لم تكن إلا أنشودة من أناشيد الوحدة العربية»(١٤٢).

إضافة لذلك، نلاحظ أن الاتفاقية بمجرد التوقيع عليها، بدأت تُعطى ثمارها لجهة التعاون والتنسيق فى المواقف السياسية والثقافية، خاصة فيما يتعلّق بالقضايا الدولية، ومن ثمرات ذلك التنسيق والتعاون، انضمام اليمن إلى معاهدة الإخوة والتحالف العربى، التى كان العراق والمملكة العربية السعودية قد وقَّعا عليها فى عام ١٩٣٦م، والتى كانت تشمل

التحالف العسكرى، والتعاون السياسى والثقافى، والتسيق والتشاور فيما بين الدول الموقعة على هذه الاتفاقية[١٤٣]. ومن التجليات الأخرى لذلك التعاون والتنسيق، اتخاذ الطرفين جانب الحيطة والحذر فى التعامل مع أى قضايا تطرحها الجامعة العربية فى اجتماعاتها التأسيسية، واقتصار دور ممثلى البلدين على الاستماع، وعدم التورط فى أى التزام أو إبداء الرأى، إلا بعد عرض كافة التفاصيل على زعيمى البلدين[١٤٤].

ولم يكن ذلك التحرز من الزعيمين العظيمين إلا قطعًا لحبال التآمر، وتحريًا من الوقوع فى الفخاخ البريطانية التى جُبل عليها الإنكليز. ومن السذاجة بمكان أن نتغافل عن دور بريطانيا الخفى فى تسيير أعمال الجامعة العربية، التى كانت من بنات أفكارها فى ذلك الزمن الاستعمارى، فى محاولة منها للسيطرة والتمرير لمخططاتها عن طريق بعض الدمى من الأعضاء المؤسسين[١٤٥].

وفى تعليق للكاتب الدكتور سيد مصطفى سالم، المتخصص فى شؤون اليمن، عن المزايا والمعانى التى توفّرت للمملكة المتوكلية اليمنية والمملكة العربية السعودية، من خلال التوقيع على اتفاقية الطائف، يقول: «إن هذه المعاهدة قد أقامت قواعد ثابتة وأسسًا متينة لعلاقات البلدين، فإذا ألقينا نظرة سريعة على مواد المعاهدة، نجد أنها لم تكن معاهدة صلح فحسب، بل كانت معاهدة عامة نظَّمت العلاقات بين البلدين بشكل دقيق[١٤٦].

ومن تلك القواعد الثابتة، والأسس المتينة التى نظمتها هذه الاتفاقية، ما نصَّت عليه المادة السابعة عشرة من التعاضد وتبادل المعونة، إذا دعت الضرورة إلى حماية المصالح السياسية المشتركة، والدفاع عن السيادة والاستقلال ضد أى عدوان أو خطر خارجى، إضافة إلى ما نصت عليه المادة الثامنة عشرة من التعاون حيال إطفاء الفتن، وكبت الاعتداءات الداخلية فى بلاد أحد الفريقين[١٤٧]. ونتيجة طبيعة لذلك، وقفت المملكة موقفًا داعمًا للإمام أحمد ضد قتلة أبيه فى انقلاب عام ٤٨، وتم مشاركة الجهود بين اليمن والسعودية وتنسيقها فى الحرب العربية الإسرائيلية فى عام ٤٨، وتقاربت وجهات النظر أكثر فى محاربة ورفض حلف بغداد، الذى تزعمته بريطانيا فى عام ٥٥. وكان قمة التطور الإيجابى والتوثيق لعرى الصداقة بين البلدين فى فترة الخمسينيات، التوقيع على المعاهدة الثلاثية التى جمعت بين كل من مصر، والسعودية، واليمن فى عام ٥٥؛ لمواجهة التحرشات والاعتداءات البريطانية، ومن ثمَّ التوقيع على ميثاق جدة فى عام ٥٦، الذى استهدف التعاون بين اليمن، والسعودية، ومصر فى الجوانب العسكرية، والسياسية، والاقتصادية فى مختلف المجالات[١٤٨].

أما فى الستينيات فقد وضع الانقلاب العسكرى، الذى أطاح بحكم أسرة حميد الدين فى سبتمبر ٦٢ المملكة العربية السعودية على المحك فى التزامها بالعهود والمواثيق، حيث لم تجد القيادة السعودية بدًّا من دعم صاحب الشرعية، الإمام البدر ابن الإمام أحمد، والاصطفاف إلى جانبه؛ لمقاومة قوات الجيش المصرى التى وصلت إلى اليمن لدعم الانقلابيين؛ لإدراك الملك سعود، ثم أخيه الملك فيصل من بعده، للمقاصد الحقيقية لتواجد القوات المصرية فى الجزيرة العربية،

والتى بلغ تعدادها أكثر من سبعين ألف جندى مصري. ولا يخفى على كل ذى عقل، أن هذا التدخل الخارجى فى شؤون الجزيرة العربية، كان المقصود منه استهداف أمن المملكة العربية السعودية، فى ظلِّ الشعارات الثورية التى كان يبثها جمال عبد الناصر للإطاحة بالأنظمة التى كان يطلق عليها التيار الناصرى الرجعية.

صورة للأسرتين الملكيتين اليمنية، والسعودية، أثناء زيارة الملك سعود لليمن فى عام ١٩٥٤م.

الإمام البدر مع الأمراء المقاتلين من رجال أسرته بعد انطلاقهم من المملكة العربية السعودية، لصد الغزو المصرى الناصرى عن اليمن والجزيرة العربية.

الإمام البدر مع رجاله فى جبال اليمن على جبهات القتال، بعد الحصول على الدعم السعودى.

الإمام البدر مع رجاله وهو يقود مسيرة تحرير اليمن من القوات المصرية الغازية، بالتحالف مع المملكة العربية السعودية.

صور متنوعة لوالدى بطل المعارك، الأمير محمد بن الحسين أثناء حصاره للعاصمة صنعاء.

صور متنوعة لقائد القوات الملكية فى حرب اليمن، الأمير محمد بن الحسين مع ثلة من رجاله، بعد تدميرهم لمجموعة من الدبابات والمصفحات المصرية الغازية.

وليت أن جمال عبد الناصر عاش ليرى سقوط تجربته الناصرية *، وخطل دعاويه الثورية فى محاربة الأنظمة التى أطلق عليها رجعية ومتخلفة. فلقد برهن لنا التاريخ أن الأمة لم تبتل بمصيبة أعظم من غلبة أمثاله من العسكر، الذين كان يُدعمهم ويسميهم بالتقدميين، فلا يتعامى أحد عما تسببوا فيه من دمار ونكبات، وحرق للحرث والنسل، إلا من كان فى قلبه مرض، والحال الذى وصل إليه اليمن، وليبيا، والعراق، وسوريا يقف شاهدًا على ذلك. ومقابل هؤلاء العسكر الذين سماهم عبدالناصر بالتقدميين، كيف أن حكام الأنظمة الملكية الذين كان يلقى عليهم عبدالناصر سهام الإتهامات بالعمالة والتبعية للغرب، كيف انهم كانوا أكثر حنوا على شعوبهم، ومسؤولية تجاه بلدانهم، التى حققوا لها العزة والرفعة والكرامة، وقادوها إلى آفاق التنمية والحضارة، سواء فى دول الخليج، أو الأردن، أو المغرب وما ذاك الا لعراقة جذورهم وشرف مكانتهم التى فرضت عليهم الشعور بالمسؤولية التاريخية.

وحيث إن الشيء بالشيء يُذكر، أرى أنه من المناسب فى ختام هذا الفصل، أن أُسلِّط الضوء على شرف مكانة الملك عبدالعزيز ومواقف النخوة والمرؤة التى وقفها مع أخيه الإمام يحيى، وخليفته من بعده الإمام أحمد، والتى كان من شأنها توثيق عرى الصداقة والإخوة العربية الإسلامية بين الأسريتين الملكيتين الكريمتين، آل سعود وآل حميدالدين إلى اليوم.

وأول مواقف النخوة والمروءة والشرف فى سيرة الملك عبد العزيز مع الإمام يحيى، ما حدث فى موسم حج عام ١٩٣٥م، عندما وقعت محاولة اغتيال الملك عبد العزيز فى الحرم من قِبل ثلاثة يمنيين، وقد كان متوقعًا أن يتسبَّب هذا الحادث فى تفجير العلاقات السعودية اليمنية، ونسف ما تم الاتفاق عليه فى معاهدة الطائف، حيث وجَّه أصحاب النوايا السيئة أصابع الاتهام إلى الإمام يحيى فى تدبير هذا الحادث، بالرغم من استنكاره له، وتبرئه إلى الله من جريرته، إلا أن الملك عبد العزيز بصدقه وشفافيته، أصرَّ على تبرئة الإمام يحيى من هذه التهمة(١٤٩)، ولم يتعامل مع هذه الحادثة بمنطق ردة الفعل، ولا استمع

---

* على الرغم من الأخطاء الكارثية التى ارتكبها جمال عبد الناصر والتى تسببت فى تدمير الاقتصاد المصرى وهزيمة العرب فى عام ٦٧ وضياع اراضيهم فى الضفة الغربية والجولان وسيناء، وتغول ارهاب الدولة البوليسية، وسيادة الأنظمة العسكرية الغوغائية التى احرقت الحرث والنسل على امتداد عالمنا العربى، وترويج الأفكار والقيم الغريبة التى لاتمت بصلة لديننا ولا ثقافتنا كالاشتراكية واليسارية وغيرها من المبادئ الشاذة، إلا انه من الانصاف الاعتراف ببعض ايجابيات عبد الناصر ومنها نظافة كفه الذى لم يستأثر بجنيه واحد من المال العام، وانتصاره لطبقة الفلاحين فى مصر، ودعمه الصادق للقضية الفلسطينية والثورة الجزائرية التى انهت الاستعمار الفرنسى، ووقوفه بالمرصاد للمخططات الاستعمارية الفرنسية والبريطانية.

إلى المرجفين الذين لم يكتفوا باتهام الإمام يحيى، بل بدؤوا يتهامسون حول دور ابنه سيف الإسلام أحمد فى تدبير هذا الحادث[150].

وثانى مواقف النخوة والمروءة يتمثّل فيما حدث بين الملك عبد العزيز، وبعض الشخصيات اليمنية، التى أرادت أن تقتنص فرصة حادثة الحرم، للصيد فى الماء العكر، ومنهم عبدالله الوزير، وابن عمه على الوزير، ومن لفّ لفهم من المتآمرين، حيث أرسلوا للملك عبد العزيز بصفة سرية مبعوثهم عبدالله الشماحى مع رسائل تحريض، يحاولون فيها جرَّ الملك عبد العزيز إلى جانبهم فى نسج مخطط لإسقاط الإمام يحيى عن الحكم، إلا أن الملك عبد العزيز لم يستجب لهؤلاء قائلاً لهم بالحرف الواحد: «لا يمكن أن أخلَّ بعهدى مع الإمام يحيى، فأنا على اتفاق ومعاهدة لا يمكن أن أخيس بها، وأن صوتكم ما هو إلا صوت شرٍّ يحمل معول الهدم للدين والعروبة، ويظهر أن حركتكم هدامة، ولا يسعنى أن أساندها، فاتقوا الله فى مصير بلادكم والإسلام»[151].

ولم يكتفِ الملك عبد العزيز بذلك الموقف مع هؤلاء المتآمرين، بل أرسل إلى الإمام يحيى مع مستشاره تركى بن ماضى الخطابات المطولة التى استلمها من أبناء الوزير، وغيرهم من المتآمرين، ليطلع عليها، مع تأكيده للإمام يحيى بالأيمان المغلظة أن حياته اليوم عزيزة عليه، وألزم من حياة أحد أولاده للمصلحة الكبرى للعرب والمسلمين[152].

وثالث مواقف النخوة والمروءة فى سيرة الملك عبد العزيز، وقوفه إلى جانب الإمام أحمد بصدق وأمانة عند مقتل أبيه فى انقلاب عام ٤٨، وضد قائد الانقلاب عبدالله الوزير، دون مواربة أو تخفٍّ[153]. وعلى الرغم من الشائعات التى بثَّها المغرضين بهدف الوقيعة وإلصاق تهمة حادثة الاعتداء على الملك عبدالعزيز فى الحرم المكى بالإمام أحمد، إلا أن الملك عبد العزيز ترفَّع عن كل ما لاكته الألسن، وأدرك الأبعاد الخطيرة التى يمكن أن يُشكّلها اغتيال الإمام يحيى، والذى يعدُّ الأول من نوعه فى المنطقة، فأرسل إلى الإمام أحمد بعد الانقلاب مباشرة بأوائل النجدة، والذخيرة، والمال، وجهاز لاسلكى مصحوبًا برسالة، معلمًا له بالمؤازرة، وحاثًا له على خوض المعركة فى استبسال مع المجرمين، قتلة أبيه[154].

ورابع مواقف النخوة والمروءة فى سيرة الملك عبد العزيز، ما عبَّر عنه الملك عبد العزيز أمام وفد عبدالله الوزير الانقلابى، الذى وصل إلى المملكة بعد اغتيال الإمام يحيى، لمقابلة الملك عبد العزيز، فى محاولة من عبدالله الوزير للحصول على تأييد المملكة لإنقلابه، إلا أن وفد ابن الوزير تفاجأ بتوبيخ الملك عبد العزيز له، قائلا لهم: كيف تطلبون معونتى وأنا صديق سيدكم، ثم أشار بإصبعه إليهم، قائلا لهم: أنتم قتلة[155] ومجرمين، أبرأ إلى الله منكم، وأطالب بدم الإمام يحيى، ثم طردهم من مجلسه، وأمر بمغادرتهم المملكة[156].

وبمجرد أن انتصر الإمام أحمد على قتلة أبيه، بعث إليه الملك عبد العزيز ببرقية تهنئة، معبرًا له فيها عن اغتباطه بالنصر، واعترافه به إمامًا وملكًا على اليمن، وطالبه بتنفيذ حكم الشرع فى القتلة المعتدين، حيث تقول البرقية: «وفى هذه المناسبة، يود أخوكم أن يرجو من جلالتكم أمرين: الأول منهما، هو مجازاة المجرمين المفسدين الذين قتلوا جلالة الإمام المرحوم والدكم وأنجاله، وجميع العرب والمسلمين يطالبونكم بهذا ولا يسرون إلا بتنفيذ حكم الشرع والعدل فيهم، والثانى أن تبذلوا جلالتكم الجهد لجمع الكلمة، والعفو عن الذين غُرِّر بهم من رجال القبائل والأفراد»[١٥٧].

ولم تقتصر مواقف الشرف والنخوة والمروءة على الملك عبد العزيز دون أبنائه الذين ورثوا سجايا الأصالة والكرم من أبيهم، فها هم ذرية الإمام يحيى، عندما ضاقت بهم السبل، بعد سقوط ملكهم، لم يجدوا لهم مفزعًا يُجيرهم من نوائب الدهر، سوى أبناء الملك عبد العزيز، الذين احتضنوا وأجاروا من يوازيهم فى الشرف والأصالة، حيث شملت رعايتهم التامة والكاملة كافة أفراد أسرة حميد الدين وأتباعهم، ولسوف يُسجِّل التاريخ هذا الفضل فى نعمة الأمن والأمان، وكريم العيش الذى وفَّرته الدولة السعودية لكافة الأسر العريقة التى أصابها نازل من نوازل الدهر، وتعيش اليوم فى كنف أبناء الملك عبد العزيز، وتحت رعايتهم، آمنين، مطمئنين، معززين، مكرمين، ومنهم أفراد أسرتى، الذين ستظل أعناقهم مطوقة بالجميل أبد الدهر.

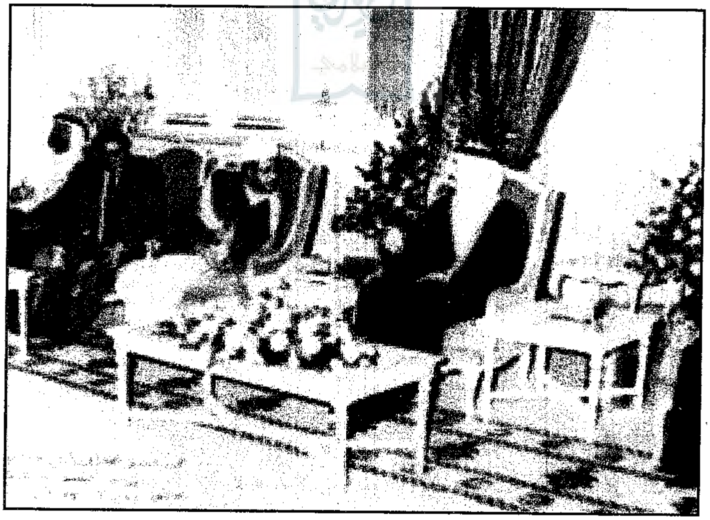

الملك فهد بن عبد العزيز مستقبلاً فى قصر اليمامة الأمراء عبدالله ومحمد أبناء الحسين بن الإمام يحيى.

آخر رمزين من رموز الدولة الإمامية فى إحدى استقبالات الضيافة فى المملكة العربية السعودية قبل وفاتهما، وهما الإمام محمد البدر، وعمه سيف الإسلام الحسن بن الإمام يحيي، الذى كان من مؤسسى الدولة. ويكفى الشعب اليمنى فخرًا أن يستذكر أن هذين الرمزين التاريخيين الذين حكما اليمن، خرجا من بلادهما إلى المملكة العربية السعودية مع أفراد أسرتهما المتوكلية بكل شرف وعزة وكرامة، وهم مرفوعو الرأس، مرتاحو البال والضمير لثبات مواقفهم الوطنية والمبدئية التى رفضوا فيها أن تكون قضية اليمن وعزته ووحدة أراضيه أداة للمساومة، ولنزاهتهم وطهر ذمتهم التى لم تستأثر بقنطار من المال العام، هذا هو حال أبناء الأصول الذين تمنعهم أحسابهم، وأنسابهم، وجذورهم التاريخية العريقة عن التفريط والمساومة، رغمًا عن كل الإغراءات وضغوطات الترهيب. وشتان ما بين مواقف هؤلاء الرجال المنحدرين من أعلى بيوت المجد والشرف والأصالة، ومواقف من أتى بعدهم من العسكر الغوغاء شبه الأميين، الذين تاجروا بالمبادئ والشعارات الثورية الكاذبة لبناء ثرواتهم الخاصة، ولم يردعهم شيء قط عن التفريط والمساومة بعزة الشعب اليمنى، وكرامته، وحقوقه، وسيادته على أرضه، لأنهم لا يملكون شيئا يخافون عليه،لا عهد، ولا ذمة، ولا تاريخ، ولا فكر،ولا تراث ولا عراقة جذور، إلى أن أوصلوا اليمن إلى ما هو عليه اليوم من حالة إنحطاط وإفلاس وضياع.

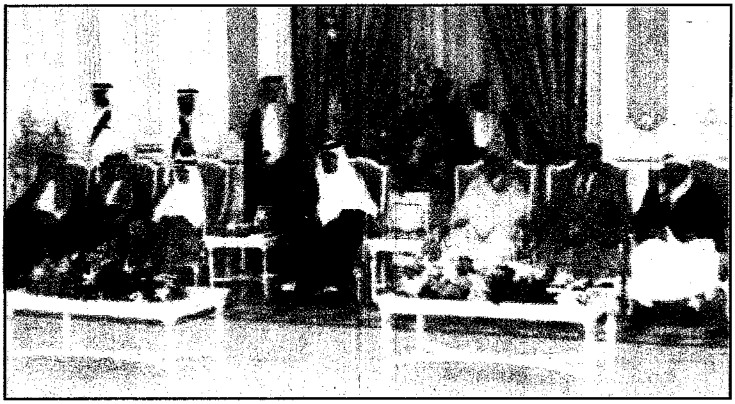

الملك عبدالله بن عبد العزيز مستقبلاً للأمراء محمد بن الحسين، والحسن بن الحسن بن الأمام يحى.

شباب من الجيل الثالث والرابع من ذرية الإمام يحيى، وقد أعزهم الله فى بلاد الحرمين الشريفين بعد أن تسلحوا بالعلم والمعرفة، وجسّدوا معانى الاستقامة والمثابرة، وتفوقوا فى الجمع ما بين الأصالة والمعاصرة، ولسان حالهم قول الشاعر العربى المتوكل الكنانى

لسنـا وإن كـرمـت أوائلنا   يومًا على الأحساب نتكل
نبنـى كمـا كـانت أوائلنـا   تبنى ونفعل فوق ما فعلوا

المراجع

١ – (شبه الجزيرة العربية فى عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلى، الطبعة الثالثة، الجزء الثانى، ص٥٩٩).

٢ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة عام ١٩٩١م، ص٤٦).

٣ – (العلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عبدالله القباع، ١٩٩٢م، ص٥٣)، وانظر كذلك: (العلاقات السعودية اليمنية من خلال ما نشر فى جريدة المقطم المصرية، الدكتور محمد الشعفى، الطبعة الأولى، ص١٨١).

٤ – (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبى، الطبعة الأولى، ص٩٩).

٥ – (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، الطبعة الأولى، ص٢٥٤).

٦ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٢٥٥).

٧ – (مجلة دراسات يمنية، العدد ٤٥، تاريخ يناير – مارس، ١٩٩٢م، ص٤٣).

٨ – (جريدة الرياض، العدد ١٥٨٨٩، ٢٥ ديسمبر ٢٠١١م، ص٣٨).

٩ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص٣٥٥).

١٠ – (شبه الجزيرة العربية فى عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلى، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، ص٢٨٧).

١١ – (تاريخ اليمن المعاصر، مجموعة من المؤلفين السوفيات، ترجمة: محمد على البحر، ١٩٩١م، ص٣٦).

١٢ – (المصدر نفسه، ص٣٩).

١٣ – (العلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عبدالله القباع، طبعة عام ١٩٩٢م، ص١٥١ – ١٥٢).

١٤ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٤٠ – ٣٤١).

١٥ – (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص٥٤٣).

١٦ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٤١).

١٧ – (الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلى، الطبعة الرابعة، ص١١٨).

١٨ - (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص٥٨٣).

١٩ - (الحدود والعلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عيد مسعود الجهنى، طبعة عام ١٩٩٤م، ص١٤٣ - ١٤٥).

٢٠ - (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، ص٤٨ - ٤٩).

٢١ - (الحدود والعلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عيد مسعود الجهنى، طبعة عام ١٩٩٤م، ص١٤٤ - ١٤٥).

٢٢ - (تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، الدكتورة فتوح عبد المحسن الخترش، الطبعة الأولى، ص١٣٢).

٢٣ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٤٣).

٢٤ - (الحدود والعلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عيد مسعود الجهنى، طبعة عام ١٩٩٤م، ص١٤٠ - ١٤١).

٢٥ - (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص١٥١).

٢٦ - (العلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عبدالله القباع، طبعة عام ١٩٩٢م، ص١٧٦ - ١٧٧).

٢٧ - (الحدود والعلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عيد مسعود الجهنى، طبعة عام ١٩٩٤م، ص٢٣٣).

٢٨ - (العلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عبدالله القباع، طبعة عام ١٩٩٢م، ص١٧٦ - ١٧٩).

٢٩ - (تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، الدكتورة فتوح عبد المحسن الخترش، الطبعة الأولى، ص١٠٩).

٣٠ - (العلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عبدالله القباع، طبعة عام ١٩٩٢م، ص١٨٥ - ١٨٦).

٣١ - (تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، الدكتورة فتوح عبدالمحسن الخترش، الطبعة الأولى، ص١٥٧ - ١٥٨).

٣٢ - (الحدود والعلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عيد مسعود الجهنى، طبعة عام ١٩٩٤م، ص٢٣٥).

٣٣ - (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، ص٢٠٥).

٣٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٣١).
٣٥ - (الحدود والعلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عيد مسعود الجهني، ١٩٩٤م طبعة عام، ص٢٣٦).
٣٦ - (تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، الدكتورة فتوح عبد المحسن الخترش، الطبعة الأولى، ص ١٧٦ - ١٧٨).
٣٧ - (المصدر نفسه، ص ١٨٥).
٣٨ - (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص١٩١).
٣٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٣١).
٤٠ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبدالله عبد الوهاب الشماحى، طبعة عام ١٩٧٢م، ص١٧٥).
٤١ - (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص١٩٦ - ١٩٨).
٤٢ - (المصدر نفسه، ص٥٣٣).
٤٣ - (المصدر نفسه، ص٥٨١).
٤٤ - (المصدر نفسه، ص١٩٦).
٤٥ - (الحدود والعلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عيد مسعود الجهني،طبعة عام ١٩٩٤م، ص٢٣٨).
٤٦ - (المصدر نفسه، ص٢٣٩).
٤٧ - (من مذكرات تركى بن ماضى، الطبعة الأولى، ص٤٩).
٤٨ - (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص ٥٤٤ - ٥٤٧).
٤٩ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٧٢).
٥٠ - (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص٥٣٣).
٥١ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٤٥).
٥٢ - (المصدر نفسه، ص٣٧٤).
٥٣ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٨١ - ٣٨٢).
٥٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٥٦).
٥٥ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٨٣ - ٣٨٤).
٥٦ - (المصدر نفسه، ص٣٩٦).

٥٧ - (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى، ص٩٨).
٥٨ - (العلاقات السعودية اليمنية من خلال ما نشر فى جريدة المقطم المصرية، د. محمد سعيد الشعفى، الطبعة الأولى، ص٢٦٨).
٥٩ - (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى، أمين سعيد، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٩٩).
٦٠ - (تاريخ اليمن المعَاصر، تأليف مجموعة من المؤلفين الروس، ترجمة: محمد على البحر، ١٩٩١، ص٥٠).
٦١ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٦٤).
٦٢ - (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى، أمين سعيد، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٩٦).
٦٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٤٧٢)انظر كذلك (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص١٦٣).
٦٤ - (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، ص٢٠٥).
٦٥ - (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى، أمين سعيد، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٩٨).
٦٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٣٦٨) انظر كذلك (تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، الدكتورة فتوح عبد المحسن الخترش، الطبعة الأولى، ص١٩٣).
٦٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٢٦٦).
٦٨ - (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص ٤٦٥).
٦٩ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، غير مذكور رقم الطبعة أوتاريخها، الجزء ١، ص٢٢١).
٧٠ - (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص٤٦٧).
٧١ - (المصدر نفسه، ص٥٣٢).
٧٢ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكوب، ترجمة: أحمد المضواحى،طبعة عام ١٩٨٣م، ص١٧١).

٧٣ – (اليمن الأئمة والحكام والثورات، هارولد إنجرامز، تعريب: نجيب سعيد باوزير، الطبعة الأولى، ص٥٩).

٧٤ – (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٣١٤).

٧٥ – (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى، أمين سعيد، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٩٨).

٧٦ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٩٧).

٧٧ – (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى، أمين سعيد، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٩٥).

٧٨ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٤٠٢).

٧٩ – (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٢٦٦).

٨٠ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٤١٢).

٨١ – (المصدر نفسه، ص٤٠٢).

٨٢ – (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى، أمين سعيد،ير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٩٣).

٨٣ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٤٠٤).

٨٤ – (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص١٩٧).

٨٥ – (العلاقات السعودية اليمنية من خلال ما نشر فى جريدة المقطم المصرية، دكتور محمد سعيد الشعفى، الطبعة الأولى، ص١٦٢).

٨٦ – (المصدر نفسه، ص ١٧٦).

٨٧ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٤٢٣).

٨٨ – (اليمن تاريخه السياسى منذ استبقلاله فى القرن الثالث الهجرى، أمين سعيد، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٩٨).

٨٩ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٩٨).

٩٠ – (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٢٦٦).

٩١ – (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٤٧٥).

٩٢ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٤٠٨).

٩٣ – (المصدر نفسه، ص٤٠٦).

٩٤ – (المصدر نفسه، ص٤١٤).

٩٥ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٣٦).

٩٦ – (العلاقات السعودية اليمنية من خلال ما نُشر فى جريدة المقطم، الدكتور محمد سعيد الشعفى، الطبعة الأولى، ص٣٠٥).

٩٧ – (شبه الجزيرة العربية فى عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلى، الطبعة ٣، المجلد الثانى، ص٦١٢).

٩٨ – (نفس المصدر – ص ٦١٢).

٩٩ – (رياح التغيير فى اليمن، أحمد محمد الشامى، الطبعة الأولى، ص٢٤٣)، انظر كذلك (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، الطبعة الأولى،٢٢٢).

١٠٠ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٩٨).

١٠١ – (رياح التغيير، أحمد محمد الشامى، الطبعة الأولى، ص٢٤١ – ٢٤٢).

١٠٢ – (صحيفة المقطم، العدد ١٣٧٧٣، تاريخ ١٠ مايو ١٩٣٤م).

١٠٣ – (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، ٢٢٢).

١٠٤ – تكوين اليمن الحديث،الدكتور سيد مصطفى سالم،ص٣٨٣، الطبعة الرابعة).

١٠٥ – (تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، الدكتورة فتوح عبد المحسن الخترش، الطبعة الأولى، ص٢٢٨).

١٠٦ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٨٤).

١٠٧ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٥٧).

١٠٨ – (المصدر نفسه، ص١١٧).

١٠٩ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ١٥٨ – ١٦١).

١١٠ – (المصدر نفسه، ص ١٥٧).

(

١١١ – (المصدر نفسه، ص٣٠٧).

١١٢ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٢٧٣).

١١٣ – (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص٤٨٠).

١١٤ – . (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٥٧).

١١٥ – (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٤٧٢).

١١٦ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص١٦٣).

١١٧ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١١٧).

١١٨ – john Baldry, Alhudayda and the powers during the Saudi yemeni war. Arabian studies , vol v11(1982) pp 7- 34

١١٩ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٨٣).

١٢٠ – (من مذكرات تركى بن ماضى، الطبعة الأولى، ص١٧٥).

١٢١ – (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص٥٨١).

١٢٢ – (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٣٦٣).

١٢٣ – (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، ص٨٦).

١٢٤ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٦١).

١٢٥ – (جريدة المقطم، العدد ١٣٧٧٢، تاريخ ٨ مايو، سنة ١٩٣٤م).

١٢٦ – (تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، دكتورة فتوح عبد المحسن الخترش، الطبعة الأولى، ص٢٣١ – ٢٣٢).

١٢٧ – (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٢٢١).

١٢٨ – (تاريخ نجد، عبدالله فلبى، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٣٧٨).

١٢٩ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٦٢).

١٣٠ – (اليمن: الإنسان والحضارة، عبدالله عبد الوهاب الشماحى، ١٩٧٢، ص١٧٥).

١٣١ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٣٦).

١٣٢ – (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، ص٢٢٠).

١٣٣ – (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٢٢١).

١٣٤ – (العلاقات السعودية اليمنية من خلال ما يُنشر فى جريدة المقطم المصرية، الدكتور محمد سعيد الشعفى، الطبعة الأولى، ص٢٠٢).

١٣٥ – (جريدة المقطم، عدد ١٣٧٧٧، تاريخ ١٥ مايو، ١٩٣٤م).

١٣٦ – John Baldry , Al-Hudaydah and the Powers during the Saudi-yemeni War of 1934. Arabian studies , Vol v11 (1982) pp.7 - 34 & pp.20 - 21

١٣٧ – (المنار واليمن، الدكتور حسين بن عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص٥٨٧).

١٣٨ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص١٨٨).

١٣٩ – (العلاقات اليمنية السعودية، الدكتور عبدالله القباع، طبعة غام ١٩٩٢م، ص١٨٨).

١٤٠ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص٧٥٣).

١٤١ – (العلاقات اليمنية السعودية، الدكتور عبدالله القباع، طبعة عام ١٩٩٢م، ص١٨٨).

١٤٢ – (المصدر نفسه، ص١٩١).

١٤٣ – (المصدر نفسه، ص١٩٣).

١٤٤ – تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٤٦٩ – ٤٧٠).

١٤٥ – (المصدر نفسه، ص٤٩٠).

١٤٦ – (العلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عبدالله القباع،طبعة عام ١٩٩١م، ص١٩٠).

١٤٧ – (المنار واليمن، الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص٥٩٦).

١٤٨ – (العلاقات السعودية اليمنية، الدكتور عبدالله القباع، طبعة عام ١٩٩٢م، ص١٩٤ – ١٩٥).

١٤٩ – (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، ص٢٥٠).

١٥٠ – (الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلى، الطبعة الرابعة، ١٨٠).
١٥١ – (اليمن: الإنسان والحضارة، عبدالله الشماحى، ١٩٧٢م، ص ٢٠٢ – ٢٠٣).
١٥٢ – (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، ص٢٧٨).
١٥٣ – (مذكرات المقبلى، حسين محمد المقبلى، الطبعة الأولى، ص١٦٢).
١٥٤ – (اليمن: الإنسان والحضارة، عبدالله الشماحى، طبعة عام ١٩٧٢م، ص٢٣٥).
١٥٥ – (تكوين اليمن الحديث، دكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص٥٠١).
١٥٦ – (مذكرات المقبلى، حسين محمد المقبلى، الطبعة الأولى، ص١٩٠).
١٥٧ – (شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلى، الطبعة الثالثة، الجزء الرابع، ص١٣١٠).

الفصل الثانى عشر

جوانب من حياة الإمام يحيى

هناك الكثير من الجوانب الشخصية فى حياة الإمام يحيى،التى لم تأخذ طريقها إلى الإعلام والنشر؛بسبب التغييب المتعمّد لها خلال أكثرمن نصف قرن. فمنذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر إلى اليوم،ما أن يشم خصوم الإمام يحيى رائحة لأى منجز أو إيجابية كانت تُقال فى الإمام الشهيد، إلا التفواعليها بالتأويل السلبى، ليحولوا الإيجابية إلى عيوب.

فتغليبه لمصلحة الأمة بالصلح مع العثمانيين فى اتفاقية (دعان)،ما هو إلا ضعف واستكانة وانعدام طموح.وترشيحه للخلافة الإسلامية من قِبل رموز الفكر العربى والإسلامى بعد انهيار الدولة العثمانية، ما هو إلا انخداع بشخصيته. ورفضه للاتفاق مع الإنكليز إعلاء لدينه ووطنيته، ما هو إلاغباء وقِصرنظر. وعدم استئثاره وأسرته بالمال العام، ما هو إلا شحّ وبخل. وتسامحه المذهبى بتقريب أهل السنة واحترامهم،ما هو إلا خداع و تمثيل. وضربه بيد من حديد للمفسدين والانفصاليين الساعين إلى تشظى البلاد وانفلات أمنها، ماهو إلا قمع وعدوان على الشعب.وحرصه على الفضيلة بتشجيع الزواج المبكر، ما هو إلا إشغال للشعب بنفسه؛ كى لا يلتفتوا إليه. وإرساله للبعثات الدراسية إلى الخارج، ماهو إلا استثناء؛ بسبب الخجل من حكومات الدول العربية التى رأت المواطنين اليمنيين يرسلون أبناءهم على نفقتهم الخاصة. وسعيه لاستخراج النفط، ما هو إلا تآمر على اليمن مع أمريكا واليهود. وانضمام حكومته إلى المنظمات الدولية، ما هو إلا اضطرار وخشية من الملامة.

وبسبب أن الإمام يحيى نفسه لم يكن يؤمن بمتطلبات الدعاية وحملات العلاقات العامة، من باب حرمة الصرف من بيت مال المسلمين على الدعاية والإعلان لنفسه، كان حرصى على ألا أختتم هذاالكتاب، إلا وقد أفردت فصلاً كامل أُسجِّل فيه نبذة عن هذه الجوانب المشرقة المغيبة فى شخصية الإمام يحيى، والتى تم تحويرها من قِبل خصومه إلى سلبيات وعيوب؛ لعل القارئ بعد اطلاعه على هذه الجوانب يقف موقف المنصف بعد عقود خمسة من التزوير وقلب الحقائق،ومن تلك الجوانب أورد الآتى:

الدين والتقوى:

لم تكن مقولة هارولد جيكوب، المساعد الأول للمندوب السامى البريطانى فى عدن، تنبع من فراغ، حين قال: «إن هيام الإمام يحيى الوحيد المسيطر عليه، هو إحياء الإسلام.إن هذه الفكرة مُتسلّطة عليه تمامًا»[1]. فالنشأة الدينية البحتة التى نشأها الإمام يحيى فى كنفِ أبيه الإمام محمد المنصور،والتاريخ الدعوى السياسى لأسرته، المتجذِّر فى تربة اليمن لقرون متعددة على النهج الشرعى، كان له أكبرالأثر ولاشكَّ فى تشبُّع الإمام يحيى بالروح الدينية،وتمسُّكه

بالتقاليد الإسلامية القديمة. هذا الواقع هو الذى جعل للعقيدة الدينية المقام الأول فى اعتبارات الإمامَ يحيى، ومن ذلك تقيُّده بالشريعة الإسلامية بحذافيرها،وإهماله ماعداها من الشرائع والاجتهادات، سواء كان ذلك فى حياته الشخصية أم توجهاته السياسية.

لقد كان الهاجس الأكبرالذى يقضُّ مضجع الإمام يحيى يتمثل فى إنفاذ شرع الله، وحماية اليمن من السقوط فى يد المستعمر، والسعى لعدم التأثر برياح التغريب التى زعزعت العقيدة، وجرّت معظم بلاد الإسلام إلى ما هى عليه اليوم من مسخ،وتهجين،وإنسلاخ عن القيم الدينية،فى زمن تكالبت فيه قوى الغرب على الأمة الإسلامية: تجزأة، وتقطيعًا، وهدمًا لكل ما له صله بالهوية الإسلامية؛ لذلك لم يكن من الغرابة بمكان إن نجد الإمام يحيى فى ظلِّ هذه الأجواء أعمق فكرًا، وأبعد نظرًا من أن تستهويه سطحية الأفكار التى تدعو إلى الانفتاح الكامل وبشكل مفاجئ، دون الحذر والاتباع لسياسة التدرج، خاصة فى وطن متفرد بالاستقلال كاليمن.

إنه يُدقِّق، ويُمحِّص، ويُقلِّب الأمور، ويغوص إلى الأعماق،ولا يُقدِم على أى خطوة إلا بعد أن يحسب حساب كل شيء، ويزن نتائج كل شيء، حتى اتهمه خصومه باتباع سياسة القوقعة، والعزلة عن العالم الخارجي، وليت هؤلاء الخصوم كانوا يدركون خطورة العصر الاستعمارى الذى كان يعيش الإمام يحيى فى أوجُّه.

وتتمثل أعظم تجليات الدين والتقوى فى سيرة الإمام يحيى فى رفضه لكافة العروض البريطانية الذهبية،التى بذلوا فيها غاية ما يستطيعون لاستمالته إلى جانبهم، سواء خلال الحرب العالمية الأولى عند مواجهتهم للأتراك، أوبعد انتصارهم فى الحرب، ومن تلك العروض الذهبية، تعهّدهم بتقديم معدات عسكرية وذخائر سخية، فضلا عن تقديم مساعدة مالية تبلغ عشرة آلاف جنيه إسترلينى بصفة شهرية، مقابل فكّ ارتباطه مع الأتراك، والتحالف مع بريطانيا[٢].

إلا أن الإمام يحيى رفض كل تلك العروض فى الوقت الذى كان فى أمسِّ الحاجة لمثل هذه المبالغ؛ لحرج موقفه أمام قبائله التى ما فتئت تطالبه بالخروج على اتفاق (دعان) مع الأتراك؛ لعدم وفائهم بتعهداتهم المالية التى بذلوها فى هذا الاتفاق،ولكن حمية الإمام يحيى الدينية أبت إلا أن يقف إلى جانب إخوانه فى العقيدة، رافضًا طعنهم فى الظهر،وهم يصارعون المستعمر الإنكليزى أثناء الحرب العالمية الأولى. ويحتسب الإمام يحيى الأجر عند الله،وهو يرى الكثيرمن رجال عصبيته ينفضُّون من حوله متجهين نحو خصمه الإدريسى فى تهامة؛ لما كان يملكه من ذهب بريطانى.

276 *Records of Yemen*

2

(1) Territorial guarantees for the future.

(2) £.10,000 a month for an indefinite period.

(3) Large assistance in war material.

Before considering these proposals it is advisable to set forth the advantages we look to obtain from an alliance with the Imam and his active participation with us and other Arab chiefs against the Turks.

These are:-

(a) to establish our prestige in South Western Arabia and to clear up the unsatisfactory situation in the Aden Hinterland

(b) to counter a claim by the Turks, based on the principle of self-determination of peoples, to a continuance of their nominal dominion in the Yemen. Such a claim may be difficult to refute at a Peace Conference if the Imam is still in alliance with the Ottoman Government.

(c) to facilitate the creation of an agreement, or a modus vivendi, between our Allies, the King of the Hedjaz and the Idrissi of Asir, and the Zeidi ruler of the Yemen, which can solidify the political conditions of Western Arabia and secure local governments on good terms with their neighbours and well disposed to us.

(d) to establish such relations with the Imam as will enable us to assist in the economic development of his country and will give guarantees against interference by any other Power in the political affairs of the Yemen.

It might also be possible, and politically advan--tageous, to obtain from the Imam a formal recognition of the priority of King Husein. The Imamic envoy's remarks in this connection to Lieutenant-Colonel Jacob are of considerable interest.

وثيقة من وثائق الأرشيف البريطاني عن اليمن، في المجلد السادس، صفحة ٢٧٦، مؤرخة بتاريخ ٢٨ يونيو من عام ١٩١٨م، تُوضِّح العروض البريطانية المغرية الموجهة للإمام يحيى، مقابل فكّ ارتباطه بالأتراك، والتحالف مع بريطانياالعظمى خلال الحرب العالمية الأولى.

0104/4402.

Head Quarters, Aden Field Force.

26th February, 1919.

No. 902 -(G.S.-I.)

From,

The General Officer Commanding,
Aden Field Force.

To,

The Secretary,
War Office, London, S.W.

Sir,

With reference to your cablegram No. 75302-cipher -M.I. dated 17th February, 1919, I have the honour to report as follows:-

(1). The Turkish troops lately occupying ASIR and the YEMEN were the 21st Division and 7th Army Corps (39th and 40th Divisions) respectively (see pp 162 and 150, Handbook of Turkish Army, 6th Provisional Edition, 1915).

The distribution of the 7th Army Corps given in my No. 1030/25-(G.I.), dated 11th October, 1918, has, in the light of subsequent information, proved accurate except that the numbers shown in the LAHEJ area and also at SANAA were somewhat underestimated. The bulk of the 21st Division was located at EBHA with a detachment of some 350 men at KUNFIDA.

I attach a statement showing the details of numbers who have surrendered up to date. As far as our information goes some 1700, mainly from SANAA and SAADA, have still to come in. They are believed to be en route and their surrender has been promised by the middle of March.

(2). The only communications existing in the YEMEN and ASIR are the ordinary country tracks, which are, except for a few marches on the HODEIDA - SANAA road, suitable for pack transport only.

In the YEMEN a fairly complete telegraph system linked up the Head Quarters at SANAA with the principal towns LAHEJ, HODEIDA, SHAIKH SAAD, ZAHRA.

There appears to have been little means of communication between the garrisons of ASIR and the YEMEN. General MOHIUDDIN PASHA, Governor and Commander-in-Chief of the troops in ASIR was entirely independent of the civil and military authorities at SANAA, and we received no indication of any co-operation between the two forces while operations were in progress.

(3). The Turks were entirely dependent on the country for all supplies, and though, owing to the blockade, there was a great scarcity of imported articles, especially clothing, the question of supplies does not have appeared to have caused them much inconvenience.

A large quantity of ammunition existed prior to the war and a factory established in SANAA supplemented this to some extent. At the time of their surrender the troops were adequately supplied in this respect.

(4). Their relations with the Arabs have been on the whole friendly except in the north TIHAMA, where the tribes under the IDRISSI influence have been engaged in open hostilities against the Turks for the past two years.

The IMAM, who wields the chief power in the YEMEN, gave them active assistance with supplies and money during the war; and other tribes, except for occasional resistance to tax collecting parties, were mainly passive. The relations between the Turks and ASIR tribes other than the IDRISSI on the southern border have been entirely friendly.

When -

وثيقة من وثائق الأرشيف البريطاني عن اليمن، في المجلد السادس، صفحة ٤٠٧، مؤرخة بتاريخ ٢٦ فبراير من عام ١٩١٩م، توضِّح مساعدة الإمام يحيى للأتراك خلال الحرب العالمية الأولى بالأموال والأرزاق.

ولم يقتصر موقف الإمام يحيى على الاصطفاف المعنوى مع إخوانه الأتراك، بل إنه بدلاً من ان يأخذ منهم الأموال، كما نصَّت اتفاقية (دعان)، فإننا وجدناه يُمدُّهم بالأموال والمؤن لأكثر من أربعين شهرًا، في هذا الظرف العصيب[٣]، حيث انقطع عنهم المدد بسبب الحصار البريطاني الذى أحكم حصاره البحرى على جميع الموانئ والثغور الإسلامية التى سيطروا عليها فى الحرب العالمية الأولى[٤].

وحتى بعد أن هُزم الأتراك فى الحرب العالمية الأولى، وبدأت بريطانيا فى الضغط على كل أمراءالعرب فى الجزيرة العربية وخارجها، لتسليم كل من لديهم من أتراك إلى بريطانيا كأسرى، بمقتضى هدنة مندروس التى أنهت الحرب فى عام ١٨١٨، إلا أن الإمام يحيى رفض تسليمهم، والتزم بالإنفاق عليهم، إلى أن عادوا سالمين إلى ديارهم[٥].

ومن العروض البريطانية الذهبية الأخرى التى رفضها الإمام يحيى، مسجلاً برفضه موقفًا تاريخيًّا مُشرِّفًا، أثبت فيه أن الرغبة فى بناء أمجاد شخصية وجاهٍ، لم يكن يُحرِّكه بقدر ما كان يُحرّكه الرغبة فى الحفاظ على الدين، يتمثَّل ذلك فى العرض البريطانى المتعلِّق بتوسيع رقعة سلطانه إلى الضعف، بإطلاق يده فى محميات الجنوب، وإجبار كافة السلاطين على الدخول فى طاعته، مقابل التسليم بوجود الإنكليزفى عدن، إلا أن الإمام يحيى رفض ثانية هذا العرض البريطانى، قاذفًا بطموحه وراء ظهره؛ لأنه ببساطة كان يتعارض مع قناعاته الدينية التى تشبَّع بها[٦].

لقد عاب البعض على الامام يحيى موقفه من رفضه لذلك العرض الذهبى، معتبرين ذلك الموقف العظيم قمة فى السذاجة السياسية، فكيف يُحرِم اليمن ونفسه من هذه الفرصة الذهبية، التى لو اقتنصها لاتسعت رقعة سلطانه، ولدفعته إلى الحظوة والصفوف الأمامية على مسرح العلاقات الدولية، وما درى هؤلاء العائبون أن موقف الإمام يحيى ما هو إلا وسام يُفخَرُ به، فالإمام يحيى لم يكن من الذين يشترون المجد السياسى على حساب آخرتهم، فالمُلك والبهرجة التى تُرضى غرورالحكام، لم تكن هدفه، بقدر ما كان الهدف الأول والأخير خدمة الدين، وإلا كنا وجدناه قد اختصر الطريق على نفسه، وتحالف مع الإنكليز الذين كانوا - قطعًا - سيُفضّلونه على غيره؛ لما يملكه من عراقة ورصيد تاريخى يضرب جذوره فى أعماق التاريخ لأكثر من ألف ومائة عام، منذ دخول جده الإمام الهادى يحيى بن الحسين إلى اليمن، قادمًا من الحجاز فى عام ٢٨٤هـ.

وفى داخل اليمن، لحرص الإمام يحيى على سيادة الدين فى كل مناحى الحياة، وجدناه يلتفت لأمور قد يجدها بعضهم صغيرة فى معناها، إلا أنها كانت كبيرة فى عمقها، ومنها أن من أعظم المرشّحات للتوظيف لدى الدولة فى عهد الإمام يحيى، كان يتمثّل فى الالتزام الدينى لدى المرشحين[٧]. ومنها بعث الإمام يحيى للأعداد الكثيرة من الدعاة وأئمة المساجد وأشباههم إلى جميع مناطق البلاد، ليُعلِّموا الناس الصلاة، وليُشجِّعوا الشباب العزّاب على الزواج بمهر لا يتعدّى سبعة ريالات، وشاتين، وكسوة[٨]، وهذا كله كان ينطلق من رغبة الإمام يحيى فى نشر قيم الفضيلة، ومحاربة الرذيلة فى المجتمع.

وفى سياق التدين والخوف من الله، أسوق للقارئ شهادات لكثير من خصوم الامام يحى، بما فى ذلك الإنكليز، والحقُّ ما شهدت به الأعداء، فها هو هو العميد محمد على الأكوع، الذى اشترك فى انقلاب عام ١٩٤٨م، يقول: «كان متدينًا، سهل الحجاب، يقابل الرعايا أمام منزله بباب قبة المتوكل فى الشارع صباح كل يوم لمدة ساعة»[٩]، ويضيف قائلاً: «كان مستقيمًا، لم يُذكر عنه أى تجاوز للسلوك الحسن، وأنه لم يتخلّف عن صلاة الجمعة فى الجامع الكبير إلا للضرورة القصوى، حتى فى أخريات أيامه، وقد أصابه الشلل النصفى، ومع ذلك فإن مؤذنه الشمسى، وحاجبه الريمى، كانا يحملانه من العربة التى تجرّها الخيل إلى داخل الجامع الكبير»[١٠].

وها هو هارولد جيكوب، المساعد الأول للمندوب السامى البريطانى يقول: «إن الإمام يحيى رجل لايهاب، ولاتأخذه فى الله لومة لائم، وقد يكون غير قادر على مباراة القوى الأجنبية ومنافستها، ولكنَّ لديه اعتمادًا كليًّا على الله، وتمسكًا بحبله»[١١].

وهاهو معاون والى عدن، هارولد إنجرامز يقول: «يتمثّل فى الإمام يحيى عدد من الصفات، منها أنه كان تقيًّا، ملتزمًا بقواعد الدين، تحوطه قداسة دينية تعود إلى النبى محمد»[١٢]، لذا لم يكن من المستغرب بعد كل هذه الشهادات من شخصيات إنكليزية رسمية، أن تُؤكِّد كافة الوثائق البريطانية على أن من الأسباب الرئيسة فى ولاء الشعب اليمنى للإمام يحيى، هو تقواه الذى جعل الناس يخلصون له، ويُغضون الطرف عن سلبياته[١٣].

العزة والشموخ:

كانت مواقف الامام يحى الغير المهادنة تُمثِّل حجر الزاوية فى علاقته مع القوى الكبرى الطامعة فى اليمن، سواء العثمانيين أو الغرب الاستعمارى، فلغة تخاطب الإمام

يحيى مع هذه القوى كانت قائمة على الاعتزاز والثقة بالنفس، وأسلوب التواصل كان قائمًا على التكافؤ والندية البعيد عن الخنوع والتبعية. فخلال صراع الإمام يحيى مع العثمانيين كان أقرانه من الحكام العرب يدهشون من نزول السلطان العثماني عند رأيه، وسرعة الرد على رسائله(١٤). وخلال صراعه مع بريطانيا، كان أصلب حكام العرب، ولايكاد الإنكليز يفهمون موقفه فى التفاوض معهم(١٥).

أما إذا تأملنا مجمل المعاهدات والاتفاقات التى أبرمها الإمام يحيى مع سائر الدول الكبرى منذ توليه الحكم، إلى أن توفاه الله، فسوف نجد أنها كانت اتفاقيات مشرفة لليمن وللمواطن اليمنى، لا نجد فيها ثغرة واحدة تتعلّق بتقديم تنازلات تنتقص من سيادة اليمن، أوعزته وكرامته، أوتوريط لليمن فى معاهدات غير متكافئة، أو تفريط فى ذرة واحدة من تراب الوطن، حتى فى أقسى الظروف والضغوط القاهرة التى واجهها الإمام يحيى لتسوية حدوده الشمالية والجنوبية، وجدناه يخرج بحصيلة معاهدات تحفظ للبلاد وللأجيال القادمة حقوقها القانونية.

والأمر الآخر الذى يجدر بنا لفت النظر إليه فى مضمار المعاهدات هو: أن هذه المعاهدات أُبرمت جميعها باعتماد اللغة العربية كمرجع وحيد للاحتكام؛ تفاديًا من الوقوع فى الشراك والمكائد الغربية، خلافًا لحال معظم البلاد العربية التى فرضت عليها بريطانيا وفرنسا مرجعية النسخة الأجنبية فى المعاهدات والاتفاقيات المعقودة معها. وفى هذا السياق يُعلِّق المندوب السامى البريطانى فى عدن، الكولونيل رايلى، على الإمام يحيى بقوله: «منذ البداية توصّلت إلى اليقين أن الإمام لا يمكن أن يوافق على الالتزام باتفاقية معتمدة بلغة أجنبية، فحرصه وطبيعة شكوكه، يجعل من المستحيل عليه أن يقوم بذلك، ولا حتى يمكن أن يتأثربالدعوى التى تقول: إن كثيرًا من الحكام العرب قد قاموا بهذه الخطوة.(١٦) أما إذا تأملنا سياسة الإمام يحيى عند انقضاء أجل الاتفاقيات المعقودة بينه وبين الدول الكبرى، فسوف نجد أنها لم تكن تُجدَّد تلقائيا، بل كان يبذل الإمام يحيى الجهد الكبير فى المراجعة والمطاولة؛ للتأكد من توظيفها بشكل مدروس ومبرمج بأهداف سياسية مرسومة، لخدمة اليمن واستقلاله(١٧).

ذلك الحرص، وذلك التجلد الذى أبداه الإمام يحيى وهو يتعاطى سياسيًا مع الدول الكبرى، هو الذى جعل اليمن فى عهده يحتلُّ مركزًا مرموقًا بين الأمم على الساحة الدولية،

فى الوقت الذى كانت فيه الدول العربية فى معظمها مجرد كيانات جغرافية بلا وزن، أشبه ما تكون ببيادق فى رقعة الشطرنج الإنكليزية والفرنسية. وفى هذا السياق، يقول الكاتب البريطانى أريك ماكرو فى كتابه (اليمن والغرب)، واصفًا علو شأن اليمن وهيبة جانبه فى عهد الإمام يحيى: «إن الدول الكبرى الرئيسة فى زمان الإمام يحيى، وهى إيطاليا، وفرنسا، وألمانيا، واليابان، وروسيا منذ العشرينات، ومرورًا بالثلاثينيات، وانتهاء بالأربعينيات من القرن الماضى؛ كانت تتسابق لكسب ودِّ الإمام يحيى ورضاه»[١٨].

وبقراءة تاريخ الإمام يحيى،نجد أن كافة الأجانب الغربيين المقيمين فى اليمن، كانوا يخضعون لقانون البلاد، والمحاكم الوطنية التى تُحكم بالشريعة الإسلامية، ولم يكن فى قاموس الإمام يحيى منح أى امتيازات أو حقوق خاصة لهم، بخلاف ما كان شائعًا فى كافة بلاد العرب فى ذلك الزمان، الذى لم يكن يخضع فيه الغربى لقانون البلاد، إذا ما ارتكب جرمًا يُحاسب عليه القانون،وفى هذا السياق يُعبِّر الرحالة نزيه مؤيد العظم عن مشاهداته قائلا: «صادف مرة ان ضرب أحد الرعايا الطليان فى صنعاء غلامًا صغيرًا، فألقى القبض عليه، وسيق إلى المحكمة الشرعية، فحكمت عليه بالسجن ثمانية أيام، وبالطرد من البلاد، كما أن المحكمة حكمت على أحد معاونى الدكتور الطليانى فى صنعاء، وهو إيطالى الجنسية، حبشى الأصل، بالجلد والطرد من البلاد؛ لأنه شُوهد فى حالة سكر شديد وهو مسلم»[١٩].

أما عن الأنفة والكبرياء، والاعتزاز بالكرامة الوطنية فى تعامل الإمام يحيى مع بريطانيا العظمى بالذات، ففى مقابل اللهاث والتسابق الذى أبداه مجايلى الإمام يحيى من الحكام العرب لكسب الود البريطانى، والحرص على الحج إلى عاصمتهم لندن؛ لنيل الرضى التام، نجد أن الآية وقد انعكست تمامًا لدى الإمام يحيى،الذى كانت تلهث وراءه بريطانيا العظمى، وتتمنى أن يأذن لمثليها بزيارته فى صنعاء؛لاحتوائه وجذبه إلى ناحيتهم، وبخاصة لشعورهم بأنهم لم يكونوا فى يوم من الأيام أصحاب فضل عليه فى الوصول إلى السلطة.

وبالرغم من سياسة الترغيب والترهيب التى اتبعها الإنكليزمع الإمام يحيى على مدار ثلاثين عامًا، لجرِّه إلى صفهم؛ نجد أن مساعيهم مُنِيَت بالفشل، ولم تلقَ النجاح بسبب رفض الإمام لسياساتهم فى القهر والتطويع، والتبعية التى أرادوا فرضها على اليمن.وقد

أثار هذا العناد والشمم والكبرياء الذى أبداه الإمام يحيى تجاه الإنكليز حفيظتهم، ودفعهم إلى التساؤل وهم فى قمة السطوة، ونشوة الانتصار بعد الحرب العالمية الأولى: كيف يجرؤ يحيى حميد الدين على رفض التبعية والتطويع بهذا الإصرار والتماسك؟! وكيف يمكن له إن يتحدّى بريطانيا العظمى بهذه الثقة والروح الشامخة الوثابة؟! وما وجدت بريطانيا من سبيل للانتقام من الإمام يحيى بعد ثلاثين عامًا من المحاولات معه، سوى التخطيط لإزاحته بالقتل!

وكما سعى الإنكليز للانتقام من الكثير من القادة المسلمين والمناضلين العرب الأحرار بنهش لحومهم، وتصفيتهم جسديا ومحاولة محو أى أثر ايجابى لهم؛ لأنهم كانوا مشاغبين ومشاكسين، وضعوا أنفسهم فى مواقف التحدى للسياسة البريطانية فى المنطقة، مثل السلطان عبد الحميد الذى وجهوا له من التهم أشكالاً والواناً، أقلها الرجعية والإستبداد والطغيان، وسلطوا عليه يهود الدونمة * لوقوفه بالمرصاد للمخططات البريطانية الهادفة لتمزيق الرابطة الدينية بين الشعوب الإسلامية، ولدعوته للجامعة الإسلامية التى ستجدد الدماء فى أوصال الإمبرطورية العثمانية، ولرفضه تقديم أى امتيازات لليهود فى فلسطين، ومثل الملك غازى فى العراق الذى دبروا له حادث سيارة فى بغداد لقتله بعد أن استعصى على التطويع، والملك طلال فى الأردن الذى سجنوه فى إقامة جبرية فى اسطنبول بعد أن اتهموه بالجنون بعد أن رفض أن يسلس القياد، ومفتى فلسطين، الشيخ أمين الحسينى، الذى تكالبوا عليه وحاصروه، واغتالوه معنويًا بتهمة مناصرة النازية بسبب وقوفه لمخططات الإنكليز فى فلسطين بالمرصاد، والمناضل الحر رشيد عالى الكيلانى، الذى حاولوا قتله قبل أن يتمكّن من الفرار من العراق بسبب محاولاته تخليص وطنه من سيطرة الإنكليز، كان لزامًا على الإنكليز أن يقوموا بالدور نفسه مع الإمام يحيى، فى إطلاق الأقلام المسعورة التى كانت تدور فى فلكهم؛ لتشويه سمعته، ونهش لحمه؛ بهدف اماتة ذكره ومحو أى أثر إيجابى له فى التاريخ.

وأسوق للقارئ تعليقًا للكولونيل رايلى، المعتمد السامى البريطانى فى عدن، يُعبِّر فيه عن طبيعة الامام يحى فى الاعتداد بنفسه فى مواجهة الانكليز وطبيعة النظرة الإنكليزية

---

* جماعة من الأتراك المنحدرين من ولاية سالونيك الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية، وقد ساهموا فى تقويض الدولة العثمانية عبر اندساسهم فى حزب الإتحاد والترقى الذى كانت تدعمه بريطانيا لمبادئه الداعية إلى تمزيق الرابطة الإسلامية واستبدالها بالرابطة القومية الطورانية.

تجاهه، بعدما فشلوا فى جره إلى صفهم، حيث يقول: «قد تكون بريطانيا قد أضفت احترامًا للإمام يحيى زائدًا عن اللزوم، وهذا ما جعله يُبالغ فى نظرته إلى نفسه كشخص بالغ الأهمية، معدًّا أن مطالباته بالمحميات سوف يعترف بها، إن استمر بهذا النهج»(٢٠).

أما عن نظرة المناضلين الأحرار والقادة الوطنيين العرب للإمام يحيى، فمما لا يدركه الكثيرون أن الإمام يحيى كان قد جذب أنظارهم إليه، لمواقفه الشامخة غير المهادنة، سواء من خلال مواجهاته مع الأتراك الذين قاتلهم بموارده الذاتية، مستغنيًا عن المدد الإنكليزى، أو من خلال مواجهاته مع الإنجليز الذين قاتلهم وحده، معتمدًا على الله، والمجاهدين من رجاله، دون أن يكون له ظهر يحميه، فمثل هذه المواقف وجد فيها المناضلون العرب الأحرار مصدر إلهام لنضالهم الوطنى، واستنشقوا فيها نسيم العزة الإسلامية فى زمن الانكسار والركوع والانحناء للغرب الاستعمارى، الذى بسط سلطانه على امتداد العالم الإسلامى.

ولقد بلغت نظرة الإعجاب بالإمام يحيى إلى درجة أن الدعوات بدأت تتوالى عليه من رموز الفكر الإسلامى، لتقلُّد منصب الخلافة الإسلامية، بعد سقوط الدولة العثمانية؛ لأنه كان يُعبِّر عما كان يعتلج فى ضمير العالم الإسلامى من التبرم، ومن هؤلاء الذين رشّحوه لتولى منصب الخلافة، محمد رشيد رضا، صاحب المنار، الذى وجَّه رسالة للإمام يحيى فى صنعاء يدعوه فيها لتولى الخلافة الإسلامية، وبعد وفاة رشيد رضا فى عام ١٩٣٥م، أعاد مرشد الإخوان المسلمين، حسن البنا الدعوة للإمام يحيى، لتحمُّل أمر الأمة الإسلامية، مرجحًا إياه لتولى الخلافة؛ بسبب انتمائه إلى العترة المحمدية، وعدائيته للاستعمار، إلى جانب تفوقه فى علمى الفقه واللغة(٢١). وإضافة إلى محمد رشيد رضا وحسن البنا، وجدنا المفكر والمجاهد الوطنى التونسى، عبد العزيز الثعالبى، وهو أحد أقطاب الحركة الوطنية التونسية المناهضة للاستعمار الفرنسى(٢٢)، يدعو أيضًا الإمام يحيى لتولى الخلافة بقوله: «لا يوجد اليوم قطر عربى يستطيع الإنسان أن يدعى استقلاله غير اليمن، فهو أولى بانتحال الرئاسة والزعامة من بقية البلاد الأخرى، وفوق ذلك، فإمامه من صفوة قريش، وقد انتهت إليه الرئاسة فى العلم، فمن يليق دونه للخلافة؟ وأى قطر يصلح للقيام بأعبائها العظيمة غير اليمن، فهى البلاد الوحيدة الخارجة عن مناطق النفوذ، ولا يتحكَّم فيها أجنبى»(٢٣).

أما عن ترشيح قادة العرب وغيرهم من المناضلين الأحرار للإمام يحيى، لقيادة الأمة العربية

نحو الوحدة والتحرر، فأُسلِّط الضوء على دعوة ياسين الهاشمى، وهو من رؤساء الوزارة العراقية، الذى أعدَّ اليمن تحت قيادة الإمام يحيى، قاعدة النضال العربى ومنطلقها؛ لأنها أول دولة عربية استقلَّت[٢٤]، إضافة إلى دعوات قادة الأحزاب القومية فى مصرو الشام والعراق، الذين دعوا الإمام يحيى لأن يُؤدى دور الزعامة داخل الحركة القومية العربية[٢٥]. والسؤال الذى يطرح نفسه هو، هل كانت هذه الدعوات تنبع من فراغ، أم أن لشرف مواقف الإمام يحيى الجهادية والوطنية الدور الأكبر فى إطلاقها؟

العلم وسعة الأفق:

يقول الأديب أمين الريحانى: إنك لا تجد فى ملوك العرب من هو أعلم من الإمام يحيى فى الأصول الثلاثة: الدين، والفقه، واللغة، ولا من هو أكبر اجتهادًا، وأغزر مادة منه، وله ذوق فى الشعر والأدب، فيقضى بعض أوقاته فى المطالعة، بل هو الشاعر الوحيد فى حكام العرب جميعًا[٢٦].

أما مؤرخ اليمن، عبدالله البردونى، فيُعلِّق على علم الإمام يحيى وثقافته بقوله: «بفضل موسوعية الإمام يحيى الثقافية، انتعشت الثقافة القديمة، وتفتَّحت بالثقافة المستحدثة، فنبع فى ظلِّه رعيل مثقف، فكان لثقافته أثر عظيم فى الرخاء الثقافى، ووفرة الأعلام المتفوقين»[٢٧]. ويضيف البردونى قائلاً: «كانت مجالس الإمام يحيى تشبه من الناحية الأدبية مجالس الوزير المهلبى فى بغداد، وسيف الدولة فى حلب، وكافور الإخشيدى فى مصر، والرشيد فى بغداد. فإذا نظرنا إلى يتيمة الدهر للثعالبى أو غيرها، فسوف نلاحظ أن كل ما كان يدور فى مجالس الخلفاء والوزراء، هو قراءة الشعر، ونقاش اللغة، والأنساب، والأسمار، وهذا ما كان يحفل به مجلس الإمام يحيى»[٢٨].

أما هارولد جيكوب، المستشرق والمستشار الأول للمندوب السامى البريطانى فى عدن، فيقول: «لا ريب أن الأسلوب العربى فى خطابات الإمام يحيى رفيع وجذاب، وهو أكثر فصاحة من أى ملك أو سيد عربى آخر، فهو بحقٍّ سيد اللغة»[٢٩].

ولم يقتصر علم الإمام يحيى وثقافته واطلاعه على العلم الشرعى ومسائل التراث، بل تعدَّى إلى غير ذلك من علوم العصر والسياسة، ومجريات الأحداث، والتحديات فى العالم، حيث يُعبِّر مؤرخ اليمن، عبدالله الشماحى عن ذلك بقوله: «إن الإمام يحيى واسع الاطلاع، لا تقف معرفته عند العلوم الزيدية والإسلامية والأدبية، وإنما اجتازها إلى علوم الطبيعة

والفلسفة، وجانب من علوم عصره»[٣٠]. ويتطرّق أمين الريحانى إلى إطلاع الإمام يحيى على آخر مستجدات السياسة وتطوراتها فى الساحة الدولية، فيقول: «يسأل الإمام يحيى عن إيرلندا،وهل حازت على استقلالها؟ ويسأل عن لويد جورج،وهل يخلفه فى الوزارة كرزن؟ ويسأل عن زغلول باشا، أين هو الآن؟ ويسأل هل عُقدت المعاهدة بين مصطفى كمال أتاتورك والفرنسيين؟»[٣١].

ويتناول عبدالله البردونى باع الإمام يحيى فى السياسة بقوله: «لقد اعترف معاصرو الإمام يحيى من أصحاب الرأى بتفوقه العلمى والسياسى، وأدهشهم أكثر دهاؤه السياسى فى المناورة»[٣٢]، هذه الشهادات فى علم الإمام يحيى، وسعة ثقافته، واطلاعه على مجريات الأمور فى العالم، لم تنبع من فراغ، بقدر ما نبعت من إنكبابه على العلم، والاطلاع لأكثر من ثلاثين عامًا، منذ أن كان صبيًا، حتى قُبض والده إلى جوار ربه[٣٣].

وفى مضمار سعة الأفق، نجد للإمام يحيى مواقف تجعله يُضارع أعظم رجالات السياسة فى الشرق، ومنها أنه كان أول الحكام العرب، ممن بادر إلى التواصل مع الرئيس الأمريكى ويدرو ويلسون، صاحب الفضل فى قيام عصبة الأمم المتحدة،وصاحب مبدأ حماية استقلال الشعوب، الذى أثار اهتمام الإمام يحيى منذ توليه الحكم،إلى درجة أنه بعث له خطابًا فى عام ١٩١٨م يناشده فيه باسم الإنسانية، المساعدةعلى استقلال العرب، بما فيهم اليمن[٣٤].

ومنها أنه كان أول الحكام العرب، ممن بادر إلى مدِّ جسور التحالف مع اليابان؛ استجابة لصرخة إمبرطور اليابان من أن الشرق للشرقيين؛ مما أثار اهتمام الإمام يحيى وحفَّزه على الاستعانة باليابانيين فى محاولة إنهاض بلاده؛ خلافًا لمواقف باقى الحكام العرب بلا استثناء، الذين تحت ضغط الانكليز ناصبوا اليابان العداء باعلانهم الحرب عليها خلال الحرب العالمية الثانية. ومنها أنه كان أول الحكام العرب، ممن أدرك فائدة وضرورة عقد الاتفاقيات مع الاتحاد السوفياتى، الذى نظر إليه الإمام يحيى بقدر كبير من الأمل والثقة؛ لمساعدة بلاده على تجاوز المحدقات البريطانية، فكان أول من اعترف بالاتحاد السوفياتى الشيوعى، وأقام معه علاقات تعاهدية وتجارية فى عام ١٩٢٨م، بعد أن بعث ببرقية إلى لينين يقول فيها: «نعترف بدولتكم، ولكم دينكم ولى دينى»[٣٥].

وكان هذا يعدُّ ضربًا من الكفر أو الجنون فى عرف المفكرين وأصحاب الرأى فى عالمنا العربى والإسلامى فى ذلك الزمان، الذى لم يجرؤ فيه حاكم عربى واحد، حتى لمجرد

التفكير فى الاعتراف بالحكم الشيوعى، ناهيك عن عقد معاهدة معهم[٣٦]؛ ولهذا وجدنا الدبلماسى إستاخوف إنكارين، رئيس الجانب السوفياتى، الذى وقَّع اتفاقية صنعاء مع اليمن فى عام ١٩٢٨م، يُعلِّق على شخصية الإمام يحيى فى مذكراته بعد عقده الإتفاقية بقوله: «أتعجَّب من هذا الإنسان الذى قضى كل حياته فى جبال اليمن وصحاريها، والذى لم يكن ولو مرة واحدة، ليس خارج اليمن فقط، بل وحتى فى تهامة، هذا الإنسان الذى لم ير البحر فى حياته، ويتضح مدى فهمه لأعقد مشكلات السياسة الدولية، إلى درجة أنه يراودنى الشعور بين وقت وآخر وأنا فى حضرته ولكأننى طالب معهد يقدم امتحانًا فى مبادئ السياسة»[٣٧]. ويضيف إستاخوف بقوله: «وها هى النتيجة،خليفة النبى، ورأس أقدم سلالة ملكية فى العالم، يعدُّ فى تصور أتباعه أنه يُمثِّل الزعيم الروحى لعامة المسلمين؛ قد وصل إلى إدراك فائدة عقد الاتفاقيات وضرورتها مع ممثلى أول بلد اشتراكى فى العالم، الواقع فى طرف نصف الكرة الأرضية الآخر»[٣٨].

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل تفاعل الإمام يحيى الإيجابى مع الفضاء الدولى بتوظيف المنافسات بين القوى الرئيسة فى العالم، يدلُّ على الجمود؟ وهل ريادته وفاعلية تصوراته فى شبك العلاقات مع الدول الكبرى المعادية لبريطانيا، تشى بالقوقعة والانغلاق؟ وهل تمرُّسه فى فنِّ المناورة ولعبة التوازن السياسى فى بحر السياسة الدولية المتلاطم، الممتلئ بالأقطاب المتصارعين؛ يُعبِّر عن ضيق للأفق؟ وهل تواؤمه مع المتناقضات، وتعاونه السياسى مع المحظورات، يُعبِّر عن ضمور فى التفكير، أم أن كل تلك المعطيات تدلُّ على تفوُّق شخصى، وبُعد نظر، وسعة أفق خارقة للعادة لمن عاش فى مثل بيئته وظروفه،التى لم تتح له الخروج من اليمن، أو رؤية البحر ولو لمرة واحدة فى حياته؟ والحقيقة أنه لمجرد أن الإمام يحيى كان ينطلق من رؤية شرعية، ولمجرد أنه كان واضحًا فى أهدافه،ملتزمًا بدينه، متجنبا للوقوع فى مطبات إستراتيجية،حريصا على تلافى سقوط اليمن فى شراك الغرب المستعمر؛ ألصقت به الافتراءات من قِبل خصومه بقولهم: إنه كان جامدًا، ضيق الأفق، متقوقعًا، منغلقًا، صاحب ضمور فى التفكير.

الزهد والتواضع:

لم يعش الإمام يحيى فى ترف أو بحبوحة من العيش، حيث كان أول من طبَّق شعار التقشف على نفسه وأسرته؛ لأنه كان يدرك أن التاريخ لم يعرف دولة تأسست على يد قيادة

مترفة؛ لذلك وجدناه يعيش حياته وأسرته أقرب إلى البساطة فى العيش،على نهج الصحابة وأسلافه من أئمة آل البيت، ليكون قدوة لشعبه فى زمن التأسيس، والظروف الاستعمارية التى كانت تتطلَّب شدًّا على الأحزمة؛ لمواجهة المحتلين الإنكليز لنصف اليمن.

وعندما نتحدَّث عن زهد الإمام يحيى، نقصد بذلك تركه لكل ملاذ الدنيا وزخارفها، التى من شأنها الضرر بآخرته، وتساميه عن الأهواء والشهوات التى تجرح فى عدالته وقدوته للمجتمع، ولا نقصد بالزهد اللامبالاة بشؤون الدنيا ومتطاباتها، من العيش الكريم،أو التحريم لزينة الله، التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق. فالإمام يحيى رغم علو شرفه، ورفعة مقامه، كان يعدُّ واحدًا من أواسط الناس فى مأكله، ومشربه، ومسكنه، ومركبه بدون إسراف ولا تقتير، بل كان يعيش فى الحدِّ الأدنى لمقومات العيش الكريم، بعيدًا كل البعد عن بهرجة الملك وزخرفها.

وهذا الكلام لا أقوله رجمًا بالغيب، بل يستند إلى شهادات الكثير من الرحالة العرب والأجانب، الذين وفدوا إلى اليمن، ومنهم أمين الريحانى، الذى سجَّل ملاحظاته عند تشرُّفه بمقابلة الإمام يحيى أثناء زيارته لليمن فى العشرينيات من القرن الماضى، حيث أدهشه أسلوب معيشته الذى يدنو من التقشف، وقارن بينه وبين بعض وزرائه المسؤولين قائلا: «لم أشاهد فى طريقنا إليه، لا فى الرواق، ولا فى الدرج، ولا عند الباب شيئًا من تلك الأبهة العسكرية المصنوعة، التى شاهدناها فى ماويه وذمار»[٣٩] حيث قابل أمين الريحانى هناك عبدالله الوزير فى ذمار، وصنوه ابن عمه فى ماوية[٤٠].

أما الرحالة الألمانى هانز هولفريتز، فيصف مقر الإمام يحيى بدهشة، بعدما تشرَّف بزيارته، ورأى الزهد والبعد عن البهرجة والأبهة والترف، حيث يقول: «عبرت سلسلة متلاحقة من الأروقة إلى غرفة الإمام، وقد أدهشنى ما رأيته من ندرة الأثاث فى بلاطه، حيث لم أجد على النوافذ أية ستائر، أو أى مظاهر للترف، ويبدو أن الإمام لا يهتم بالظواهر الخارجية. كان مظهر الإمام فى هذه الغرفة العارية مؤثرًا كل التأثير، أما عن ملابسه، فلم تكن تختلف فى شيء عن ملابس رعاياه»[٤١].

هذه الشهادات المحايدة عن زهد الإمام يحيى، وابتعاده عن زخارف الحياة، تُفنِّد قصة مهمة التبست فى أذهان العامة، بعد أن روَّجها خصوم الإمام يحيى زوراً وبهتانًا، فى محاولة منهم للنيل من نزاهته، بتصويره وكأنه شخص متهافت على العيش المترف وإقتناء القصور، ولو على حساب مواطنيه ومصالحهم العامة.

هذه القصة تبدأ عند أول دخول للإمام يحيى إلى صنعاء من مقره فى شهارة، وبعد توقيعه اتفاقًا للصلح مع العثمانيين، حيث لم يكن لديه مقر مناسب للحكم، فاستقر فى دار القاضى حسين بن على العمرى، متخذًا إياها مقرًّا مؤقتًا لحكومته[٤٢]، إلى أن قرَّر الانتقال إلى مبنى وجده مناسبًا، كان قد بناه الأتراك كمستشفى قبل توليه للحكم، فهيأ جزءًا من هذا المبنى للسكن، وأضاف إليه أجزاء أخرى اتخذها مقرًّا للحكم.

وكعادة الخصوم فى التجسيم والتهويل، والتعلّق بأدنى شبهة، أثاروا لغطًا كبيرًا حول اتخاذ الإمام يحيى هذا المبنى مقرًّا له، أسماه المقام الشريف، وألصقوا بالإمام يحيى تهمة تحويل مستشفى يتعالج فيه الناس، إلى قصر له ولأسرته، إلا أنه من السهل جدًّا كشف زيف هذه التهمة، خاصة أن سيرة الإمام يحيى الحافلة بالزهد لم تكن يوما فى موضع الريبة مما يُضفى عليه حصانة من الشائعات المغرضة كافة؛ فكيف يجتمع الزهد مع الرغبة فى اقتناء القصور؟! لذلك دعونا نُحلِّل هذه القصة، استنادًا إلى ما فى أيدينا من الشهادات، وأولها شهادة مؤرخ اليمن، عبدالله البردونى، حيث كتب يقول: «إن الإمام يحيى حوَّل القصور التركية إلى مدارس، ومياتم، ودور ضيافة، ودوائر حكومية، فمثلاً تحوَّلت دار الوالى بشرارة إلى المدرسة العلمية، كما تحوّل قصر القائم مقام إلى دار ضيافة، وأصبحت دار الحكم مصنعًا للنسيج، كما بات منتدى الضباط الأتراك ميتمًا يتعلَّم فيه أيتام الشهداء، وسائر الأيتام الفقراء[٤٣].

ومن ثَمَّ فإن اتهام الإمام يحيى بتحويل المستشفى الذى بناه الأتراك إلى قصر خاص له، لا ينسجم مع الواقع الذى ذكره البردونى عن تحويل الإمام يحيى القصور التركية إلى مبانٍ للمصالح العامة. والأمر الآخر الذى نستند إليه، لتفنيد هذه التهمة، هو كتابات الشخصيات الأجنبية المحايدة، المنتمية إلى جنسيات مختلفة، والتى زارت اليمن فى عهد الإمام يحيى، وسردت حقائق فى مذكراتها على نحو أقرب إلى الواقع، بعيدًا عن التشويه المتعمد الذى جبل عليه خصوم الإمام يحيى. فبتحليل ما كتبه هؤلاء الأجانب عن هذا القصر، سوف نتمكّن من استجلاء حقيقة هذه الشبهة التى التبست على الكثير من الناس؛ لأن هؤلاء الأجانب لم يخرجوا خبر تحويل هذا المبنى إلى مقر للحكم عن سياقه التاريخى، بخلاف خصوم الإمام الذين اكتفوا بسرد الجانب الذى يريدونه من هذا الخبر، وكتمان الجانب الذى لا يريدونه؛ للتدليس على الناس، ولتوضيح حقيقة الجانب المكتوم من هذه

القصة التى تحاشى أعداء الإمام ذكرها؛ ليتسنى لهم تشويه الحقيقة، أورد ما ذكره الرحالة الألمانى هانز هو لفرتز فى مذكراته، حيث يقول: «أما القصر، فقد بناه الأتراك العثمانيون فى البداية على ان يكون مستشفى، ثم غدا مقرًّا للوالى التركى»[٤٤].

أما إستاخوف إنكارين، رئيس الوفد الروسى، الذى استقر فى اليمن، وكان قريب عهد بدخول الإمام يحيى إلى صنعاء، فلقد كتب فى مذكراته عن موضوع القصر بقوله: «إن الإمام يحيى اتخذ من مسكن الوالى التركى السابق مسكنًا شخصيًّا له، ومقرًّا لحكومته»[٤٥]. وتوضِّح هذه الشهادات أن هذا المبنى كان قد بُنى فعلاً فى عهد الأتراك ليكون مستشفى، إلا أن الوالى العثمانى، هو من حوَّل جزءًا منه إلى مقر للحكم، وليس الإمام يحيى، الذى لم يكن له من برَكَة، سوى الانتقال إليه للسكن، بعد أن تم تحويله من مستشفى متكامل إلى مقر للحكم من قِبل الوالى التركى أيام الحكم العثمانى. وبمجرد أن انتقل الإمام يحيى إلى هذا القصر، أمر بإعادة العمل فى المستشفى البلدى والعسكرى الذى كان قد سبق للأتراك إنشائه[٤٦]، ثم أمر بتأسيس مستشفى جديد فى صنعاء يديره أطباء إيطاليين[٤٧]، وتبع ذلك تأسيس مستشفيات جديدة فى كل من تعز والحديدة[٤٨]. وبهذه الحقائق الموثقة التى ذكرها المؤرخ البردونى، والرحالة الألمانى، والدبلماسى السوفياتى والتى تتناقض مع ما روَّجه أعداء الإمام يحيى، سوف تنجلى شبهة قصر الحكم من أذهان الناس، وتسقط من الاعتماد.

وللاستزادة فى مسألة زهد الإمام يحيى بالقصور وأبهة الحكم، أستشهد بما هو أهم وأعظم من ذلك كله، وهو موقفه من مسألة الخلافة الإسلامية التى شغلت المسلمين فى العقود الأربعة الأولى من القرن الماضى، بعد سقوط الدولة العثمانية، حيث رشحته الكثير من الجهات لتولى الخلافة، بما فى ذلك الإخوان المسلمون، الذين تآمروا على قتله[٤٩]، لكنه أدرك بحسه الثاقب كيف أن بريطانيا كانت تُمنِّى الكثير من الحكام العرب بالزعامة على العرب والمسلمين، وتستكثر منهم المرشحين لتولى منصب الخلافة الإسلامية؛ لكى يتنازعوا فيما بينهم. فرشحت بريطانيا الشريف الحسين بن على بن عون، عندما كان مايزال حاكمًا للحجاز، ورشَّحت ابن سعود أيام كان سلطانًا على نجد، ودغدغت مشاعر ملك أفغانستان[٥٠]، وتم تلفيق نسب علوى للملك فاروق عبر دعاتها لركوب الموجة[٥١]؛ مما جعل الإمام يحيى يعتذر من وحى المصلحة العامة للأمة، رافضًا كافة الدعوات لتولى هذا المنصب؛ لأن الدعوة للخلافة عُنونت فى ذلك الحين بعنوان الضرار.

وقد خاطب الإمام يحيى ضيفه المناضل التونسى الثعالبى، عندما قدم إلى اليمن، موضحًا له موقفه من مسألة الترشيح للخلافة بقوله: «وماذا سيستفيد اليمن إذا أضيف إلى اسمى لقب جديد، وإذا لقبنى الناس بإمام المسلمين بدل إمام اليمن؟ وأنا إلى الآن لم أستطع جمع ما تفرَّق من أجزاء بلادى، ولا ضمان ثغورها ضد كل طارق يأتيها من الخارج، وهى معرضة لأخطار كثيرة»[٥٢]. فالأولوية لدى الإمام يحيى فى ذلك المفصل التاريخى، كانت فى جمع شتات المسلمين فى القطر الذى يحكمه، ولم تكن تُسيّره طموحات السلطة، ولا أوهام الزعامة التى اُبتلى بها الكثير من الحكام فى عالمنا العربى.

ومن التجليات الأخرى للزهد فى شخصية الإمام يحيى، ديدنه فى الابتعاد عن دائرة الأضواء، وعزوفه عن حب الظهور وهوس الشهرة، فلم يكن من ذلك النوع من الرجال الذين يهتمون بالدعاية لأنفسهم، أو يفكِّرون بشراء ألسن الصحفيين وذمم وولاءات الكتاب؛ لنشر مدائحهم فيه، أو يلتفتون إلى ما يُنشر عنه من حملات تشويه ممنهجة فى الصحف الدائرة فى فلك أعدائه، معتبرًا ذلك من القشور التى لا تستحق أن يُلقى لها بالاً، أو يُضيِّعُ لها وقتًا[٥٣].

ويعبر جواب الإمام يحيى للرحالة السورى نزيه مؤيد العظم عن هذه الحقيقة، بعد أن حاول إقناعه بشراء ألسن الصحفيين العرب، حيث ردَّ عليه الإمام يحيى قائلاً: «أنا لا تهمنى هذه الأمور أبدًا، ولا أعتنى بالدعايات، ولا أرغب فى شراء لسان أحد، فاللسان الذى يكيل المديح بالدراهم، يكيل القدح إذا انقطعت الدراهم، فلا خير فى المدح والقدح متى كانا بالدراهم»[٥٤]. ولعل سجيته فى الابتعاد عن الإعلام، ورفضه لشراء ألسن الصحفيين، كانت أحد أسباب اتهام خصومه له بالبخل والتقتير الشديد، مع أن الواقع يقول بأنه لم يكن يستجيز شرعًا الصرف من بيت مال المسلمين، إلا على ما يُحقِّق النفع للبلاد والعباد والإسلام.

ومع أن الساحة الإعلامية فُرِّغت تمامًا لصالح أعدائه، الذين بذلوا الكثير من الأموال لغمزه ولمزه، وتشويه سمعته، وإلصاق كل نقيصة به، والسخرية منه لدى الصحافة العربية المحسوبة على بريطانيا؛ إلا أن كل ذلك لم يُحرِّك فيه ساكنًا، للذود عن نفسه؛ لأن قلبه كان متعلقًا بالآخرة، ويحتسب الأجر عند الله - سبحانه وتعالى.

أما عن التواضع، وخفض الجناح، والقرب من الناس، فيقول أمين الريحانى عن شخصية الإمام يحيى: «رأيت حضرة الإمام وهو يجلس ساعة وساعتين كل يوم، دون

تأفُّف وتذمر، فيسمع شكاوى الناس واعيًا، صابرًا، طلق المُحيا، عطوفًا، شفيقًا، فيقضى بينهم فى بعضها، ويُحيل بعضها الآخر على المحكمة الشرعية. أما القصد من الجلوس فى الفلاة، فيدلُّ رغبة الإمام الشديدة فى تعميم العدل والإنصاف». ويضيف الريحانى قائلاً: «إنما هى عادته كل يوم صباحًا، عندما يخرج من قصره إلى الديوان، يجلس فى الساحة عند الباب، أو تحت الشجرة فى الحوش، ويقف وراءه جندى حاملاً السيف، وآخر إلى جنبه حاملاً المظلة، فيفتتح الجلسة التى تستمر من الساعة إلى الساعتين»(٥٥).

وفى هذا السياق يقول عنه المؤرخ اليمنى عبدالله الشماحى: «ليس بينه وبين الجماهير صعوبة حجاب، تاركًا المشايخ والأعيان بعيدين عن الوساطة بينه وبين الجماهير المرتبطين به ارتباط عقيدة مرفقة بالمهابة والاحترام، وفى وسع كل واحد أن يرى الإمام ظُهر كل يوم، يؤدى الصلاة فى أحد المساجد مع المواطنين، يبثون إليه شكواهم، ويرفعون مظالمهم، ويقدمون مطالبهم»(٥٦).

أما مؤرخ اليمن وشاعرها عبدالله البردونى، فيتساءل عن سبب تنزيه الشعب اليمنى للإمام يحيى إلى درجة التقديس، ويقول: «لماذا تغلغل هذا التقديس أو التنزيه؟» ويجيب: «لعل الاتصال المباشر بين القمة والشعب، كان أحد الأسباب، فكلما قابل الإمام فردًا أو أفرادًا من أى منطقة سألهم عن أحوالهم، وعن السنوات الخصبة، وعن صحة المرضى، كما كان يترحَّم على الأموات بأسمائهم؛ ولهذا كانوا يتيمنون بدعائه، وبتقديم النذور إليه، كما عدُّوا ذلك التساؤل الإمامى ذروة الاهتمام بالفلاحين، وحقولهم، ومواشيهم، والمسنين منهم»(٥٧).

ويضيف البردونى متحدثًا عن زهد الإمام يحيى وتواضعه بقوله: «أما مركب الإمام يحيى، فيكفى أن نُسلِّط الضوء على تحرُّكات الإمام يحيى فى عموم مناطق اليمن لأكثر من ثلاثين عامًا بدون أية حراسة، سوى عسكرى واحد كان يرافقه، واسمه ابن قلالة، حيث كان يسير وحيدًا فى سيارته بدون حراسات أو مواكب(٥٨)، فيما عدا موكب يوم الجمعة، الذى أصبح تقليدًا لرمزيته الإسلامية فى ذهاب الإمام لأداء الصلاة الجامعة مع رعيته، وهو راكب فى عربة تجرها الخيل»(٥٩).

وحتى الأجانب الغربيون الذين وفدوا إلى اليمن، يوافقون على ما وثَّقه المؤرخون اليمنيون والعرب، كالشماحى، والبردونى، والريحانى فى كتاباتهم عن تواضع الإمام

يحيى، وخفض جناحه للناس، فها هو مهندس التعدين الأمريكي تشالز كرين، الذى زار الإمام يحيى وسجّل ملاحظاته، يقول: «شاهدت الإمام يحيى يذهب يوميًّا إلى أحد الأماكن العامة دون حارس أو تابع من الجند، فيصرف فيه نحو ساعة، وقد يكون منفردًا تحت أشعة الشمس،ولايرافقه إلا رجل بمظلته الشمسية،حيث يستمع الدعاوى، وينظر فى المعروضات المرفوعة إليه»(٦٠).

وقد استغل قتلة الإمام يحيى ثغرة عزوفه عن أبهة المواكب والحراسات، فنسجوا مؤامرة لقتله، بأن اقتنصوا فرصة ركوبه على سيارة منفردة مع اثنين من مرافقيه، ودبروا التقطع له فى منطقة سواد حزيز، مع رئيس وزرائه القاضى العمرى، وحفيده الحسين ذا الست سنوات، حتى إذا وصل إلى هناك صبُّوا عليه ومرافقيه وابلاً من الرصاص، أودى بحياتهم جميعًا فى شهر فبراير من عام ٤٨(٦١).

ولتبرير جريمتهم البشعة فى قتل الإمام يحيى، افتروا عليه بالقول فى كتبهم أنه استحق القتل؛ لأنه كان طاغية وجبارًا متكبرًا. وإمعانًا فى التزييف والتضليل، وجدنا أحد المتآمرين، من أسرة الوزير، وهو أحمد بن محمد الوزير،يكتب فى أحد مؤلفاته بأن الإمام يحيى كان يتشدق بالقول امام الناس: إنه الدهر يرفع من يشاء، ويخفض من يشاء(٦٢).

ولمن يريد أن يرى الحقيقة المجردة كما هى، وليس كما يحلو لقتلة الإمام يحيى أن يصوروها، وباعتبار أن شهادتى مجروحة عمومًا فى أبناء الوزير،فسوف أكتفى بعرض شهادات موثقة لشخصيات محسوبة على القتلة أنفسهم؛ لتبيان حقيقة من هو المتعالى والمتكبر فعلاً، هل هو الإمام يحيى الضحية المظلوم،أم قتلته الذين اغتالوه بدم بارد، وافتروا عليه بالتزوير والأكاذيب؟ وللقارئ الحكم فى هذه المسألة، وأبدأ بما ورد على لسان أحمد محمد نعمان، الذى مع كونه أحد شركاء آل الوزير فى مؤامرة عام ١٩٤٨م، إلا أنه لم يجد بُدًّا من القول فى مذكراته، بأنهم كانوا متكبرين وظلمة، وأن الإمام يحيى وأولاده، كانوا أكثر خيرًا وتواضعًا منهم(٦٣).

أما حسين المقبلى، الذى كان أيضًا شريكًا لآل الوزير فى مؤامرة عام ١٩٤٨م، فلقد أكَّد فى مذكراته أن الإمام يحيى وأسرته، وإن كانوا خصومًا له، إلا أنهم كانوا ألين عريكة، وأكثر قربًا من الناس، مقارنة بآل الوزير(٦٤).

أما الأديب والكاتب أحمد محمد الشامى، فمع أنه كان من الأثيرين، ومن أخلص الأصدقاء لآل الوزير، وممن اشترك معهم فى مؤامرة عام ١٩٤٨م، إلا أنه لم يتمكَّن من

نفى تهمة الكبر والتعالى التى طبعت شخصية على بن عبدالله الوزير، رئيس وزراء الحركة الانقلابية، فحاول أن يُخفِّف من غلوائها بالقول: إنه كان مشهورًا بأنفته وتشامخه؛ مما جعل الناس يتهمونه بالكبرياء[٦٥].

وإذا أضفنا إلى الشهادات المذكورة آنفًا شهادات أخرى لشخصيات أجنبية محايدة، لا ناقة لها ولا جمل فى الافتراء، فسوف تكتمل الصورة فى أذهاننا، وتتضح الحقيقة بجلاء، فها هو مستشار الملك عبد العزيز، الشيخ تركى بن ماضى، يصف فى مذكراته قائد الحركة الانقلابية عبدالله الوزير، بعد أن عايشه لعدة سنوات خلال المفاوضات بين اليمن والسعودية حول الحدود بقوله: «كان رجلاً، متغطرسًا، متكبرًا، سيئ الخلق»[٦٦].

حتى أمين الريحانى، لم يجد بُدًّا من تسجيل أول انطباعاته فى كتابه ملوك العرب عن على بن عبدالله الوزير، رئيس وزراء الحركة الانقلابية، بعدما شدَّ انتباهه وخطف بصره الانتفاخ الملحوظ الذى كان يبديه على الوزير، والتكلف المصطنع الذى كان يحيط به، فقال عنه الريحانى: إنه صافحه وهو جالس، ولكأنه أحد ملوك اليمن فى الزمن الغابر[٦٧]. ناهيك عن تعليق امين الريحانى على الأبهة التى رآها وهى تحيط بإبن عمه عبدالله الوزير فى مدينة ماوية كما وثقت ذلك فى بداية هذا الفصل والتى قال انه لم يجد مثلها فى بلاط الامام يحى.

ولمن ما زال لديه شك فى وقوع قتلة الإمام يحيى من أبناء الوزير فريسة لنرجسية الغرور والشعور بالعظمة، أنصحه بقراءة كتبهم؛ للاستدلال على هذه الحقيقة، ومنها كتاب حياة الأمير، لمؤلفه أحمد بن محمد الوزير، الذى يعدُّ وثيقة تاريخية تُوضِّح بجلاء المعاناة السيكلوجية التى يعيشها هؤلاء فى الإحساس المتضخم بالأهمية، ومنها ما ذكره الكاتب من أن على عبدالله الوزير، رئيس وزراء الانقلاب، كان يوجه الملك عبد العزيز ويملى عليه الإرشادات فى كيفية إدارة وتصحيح بعض أوجه السياسة السعودية[٦٨]، وأن الملك عبد العزيز لفرط إعجابه بشخصية على عبدالله الوزير، عرض عليه بالتفاهم مع الإنكليز، تولى الملك، بارتقاء عرش جنوب اليمن[٦٩]، وأن على بن عبدالله الوزير،كانت تحميه كرامات من الله تحجب عن أعدائه الرؤية عند تصويب بنادقهم إليه بقصد قتله[٧٠]، وإن صهارة آل الوزير مع أسرة الإمام يحيى، ما تمت إلا بسبب العروض التى قدمها الإمام يحيى لأبناء الوزير لتزويجهم ببناته[٧١]. وما إلى ذلك من الترهات والتخاريف المضحكة التى تُعبِّر عن شخصية الكاتب.

وكذلك الإطلاع على كتاب مسيرة جهاد، لمؤلفه إبراهيم بن على الوزير، نجل رئيس وزراء انقلاب عام ٤٨، المعروف بأنه من أشد الحالمين إيغالا فى الخيال وأوهام الزعامة والتفخيم للذات، إلى درجة أن جعل من نفسه مادة دسمة بين اليمنيين للسخرية والتندر، ويستطيع كائن من كان التأكد من هذه الحقيقة بقراءة كتابه المذكور آنفا حيث نجده فى مشهد كوميدى يخاطب الأموات من رجال المعارضة فى كتابه، على سبيل التذكير لهم ببيعته التى بايعوه فيها بإمامة اليمن - حسب زعمه - حين كان ما يزال فى السابعة عشرة من عمره. وكى يعزز إبراهيم الوزير من دعاوى هذه البيعة المزعومة أمام القراء، وجدناه يُؤكِّد على أن رؤساء جمهورية اليمن السابقين، عبدالله السلال، وعبدالرحمن الإريانى، كانا من ضمن المبايعين له، بل وصلت به الطرفة المضحكة إلى درجة أن حرَّر فى كتابه نصَّ البيعة المقدسة غير الموجودة أصلاً إلا فى مخيلته، والتى تقول: «نبايعك إمامًا شرعيًّا على كتاب الله، وسنة رسوله، والالتزام بالميثاق المقدس، وعلى السمع والطاعة لك فى المنشط والمكره، وإلا فنحن خارجون من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته»(٧٢).

وليت أن إبراهيم الوزير وقف عند ذلك فى تصديقه لنفسه، بأنه قد أصبح إمامًا على المسلمين، بل جمح به الخيال إلى درجة أنه بدأ يُوزِّع بالتزامن مع صدور كتابه المذكور آنفًا بياناته ونشراته، إلى الملوك والرؤساء العرب الحاضرين فى أحد مؤتمرات القمة العربية، يدعوهم فيها للاسترشاد بمواعظه وحكمه التى سوف تُنير لهم الطريق، وتهديهم إلى سواء السبيل.

ومع توالى التعليقات الساخرة من قِبل الوجوه اليمنية الفكرية، والقبلية، والسياسية كافة تجاه أبناء الوزير، هل سيبقى هناك مجالا للاتهام بالتجنى أو الافتراء عليهم فى شعورهم المرضى بالعظمة وطبيعتهم فى إضفاء الهالة والهيلمان على أنفسهم، فها هو المفكر والأكاديمى البارز، الدكتور أبو بكر السقاف يقول عنهم: «إنهم يُفسِّرون تاريخ اليمن تفسيرًا عائليًّا بتصوير الحركة الوطنية فى اليمن منذ الثلاثينيات فى القرن الماضى، كما لو أنها نتاج عبقرية آل الوزير تأسيسًا فكريًّا وقيادة»(٧٣).

وها هو السياسى محمد عبدالله الفسيل، وهو ممن شارك فى انقلاب عام ١٩٤٨م، يُصرِّح بعدم ثقته بهم؛ لأنهم يُجسِّمون دورهم، ويصنعون من أنفسهم شيئًا كبيرًا، ويضرب الفسيل مثلا على ذلك بإبراهيم الوزير صاحب كتاب مسيرة جهاد المذكور آنفا، الذى يقول

عنه الفسيل بأنه جعل من نفسه ثائرا وانسانا خطيرا ينظم أكبر الأحزاب فى اليمن وعمره لا يتجاوز ١٣ عاما[٧٤]. وها هو اللواء محمد بن على الأكوع، الشريك فى انقلاب عام ٤٨ يعلق ساخرا على إفراطهم فى الإعتزاز بأنفسهم، بتصويرهم وكأنهم نزلوا من السماء مما حدى باليمنيين بحسب قول الأكوع التهكم عليهم بتلقيبهم بقناصلة السماء[٧٥]. وها هو الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر يكتب فى مذكراته قائلاً: «عندما وصل خبر استشهاد الإمام يحيى، وتولى عبدالله الوزير إلى أبى الشيخ حسين بن ناصر بن مبخوت الأحمر، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، إن بيت حميد الدين كانوا أشرفَ من آل الوزير»[٧٦].

أفبعد كل تلك الشهادات التى لم أنتحلها من تلقاء نفسى، وكل تلك المقاطع التى استخلصتها من كتبهم، ألا يحق للقارئ أن يتساءل الآن، من هو المتكبر والمتغطرس المصاب بالنرجسية وداء الشعور بالعظمة؟ واستسمح القارئ على الإطالة في الكتابة عن الطبيعة المرَضِية لقتلة الإمام يحيى من أبناء الوزير، فالمقام هنا ليس للإستعراض أو التهكم أو الذم، بقدر ما هو للتحليل والرصد؛ بهدف دفع الافتراءات التى رشقوا بها الإمام يحيى، ولولا ذلك لما سلّطت الضوء على تلك الجوانب المُضحِكة من سيرتهم.

النزاهة ونظافة الكف:

يقول مؤرخ اليمن فى العهد الجمهورى، القاضى عبدالله الشماحى: «لم يول الإمام يحيى الحكم والقضاء وجباية الأموال لقرابة أو محسوبية، بل يتخيَّر الأكفاء الذين يأمن طموحهم، ويعرف أنهم لا يتجاوزون حكم الظل التابع له، وكان ملتزمًا للمظاهر الدينية واليمنية، فلم يُر عابثًا، ولا لاهيًا، ولا مسرفًا فى المال والشهوات، بل قريبًا من المواطنين، مهتمًا بمشاكلهم، مسيطرًا على بطانته وجهاز حكومته، يرهبونه ولا يجدون منفذًا إلى الدالة عليه، وكان موهوبًا فى معرفة الرجال، واختيار من يخضع لنظريته، ويطبِّق خطته»[٧٧].

ويقول اديب اليمن وشاعرها عبدالله البردونى: إن الإمام يحيى كان تقشفيًّا على بيته وجيشه وموظفيه؛ لأنه كان يرى أن التقشف بعد الاستقلال أحصن لسيادة بلاده؛ لأن وراء كل عون خارجى نوايا مشبوهة[٧٨]. ويضيف البردونى قائلاً: «لم يأت نجاح الإمام يحيى من فراغ، بل من رقابته الشخصية الشديدة على العابثين بالأموال، فقد كان يرى كل مسؤول مالى نظرات الإمام تتسلَّل إلى جيوبه، وتخترق خزائنه، إلى جانب أنه كان يعيش كأحد موظفيه فى عيشه اليومى»[٧٩].

أما عن الشعراء، والمداحين، وطلاب العطايا، فيعبِّر البردونى عن تذمرهم وخيبة آمالهم من الإمام يحيى، الذى لم يمنحهم الهبات على مدحهم له، وهم يرون وجوب جائزة الأديب العطية السنية على كل امتداح؛ لأنهم اجتنوا من الأدب العربى، ومن التاريخ العام مئات الروايات عن مواسم المديح، وعطايا كل ملك لكل شاعر، وكانت مقادير العطايا بمثابة تقييم جودة القصيدة؛ لذلك كانوا ينتظرون من الإمام يحيى صرة من النقود، تفد من مقامه، كما كانت تفد من قصر هارون الرشيد، أو خالد البرمكى، أو سيف الدولة[٨٠].

ويقول الرحالة الألمانى هانزهولفريتز، الذى زار اليمن شارحًا مقاصد الإمام يحيى من سياسته المالية: «يعود شح الإمام يحيى إلى حاجته الماسة للدفاع عن نفسه ضد أعدائه، وتثبيت أقدامه داخل بلاده، فهو يعرف تمامًا أن المال عنصر أساسى لشنِّ الحروب، وهكذا فقد ظلَّ يُوفِّر المال سنة بعد سنة، إلى أن جمع كنزًا ضخمًا فى أقبية قصره، ليدفع منها أثمان ما يحتاج إليه من الخارج، وخصَّص معظم النفقات للأهداف الحربية، وللحصول على الأسلحة الحديثة التى يريد الإمام أن يُوفِّر المال للحصول عليها؛ ولهذا وجدناه لا يرغب فى توزيع المال على رعاياه، بل يرغب فى أن يعيش هؤلاء الرعايا حياة الاعتدال والتوفير»[٨١].

ويقول الرحالة أمين الريحانى فى كتابه ملوك العرب «كان الإمام يحى طماحًا يحلم حلمًا سياسيًّا باهرًا، ويعدُّ لتحقيقه العدات، ويجمع الأموال والذهب والفضة ويخزنها لذاك اليوم العظيم، وإن لعدن مرقدًا، ولا شك فى حلمه.

ويقول الدكتور سيد مصطفى سالم المتخصص فى تاريخ اليمن الحديث «أن الامام يحى من ناحيته كان لا يعتبر ظاهرة البخل التى اتُهِم بها تعيبه كثيرا أو قليلا، فهذه الأموال التى يكتنزها انما يحتفظ بها لليوم الكبير - كما كان يقول - وكان يفسر دائما هذا اليوم إنه يوم ارجاع حدود اليمن الى طبيعتها المعروفة»[٨٢].

ويقول إستاخوف إنكارين، الممثل للمصالح السوفياتية فى اليمن فى عهد الإمام يحيى: «وجد تفسير البخل المزعوم للإمام يحيى فى حذره الشديد أثناء دفعه النقود، بعد أن اقتنع من خلال تجربته مع الإيطاليين، أنهم مستعدون لخداعه فى كل خطوة، وتوزيع كل بضاعة رديئة بمبالغ ضخمة»[٨٣].

ومثل تلك الشهادات المذكورة آنفاً للشماحى، والبردونى، وهولفريتز، والريحانى وإنكارين، وسيد مصطفى سالم، ينبغى أن تكون محل دراسة وتحقيق؛ لمعرفة السر الذى

دفع بخصوص الإمام يحيى لاتهامه بالبخل، فطهارة يد الإمام يحيى وذمته فى محاربة الفساد المالى والإدارى، ووقوفه فى وجه المتنفذين من البطانة وأهل الرتب الذين كفَّ أياديهم عن النهب للمال العام، ورفضه توزيع الهبات والأعطيات غير المشروعة للشعراء والمداحين، وممانعته شراء ألسن الصحفيين، وضبطه لوجوه الإنفاق لتوفير الأموال للإعداد لما استطاع من قوة ومن رباط الخيل؛ لمواجهة بريطانيا المحتلة لنصف اليمن، وحذره الشديد عند دفع الأموال، حتى لا يقع فى شراك الخداع والبضائع الرديئة التى كانت تبيعه إيطاليا؛ كل ذلك أسخط الخاصة القريبين من دوائر القرار والسلطة،ودفعهم إلى اتهامه بالبخل.

ولعله من المناسب فى هذا السياق أن أورد تعليق الشيخ الداعية ابن عقيل الحضرمى، المعاصر للإمام يحيى، وهو من علماء حضرموت المعروفين بالتقوى، والخوف من الله، حيث يقول: «قال لى بعض من أتحاور معهم: إن الإمام يحيى يذكر عنه شُحٌّ غطى على كل محاسنه. فقلت له: هل قيل مثل هذه المقالة فى أحد ممن مضى؟ قال: نعم، قيل: فى الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقلت له: الأمر الذى لا شك فيه، أن صاحب الحق الخادم لمصالح العباد والبلاد، لايشوب عمله شىء من سافل الأغراض، وهكذا كان شأن الإمام على - عليه السلام - والإمام يحيى؛ فلذلك اقتصر الإمام يحيى على بذل المال لمستحقه، ووضعه فى محله، ومنعه عمن لا حق له؛ لأن الإمام يحيى كان يعمل لله وللدار الآخرة»(٨٤).

وصدق الشيخ ابن عقيل الحضرمى عندما قال: إن الإمام يحيى اقتصر على بذل المال لمستحقه، ومنعه عمن لا حقَّ له، فيا ليت شعرى، هل تستقيم تهمة البخل مع سخاوة يد الإمام يحيى فى صرف الأموال على الأيتام، الذين كفل منهم المئات، وأنفق عليهم من جيبه الخاص(٨٥)، حيث خصَّص لهم مدرسة سعتها سبعمائة يتيم، وفَّر لهم فيها كل ما يلزم من مأكل، ومشرب، وملبس، وهيئة تدريسية(٨٦).

وهل تستقيم تهمة البخل مع سخاوة يد الإمام يحيى فى صرف الأموال لشراء الطائرات والأسلحة الثقيلة من إيطاليا بتكلفة الملايين من الريالات الفضة بهدف تحصين البلاد؟(٨٧)، وهل تستقيم تهمة البخل مع حقيقة التزام الإمام يحيى بإمداد الجيش العثمانى وتمويله بقضه وقضيضه لفترة امتدت لأكثر من أربعين شهرًا، بعدما انقطعت بهم السبل، وهم

على ثغور اليمن في مواجهة بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى؛ مما كلَّف خزينة اليمن خسارة بلغت الملايين من الأموال؛ فى سبيل نصرة إخوانهم فى العقيدة(٨٨)؟

وهل يا ترى لو أن حكام اليمن فى العهد الجمهورى تبنوا نموذج الإمام يحيى فى البخل المزعوم،كنا قد رأينا الشعب اليمنى كما هو اليوم، يتلظَّى بنار الحاجة، وذلِّ الوقوف على أبواب المحسنين؟ وكنا رأينا الألوف من أطفال اليمن يستعطفون المارة فى الشوارع، ويستدرون شفقة السائقين على إشارات المرور فى مدن المملكة العربية السعودية، ليجودوا عليهم بالصدقات؟ وهل كنا رأينا الدولة اليمنية كما هى اليوم تقبع بجدارة فى ذيل قائمة الأمم الفقيرة في العالم، ومصنفة دوليًا على أنها من الدول الفاشلة بامتياز؟ وهل كنا وجدنا كل تلك المليارات المنهوبة المهربة إلى البنوك الخارجية، وأرصدة العسكر المتنفذين القائمين على السلطة في اليمن، الذين وصلوا إلى سدة الحكم وهم حفاة، لا يملكون قنطارًا واحدًا من مال أو نشب؟

يتضح مما سبق لكل من يملك ذرة من الإنصاف ما المقصود بكلمة البخل التى أُلصقت بالإمام يحيى، وما حقيقة الأسباب التى دفعت خصوم الإمام يحيى لاتهامه بهذه التهمة، فهم يريدون منه أن يدفن السيادة الوطنية، ويتنازل عن المشروع الوطنى الباهر الذى كان يحلم به لاسترداد جنوب الوطن من المحتل الإنكليزى، مقابل الترف والدعة فى العيش، ويريدون منه أيضا أن يغضَّ الطرف عن الفساد المالى والإدارى، ويفتح الباب على مصراعيه للسفه في تبديد الأموال،بتوزيعها على من لا يستحقُّ من الأخلاء، والشعراء، والمحاسيب، والأقرباء، تحت دعاوى الكرم، بدلاً من الحفاظ عليها ذخيرة فى بيت مال المسلمين، للصرف منها على ما يعود بالفائدة للمواطنين والمصلحة الوطنية العليا.

وللذين لا يدركون حقيقة حرص الإمام يحيى على فائدة المواطن فى اليمن، قبل حرصه على نفسه ومحاسيبه وأسرته، أُشير إلى ما أكَّده الرحالة الأديب اللبنانى أمين الريحانى، من أن بيت المال فى عهد الإمام يحيى كان يُقرض المواطنين المحتاجين بدون أى فائدة؛ لأن الإمام يحيى حرَّم الفائدة تحريمًا مطلقًا فى كافة المعاملات، وكافة عروض التجارة(٨٩).

وحسبنا فى هذا السياق أن نُشير إلى فائض الميزانية الذى وفَّره الإمام يحيى بعد استشهاده للأجيال القادمة فى اليمن، والذى بلغ أكثر من أربعمائة مليون ريال فضة، ورثها حكم العسكر فى اليمن عند قيام ثورة ٢٦ سبتمبر،فأين ذهبت هذه الأموال؟! وهل

صرفت فيما يعود بالفائدة على الشعب اليمنى، أم أن العسكر الذين دخلوا الدور الحكومية بعد قيام الثورة بددوها على الحروب والمؤامرات، ومصاريفهم الخاصة[٩٠]. ومع كلِّ تلك الأموال التى كانت مكدسة فى خزائن الدولة فى عهد الإمام يحيى، يكفى أن أُشير إلى حال أسرة الإمام يحى الإقتصادى، لا سيما حريمه، اللاتى كنَّ خلافًا للصورة المطبوعة فى الأذهان عن أسلوب الحياة المخملى المترف، الذى تعيشه كافة الأسر المالكة فى عالمنا المعاصر، حيث كنَّ يؤدين خدمة عامة للمجتمع اليمنى، بما يقمن به، ومن لديهن من الخدم والجوارى، بخياطة ملابس الجنود وأفراد الجيش، ومقابل عملهن هذا، فقد كان الإمام يحيى يدفع لكل واحدة منهن أجرًا على عملها[٩١]، ولعل هذا يجعلنا نشعر بالحنين إلى حياة الأوائل من أئمة آل البيت والصحابة والسلف الصالح، الذين لم يكن يدخل فى جوفهم شبهة درهم واحد من مال حرام.

وفى تعليق للرحالة الألمانى هانز هو لفريتز على عمل نساء القصر، والتى وجد فيها خصوم الإمام يحيى دليلاً آخر على شُحِّ الإمام يحيى على أسرته، يقول: «أنا لا أرى مطلقًا ما يُنسب إلى الإمام، وإنما أرى فيه إجراء عمليًّا سليمًا كل السلامة، فنساء القصر لا عمل لهن طيلة الوقت، وبدلاً من السآمة والملل، أوجد الإمام يحيى لنسائه عملاً يقطعن فيه أوقاتهن، وينفعن بنتائجه دولتهن، ولا ريب أن فكرته تقدمية، إذ قضت على المرأة أن تعمل فى خدمة الصالح العام، وهو أمر لا تعرفه بلاطات الشرق الأخرى، وجعلت من نساء القصر القدوة الصالحة لنساء دولتهن الفتية، التى يتعرَّض وجودها لتهديد دائم»[٩٢].

وحتى رجال العهد الجمهورى المنصفين فى اليمن، لم يجدوا من سبيل لإنكار حقائق تواضع معيشة الإمام يحيى وأفراد أسرته، الشبيهة فى بساطتها بحياة السلف الصالح، ولا استطاعوا حجب حقيقة نظافة كفِّ الإمام يحيى وذمته من الأموال الحرام، فها هو المقدم على قاسم المؤيد، من ضباط ثورة ١٩٦٢م، يكتب مقالاً خطيرًا نُشر فى مجلة الجيش، عدد سبتمبر سنة ١٩٧٦م، يُؤكِّد فيه أن الإمام يحيى ظُلم؛ لأنه خلافًا للصورة الكاذبة التى أشاعها خصومه والإعلام الثورى عنه، لم يكن يعيش وأسرته حياة ملؤها الترف والنعيم، ولم يتأثر فى نمط حياته بالملوك العرب، ولم يكن يمتلك أجود ممتلكات العصر، ولا يدخر لنفسه أفضل المدخرات.

أما طهر الذمة ونظافة الكفِّ التى أورثها الإمام يحيى لذريته، فتتجلَّى فى نزاهة خليفته الإمام أحمد وإخوته، الذين لم يستأثروا لأنفسهم بريال واحد من خزينة الدولة،

ولم يُعرف عنهم تهريب ريال واحد إلى الخارج، بالرغم من مئات الملايين من ريالات الفضة التى كانت مكدسة تحت إيديهم ونظرهم، دون حسيب أو رقيب. فها هو الإمام أحمد ابن الإمام يحيى حميد الدين يكتب فى وصيته أن كل ما يملك، تعود ملكيته لبيت مال المسلمين، وبموجب هذه الوصية تمكنَّت الحكومة الجمهورية بعد قيام الثورة من مصادرة مبلغ خمسة مليون جنيه إسترلينى، كانت عبارة عن هدية شخصية من الملك سعود بن عبد العزيز، موزعة فى حسابين فى بريطانيا وسويسرا. وأناشد عبر هذا الكتاب المسؤولين فى العهد الجديد، بعد سقوط على عبدالله صالح، إن كانوا حقًّا يملكون الحد الأدنى من الصدق والأمانة والمسؤولية التاريخية تجاه الشعب اليمنى، أن يُخرجوا وصية الإمام أحمد إلى الملأ، بدلاً من إخفائها فى الصناديق التى قد علتها الأتربة، لِيطّلِع عليها الشعب اليمنى المتعطش إلى معرفة الحقيقة.

أما عن أسرة الإمام يحيى، فها هى تعيش اليوم عيشة سعيدة فى سترٍ وعافية خارج اليمن، ولولا التزام الدولة السعودية الأدبى تجاههم؛ لقاسوا من الحرمان وشظف العيش، إلا أن الله - سبحانه وتعالى - أبى إلا أن يُتمَّ عليهم منته، ويُسبغ عليهم نعمته، التى وصلت إلى الجيل الرابع من ذرية الإمام يحيى؛ استجابة لطهارة كف جدهم الامام يحى وخيِّرية أعماله.

العدل والإنصاف:

لم يضيع حقٌّ مواطن قط فى عهد الإمام يحيى، حتى لو كان يهوديًّا، فالأحكام القضائية كانت تُنفَّذ على الكبير قبل الصغير، وشيخ القبيلة قبل المواطن. فالصرامة فى تطبيق الشرع، وحماية المواطنين من أى مُتسلِّط ظالم؛ كان من السمات الرئيسة لحكم الإمام يحيى، وفى هذا السياق يقول أمين الريحانى: «إن الإمام يحيى وإن كان الحاكم المطلق فى أمور الدين والدنيا، إلا أنه عادل، وفى إقامة الحق لا يميل ولا يُحابى»[٩٣].

وكان لليهود نصيب من العدل، فقد كانت حرمتهم كحرمة المواطنين المسلمين، فهم مواطنون يمنيون ذميون يعيشون تحت جناح دولة الإمام يحيى الملتزمة بأهداب الدين، ويدفعون ما كان يُسمَّى بالجزية، وهى ثلاثة ريالات فى السنة على الغنى، وريالين على المتوسط، وريال ونصف على الفقير[٩٤]. والإمام يحيى كان يقتدى فى هذا الشأن بالسيرة النبوية التى رعت الموادعين من اليهود والنصارى.

وفى سياق إنصاف المام يحيى لليهود، أستشهد بما كتبه نزيه مؤيد العظم عن حادثة حصلت له وهو فى اليمن، تُبيِّن لنا كيف كانت الحقوق مصانة للجميع، بما فى ذلك اليهود، حيث يقول: «أردت أن أُصوِّر ولدًا يهوديًا، فغضب أحد أولاد المسلمين، الذى كان مرافقًا لموكبى، وشتم اليهودى، فغضب اليهودى لهذه الإهانة، وقال لرفيقه المسلم: تعال معى نذهب إلى العامل، فاشكوك إليه، وهذا الغريب - وأشار إلىَّ - يشهد عليك، وإذا كنت شجاعًا حقًّا، فاعترف أمامه بهذه الشتيمة، فلم يجسر الولد المسلم أن ينبس ببنت شفة أمام هذا التهديد؛ لأن قانون اليمن الخاص بمعاملة أهل الذمة صارم جدًّا. وكلُّ من يشتم ذميًّا، أو يعتدى عليه يُسجن، ويُغرَّم بتقديم ذبيحة، إما بقرة، أو جمل، أو نعجة لتذبح وتُوزَّع على الفقراء. ويُعلّق نزيه العظم على هذه المشاهدة بقوله: يا حبذا لو كان اليهود الصهيونيون الذين أمُّوا فلسطين، يتخذون من هذه المعامله درسًا وعظة»(٩٥).

يظهر فى الصورة أحد التجار اليهود اليمنيين فى منزله حيث كان يعيش وطائفته تحت جناح الإمام يحى آمنين مطمئنين

أما إذا تأملنا ما كتبه سيف الدين سعيد، احد اعضاء البعثة العسكرية العراقية التى قدمت إلى اليمن فى عام ١٩٤٠م، عن عدالة الإمام يحيى فى تعامله مع اليهود، فسوف نصاب بالدهشة، حيث يقول: «إذا اعتدى أحد المسلمين على أى يهودى، صاح اليهودى على ملأ من الناس، وبأعلى صوته: أنا فى ذمة الإمام، وعندئذ يذهب اليهودى إلى حيث قرَّر أن يرفع شكواه لمقاضاة غريمه، وعلى هذا الغريم أن يُرافقه حتمًا من غير حاجة إلى شرطة ولا عساكر، ولن يستطيع المشتكى عليه أن يتخلَّف أو يتأخَّر عن حضور المحاكمة؛ لأنه إن فعل ذلك، جرَّد العامل مفرزة من العساكر العاملين تحت إمرته، فيذهب هؤلاء إلى دار المشتكى عليه، فيعسكرون قبالة داره يومًا أو يومين، يكون المشتكى عليه ملزمًا بإطعامهم وإسقائهم، وصرف يومياتهم حتى يحضر إلى المحاكمة[٩٦].

وفى حوار أجراه نزيه مؤيد العظم مع كبير اليهود فى اليمن، الحاخام يحيى إسحاق، أكَّد له الحاخام أن فى اليمن ١٥ مدرسة يهودية، و ١٩ كنيسًا يُمارسون فيها طقوسهم الدينية بحرية تامة، دون أى مضايقات؛ بفضل إنصاف الإمام يحيى لهم، ومنع جميع التعديات عليهم[٩٧] وللعلم فإن الإمام يحيى سمح لليهود بالتدريس فى مدارسهم الخاصة، وفقًا لمناهجهم كما يشاؤون، لا وفقًا لبرامج الحكومة[٩٨]، كما سمح لمن أراد منهم بالهجرة إلى فلسطين، ولم يصادر ممتلكاتهم، أو يُحرِّض عليهم الدهماء، كما حصل لليهود الذين هاجروا من كافة الدول العربية، بل سمح لهم ببيع ممتلكاتهم، انطلاقًا من موقف الشرع فى البر والقسط مع الموادعين من أهل الكتاب. ولموقف الإمام يحيى هذا فى العدل والإنسانية مع الذميين فى اليمن، سمعنا اتهامات مغرضة، روَّجها أعداء الإمام يحيى، تقول بأنه قبض ثمن هجرة اليهود اليمنيين إلى فلسطين من الوكالات العالمية الصهيونية، إلا أن هذه المزاعم المضحكة، ينبغى إحكام لغة العقل بشأنها، فكيف يحتكم فى العقل أن يرفض الإمام يحيى استلام الأموال من النصارى الإنكليز، عندما كان فى بداية حكمه، وهو لم يتعد بعد العقد الخامس من عمره، وفى أمسِّ الحاجة إلى الدعم المادى، ومقابل ذلك نجده كما ادعى أعداؤه يستلم الأموال من الصهاينة اليهود، وهو فى العقد التاسع من عمره، وميزانية دولته تنضح بالفوائض المالية.

أما عن حماية الإمام يحيى للمواطنين من تسلُّط المشايخ والمتنفذين، فأ ستشهد بالحوار الذى دار بين نزيه مؤيد العظم وأحد اليمنيين من عابرى السبيل، الذى قال لمؤيد العظم:

«نحن نُحبُّ الإمام؛ لأنه قوى وقادر أن يأخذ لنا حقنا من شيوخنا، إذا ساورتهم أنفسهم بالتعدى علينا. والضعيف والقوى، والغنى والفقير بعضهم مثل بعض، فهو لا يُفضِّل واحدًا من أجل ماله وجاهه، أو حسبه ونسبه، بل يسمع شكاية المظلوم، ولايهاب الظالم، بل يجازيه ويسجنه، ويقفه عند حدِّه مهما كان شأنه. وقد سأله نزيه مؤيد العظم عن علاقة المواطنين مع العمال والجند، فأجاب بقوله: إنه لاشغل للجند معنا، ما دمنا ندفع ما علينا من واجبات، ولانخالف شريعتنا. وأما العمال فأحيانًا يظلموننا، ويأخذون منا زيادة عن حقِّ بيت المال، ولكن الله يحفظ الإمام، فكل من يشكو أمره له، ينصفه حتى من العمال أنفسهم»(٩٩).

نخلص مما سبق، أن العدل والإنصاف كان القاعدة، والفساد والخطأ كان الاستثناء فى عهد الإمام يحيى، وغنى عن القول: إنه مهما بلغ العدل والإنصاف فى أى مجتمع كان على امتداد التاريخ، فإنه لن يخلو من بعض الحالات الشاذة التى لا حكم لها، والعبرة فى غلبة الخير، وفتح الأبواب على مصراعيها للمواطنين للتظلم والشكاية، إن شعروا بظلم أو إساءة لاستخدام سلطة. وقد أدرك الإمام يحيى أنه لبشريته، فإنه لن يتمكَّن من الإحاطة بكل الخفايا والتفاصيل اليومية فى جهاز دولته؛ لذلك لم يدِّخر وسعًا فى القضاء على المظالم، عن طريق الاتصال المباشر مع المواطنين، دون أى واسطة أو حجاب، فإن كان قد بقى حالات ظلم أو فساد لم يطفو إلى السطح، فالمسؤولية يتحمَّلها من لم يُبلِّغ عن تلك الحالات، وليس الإمام يحيى.

ويحضرنى فى هذا السياق قصة عاشها الرحالة نزيه مؤيد العظم، وهو حاضر فى مجلس الإمام يحيى، تُوضِّح هذه القصة قدسية الاتصال المباشر بين الإمام يحيى وشعبه، يقول العظم: «بينما كان الإمام يقرأ عرائض الناس وشكاويهم، ويحولها إلى مراجعها الإيجابية بخط يده، وإذا بغلام صغير ينادى بأعلى صوته: وامتوكلاه، وامتوكلاه، وكانت نبراته تدلُّ على الفزع والرعب، فنهض الإمام يحيى واقفًا عند سماعه لهذه الإغاثة، ونادى فى الحُجَّاب: علىَّ بالغلام، وما هى إلا لحظة حتى أتى الحاجب به، وطرح نفسه على أقدام الإمام، وهو يصيح: مظلوم يا أمير المؤمنين، ويحولون دون وصولى إليك، ورفع عريضة كان يحملها فى يده، فرفع الإمام الغلام من على الأرض، وأجلسه أمامه، وقرأ عريضته، وحوَّلها إلى مرجعها الإيجابى، ونادى الإمام بالحاجب: أن احضروا الحارس الذى منع

هذا الغلام من الوصول إلىَّ، فأحضروه فى الحال، فأمر الإمام يحيى بجلده أمام رفاقه وسجنه، فجُلد فورًا، وسيق إلى السجن فى الحال»[١٠٠].

وللعلم، فإن أمر المحاسبة الشديدة والمساءلة لم يقتصر على صغار موظفى الدولة، مثل الحاجب المذكور آنفًا، بل انسحب إلى أفراد أسرته وكبار رجال دولته، ممن كانوا يشغلون مناصب رفيعة، ومنهم أولاده الذين لم يسلموا من التحقيق والمساءلة، ولم يجاملهم الإمام قط فى حقوق الناس، فها هو ابنه سيف الإسلام على، الذى كان متوليًّا لأحد المناصب الرسمية فى الدولة، عندما لم يتمكَّن من تبيان مصارف بعض المبالغ التى كانت فى عهدته، يأمر الإمام يحيى بسجنه لمدة ثلاث سنوات حتى يستوفى من دخله الشهرى، المبالغ التى كانت فى عهدته، ولم يُطلق من السجن إلا بعد إن برأ ذمته[١٠١]،مع العلم أن السيف على كان رجلاً محبوبًا، صاحب نخوة وقدرة على فصل المنازعات[١٠٢]، واُشتهر بالكرم الحاتمى[١٠٣]، حيث كان يستخدم كثيرًا من الأموال التى كانت فى عهدته فى أعمال الخير، وإطلاق الكثيرمن الرقاب، ولطالما رأته الجماهير متوجهًا إلى ساحة الإعدام عند حلول موعد القصاص، وهو يجثو على ركبتيه نازعًا العمامة من على رأسه، وواضعها بين يدى أولياء الدم، متوسلاً إليهم بالرزم المالية؛ ليعفوا عن القاتل[١٠٤].

وها هم أصهارالإمام يحيى من آل الوزير، الذين كانوا من أركان حكمه لأكثر من ثلاثين عامًا، قبل أن ينقلبوا عليه، يرسل إليهم الإمام يحيى فى كثير من الحالات قضاة إلى إماراتهم؛ للتحقيق فى شكاوى رفعها بعض المواطنين الذين احتسبوا عليهم. وهناك الكثير من القصص والروايات المؤثرة، التى تُبيِّن كيف كان الإمام يُشجِّع المواطنين شخصيًّا على رفع أصواتهم بالشكوى والاحتساب على أى متنفذ فى الدولة، إن أساء التصرف، ومنها قصة الإمام يحيى مع رجلين قدما إلى صنعاء، يتظلمان علانية بالصراخ من عامله فى منطقة وصاب، فما كان من الإمام يحيى إلا أن وجههما للاحتساب على هذا العامل، والنظر فيمن يعاونهم كشهود، لإثبات ادعائهم، حتى يتم إنصافهما[١٠٥]. ومنها أمر الإمام يحيى بإحالة عامله فى منطقة ملحان للتحقيق، بعد أن كثرت شكاوى المواطنين منه، فتم مسائلته والتحقيق معه فى محاكمة، إلى أن تبيَّن صدق الشكاوى، فصدر عليه الحكم بالادانة، وتم عزله من منصبه وتعيين خلفًا له. ومنها إحالة عامله فى منطقة ريمة للتحقيق والمحاكمة، بسبب بعض الدعاوى والشكايات، فتمَّ محاكمته، والتى قرَّرت برائته، فأعاده إلى منصبه، بعد رفع ما بينه وبين الشكاة من الاختلاف وسوء الفهم.بل أكثر من ذلك، وجدنا الإمام

يحيى يأمر بنشر أخبار التظلمات فى الصحف الرسمية للدولة، ويحرص على نشر وقائع المحاكمات علنًا لمن اتهموا بالفساد الإدارى، أو إساءة استخدام السلطة[١٠٦].

ولعل أسلوب الإمام يحيى هذا فى عدم التستر على المتنفذين فى جهاز دولته، أو التساهل مع من كان يسيء التصرف من أصحاب النفوذ، القريبين من دوائر القرار والسلطة؛ كان من جملة الأسباب التى جرَّت عليه عداء الخاصة، الذين كانوا يرون فى مناصبهم ومراكز نفوذهم فرصة ذهبية للإثراء غير المشروع، أو مطية لإشباع غريزة الظلم والطغيان، فهلا قارنا بين حال المواطنين الذين حصَّنهم الإمام يحيى تحت حكمه من تسلّط الأقوياء، والحال الذى وصل إليه المواطنون تحت حكم العسكر، خاصة فى عهد على عبدالله صالح، الذى ترك فيه الحبل على الغارب للأقوياء، وبلغ فيه التستر على الجرائم، والانتهاكات الإنسانية التى ارتكبها المتنفذين فى جهاز دولته، أو المقربين من أبناء قبيلته، حالات غير مسبوقة فى تاريخ البلاد؛ إلى درجة أن وجدنا ضباطًا ومشايخ متنفذين متجردين من آدميتهم، يمارسون عمليات القتل والتعذيب والانتهاكات الإجرامية للمواطنين عيانًا بيانًا، دون أن يرفَّ لهم جفن؛ لأنهم أمنوا العقوبة، وشعروا أنهم فوق القانون.

وقصة الضابط المتنفذ الذى مازال طليقًا حتى اليوم، بعد اكتشاف جثث فتيان تم قتلهم، ودفن جثثهم تحت قبو أحد منازله، بعد أن انتُهِكت أعراضهم. وقصة الضباط المتنفذين المتورطين فى اختفاء الكثير من طالبات جامعة صنعاء، والتى أُلصقت بأحد الفراشين السودانيين العاملين فى الجامعة، تسترًا على المجرمين الحقيقيين، الذين كان يعمل لحسابهم. وقصة الطفلة المغتصبة سوسن المضلعى التى شغلت الرأى العام اليمنى لسنين متعددة، وانتهت قضيتها بلا شيئ بعد ان نفذ المجرم المغتصب بجلده من العقاب لمجرد انه كان من اصحاب النفوذ المقربين لأجهزة الدولة، وقصة مقتل المواطن محمد حمود الحامدى، الذين اتخذ قتلته من منزل أحد أقرباء الرئيس صالح ملاذًا آمنًا لهم من الملاحقة القانونية، بعد أن ارتكبوا جريمتهم بكل دم بارد، فى إحدى الساحات العامة فى صنعاء جهارا أمام الناس.

وقصة المواطنين الذين عُذِّبوا فى السجون الخاصة، التابعة للكثير من المشايخ المتنفذين سواء فى منطقة الجعاشن أو العدين او منطقة إب أو منطقة آنس فى جبل الشرق حيث نسى أحد المشائخ ضحاياه المسجونين فى أحد الحاويات إلى أن ماتوا جميعا من الجوع والعطش.

وقصة المواطن محمد عبده عثرب، الذى بنى مسجدًا من حُرِّ ماله، ووُجِد مقتولا فى دورة مياه مسجده، بعد أن رفض الإذعان لأحد أبناء المشايخ المتسلطين المشهورين بالثراء الفاحش*، الذى أراد أن يفرض إمامًا قيمًا على مسجد عثرب من أتباع حزبه السياسى. وليت أن ذلك الشيخ المتسلط اقتصرت جرائمه على ذلك الفعل، بل تعدت الى درجة تجنيد انتحاريين يعملون لحسابه لتصفية خصومه السياسيين باسم الدين والدعوة إلى الله، وحسبنا أن نستشهد بإعترافات أحد المجندين الإنتحاريين فى هذا الشأن، الذى فضحه فى كافة الصحف اليمنية، بعد أن هرب مستجيراً بأهل الخير، متراجعاً عن تنفيذ عملية انتحارية كان قد كلفه بها هذا الشيخ المجرم المتلبس بلباس الطهر والوطنية.

وغير ذلك من القصص المحزنة، التى بلغ تعدادها الآلاف من الحالات؛ مما لا يتسع المجال لذكرها جميعًا فى هذا الكتاب؛ وكلها يقف شاهدًا على تغوّل الظلم والطغيان والفساد الذى استشرى فى اليمن تحت حكم العسكر، بسبب الاستقواء بالسلطة، والتستر على جرائم المتنفذين من الضباط وأصحاب النفوذ من أبناء المشايخ.[١١] ورحم الله الإمام يحيى، الذى كان حتى فى نزاعاته الشخصية مع غيره من المواطنين، ينزل على حكم القضاء الشرعى، غير مستقوٍ بقوة السلطة التى فى يده، وقصة تنازعه مع أحد المواطنين، والمدعو عنقاد حول بستان من أعز ما يملك، والتى وثّقها مؤرخ اليمن وشاعرها عبدالله البردونى فى كتابه (اليمن الجمهورى)، تقف شاهدًا على ذلك، حيث حُوِّلت المسألة إلى القضاء، وما هى إلا فترة، والحكم ينزل بأحقية عنقاد لهذا البستان، فما كان من الإمام يحيى إلا أن نزل على حكم الشرع، مسلمًا بالأمر، راضيًا بالحكم[١٠٧].

* لم يتمكن هذا الشيخ المتغطرس من بناء ثروته الخيالية إلا بعد أن هيأ له الرئيس صالح كافة سبل الإثراء الغير مشروع عبر شبكات الفساد المالى والإدارى وسنوات طويلة من إعفائه من السداد لمستحقات أعماله الضريبية؛ مجاملة لأبيه الشيخ الكبير. والشيء المثير للسخرية، أنه عندما حصل الخلاف بين هذا الشيخ الصغير وأبيه من جهة، وبين الرئيس صالح على اقتسام كعكة النفوذ والثروة؛ وجدناه يتصدّر الصفوف فى الدعوة إلى إسقاط ولى نعمته، الذى كان السبب فى ثرائه، مدعيًّا الانحياز إلى جانب الشعب، ورافعًا شعار مكافحة الظلم والاستبداد والفساد المالى والإدارى، وكأنه ثائر حقوقى حامل للهم الوطنى، فأين كانت هذه النزاهة والعصامية يوم أن كان على وفاق مع سيده على صالح؟! وهل تنسجم هذه النزاهة مع جرائمه فى قتل الأبرياء وتجنيد الإنتحاريين وقطع الطرقات، وهل يعى هذا الشيخ الفاسد الكبير أن الأخلاق لا تتجزأ، وأن من يرفع شعارات مكافحة الظلم والاستبداد والفساد، عليه أن يأخذها كاملة غير منقوصة؛ مما يعنى أنه أول من سيحاكم على جرائمه ويُجرّد من ثروته فيما لو طُبّقت فعلاً الشعارات التى يلعب بها للمزايدة والاستهلاك المحلى.

هذه المظاهرالعدلية، وهذا الشعور بالإنصاف، وعدم التمييز فى الحقوق والواجبات بين المواطنين، أيًّا كان مذهبهم؛ هى التى ساقت اليمنيين من أبناء الجنوب المحتل للاحتكام لدى الإمام يحيى، لانتزاع حقوقهم، واضعين خلف ظهورهم حكم المحاكم البريطانية فى عدن؛ مما تسبَّب فى استياء السلطات البريطانية، وفى هذا الصدد يبدى هارولد جيكوب المعاون الأول للحكم البريطانى فى عدن أسفه فى كتابه (ملوك شبه الجزيرة العربية) من تفضيل الجنوبيين حكم الإمام يحيى للبت فى منازعاتهم، وهم رعايا للمحميات الجنوبية بقوله:

تقدم إلى الإمام يحيى عدد كبير من الشوافع التابعين لنا فى الجنوب، والذين يستلمون منا المرتبات والمعاشات، وطلبوا منه إرشاداته وتوجيهاته فى حلِّ منازعاتهم الخاصة، والبت فى عداواتهم المستحكمة، واتخاذ القرارات فيها. وعندما عاتبت واحدًا منهم، وحاولت أن أصرفه عن مثل ذلك، اعترض قائلاً: إن للرجل المريض الحق فى أن يستشير الرجل الآخر غير المريض(١٠٨).

الوسطية والإعتدال:

إذا ما استثنينا حدية الإمام يحيى فى التعاطى مع الإسماعيلية كمذهب، نستطيع أن نُصنِّفه بالوسطية والاعتدال، ومحاربة التعصب والتزمت بكل أشكاله، فهناك الكثير من المواقف التى اتخذها الإمام يحيى، تدعو إلى التأمل والاعتبار لمعانيها الرمزية فى هذا الشأن، ومنها إقصائه لكثير من رجال عصبيته، الذين اتسموا بالتطرف الفكرى والمذهبى، كالسيد على عقبات، الذى منعه الإمام يحيى من الخطابة والإرشاد فى المساجد؛ بسبب مغالاته فى التشيع، وتطاوله على الصحابة، ولم يكتفِ الإمام يحيى بزجره وإقصائه عن الخطابة، بل أدخله السجن بسبب إثارته الفتنة المذهبية بين اليمنيين، بالرغم من علو مقامه ومكانته لدى العامة من الزيود، وعلو كعبه لدى المجتمع اليمنى فى مجال العلم والإفتاء(١٠٩).

تلك الأجواء التى سنَّها الإمام يحيى فى بلاده، والقائمة على نبذ التعصب والوسطية، انسحبت أيضًا على ابنه سيف الإسلام أحمد، الذى استلم الحكم متأثرًا بما زرعه فيه والده، فعمل الكثير فى عهده، لغرس قيم التسامح، والشعور بقضية مشتركة فى نفوس أبناء الطائفتين الزيدية والشافعية، كما شهد بذلك هارولد إنجرامز، المعاون الأول لحاكم عدن

البريطانى، فى كتابه (اليمن الأئمة والحكام والثورات)[١١٠]. ولم يتردد الإمام أحمد كأبيه فى سجن المشاغبين من رجال عصبيته، الذين كانوا يتعرّضون بالسوء لعلماء السنة فى اليمن، كأولئك الذين أمر الإمام أحمد بسجنهم بسبب أذيتهم للشيخ أحمد بن سلامة، أحد رموز الشافعية فى اليمن الأسفل[١١١].

وهناك من القصص الطريفة ذات المغزى، والتى ظلَّ يرويها الرواة؛ للتدليل على اعتدال الإمام يحيى ووسطيته، ورغبته فى إرساء قيم التسامح المذهبى فى اليمن، ومنها ما ذكره العميد الركن العراقى المتقاعد، سيف الدين سعيد آل يحيى، فى كتابه تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن، التى كان احد اعضائها، حيث قال: «إن بعض علماء الشافعية تقدموا بشكوى إلى الإمام يحيى، يتظلمون من تعصُّب أحد الزيود، ومقالته السيئة بحق الشوافع؛ لكونهم لا يسبلون الذراعين إلى أسفل حسب المذهب الزيدى... فما كان من الإمام يحيى، إلا أن أمر بإحضار السيد الزيدى المتعصب مع خصومه الشوافع المتظلمين إلى صنعاء، وأجلسهم الإمام يحيى فى ديوانه، ولم يكلم أحدًا منهم بشىء، حتى إذا نُودى لصلاة الظهر قاموا جميعًا وراء الإمام يحيى، فصلى بهم جميعًا مسبلاً ذراعيه وفق المذهب الزيدى، فلما انتهت الصلاة، كان السيد الزيدى المتعصب يبتسم انتصارًا لرأيه، إلا أنه تفاجأ عندما حان وقت صلاة العصر، والإمام يحيى يصلى بهم ضامًا ذراعيه، وفق مذهب أهل السنة، فلما قُضيت الصلاة، التفت الإمام يحيى نحو السيد الزيدى المتعصب قائلاً له: تبًّا لك، أنا إمام المسلمين، ولست إمام الزيود فقط، ثم أرسله إلى السجن تأديبًا له»[١١٢]. ويُعقِّب العميد الركن العراقى على هذه القصة بقوله: لم نكن نعلم أن الإمام يحيى كان يكره التعصب المذهبى، ويعاقب عليه[١١٣].

ومن القصص الأخرى التى تبين سجية الامام يحى فى محاربة كل مظاهر التعصب والتزمت والعنصرية حرصاً منه على تماسك وحدة اليمنيين، ما رواه رئيس اليمن السابق القاضى عبدالرحمن الاريانى فى مذكراته لحادثة حضرها بنفسه، فقد حدث ان اصطدم بعض السادة من طلاب المدرسة العلمية ببعض الطلبة من ابناء الطائفة الشافعية فى مناقشة حول الصحابة، افضت إلى سب الصحابة من طرفى النزاع، حيث سب الطلبة السادة الخلفاء الثلاثة الراشدين وسب الشوافع الخليفة الرابع، فنمى الخبر الى مسامع الامام يحى فجاء فى اليوم التالى إلى المدرسة بنفسه، وجمع الطلبة ونصحهم بوجوب التآخى وتجنب الخوض

فى هذه المسائل وقرعهم ووبخهم على ما حدث، وكان حظ الطلبة السادة من التوبيخ أوفر على سبهم أبو بكر وعمر وعثمان، ثم التفت الى من سب على بن ابى طالب وقال له إذا كان فى قلبك خبث فخليه فى قلبك ولا تظهره أمام المتعصبين فيؤذونك.[١١٤]

أما شهادة عبدالله البردونى،أديب اليمن وشاعرها فى سياق اعتدال الإمام يحيى ووسطيته، فيقول: «إن الإمام يحيى كان يرفض إبداء الميل لمذهب دون الآخر»[١١٥].

أما المجاهد الوطنى التونسى، عبد العزيز الثعالبى، فيؤكِّد على حقيقة عدم ميل الإمام يحيى إلى مذهب دون الآخر بقوله: إن الإمام كان لا يتحرَّج فى أخذ النصوص من بقية المذاهب الإسلامية الأخرى؛ لأنه مجتهد ويحقُّ له أن يُدخل فى المذهب الزيدى ما يراه مناسبًا[١١٦].

أما المؤرخ عبدالله الشماحى، فيقول: «إن الإمام يحيى قرَّر التخفيف من حدة الدعوة الزيدية وحرارتها، ففتح الباب للسنة وانتشارها فى الشمال، وأقبل على علمائها، واستخدم منهم الكثير، وبهذه القرارات سادت روح التسامح المذهبى بين الزيود والشوافع»[١١٧]. ويقول أيضًا: «تغاضى الإمام يحيى عن الجدال المحتدم فى الجوامع والمعاهد فى علم الكلام، ومسائل النحو، ورفع اليدين فى الصلاة أو إسبالهما، دون أن يُبدى تحيزًا»[١١٨].

وحتى محمد محمود الزبيرى، وهو المصنف بالعدو الأول للإمام يحيى، وأنه أبو الفتنة الطائفية والعرقية فى اليمن، فقد اُضطر مجبرًا إلى الاعتراف بحقيقة سيادة التسامح المذهبى فى عهد الإمام يحيى، وابنه الإمام أحمد، بعدما شاهد بأم عينه الفتن الطائفية وهى تطل بقرونها بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، حيث يقول: «إن فتنة الفرقة المذهبية ما بدأت فى اليمن إلا مع وصول أول رئيس جمهورية إلى السلطة، وهو عبدالله السلال، الذى استخدم هذه الفتنة وسيلة للتفرقة بين المواطنين بشكل صريح وواضح»[١١٩]. وباستثناء الرئيس المحبوب الشهيد ابراهيم الحمدى، الذى كان من اسرة علم وقضاء،وتميز عن غيره من العسكر بالإعتدال، وبامتلاك مشروعاّ وطنيا باهرا لتطهير اليمن من رموز الفساد والجهل والتسلط، وتوفير الفرصة التاريخية للتغيير والتأسيس لدولة النظام والقانون والمواطنة الكاملة لكل اطياف المجتمع، استمر نهج التأجيج الطائفى والعرقى عند باقى العسكر الذين حكموا اليمن، إلى أن بلغ أوجُّه فى عهد الجاهل الأكبر على عبدالله صالح، الذى فتح الباب على مصراعيه للتكفيريين، ليعيثوا فى ارض اليمن فسادا بثقافة الموت، واستباحة

الدماء والتضييق على المخالفين؛ مما أوصل الفتنة الطائفية إلى حالات غير مسبوقة فى تاريخ البلاد، إلى درجة أن وجدنا أن المذاهب بدأت تتصل بالأعراق، كردة فعل على تبني الدولة سياسة التأجيج والتحريض العنصرى والطائفى، فوجدنا القحطانى أصبح متسننًا بالضرورة، والهاشمى أصبح متشعيًّا بالضرورة.

أما فى عهد الإمام يحيى وأسلافه، فلا نجد تلك الثقافة الطائفية والعنصرية البائسة التى شاعت فى العهد الجمهورى، حيث كانت الكتل العريضة من القحطانيين فى المجتمع اليمنى يدينون بالتشيع، والكتل العريضة من الهاشميين يدينون بالتسنن[١٢٠]، حتى إننا كنا نجد أئمة حكموا اليمن وعلماء زيديين هاشميين مالوا نحو منهج أهل السنة والجماعة، متجاوزين ضيق المذهبيات، إلى رحابة الإسلام، ومنهم الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، والإمام يحيى بن حمزة، والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير، والعلامة الحسن الجلال، وغيرهم، إضافة إلى علماء ومفكرين قحطانيين تفوقوا فى التشيع على الهاشميين أنفسهم، مثل ابن هثيمل، والشاعر الهبل، وابن بهران»[١٢١].

ولقد إعترى البعض الدهشة عندما وجدوا أن الإمام يحيى رغم أنه كان زيديا محسوبا على الشيعة، كان يأمر بكل أريحية، وبلا أى تحفظ، وبإرادة رسمية طبع كتب أهل السنة ونشرها فى اليمن، من أمثال نيل الأوطار، والدرر المضيئة، والبدر الطالع للشوكانى، والروض الباسم لابن الوزير، والعلم الشامخ للمقبلى، وضوء النهار للجلال، وسبل السلام لابن الأمير. تلك الكتب التى كلَّف الإمام يحيى ثانى أولاده محمد البدر بالإشراف شخصيًّا على طبعها، والتى كانت تتعارض مع النفس التشيعى السائد فى مجتمع ذلك الزمان[١٢٢].

وتعجَّب البعض الآخر عندما وجدوا الإمام يحيى لم يكتفِ بطباعة كتب أهل السنة فحسب، بل سعى لترويجها وتداولها فى المساجد والزوايا، خاصة صحيح البخارى ومسلم وأشباهها[١٢٣]. أما الطامة الكبرى فى عيون الغلاة والمتطرفين من الزيود، فكانت عندما وجدوا الإمام يحيى وقد فتح الأبواب على مصراعيها لحرية الحركة والانتشار للسنة وعلمائها فى كل مناطق اليمن[١٢٤]، وعدم ممانعته من نفاذهم وإنصهارهم فى كافة المدارس والمعاهد العلمية، أسوة بإخوانهم الزيود[١٢٥]؛ لتدريس فقه أهل السنة، متمثلاً فى فقه الإمام الشافعى الذى كان يُدرّس فى منطقة تعز، فى جامع أروى بجبلة ومنطقة زبيد[١٢٦] وكتب الأمهات الست التى كانت تدرس فى باقى مناطق اليمن، مما أدى إلى امتعاض البعض من متطرفى الشيعة، الذين بذريعة نصرة مذهب أهل البيت، قاموا بحصار بعض المساجد، وكادت المسألة أن تعظم لولا تدارك الامام يحى باصداره أوامره القاطعة باقرار علماء السنة

على ما هم عليه من التدريس، وزجر كل من تسول له نفسه التعرض لهم بالسؤ(١٢٧) بل زاد الامام يحى على ذلك بأن عين العلامة زيد بن على الديلمى وهو أحد العلماء الذين كان لهم باع فى تدريس فقه اهل السنة، عينه رئيسا للمحكمة الاستئنافية بصنعا (١٢٨).

تلك السياسات التى اتبعها الإمام يحيى، دفعت بالكثير من الكُتَّاب والمفكرين إلى اتهامه بالتخفى على اعتناق المذهب السنى، وإبداء زيديته رسميًا للعامة؛ لتغلّب المذهب الزيدى وأتباعه على الساحة(١٢٩). والحقيقة أن واقع هذه التهمة غير صحيح البتة، بل إنه كان زيديًّا فى الصميم، ولكنه كان يُمثِّل الزيدية المستنيرة على وجهها الصحيح، وليس الزيدية المنغلقة على نفسها،التى علق بها بعض أخطاء الممارسة.

وبتتبع منهج الإمام يحيى فى نشر الوسطية والتسامح المذهبى وتعزيزهما فى اليمن، فسنجد أنه كان يلزم الحكام، والعمال، والقضاة فى مناطق اليمن بمجموعة اختيارات اختارها بنفسه من الفقه والأحكام، دون الانغلاق على مذهب واحد، ودون حبس فكرة واحدة، وإنما فى إطار شمولية الإسلام، والتيسير على العباد(١٣٠)،فقد كان يُروِّج فى الخطاب الرسمى للدولة وأدبياتها روح التسامح المذهبى بين الزيود والشوافع، ويتبنَّى شعار الوحدة الدينية فى اليمن، ومحاربة الخلافات المذهبية، بدليل افتتاحيات جريدة الإيمان الحكومية، التى كان أكثر افتتاحياتها الإعلامية يصبُّ فى هذا الاتجاه(١٣١).

وكان يُقبل على المختلفين مذهبيًّا بإدنائه لهم فى مجالسه بكل مودة ومحبة واحترام، وبوضعه لهم موضع الثقة(١٣٢)؛ بدليل تعيينه لكثير من كبار رجال الشوافع فى أعلى مراتب الدولة، مثل الشيخ على عثمان، الذى عيَّنه الإمام فى منصب رئيس ديوان المحاسبة فى اليمن(١٣٣)،والشيخ عبد الرحمن بن على الحداد، الذى عيَّنه الإمام رئيسًا للقضاء على كافة اللواء التعزى(١٣٤)، والشيخ أحمد بن على الباشا، الذى أسند إليه الإمام عمالة مدينة تعز وملحقاتها وبلاد العدين، والشيخ إسماعيل باسلامة، الذى أسند إليه الإمام عمالة مدينة إب وجهاتها، والشيخ عبد الوهاب بن نعمان مقبل، الذى أسند إليه الإمام عمالة قضاء الحجرية(١٣٥).

وحتى الكتاب ومأمورى الأموال، كانوا مراعاة للمشاعر يُعينون من الشوافع فى مناطق اليمن الأسفل المحسوبة على المذهب الشافعى(١٣٦)، وفى هذا الصدد يقول هارولد جيكوب،المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى فى كتابه (ملوك شبه الجزيرة العربية): «كانت عادة الإمام يحيى دومًا تعيين الحكام على الأقاليم الشافعية من الأشخاص الشوافع؛ تحاشيًا من إحراج الأحاسيس الدينية، والمشاعر المذهبية عند أبناء هذه الطائفة»(١٣٧).

يظهر فى الصورة، الأول من اليمين، محمد بن أحمد باشا مرافقًا لسيف الاسلام يحيى بن الامام يحى وحفيد الامام يحى محمد البدر فى إحدى الزيارات الرسمية إلى مصر، وللعلم أن محمد باشا كان من الشخصيات الشافعية البارزة التى عينها الامام أحمد فى سلك الدولة كمحافظ لمدينة تعز.

يظهر فى وسط الصورة الشيخ الشافعى إسماعيل باسلامة مع أبنائه فى إمارته فى مدينة إب، بعد أن عيَّنه الإمام يحيى عاملاً عليها.

وعلى الرغم من كل تلك الأدلة البراهين الساطعة والشهادات الموثقة،التى لا يرقى إليها شك عن التقارب الوجدانى، والحب،والتقدير، والاحترام الذى كان يُكنِّه الإمام يحيى لإخوانه الشوافع فى اليمن، على قاعدة الإخاء والمساواة،وجدنا بعض المهووسين من أصحاب الأجندات السياسية والميولات الطائفية، وقد إغاظتهم تلك الومضات المشرقة فى سيرة الإمام يحيى، ولم يتحملوا أن يروا الإمام يحيى وهو يضرب أروع الأمثلة فى المؤاخاة بين الطوائف، فرفضوا الاعتراف بحقيقة الوسطية والتسامح الذى كان سائدًا فى عهده؛ لأن اعترافهم بذلك سيصب فى ميزان حسنات الإمام ،مما سيرفع من منزلته فى قلوب الناس، فما وجدوا من سبيل للالتفاف على تلك الحقائق الإيجابية، سوى التأويل الغبى بالقول بأن كل ما أبداه الإمام يحيى من تقدير واحترام لإخوانه الشوافع، ما هو إلا تمثيل مبرم فصوله.

وفى هذا الصدد، يقول الكاتب المتشنج أحمد عبد الرحمن المعلمى فى أحد كتبه: «إن الإمام يحيى يُكفِّر الملايين من الشوافع، معتبرهم كفار تأويل، وإن كل ما أبداه من بشاش وتقدير وإطراء لهم، لم يكن سوى ضربًا من الدعاية، وإن كل ما يظهره من تقدير لرؤساء الشافعية، ليس إلا تمهيدًا لتوطيد حكمه، فهو لا يحترم الاحترام الحقيقى إلا لدعاة مذهبه وشيعته، وأما غيرهم فاحترام صناعى»(١٣٨)

إلا أن الرد الشافى على أحمد المعلمى وأمثاله من الخراصين، يكمن فى الشهادات المحايدة التى وردت فى بطون الكثير من الكتب،ومنها الحوار الذى دار ما بين الشيخ الشافعى إسماعيل باسلامة، حاكم مدينة إب، والرحالة السورى نزيه مؤيد العظم الذى سأله مستفسرًا عن سياسة الإمام يحيى تجاه الشوافع بالقول: «إننى قرأت فى بعض الصحف والجرائد قبل أن أزوراليمن أن الزيود يستبدون بالشوافع،ويستأثرون بالوظائف دونهم، ويعاملونهم معاملة سيئة، فهل هذا صحيح؟ فردَّ عليه الشيخ باسلامة: أنا رجل شافعى، وأنا حر الإرادة ومطلق التصرف فى مدينة إب، أُولِّ من أشاء، وأُنحِّى من أشاء من الموظفين، ولا يتدخَّل مولانا الإمام فى هذه الشؤون،وقد خوَّلنى السلطة اللازمة لأن أحكم بين الناس حكمًا إسلاميًّا شرعيًّا، لا فرق عندى بين زيدى أو شافعى، وكل ما سمعتم من الدعايات الخارجية،إن هى إلا كذب وافتراء على اليمن وأهله، ولا شك أن لمروجيها غايات غير شريفة،فردَّ عليه العظم مستفسرًا: وهل يقول جميع الشوافع بهذا القول؟

فأجاب الشيخ باسلامة: لا شك أن كل منصف من الشوافع، وغيرهم من سكان اليمن، يؤيد هذا القول ويثبته، وإن سمعت ببعض الشكاوى من بعض الناس، فلا شك أنهم يشكون لأسباب شخصية، وحزازات نفسية، وهذه أمور لا يخلو منها بلد من بلدان العالم، مهما رسخت كعبها فى الحكم والعدل، وأضاف بقوله: إن معظم حكام بلاد الشوافع وعمالها وموظفيها، هم من الشوافع أنفسهم. فإذا كان لهم ما يشكون منه، فشكواهم ليست من الزيود، بل من إخوانهم الشوافع أنفسهم(١٣٩).

أضافة إلى ما سبق أن اشرت إليه من شهادات أوردها هارولد جيكوب المعاون الأول للحاكم البريطانى فى عدن فى كتابه ملوك شبه الجزيرة العربية حيث يقول: «تقدَّم إلى الإمام يحيى عدد كبير من الشوافع التابعين لنا، والذين يستلمون منا المرتبات والمعاشات، وطلبوا منه إرشاداته وتوجيهاته فى حلِّ منازعاتهم الخاصة، والبت فى عداواتهم المستحكمة، واتخاذ القرارات فيها»(١٤٠). ويقول: «لقد أخبرنى التجار العدنيون، وهم مختلفون معه فى عقيدتهم المذهبية، بأنهم يفضلون مجىء الإمام الزيدى؛ لأن حكمه عادل، والتجارة فى ظله سوف تزدهر؛ لأن الطرق التجارية باتت مأمونة الآن فى عهده، بعد أن تبوأ مكانه»(١٤١).

وهل من العقلانية فى شيئ لو أن الإمام يحيى كان فعلا يضطهد إخوانه الشوافع أو يكفرهم، كما يدعى المهووس أحمد المعلمى، كنا رأينا كبارهم وقد تولوا المناصب العليا فى القضاء، والإمارة، والإدارة فى دولته، وهل من المنطق فى شيئ أن نجد أن فقهاء الشوافع يرتبطون به روحيًّا(١٤٢)، وعامتهم يحتكمون إليه فى نزاعاتهم الشخصية، ويُفضِّلون حكمه على حكم الإنكليز وهم فى الوقت نفسه يعانون من تسلطه.

وهكذا وجدنا كيف أن إقبال الإمام يحيى على إخوانه الشوافع، كان من ثمرته السلم والأمن الاجتماعى فى اليمن، إلى درجة أن استغرب الإنكليز لهدوء العلاقة والاحترام المتبادل بين السنة والشيعة فى اليمن، مقارنة بالعداء الحاصل بينهم فى الهند. وفى هذا الصدد يقول جيكوب، المعاون السياسى الأول للمندوب السامى البريطانى فى عدن: «إن الانقسام بين السنة والشيعة فى الهند أكثر وضوحًا. فالفريقان يصليان فى مساجدهم الخاصة، أما فى اليمن، فإن جميع الزيود والشوافع يصلون فى مسجد واحد»(١٤٣). ويقول عن حقيقة الوضع بعد مشاهداته الطويلة لحال اليمن تحت ولاية الإمام يحيى: «إن الزيود لا ينوون تحطيم المذهب السنى الشافعى، ولا يعملون على ذلك، والإمام يحيى أعقل من

الذين يحملون رتبة لواء من موظفينا المسؤولين، وأكثر حكمة من أحد جنرالاتنا، الذى اعتقد خلال الحرب أن الحل الوحيد بالنسبة لمشكلة العرب، هوتحطيم عقيدتهم»(١٤٤).

يظهر فى الصورة ولى العهد البدر فى زيارة رسمية لألمانيا عام ١٩٥٦م وعلى يمينه القاضى السياغى والقاضى العمرى، وعلى يساره عبد الرحمن البيضانى وهو احد الشخصيات الشافعية التى تقلبت فى الكثير من المناصب الدبلماسية والاستشارية فى عهد الامام احمد

السماحة واللين:

هناك سياسة متعمدة درج عليها إعلام العسكر فى اليمن منذ خمسة عقود، وهى الخلط العشوائى ما بين صورة الإمام يحيى وصورة ابنه الإمام أحمد؛ بهدف تعميم صورة نمطية واحدة للإمامين فى أذهان العامة من الناس عمادها البطش والجبروت. وواقع الأمر أن القاصى والدانى فى اليمن يُدرك الفرق الشاسع ما بين شخصيتى الإمامين، ففى حين أن شخصية الإمام أحمد قد مالت إلى القهر فى التعامل مع خصومه السياسيين، والبطش فى استئصال الخارجين على امامته، نجد أن شخصية أبيه الإمام يحيى، كانت على النقيض تمامًا.

وبتتبع سيرة الإمام يحيى منذ توليه الحكم، نجد أنه كان يحمل فى قلبه رحمة، وفى نفسه سماحة قلَّ نظيرها، منعته من البطش بخصومه السياسيين الذين إن أراد، فإنه كان يملك من مقومات القوة والشرعية ما يُمكِّنه من استئصالهم بضربة دموية قاضية، تشلُّ

قدرتهم على الحركة ،كما فعل غيره من المؤسسين، الذين لم تستقم لهم الأمور، ولم يتمكَّنوا من تأسيس ملك راسخ رسوخ الجبال، إلا بمذبحة دموية استأصلت خصومهم من على وجه الأرض، ومذبحة القلعة فى عهد محمد على باشا فى مصر وغيرها من المذابح التى سطرها التاريخ عن المؤسسين فى الجزيرة العربية وعالمنا العربى لا زالت عالقة فى الأذهان.

وخصوم الإمام يحيى لم يكونوا من القوة، ولا من البأس ليستعصوا عليه، بل إنهم اتسموا بالهشاشة الشديدة، فجلُّهم كان ينتمى إلى أضعف حلقات المجتمع اليمنى، مفتقدين لسند العصبية القبلية، والرصيد التاريخى، خاصة أعضاء حزب الأحرار، الذين وصفهم المندوب السامى البريطانى شامبيون بقوله: «إن رجال الحركة لا يمكن أن يحرزوا أى نجاح بدون الاستعانة بدولة أجنبية، وأن نشاطاتهم لا تتعدى الاضطرابات غير المثمرة، وأن الإمام يحيى باستطاعته القضاء على هذه الحركة بسهولة إن أراد، لو أنه قرَّرالقيام بعمل حاسم ضد رجالها، كاغتيال بعض أفرادها مثلاً.ويضيف شامبيون قائلا إن السبب فى ضعف حركة الأحرار هو أن روحها ورجالها ليسوا بالقوة الكافية[١٤٥]، إلا إن سماحة الإمام يحيى ولينه جعلتهم يتمادون فى إساءة التصرف، ويعتادون على نسج المؤامرات، الواحدة تلو الأخرى؛ إدراكا منهم أن عقوبة الإمام يحيى على تجاوزاتهم، لن تتعدى السجن فى أسوأ الأحوال، وأنهم فى مأمن من عقوبة الاستئصال، التى لن يقدم عليها الإمام يحيى؛ لطبيعته فى تقوى الله.

وإذا أردنا أن نعرف حقًّا، كم كان الإمام يحيى رحيمًا وسمحًا وليِّنًا مع خصومه ومعارضيه السياسيين، فعلينا أن نتابع أعداد القتلى، وطريقة قتلهم، وأساليب التعذيب التى مارسها العسكر الذين حكموا اليمن بعد سقوط الملكية، خاصة فى عهد على عبدالله صالح، وعلينا أن نقرأ تاريخ جمال عبدالناصر، وصدام حسين، وحافظ الأسد وإبنه بشار، ومعمر القذافى، بما فيه من بشاعات صارخة، وانتهاكات فظيعة اُرتكبت فى حقِّ المعارضين،لمجرد الشك أوالشبهة. فجرائمهم مازال شبحها يُخيِّم على النفوس حتى اليوم، ومن ذلك المقابر الجماعية،واقبية التعذيب، وجرائم الحرق بالغازات السامة، ومجازر القصف الجوى للمدنيين فى المنازل، والأسواق، وتحت الجسور. فهل سألنا أنفسنا ولو لمرة واحدة: هل ارتكب الإمام يحيى شيئًا مما ارتكبه هؤلاء الطغاة المذكورين آنفًا، حتى يطلق عليه خصومه لقب الطاغية.

وللذين لا يعرفون لين الإمام يحيى وسماحته مع خصومه،أسوق جملة من مواقفه مع هؤلاء الخصوم الذين استثمروا التزامه معهم فى الجانب الأخلاقى والإنسانى، فتجاسروا عليه، وتمادوا فى إساءة الأدب فى حقه، ومن تلك الأمثلة:

- موقف الإمام يحيى مع محمد بن على الوزير، الذى تطاول على الإمام يحيى فى عام ١٩٢٥م بالطعن فى شرعيته، تحت شعار الاحتساب، مدعيًا عدم أهليته للحكم، ومحرضًا للمواطنين على الخروج المسلح على الدولة؛ مما تسبَّب فى تبادل إطلاق النيران بينه وبين القوات الحكومية، فما هو الإجراء الذى اتخذه الإمام يحيى ياترى فى حقِّ محمد بن على الوزير؟ وجدنا الإمام يحيى خلافًا لما جرت به العادة فى العالم العربى، يكتفى بسجن محمد الوزير فترة، ثم يطلقه، داعيًا له بالهداية، دون إن يناله سوء[١٤٦]، فهل سبق للتاريخ أن حدثنا أن مواطنًا عربيًا نفذ بجلده بعد ارتكابه خروجًا مسلحًا على الدولة، وطعنه فى شرعية الحاكم، وتحريضه للمواطنين على العصيان، وتبادله إطلاق النيران مع قوات النظام؟ وما كان جزاء الإمام يحيى على موقفه المتسامح هذا، إلا أن وجدنا محمد بن على الوزير بعد إطلاقه من السجن يتربَّص، إلى أن يشترك مع أبناء عمومته فى مؤامرة قتل الإمام يحيى فى عام ١٩٤٨م.
- موقف الإمام يحيى مع الإقطاعى عبد الوهاب نعمان، الذى ظلَّ فيروس التآمر ناشبًا فيه حتى آخر رمق فى حياته، والإمام يعفو عنه المرة تلو الأخرى، منذ أن دخل عبد الوهاب نعمان السجن للمرة الأولى، بعد تكشُّف دوره فى دعم انتفاضة المقاطرة المسلحة على الدولة، ثم عفى عنه الإمام يحيى وعيَّنه عاملاً على بلاد البستان، فى محاولة منه لاحتوائه[١٤٧]، إلى أن دخل السجن للمرة الثانية، بعد تكشُّف محاولته قتل نائب الإمام فى لواء تعز، ونسجه مؤامرة لفصل قطاع اليمن الأسفل عن اليمن الموحد؛ للانظواء تحت الحماية البريطانية[١٤٨]، إلى أن دخل السجن للسجن للمرة الثالثة، بعد تكشُّف اتصالاته السرية مع ابن سعود،أثناء دخول القوات السعودية إلى الحديدة[١٤٩]، وتكشُّف وثائق تآمرية بتوقيعه، للانتفاض على الدولة[١٥٠]، إلى أن دخل السجن للمرة الرابعة والأخيرة، والتى كانت القاضية عليه، بعد أن أعدمه الإمام أحمد بن الإمام يحيى، لدوره فى انقلاب عام ١٩٤٨م، الذى أودى بحياة أبيه.
- موقف الإمام يحيى مع شيخ قبيلة الزرانيق، أحمد الفتينى، الذى تحوّل إلى أداة بيد الإنكليز، يوجهونه مع قبائله لشن الحروب على الدولة اليمنية الموحدة، واستنزاف

طاقاتها ومواردها، ومحاولة فصل ساحلها، لتكوين دولة مستقلة فى تهامة، تحت جناح الإنكليز. فماذا كان موقف الإمام يحيى من أحمد الفتينى، وهو لاجئ عند الإنكليز فى جزيرة كمران، بعد إن كسرت شوكة قبائله بإدخالهم السجون، وجدنا الإمام يحيى يقبل توبة أحمد الفتينى، بعد أن تعهّد بالكف عن الارتباط بالإنكليز، الذين ملّ العيش تحت كنفهم فى جزيرة كمران، ويُسمح له بالعودة إلى اليمن، ليعيش آمنًا مطمئنًا فى الطائف، قريته الساحلية فى تهامة، ولم يناله سوءًا قط، بل تفرّغ للعمل فى التجارة والزراعة فى الحقول[١٥١]، فماذا كان يا ترى جزاء الإمام يحيى على موقفه المتسامح هذا؟ وجدنا أحمد الفتينى يتواصل سرًّا مع ابن سعود خلال الحرب اليمنية السعودية[١٥٢]، ويُنضم إلى قوات الأمير فيصل بن عبد العزيز عند دخولها إلى مدينة الحديدة[١٥٣].

- موقف الامام يحيى مع شيخ منطقة حريب، على ناصر القردعى، الذى بالرغم من خروجه المسلح مع قبيلته على الدولة، وتورط رجاله فى قتل ممثّل الإمام فى منطقة حريب، إلا أن الإمام يحيى أطلقه من السجن بعد بضعة سنوات، بعد أن دفع الديات، وتعهّد بنصرة الدولة فى مواجهة الإنكليز، والالتزام بحسن السيرة والسلوك، فماذا كان جزاء الإمام يحيى على موقفه هذا، سوى أن باشر القردعى بنفسه عملية اغتيال الإمام يحيى.
- موقف الإمام يحيى مع محمد محمود الزبيرى، الذى أساء الأدب، وتجاوز حدود اللياقة إلى حد فحش الكلام والفجور فى الخصومة مع الإمام يحيى، ومع ذلك لم يتعرّض الإمام يحيى للزبيرى بأكثر من زجّه فى السجن، ويوم أن هرب الزبيرى إلى عدن بتدبير من الإنكليز، لم يعدم الإمام يحيى الوسيلة فى إرسال من يقوم بقتله هناك، فالمتطوعون والاتباع لأداء هذه المهمة كانوا بالمئات فى عدن، ورهن الإشارة، والمبررات الشرعية والوطنية كانت لا تُعدُّ ولا تحصى، ويكفى أن نشير إلى تحوُّله إلى أداة طيعة فى يد الإنكليز، يُسيِّرونه لضرب مصالح الجزء المحرر من اليمن، وهذا ما جعل السلطات البريطانية فى عدن تُخصِّص للزبيرى وزميله نعمان حراسة خاصة؛ احترازًا من أن يرسل إليه الإمام يحيى فدائيًّا يقوم بقتله[١٥٤]، ومع كل ذلك، وجدنا الإمام يحيى، انطلاقًا من إنسانيته، يرسل ابنه سيف السلام احمد إلى عدن

داعيا الزبيرى وزميله نعمان إلى اجراء مصالحة وطنية تاريخية لمصلحة اليمن، إلا أن الزبيرى ونعمان رفضا مجرد الحديث مع سيف الاسلام أحمد، كما وثقت ذلك في فصول سابقة.

وحتى الزبيرى نفسه، عندما أساءه تداول الناس لحقيقة خلو صحيفة الإمام يحيى من أى قتيل سياسى خلال فترة حكمه، قام باختراع قصة مغرضة فى كتابه: مأساة واق الواق، يعزى فيها بياض صفحة الإمام يحيى من دماء معارضيه، بعد تمكُّنه من الحكم، إلى إسرافه فى قتل معارضيه، قبل أن يتمكَّن من الحكم.

تقول هذه القصة التى اخترعها الزبيرى: «لا أظن أحدًا يدرى السر فى إيقاف جرائم الإعدام فى عهد العماد، لقد عجز الملايين عن الاحتفاظ بقدسية الحياة، وذلوا وجبنوا، واستطاعت امرأة واحدة أن تتفوق على الشعب كله، إنها أم آل أبى دنيا، أولئك الرجال الثلاثة الذين أعدمهم الطاغية، وثارت لهم والدتهم بوفائها ودموعها، وارتفاع صوت بكائها، حتى أرهقت أعصاب العماد، وأخزت وجهه فى المجتمع، وآخر وقفة من وقفاتها الباسلة، أنها اعترضت موكبه الضخم فى عساكره، وحراسه، وحاشيته، والسائرين فى ركابه، فصاحت بأعلى صوتها: أريد أن أراه.... أريد أن أراه... فلما سمع العماد صوتها وعرف شخصيتها، أمر الحرَّاس أن يخلوا بينها وبينه، وأن يسمحوا لها بمقابلته، وتوقَّف لها بعربته، فاقتربت منه اقترابًا شديدًا، وأزاحت برقعهاعن وجهها، وأخذت تتأمل صورته، وأطالت التأمل وهى صامتة، ثم صاحت بأعلى صوتها: إن بصرى قد ضعف، وقد جئت بنفسى إلى قاتل أولادى لأعرف صورته جيدًا، وآخذ بخناقه يوم الحشر، وأحاكمه أمام الله، قالت ذلك ومرقت من بين صفوف الحراس، فناداها العماد: ارجعى، ارجعى، وماكاد العماد يواجه هذه الضربة، حتى وضع يده على وجهه من الخجل، وقيل يومئذ: إنه بكى، وأنه انقطع بعدها أيامًا فى قصره لايبرحه، وأنه أقسم ألا يقتل أحدًا بعد مصرع آل أبى دنيا»[١٥٥].

ومع أن هذه القصة مختلقة تمامًا، وليس لها أساس أو ذكر فى كتب المؤرخين قبل أن يخترعها الزبيرى منفردًا فى مطلع الستينيات، إلا أنها تُوضِّح بجلاء كيف أن الزبيرى مدح الإمام يحيى من حيث أراد أن يذمه وهو لا يدرى، فإن صدقت هذه الرواية، فهى دليل على أن الإمام يحيى كان لا يزال فيه شعور يتحرك، وعين باكية تكبحه عن

التمادى، وقلب يهزُّه صرخة مظلوم، إلى درجة أنه بكى وامتنع عن القتل بعد سماعه لهذه المرأة المكلومة. وإن كانت الرواية غير صحيحة، فهى دليل آخر على إدمان الزبيرى للكذب والتزوير، وهى قطعًا غير صحيحة، لتنافيها مع سيرة الإمام يحيى التى امتنع فيها عن تلطيخ أياديه بدماء، حتى من كانوا أشد خطرًاعليه من آل أبى دنيا، كآل الوزير الذين شكّلوا خطرًا شديدًا على حكمه وحياته بعد تكشف مؤامرتهم فى عام ١٩٤٨م، ومع ذلك لم يمسسهم بسوء.

ومهما يكن من أمر، فإن رواية الزبيرى عن أم آل أبى دنيا يقابلها رواية أخرى، ذكرها أديب اليمن وشاعرها عبدالله البردونى، الذى فنَّد فى كتابه: قضايا يمنية، رواية الزبيرى حول مقتل آل أبى دنيا، وشرح الملابسات الحقيقية حول مقتلهم بقوله: «كان الإمام يحيى كثير التشدد فى قضية عصر الخمور واستهلاكها، إلا أن هذا التشدد أوصل إلى نتائج غير مرضية، فقد هدم بيت الصباحى؛ لأن فيه عصَّارة خمر، وكلَّف العساكر بتفتيش بيت آل أبى دنيا، فقاوموا بشدة، وأدت المقاومة إلى قتل اثنين منهم»[١٥٦]، فمن نُصدِّق إذًا؟ هل نُصدِّق رواية الزبيرى، صاحب التاريخ الطافح بالأكاذيب والتزوير، والمدمن على التلون والازدواجية، أم نُصدِّق رواية عبدالله البردونى،صاحب الصحيفة البيضاء، المشهود له بالصدق، والابتعاد عن سقط الكذب، ورذائل التلون والازدواجية.

ولم يكتفِ الزبيرى باختراع قصة مقتل آل أبى دنيا، بل تمادى بفبركة قصة أخرى، فى محاولة منه لتعزيز صورة مشوهة عن الإمام يحيى، فاتهم الإمام يحيى ثانية بقتل شيخ الإسلام، القاضى جغمان، مفتى العاصمة صنعاء، الذى كان متحالفًا مع الأتراك منذ بداية الحروب المسلحة بين اليمنيين، بقيادة الإمام المنصور والد الإمام يحيى، والدولة العثمانية. ومما عزّز من هذه التهمة، أنه عندما تولى الإمام يحيى السلطة بعد وفاة أبيه، عارض جغمان إمامته بدعوى أن فى عنقه بيعة للسلطان العثمانى، وليت أن جغمان لزم بيته، واحتفظ بعواطفه تجاه الأتراك لنفسه، مكتفيًا برفض البيعة للإمام يحيى، بل وجدناه يقوم بالنشاطات المعادية لحركة تحرير اليمن من الاحتلال التركى، ومن ذلك تحريضه للعامة على المجاهدين اليمنيين، ودعوته للأتراك بالنصرة من على منابر المساجد، فى الوقت الذى كان الشعب اليمنى يُقتل على يد الأتراك؛ مما استفزَّ أهالى الضحايا المقتولين على يد الأتراك، وولَّد الإحن والحزازات تجاه جغمان، إلى درجة أن حاولوا قتله فى عهد الإمام

المنصور وفشلوا، وعندما وقعت صنعاء تحت سيطرة الإمام يحيى للمرة الأولى عام ١٩٠٥م، تحرَّك العامة ضده وقتلوه انتقامًا[١٥٧].

وفى هذا السياق، يقول المفكّر والكاتب اليمنى، الدكتور عمر الجاوى: «بأن تمسُّك جغمان بمبايعة المحتلين الأتراك لليمن، حتى وإن تمت بطريقة دينية، لا تعفى جغمان من ارتكاب خطأ جسيم، حيث إن هذا النوع من المعارضة يظهر كما لو أنه فى مصلحة الاحتلال التركى[١٥٨]، ومن ثمَّ فإنه مدعاة للسخرية والتندر، أن نحاول كما حاول الزبيرى، ومن لفَّ لفه من المغرضين، تصوير محمد جغمان على أنه من الطلائع الوطنية الحرة، الذين كان لهم الريادة فى تأسيس المعارضة الوطنية ضد حكم الإمام يحيى؛ لأن تلك المحاولة تظهر صاحبها كالعميل الذى يحثُّ مواطنيه على خيانة الوطن، وتسليمه للاحتلال الأجنبى.

وفى تقديرى الشخصى أن الاتهامات التى ألقاها الزبيرى على الإمام يحيى بتدبير حادثة اغتيال محمد جغمان، وإن كانت تفتقد إلى الدليل أو البرهان، إلا أنها لا تشين الإمام يحيى فى شىء إن صحَّ خبرها؛ لأنه من الطبيعى لأى قائد مسيرة تحرير وطنى، وهو فى حالة حرب مع المحتلين أن يقضى على كل العملاء والأذناب المرتبطين بالمحتل والمناصرين له، إلا أن الزبيرى، ومن حيث لايدرى، كشف عن مشروعية قتل محمد جغمان، عندما ذكر فى كتابه: مأساة واق الواق، أنه لم يتحرك لمصرعه رجل من رجالات الشعب، ولاقبيلة من قبائله، وأن الشعب اليمنى تلقى خبر مقتله كما تتلقى السائمة خبر مصرع واحدة منها.

ويتألم الزبيرى لعدم نهوض أحد من اليمنيين لنصرة الشيخ جغمان، أو على الأقل معارضة قتله، وينتقد الزبيرى الشعب اليمنى على موقفه السلبى هذا من مقتل جغمان بقوله: إنه وقف من هذه الحادثة موقف السائمة[١٥٩]، فهل يحتكم فى العقل أنه لو لم يكن لقتل محمد جغمان مبرر أخلاقى ووطنى وشرعى، أن تمرَّ حادثة قتله مرور الكرام، دون أن يتحرك ساكن أو شعور، أو حتى تُثار قضية لهذه الحادثة فى المجتمع اليمنى، وهو شيخ للإسلام، وعالم من علمائه البارزين، مع العلم أنه لم يرد ذكر، ولا حتى إشارات بعيدة فى كتب التاريخ تتهم الإمام يحيى بقتل جغمان، إلى أن أثار الزبيرى هذه القضية فى كتبه فى مطلع الستينيات، فتلقفها مؤرخى العهد الجمهورى، بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، وزادوا عليها من الديباجات والأكاذيب ما عزَّز من هذه الأكذوبة تمامًا. والسؤال الذى يطرح

نفسه: منذ متى كان للزبيرى مصداقية، ومواقفه فى الكذب والتلون تزكم الأنوف؟ وياليت شعرى، ماذا كان يضير الزبيرى لو ذكر المراجع التى استقى منها معلوماته عن حادثة مقتل آل أبى دنيا، ومقتل القاضى محمد جغمان، خاصة أن هاتين الحادثتين وقعتا قبل ميلاده بسنوات.

أما الموقف الذى يحتاج إلى بحث أو فى لدراسته، لما فيه من حلم وسماحة، ورحابة صدر أقرب ما تكون إلى الخيال، فهو موقف الإمام يحيى من قاتليه، خاصة قائد انقلاب عام ١٩٤٨م عبدالله الوزير، وابن عمه على الوزير، الذى عُيِّن رئيسًا لوزراء الحركة الانقلابية، فمع تكشُّف مؤامرة الانقلاب بتدبير من سيف الإسلام أحمد، الذى سرَّب إشاعة موت والده[١٦٠]، ليدفع رجال حزب الأحرار إلى الإعلان من عدن عن هيكل حكومة المتآمرين[١٦١]، واسم إمامهم الجديد عبدالله الوزير فى الصحف والمجلات، والذى أدَّى بدوره إلى تدفُّق برقيات التهانى من الدول والشخصيات العامة إلى يد الإمام يحيى فى قصر الحكم فى اليمن، تبارك لعبدالله الوزير توليه للإمامة[١٦٢]، إلا أن الإمام يحيى كان من التقوى بأن امتنع عن الفتك بآل الوزير[١٦٣]، حيث عدَّ أن نواياهم غير كافية لتبرير قتلهم؛ لأنهم لم يترجموا النوايا إلى أفعال، واكتفى بأخذ الأيمان المغلظة من عبدالله الوزير، لتبرئة ساحته من تهمة التآمر[١٦٤].

وأضيف معلومة جديدة هنا، وهى عن والدى، عن والدته، ربما تُنشر لأول مرة، وهى أن جدى سيف الإسلام الحسين، ذهب إلى والده الإمام يحيى بعد تكشُّف المؤامرة، راجيًا منه القبض على عبدالله الوزير، وابن عمه على الوزير، وكافة المتآمرين، كإجراء احترازى بعد افتضاح أمرهم، فردَّ عليه الإمام يحيى: وهل لديك بينة يا بنى تثبت تآمرهم، فربما تكون مكيدة للوقيعة بيننا؟ فردَّ ابنه الحسين: وهل المتآمر يترك بينة تدينه، وألا يكفى إعلان حكومتهم الدستورية عبر الإذاعة؟ فردَّ عليه الإمام يحيى بالرفض على اتخاذ أى إجراء فى حقهم، فردَّ عليه ابنه الحسين بأن من شأن عدم اتخاذك أى إجراء، أن يقوم المتآمرون بقتلك، فردَّ الإمام يحيى عليه: وهل هناك أمنية أغلى من أن أموت شهيدًا وأنا فى هذا العمر، فقام الحسين غاضبًا من مجلس أبيه، وهو يقول: ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً.

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل كان يمكن أن تقوم قائمة لكل هؤلاء المتآمرين، لو أن الإمام يحيى قرَّر أن يُدير علاقته معهم، كما يديرها الملوك المؤسسون والحكام العرب مع

معارضيهم وخصومهم المتآمرين، الذين يستأصلونهم من على وجه الأرض منذ أول وهلة تآمر؛ تلبية لمتطلبات السياسة والملك، أم أن لسماحة الإمام يحيى ودينه الفضل الأكبر فى بقائهم طليقين على قيد الحياة، ينسجون المؤامرة تلو المؤامرة، دون أن يرف لهم جفن؟ اترك الجواب للقارئ.

الحـزم:

يقول ابن خلدون فى مقدمته المشهورة «بأن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب، قلَّ أن تستحكم فيها دولة بسبب السمات العشيرية النافذة»، والعارفون بتاريخ اليمن الحديث، ممن قرأوا أوراقه بتمعن، يدركون تمامًا أنه لولا حزم الإمام يحيى فى إرساء قواعد الدولة والأمن فى اليمن، الذى لم يكن يعرف شيئًا إلا الفتن والحروب منذ قرون وأجيال، لما استحكمت دولة تمكَّنت من حماية البلاد من التمزق إلى كيانات متناحرة، إلا أنه انطلاقًا من أغراض وأجندات سياسية، اتهم البعض الإمام يحيى باستباحة الدماء، وممارسة العنف مع خصومه الذين رفضوا سلطة دولته المركزية، وهذه الاتهامات بالعنف، فيها نوع من التسطيح والاستخفاف بعقول الناس؛ لأنها أُلقيت جزافًا على عواهنها بمعزل عن السياقات والمقاصد والأسباب، فالإمام يحيى لم يستبح الدماء، ولم يمارس العنف إلا مع من حقَّ عليه العنف، واستباحة الدماء شرعًا، حيث لم يكن يتسامح مع من كان يتهدَّد الأمن العام، أو ينهب المال العام، أو ينتهك شرع الله، أو يتآمر مع الإنكليز على وحدة الوطن.

وانطلاقًا من رؤية الإمام يحيى الشرعية وروحه فى المسؤولية التاريخية، كان القاتل يُقتل، والسارق تُقطع يده، والعابث بالأمن يُجلد، والمتواطئ مع الإنكليز يُسجن. فالاعتبارات الشرعية كانت تتقدَّم لدى الإمام يحيى على كل ما عداها؛ لأن أعز مقومات حكمه كانت فى حفظه للدين، والأمن، والأموال العامة. وهذه الأركان الثلاثة إن افتقدها حاكم ما فقد شرعيته؛ لذا لم يكن من الغرابة فى شيء، أن نجد الكثير من أهل الشرور ومثيرى الفتن والعملاء، وهم يُقام عليهم الحد الشرعى، أو يُساقون إلى السجون تباعًا، ومنهم المئات من رجال قبيلة الزرانيق، الذين كانوا الأكثر شراسة فى مواجهة قوات الإمام يحيى فى مرحلة التأسيس للدولة، بل وصل الأمر بمشايخ الزرانيق إلى أن يتآمروا مع الإنكليز لفصل شواطئ تهامة عن دولة اليمن الموحدة، فى محاولة منهم لتأسيس دولة

مستقلة تحت جناح بريطانيا، تحصر اليمن فى الهضبة الشمالية، وتحرمه من أى منفذ بحرى على شواطئ البحر الأحمر. وتعدى الأمر إلى أن يعرض مشايخ الزرانيق موانئ اليمن للبيع أولاً للإنكليز، ثم للفرنسيين، كما أشار إلى ذلك هارولد جيكوب، المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى فى كتابه: ملوك شبه الجزيرة العربية، ولكأن شواطئ اليمن نهبًا مباحًا لمن يدفع أكثر(١٦٥).

ولهذا، وانطلاقًا من الحرص على الدين والأمن الوطنى، كان من المحتّم على الإمام يحيى أن يقوم بتحصين الدولة الفتية، قبل إن يستفحل خطر الزرانيق، وذلك بالقضاء على مؤامراتهم، وكسر شوكة مشايخهم، خاصة أن كبيرهم الشيخ الفتينى، الذى كانوا يحتكمون إليه، ويتحركون بإشارة منه، كان ما يزال طليقًا، يُحرّكه الإنكليز من جزيرة كمران على البحر الأحمر، التى هرب إليها، وجعلها قاعدة ينطلق منها لإشغال الإمام يحيى بالحروب، ونسج المؤامرات المستمرة(١٦٦).

وكعادة من لا قضية لهم سوى الشنشنة والطعن فى الإمام يحيى، فقد استدلوا بموقفه الحازم مع الزرانيق، وزجه بالمئات منهم فى السجون؛ للتدليل على عنفه وظلمه وطغيانه، خاصة بعد أن تواردت الأنباء عن وفاة الكثير منهم فى هذه السجون، والتى أطلقوا عليها اسم مقبرة الزرانيق، إلاأن هذا الأمر يحتاج إلى وقفة محايدة، فالإمام يحيى باتباعه سياسة الحزم مع الزرانيق، لم يخرج عن منطق الدولة، والحاكم الحازم العادل الحريص على أمن الوطن والمواطنين، فما عساه أن يفعل تجاه استباحة الزرانيق للحدود الدينية والوطنية، هل كان من المفترض ان يترك لهم الحبل على الغارب ليتلاعبوا بمصير اليمن، فكم من أرواح أزهقوها، وكم من ترويع للآمنين فى الطرقات مارسوه، وكم من مخافر حكومية هاجموها بإشارة من الإنكليز، إلى درجة أن بلغ عدد قتلاهم من جنود الدولة أكثر من ألف قتيل(١٦٧).

ولا ننسى أن الإمام يحيى لم يعقد لواء الحرب عليهم إلا بعد أن استنفذ معهم كافة الوسائل السلمية، فى محاولة منه لاحتوائهم واستقطابهم، كما وثّقت ذلك فى فصول سابقة، إلا أنه لا حياة لمن تنادى. ولو صح عند الإمام يحيى رجوع مشايخ الزرانيق عن الباطل، وولائهم للدين والوطن، والتزامهم بحقوق المواطنة، بدلاً من ولائهم لمن يدفع أكثر، والتزامهم بخدمة المستعمر البريطانى، لما عرّضهم الإمام يحيى للعقوبة الشرعية التى كانوا

يستحقونها، إضافة إلى أن الإمام يحيى ليس بحاجة لتزكية من أحد، فيما يتعلَّق بالتزامه الدقيق بالشرع. فعبر تاريخه لم يُعرف عنه أنه كان يعتقل لمجرد الشبهة،أو يقتل لمجرد النوايا، بل بموجب الحجة الشرعية، بدليل مواقفه مع كل خصومه ومعارضيه، الذين لم يتورطوا بسفك دماء المعصومة،كيف أنه اكتفى بسجنهم فترة، ثم أطلقهم.

وياليت شعرى، هل سألنا أنفسنا ولو لمرة واحدة: ماذا كان مصير اليمن، لولا حزم الإمام يحيى فى مواجهة الزرانيق وغيرهم من رؤوس الفتن والمفسدين، الذين ضرب على أيديهم بيد من حديد، لقطع دابر فتنتهم، وكبح جماح تآمرهم على وحدة اليمن؟ فهل كانت ستحتمل اليمن مستعمرة جديدة يشتريها الإنكليز على شواطئ اليمن، أو دولة خاصة بالزرانيق تحت حماية الإنكليز، تحرم اليمن من منفذ بحرى على شواطئ البحر الأحمر؟ وهل شهادات المؤرخين الإيجابية التى حفلت بها صفحات التاريخ تنبع من فراغ، أم هى ثمرة حزم الإمام يحيى وعنفه مع من يستحق العنف شرعًا، عندما أكدوا على أن اليمن لم تتمتع فى تاريخها قاطبة بأمن كالأمن الذى حظيت به فى عهد الإمام يحيى؟ وأسوق للقارئ مجموعة من الشهادات قيد الإشارة:

يقول الثعالبى فى جريدة الشورى، مبديًا إعجابه بالأمن فى اليمن، بعد اختتام رحلته إليها فى عام ١٩٢٤م: «إن الإمام يحيى استطاع إن يحفظ الأمن والنظام، حتى أصبح فى ميسور كل إنسان إن يقطع البلاد من أقصاها إلى أقصاها فى أى وقت، دون إن يخشى خطرًا، أو يقع له حادث»[١٦٨].

أما الريحانى فيقول فى كتابه ملوك العرب، واصفا الحال فى اليمن، بعد أن زارها عام ١٩٢٢م: «لا نخطئ إذا قلنا: إن الفتن فى اليمن حالة مستمرة، فهى ميدان هلاك ودمار لا يسكن فيه غبار، ولا تخمد له نار،إلا فى فترة عياء عام أو تفوق شخصى، مثل فترة الإمام يحيى حميد الدين، الذى ضبط الأمر فيها بيد من حديد، وبالعدل، والرهائن[١٦٩].

أما نزيه مؤيد العظم، فيقول فى كتابه: رحلة فى بلاد العربية السعيدة: «بفضل الإمام يحيى أصبحت بلاد اليمن من أفضل بلاد العالم أمنًا، ويمكن للمرء أن يسير بمفرده فى طول البلاد وعرضها، فلا يعترضه أحد، ولا يعتدى عليه أحد، والسر فى ذلك، شدة حرص الإمام على تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية على جميع من تحدثه نفسه بالإخلال بالأمن، أو التعدى على الغير. فالقاتل يُقتل حالاً، والسارق تقطع يده بلا رحمة أوشفقة[١٧٠]، فلذلك

لا يسمع الإنسان إذا جاب البلاد من أقصاها إلى أقصاها بحادثة سلب أو نهب، أو قتل، إلا ما ندر. فالأمن مستتب فى كل ناحية من نواحى اليمن، ويمكن للمرء أن يحمل الذهب، ويسير بأمان واطمئنان أينما يشاء، دون أن يعترضه معترض، أو يعتدى عليه معتد، وقد سرت بنفسى دون حرس أو جند من الحديدة إلى صنعاء، ومن صنعاء إلى عدن، واستغرقت هذه الرحلة معى نحو عشرين يومًا، فلم أشهد ما يكدرنى أويخيفنى»[١٧١].

أما العميد الركن العراقى سيف الدين سعيد آل يحيى، الذى كان أحد اعضاء البعثة العسكرية العراقية فى اليمن، فيقول: «لم يقع فى اليمن أكثر من جريمة قطع طريق واحدة، وجريمتى قتل متعمد طوال ثلاث سنوات من وجودنا فى اليمن من عام ١٩٤٠م إلى ١٩٤٣م، ونحن لا ننقل وقائع الأمن هذه من صفحات الجرائد أو المجلات، ولا من صفحات التاريخ، إنما نرويها عن علم، ومشاهدة، وتصوير»[١٧٢].

أما المندوب السامى البريطانى رايلى فيقول، فى خطاب بعثه إلى وزير شؤون المستعمرات فى فبراير عام ١٩٣٤م، مبديًا إعجابه بالأمن الذى لمسه خلال رحلته التفاوضية إلى اليمن: «إن الإمام تمكن من تأسيس دولة مركزية فيها نظام وقانون بين القبائل العصية، وأنه من الممتع أن ترى الفروقات الكبيرة بين الأمن التام الحالى الذين تسافر فيه القوافل المحملة خلال الليل والنهار بغير حراسة أو تسليح، وبين الأوضاع السابقة التى كانت القوافل والمسافرون يعانون فيها من الأخطار الجمة، والتى - للأسف الشديد - مازالت موجودة فى أجزاء من محمية عدن التى نحكمها»[١٧٣].

ولعلم القارئ أن ثمن هذا الأمن والأمان الذى ساد فى اليمن، لم يكن يتعدّى المئات من المساجين من رؤوس الفتن، وغيرهم من المجرمين والمتآمرين، وهو رقم متواضع جدًّا، مقارنة بما شهدناه بعد حكم الإمام يحيى وأسرته، سواء فى اليمن أو فى العالم العربى، الذى يتعدّى فيه عدد المساجين السياسيين فى كل بلد رقم العشرات من الألوف، وهذا غير عشرات الألوف من الأرواح التى أُزهقت ظلمًا وعدوانًا، ولا يدرى أهاليهم عن أماكن دفنهم.

الشورى:

لم تأخذ سيرة الإمام يحيى حقها تاريخيًّا وإعلاميًّا بشمولية الحقائق التى كانت عليها، بل تم التشويه والتأويل السلبى للبعض من الحقائق، بوضعها فى غير نصابها التاريخى، وتم الدفن للبعض الآخر، بما يتناسب مع الأجندة السياسية لخصوم الإمام يحيى، ومن تلك الحقائق المدفونة التى لم تجد لها طريقًا نحو الإعلام، حرص الإمام

يحيى على المشورة، حيث تم تصوير الإمام يحيى وكأنه حاكم متفرد برأيه، مستبد بحكمه، متقوقع على نفسه، يرفض الاستعانة بأحد من الرجال المتخصصين، ولا يجد رجال دولته منه آذانًا صاغية لنصائحهم، يريد ربط كل كبيرة وصغيرة فى يده، حتى ولو كان أمرًا تافهًا للغاية.

وواقع الأمركان غير ذلك تمامًا بشهادة الكثير من الشخصيات المحايدة، فها هو الرحالة الألمانى هانز هولفريتز، الذى سجَّل ملاحظاته بعد أن زار الإمام يحيى يُفنِّد اتهامات الاستبداد بقوله: «ليست هذه الاتهامات ناجمة عن شهوة عارمة فى الاستبداد والتسلط، إذ على المرء أن يذكر أن مملكة اليمن حديثة فى عهدها وإنشائها، وأن الأمرلم يستقر فى داخلها استقرارًا تامًا، وأن الأخطار تهددها من كل جانب[١٧٤].

فالسمة البارزة عبر التاريخ لكل الدول التى مازالت فى طور التأسيس والتشكل، هى التعاطى مع الشؤون السياسية بحذر وحزم، ووحدة قرار سياسى، وسرعة فى التنفيذ، وهذا مالا يمكن أن يتأتى بالخضوع للمجادلات الرومانسية أو التجاذبات السفسطائية التى نراها تدور اليوم فى أروقة البرلمانات العربية. فالأوضاع فى اليمن فى ذلك الزمان لم تكن تحتمل أى ثغرة؛ لأن البلاد كانت تعيش فى حالة طوارئ أو بالأحرى حالة وجود أو لا وجود، والأعداء يتربَّصون بها الدوائر من كل جانب، خلافًا لحال اليوم الذى أرسيت فيه قواعد وهياكل كل شىء.

وبالرغم من الأخطار التى كانت تُهدِّد اليمن،فها هو أمين الريحانى يُؤكِّد بعد زيارته للإمام يحيى، بأنه كان لديه أخصائيون يستشيرهم ويستعين بهم[١٧٥]، وها هو الرحالة والكاتب الإيطالى سلفاتورأبونتى، الذى زار اليمن فى عهد الإمام يحيى، يقول: «إذا اقتضى الأمر اتخاذ قرارات مهمة، يجمع الإمام مجلسا يضمُّ وجهاء البلاد وعلماءها، ممن عُرفوا بالخبرة والحنكة وبُعد النظر، لكى يبحثوا الموقف من كل نواحيه»[١٧٦]. وها هم الكثير من الباحثين الروس الخاليين من الأغراض، يشيرون فى كتبهم، ومنها كتاب: تاريخ اليمن المعاصر، إلى أن الإمام يحيى كان لديه مجلس استشارى يُسمَّى مجلس الدولة، كان يُناقش فيه المسائل السياسية، والحربية، والدينية[١٧٧].

كان هذا المجلس الاستشارى يضمُّ مستشارين مختصين من ذوى الرأى والمشورة، الذين عُرفوا بالخبرة والحنكة وبعد النظر، منهم يمنيون من كبار العلماء والمفكرين، ممن تمرَّنوا على القضاء والإدارة فى عهد الأتراك فى المناصب الكثيرة التى تقلَّبوا فيها[١٧٨]، مثل القاضى عبد الكريم بن أحمد المطهر، الذى كان يستعين به الإمام عند مطارحاته مع المفكرين والعلماء

العرب[١٧٩]، بوصفه متمرسًا فى الشؤون الخارجية[١٨٠]. ومثل احمد الكبسى العالم بشؤون العشائر ورؤسائهم[١٨١] ومثل عبدالله العمرى الذى كان فى منصب الوزير الأول للامام يحى ويعتبر بمثابة أمين سر الدولة حيث كان تسليمه الختم الخاص بالإمام إشارة الى الثقة والصلاحية الكبيرة التى كان يستمدها من الامام يحى[١٨٢] ومثل حسين عبد القادر الذى كان يتبوء منصب قائم مقام فى عهد الاتراك فى اليمن وتمرس فى العمل السياسى عندما عين مبعوثا عن اليمن فى مجلس المبعوثان فى اسطنبول أيام الدولة العثمانية[١٨٣] ومثل محمد الحجرى الذى تولى ديوان المحاسبة العامة وكان ينتدبه الامام يحى لحضور المؤتمرات العربية والدولية[١٨٤] ومنهم موظفون أجانب مسلمون، لهم خبرة فى العلاقات الدولية، استعان بهم الإمام يحيى كمستشارين فى اتصالاته الخارجية، مثل السورى محمود نديم، الذى مكث لدى الإمام يحيى مستشارًا لأكثر من عشرين عامًا[١٨٥]، وظلّ الإنكليز يشكون منه ويحنقون عليه بسبب مخططاته ووسائله، بل إنهم صرَّحوا أن بريطانيا لن يقرَّ لها قرار، ما دام محمود نديم فى صنعاء مستشارًا للإمام، والسبب أنه كان خصمًا عنيدا للإنكليز، وصلبًا لا يُساوم على مبادئه الإسلامية، مثله مثل الإمام يحيى، الذى وجد فيه ضالته، وتعاون معه تعاونًا مثاليًّا[١٨٦]. ومثل اللبنانى عدنان الترسيسى، خريج جامعة السوربون فى فرنسا، الذى استقدمه الإمام يحيى على رأس بعثة استشارية وثقافية لبنانية؛ لمساعدة اليمن على تنظيم بعض الإدارات[١٨٧]، وللاستعانة به مستشارًا وممثلاً لليمن فى المنظمات الدولية[١٨٨]. ومثل المصرى خريج القانون، حسن بك البغدادى، الذى كان مستشارًا للإمام يحيى ومرافقًا مع الوفود الرسمية اليمنية إلى الخارج[١٨٩]، وقد تكاتف بخبرته مع عدنان ترسيسى ومحمد خطاب بك فى نسج العلاقات، وعقد الاتفاقيات مع الدول الكبرى، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، التى سافروا إليها جميعا مرافقين لسيف الإسلام عبدالله بن الإمام يحيى فى رحلته الدبلوماسية إليها[١٩٠].

هذا بالإضافة إلى نجيب أبى عز الدين، الذى أتى من الشام ليخدم اليمن لأكثر من عشرين عامًا مستشارًا فى وزارة الخارجية اليمنية[١٩١]، وكذلك راغب بك التركى، الذى كان متمرسًا فى العمل السياسى والدبلوماسى، وصياغة العلاقات والاتفاقيات مع الدول الكبرى، فاستعان به الإمام يحيى، لمعرفته بحيل الدول الكبرى وألاعيبها، ولخبرته فى الخدمة الدبلوماسية الطويلة فى سفارات الأمبرطورية العثمانية فى برلين، وباريس، وفيّنا، وسان بتسبرج[١٩٢]، إضافة إلى أنه كان فى فترة من فترات الحكم العثمانى متصرفًا فى العراق، ثم انتقل إلى اليمن بعد استلام أتاتورك للسلطة، وبقى فى خدمة الإمام يحيى طيلة فترة حكمه، وهو ينسج علاقات اليمن مع الفضاء الدولى[١٩٣].

ولا يفوتنا ذكر السورى حسن تحسين، الذى كان من القادة العرب المتمرسين فى الجيش العثمانى، وفضَّل البقاء فى اليمن بعد سقوط الدولة العثمانية؛ لمساعدة الإمام يحيى فى إدارة شؤون البلاد، وتقديم الاستشارات، وتأسيس الجيش اليمنى[١٩٤].

هؤلاء المستشارون الآنفو الذكر، وإن لم يكن يضّمهم إطار أو هيكل رسمى، على شاكلة ما نراه اليوم من مجالس شورى وبرلمانات منتخبة، إلاأن الإمام يحيى كان يصغى إليهم، ولا يقطع أمرًا دون الرجوع إلى مشورتهم. وفى رأيى، أنه لولا مشورة هؤلاء لما وجدنا الإمام يحيى قد تمكَّن من أن يعبر بالوطن فى ظروف بالغة الصعوبة، مجنبًا البلاد الكثير من الشِّراك والمطبات الإستراتيجية التى وقع فيها غيره من مجايليه من الحكام العرب، ولا كان قد برع فى المحافظة على توازنات دقيقة بين القوى الدولية العظمى، خاصة أن اليمن كانت ضمن منطقة تنازع نفوذ دولى، والصراع على أشده بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، لإيجاد موطأ قدم لهم على مضيق باب المندب، وفى منطقة الشيخ سعيد بالذات، ولا كان قد نجح فى المحافظة على وحدة ليمن، وحمايته من المحو من الخارطة السياسية، كما حصل لدولة الأدارسة فى عسير، ودولة الأشراف فى الحجاز.

المستشار السورى محمود نديم فى عام ١٩١٨م لا بسًا للطربوش

المستشار التركى راغب بك يظهر فى الصورة على يسار سيف الإسلام محمد، مرافقًا له فى إحدى رحلاته الدبلوماسية عام ١٩٢٦م، وعلى يمين السيف محمد يظهر رئيس الوزراء القاضى عبدالله العمرى.

المستشارين باللباس اليمنى التقليدى، وهم فى أقصى يمين الصورة المصرى حسن بغدادى، وأقصى يسار الصورة اللبنانى عدنان ترسيسى، وبينهما المترجم اللبنانى جورج واكيم، والوزيران اليمنيان محمد العمرى، والحسن بن إبراهيم فى أروقة الأمم المتحدة عام ١٩٤٦م، مع سيف الإسلام عبدالله بن الإمام يحيى.

وإضافة إلى هؤلاء المستشارين الأجانب، ظهر فى عهد الإمام يحى الكثير من الشخصيات القحطانية الكبيرة، التى قلدها الإمام يحيى جليل الأعمال، وساعدت هى بدورها فى تسيير شؤون الحكم بمشورتها، وتبوئها أعلى المراتب الإجتماعية والحكومية، خلافاً اللأكاذيب التى روَّجها أعداء الإمام، من أنه قصر المراتب العليا فى الدولة على قراباته وسلط طائفته الهاشمية ضمن أجهزة الدولة.

وواقع الأمر أن الإمامة عبر تاريخها فى اليمن، كانت تخصّ الفقهاء القحطانيين دائمًا بالوزارة، بوصفه تقليدًا تاريخيًّا قد يكون بسبب انعدام طموحهم إلى الإمامة، حتى إن بعض الأسر القحطانية توارثت الوزارات(١٩٥). ومن هذا الباب نستطيع أن نؤكد أن الطريق كان معبدًا لأى طامح من الشخصيات القحطانية - كائنًا من كان - فى عهود الأئمة لأن يرتقى السلم الاجتماعى إلى أن يصل إلى دوائر القرار والشورى، بشرط أن يمرَّ بمراحل مختلفة من التحصيل العلمى والدينى، إلى أن يتأهّل للحصول على لقب قاضى*. والعلامة محمد بن على الشوكانى، الذى تولّى منصب القضاء العام، ومنصب الوزير والمستشار الأول فى عهد الدولة القاسمية لدى ثلاثة أئمة، يعدُّ أكبر مثال على ذلك* وبالرغم من أن لقب قاض كان يقتصر فى عهد الإمام يحى وأسلافه على فئة المتعلمين من الفقهاء القحطانيين، إلا أنه مع دخول عصر الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين، وجدنا كثيرًا من الشخصيات القحطانية قد ارتقت سياسيًّا واجتماعيًّا، وتلقَّب أصحابها بالقضاة، اعتمادًا على كفاءتهم الشخصية، وإرث أسلافهم الدينى، دونما حاجة للمرور بمراحل التحصيل العلمى الدينى نفسها التى مرّ بها المؤسسون من أسلافهم،ومن هؤلاء شخصيات من بيت الحجرى، وبيت العرشى، وبيت العمرى، وبيت الجرافى(١٩٦)، وبيت الأريانى، (١٩٧)، هذا بالإضافة إلى بيت الأكوع وبيت الحلالى وبيت الشوكانى(١٩٨).

وفى معرض الحديث عن الشورى فى عهد الإمام يحى، لن نجد من شرح أو فَى لهذا المفهوم لدى الإمام يحيى من المكاتبات التى تمت عام ١٩٣٦م بينه وبين أحمد بن محمد زبارة، الذى أصبح لاحقًا بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، مفتى الجمهورية اليمنية، حيث استنكر المعاهدة التى أبرمها الإمام يحيى مع الطليان فى إحدى رسائله الموجهة إلى الإمام

* لقب قاضى كان صفة تكريمية تطلق فى عهود الامامة لفئة الفقهاء والمتعلمين من القحطانيين سواء مارسوا القضاء أم لم يمارسوه.

يحيى، فردَّ عليه الإمام يحيى قائلاً: «ما علمنا انه كان مع رسول الله (ص) والخلفاء من بعده مجلس شورى، نحن نستشير أولى العقول المجربين لا المغفلين، الذين لا يعرفون ما فى الكون، ممن يقولون: إن المعاهدة مع إيطاليا لا فائدة منها، فلولا معاهدة الطليان - بعد الله - أنه حدث من الأدريسى ومن بعده كل محذور لعدم الأسلحة، فظهر لك الجهل والخطأ والغفول»[١٩٩].

وزير خارجية اليمن فى العهد الملكى، القاضى محمد العمرى يتحدَّث مع أحمد الشقيرى، ممثل فلسطين فى إحدى اجتماعات جامعة الدول العربية. ويظهر فى أقصى يسار الصورة، القاضى عبدالرحمن الأريانى، الذى كان وزير دولة ومستشارًا للإمام أحمد، وممثلاً لليمن فى الكثير من المؤتمرات الدولية، والإسلامية، والعربية فى العهد الملكى، وأصبح لاحقًا بعد سقوط الملكية ثانى رئيس للجمهورية اليمنية.

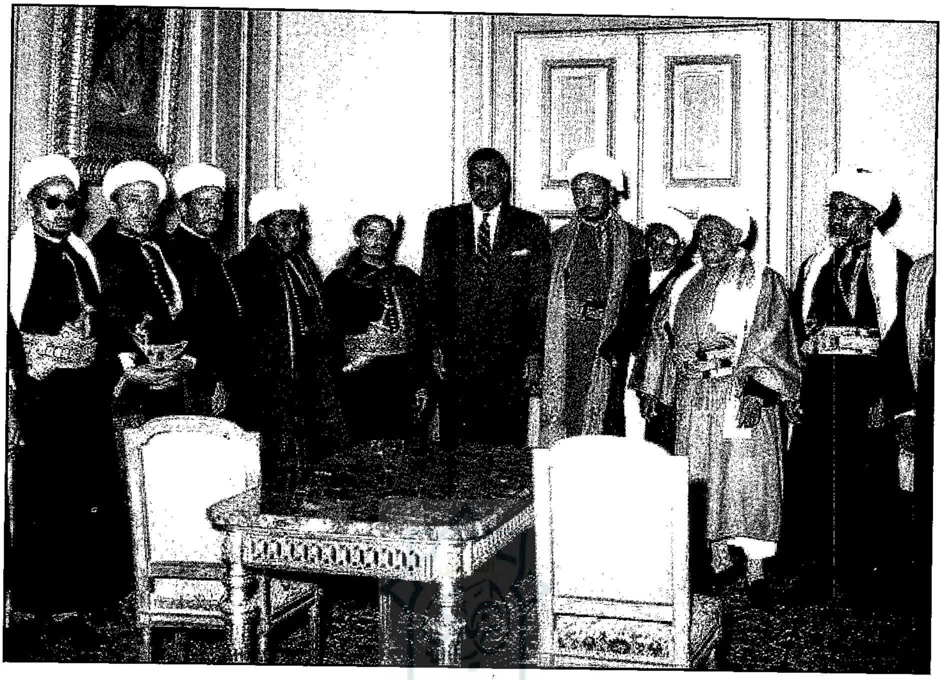

ولى العهد مع مجموعة من رجال الدولة فى زيارة لمصر عام ١٩٥٧م فى صورة تعبر عن حقيقة الوحدة الوطنية بين كافة مكونات الشعب اليمنى فى عهود الأئمة يحى وأحمد، فنرى من اليمين القاضى السياغى وهو من الأسر القحطانية المعروفة فى اليمن، ومحمد الباشا سليل أحد الأسر الاقطاعية الشافعية المذهب مع وزير المعارف محمد عبدالله عامو الشافعى المذهب، ومن اليسار القاضى الشماحى والقاضى عبد الرحمن الاريانى وهم ايضا من الأسر القحطانية العريقة فى اليمن، وبينهما فردين من الطائفة الهاشمية وهم حسن ابراهيم ومحمد الشامى

القاضى محمد الزهيرى مع وزير اليمن المفوض فى العهد الملكى، عبد الرحمن أبو طالب فى أروقة الأمم المتحدة لتمثيل اليمن فى إحدى جلسات المنظمة الدولية.

يظهر فى أقصى يسار الصورة، القاضى حسين الحلالى مع الإمام أحمد ومبعوث الملك عبد العزيز إلى اليمن، الأمير محمد السديرى. وللعلم فالحلالى كان من رجال الصف الأول فى عهد الإمام أحمد، حيث كان من مستشارى الإمام أحمد وتقلَّد إمارة مدينة الحديدة، ثم ترأس الديوان الملكى.

القاضى حسين الحلالى فى مطلع الخمسينات يترأس وفد اليمن فى زيارة رسمية إلى القدس الشريف

هذا الرد من الإمام يحيى لمحمد بن احمد زبارة، فيه إشارة واضحة للكيفية التى كان الإمام يحيى يستشير فيها، باتباع سنن الراشدين من السلف الصالح، الذين كانوا يستشيرون الثقات، المنزهين عن الأغراض، وأصحاب العقول من أولى الرأى والحكمة، وليس كل من هبَّ ودبَّ من الأفراد الذين كانوا يفتقدون إلى ألف باء الوعى الفكرى والسياسى، ولم ترقَ مفاهيمهم وذهنياتهم بعدُ فى مجتمع اليمن القبلى التقليدى المحافظ إلى المستوى المطلوب، على شاكلة ما نراه اليوم فى الهيئات الشورية، والمؤسسات الحقوقية، والهياكل التشريعية، والنقابات التنظيمية.

ومع عدم تسليمنا فى عالم اليوم بأفضلية هذا الأسلوب من الشورى،الذى اتبعه الإمام يحيى، وحتى لا يُساء الفهم من أننى أدعوا إلى الارتداد إلى أطر ومفاهيم الماضى؛ أقول بأنه غنى عن البيان، أن هناك قوانين ونواميس تحكم مسيرة التاريخ، لا يمكن تجاوزها أو القفز عليها،مهما حسنت النيات وارتقت المقاصد، فالإمام يحيى كان ابن بيئته وزمانه، واسلوب الشورى الذى اتبعه كان الخيار الوحيد المتاح لأى حاكم مستنير يتصرَّف بروح المسؤولية والشعور الوطنى، ويعيش فى ذلك الزمان فى جزيرة العرب، التى لم يتألَّف فيها بعد الحدّ الأدنى من مكونات المجتمع المدنى، ولم تتشكَّل فيها بعد الشروط الأولية لمفاهيم المؤسسات

الدستورية، ولم تُقنّن فيها بعد القواعد السياسية فى ممارسة الحكم، ولا يسع المنصف إلا الاعتراف بهذه الحقيقة، كما اعترف بها الكثير من المفكرين العرب، الذين زاروا الإمام يحيى ودونوا مشاهداتهم عن واقع مجتمع الجزيرة العَربية، مثل المجاهد والمفكر الإسلامى التونسى الثعالبى، الذى وصف حال اليمن بعد زيارته له بقوله: «والذى يظهر أن الجزيرة العربية لم تزل فى أخريات بلاد العالم، وغير قابلة لهضم شىء، ولا للقيام بأى عمل، ومن أين لها القدرة والقوة على الهضم والعمل، وهى غارقة فى الجهالة، لا تستطيع أن تبصر النور، ولا تعرف من النظام والحكومة غير الخضوع الأعمى لرئيس القبيلة، والفناء فى ذاته. له أن يُغنى ويفقر، ويعطى ويمنع، ويأمر وينهى، وما على سواه إلا السمع والطاعة. وهذه هى الفكرة السائدة فى جزيرة العرب، وهذا مبلغ ما وصلوا إليه من العلم بالحياة الاجتماعية، فكيف نسوّغ لأنفسنا أن نطلب منهم أن يعملوا بغيرما علموا، أو يفكّروا فى أمور لم تخطر على بال؟»[٢٠٠].

وصدق الثعالبى فى تحليله لظروف مجتمع الجزيرة العربية، حيث إن مفهوم الشورى - بصفة عامة - لم يكن مطروحًا من الأساس فى ذلك الزمان، بل إن الشعب نفسه لم يكن ينتظر أصلاً هذه القيمة، ولم يكن يفكّر فى مجرد طرحها على طاولة البحث، وهذه لم تكن سمة الحال فى اليمن، بل سمة المجتمعات برمتها فى الجزيرة العربية.

المراجع:

١ – (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكوب، ترجمة: أحمدالمضواحى، طبعة عام ١٩٨٣م، ص١٧١).

٢ – (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، دراسة وتحقيق الدكتور: محمد عيسى صالحية، الجزء الأول، ص١٤٧).

٣ – (المصدر نفسه، ص١٤٢)، انظر كذلك (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص٤٠٠ – ٤٠١).

٤ – (المصدر نفسه، ص١٣٨).

٥ – (المصدر نفسه، ص١٥٧ – ١٥٩).

٦ – (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبى، الطبعة الأولى، ص١٠٠).

٧ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعة الأولى، ص٣٥٢).

٨ – (المصدر نفسه، ص٢١٦).

٩ – (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص٢٢).

١٠ – (المصدر نفسه، ص٢٤).

١١ – (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكوب، تعريب: أحمد المضواحى، طبعة ١٩٨٢م، ص١٤٠).

١٢ – (اليمن الأئمة والحكام والثورات، هارولد أنجرامز، ترجمة: نجيب باوزير، الطبعة الأولى، ص٥٩).

١٣ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص٣١٣).

١٤ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة ١٩٩١م، ص٣٩٥).

١٥ – (المصدر نفسه، ص٥٠٤).

١٦ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٦١).

١٧ – (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، الطبعة الأولى، ص١٩٩).

١٨ – (اليمن والغرب، أريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسين عبدالله العمرى، الطبعة الثانية، ص١٤٨).

١٩ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص٢٢٣).
٢٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٣٤٤).
٢١ - (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة ١٩٩١م، ص٤٦).
٢٢ - (الرحلة اليمنية،عبد العزيز الثعالبى، الطبعة الأولى، ص٢٦).
٢٣ - (المصدر نفسه، ص٩٤).
٢٤ - (ثورة ١٩٤٨م: الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، الطبعة الأولى، ص٥٥).
٢٥ - (وثائق يمنية، الدكتور سيد مصطفى سالم، طبعة ١٩٨٢م،ص٣٥١).
٢٦ - (ملوك العرب، أمين الريحانى، بدون رقم الطبعة وبدون تاريخ، ص١٧٨).
٢٧ - (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعةالأولى، ص٢٠٣ - ٢٠٤).
٢٨ - (زيد الموشكى شاعرًا وشهيدًا، دكتور عبد العزيز المقالح، الطبعةالأولى، ص١٠١).
٢٩ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكوب، تعريب: أحمد المضواحى، طبعة ١٩٨٣م،ص١٣٤).
٣٠ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبدالله الشماحى، طبعة ١٩٧٢م، ص١٦٨).
٣١ - (ملوك العرب، أمين الريحانى، بدون رقم طبعة أو تاريخها،ص١٣٥).
٣٢ - (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة ١٩٩١م، ص٣٩٥).
٣٣ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، الجزء الأول، ص١٠٨).
٣٤ - (العلاقات اليمنية الأمريكية فى عهد الإمام يحيى، الدكتور: محمود الجبارات، الطبعة الأولى، ص١٠٠).
٣٥ - (العلاقات اليمنية الامريكية فى عهد الإمام يحيى، الدكتور محمود الجبارات، الطبعة الأولى، ص٦).
٣٦ - (تاريخ اليمن المعاصر، مجموعة من المؤلفين السوفيات، تعريب: محمد على البحر، طبعة ١٩٩١م، ص٤٢).
٣٧ - (مذكرات دبلماسى فى اليمن، إستاخوف إنكارين، ترجمة الدكتور: قائد محمد طربوش، الطبعة الأولى، ص١٥٠).
٣٨ - (المصدر نفسه، ص١٥٢).

٣٩ – (ملوك العرب، أمين الريحاني، بدون رقم طبعة أو تاريخها،ص١٢٩).
٤٠ – (المصدر نفسه، ص١١٠).
٤١ – (اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، تعريب:خيرى حماد، طبعة عام ١٩٨٥م،ص١٤٠).
٤٢ – (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، دراسة وتحقيق الدكتور: محمد عيسى صالحية،الجزء الأول، ص١٨٨).
٤٣ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعة الأولى، ص٤١٤).
٤٤ – (اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، تعريب: خيرى حماد، طبعة ١٩٨٥م، ص١٤١).
٤٥ – (مذكرات دبلوماسي فى اليمن، إستاخوف إنكارين،ترجمة الدكتور: قائد محمد طربوش، الطبعة الأولى، ص١٤٩).
٤٦ – (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ص٢٠٧).
٤٧ – (رحلة فى فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، بدون رقم الطبعة ولا تاريخها،ص١٣١).
٤٨ – (مجلة اليمن الجديد، العددالرابع، أكتوبر – نوفمبر، ١٩٨١م،ص٥٠).
٤٩ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة١٩٩١م،ص٥٠٤).
٥٠ – (من أول قصيدة إلى آخر طلقة، عبدالله البردونى، الطبعة الثالثة، ص٦٧).
٥١ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة١٩٩١م،ص٥٠٤).
٥٢ – (الرحلة اليمنية،عبد العزيز الثعالبى، الطبعة الأولى، ص٩٥).
٥٣ – (رحله فى بلادالعربية السعيدة، نزيه مؤيدالعظم، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص٢٦٤).
٥٤ – (المصدر نفسه، ص١٧٩).
٥٥ – (ملوك العرب، أمين الريحانى، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها،ص١٦٠).
٥٦ – (اليمن الإنسان والحضارة، عبدالله الشماحى، طبعة ١٩٧٢م،ص١٦٩).
٥٧ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٤٧ – ٤٨).
٥٨ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة ١٩٩١م،ص١٧١).
٥٩ – (مملكة الإمام يحيى، سلفاتورأبونتى،تعريب: طه فوزى، الطبعة الأولى، ص٧٢).

٦٠ - (المنار واليمن، الدكتور: حسين بن عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص٤٩٨).
٦١ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبدالله الشماحى، طبعة ١٩٧٢م، ص٢٢٦ - ٢٢٧).
٦٢ - (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص٣٧٠).
٦٣ - (مذكرات أحمد محمد نعمان، الطبعة الأولى، ص١٦٧).
٦٤ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص٢٨٠).
٦٥ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد محمد الشامى، الطبعة الأولى، ص٢١٠).
٦٦ - (من مذكرات تركى بن ماضى عن العلاقات السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، ص٢٠٥).
٦٧ - (ملوك العرب، أمين الريحانى، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص١٠٠).
٦٨ - (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص٣٥٥).
٦٩ - (المصدر نفسه، ص٣٥٠).
٧٠ - (المصدر نفسه، ص١٨١).
٧١ - (المصدر نفسه، ص٢٧٣ - ٢٧٤).
٧٢ - (مسيرة جهاد، إبراهيم بن على الوزير، الطبعة الأولى، ص٩ - ١١).
٧٣ - (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، الطبعة الأولى، ص١٩).
٧٤ - (ثورة ١٩٤٨م: الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، إعداد: مركز الدراسات والبحوث اليمنى، الطبعة الأولى، ص٤٢٥).
٧٥ - (شخصية الامام أحمد حميد الدين ورجال عهده، الطبعة الأولى، اللواء محمد الأكوع، ص١٥٦).
٧٦ - (مذكرات الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، الطبعة الأولى، ص٤٣).
٧٧ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبدالله الشماحى، طبعة عام ١٩٧٢م، ص١٦٧).
٧٨ - (قضايا يمنية، عبدالله البردونى، بدون رقم طبعة ولا تاريخها، ص٤٢٤).
٧٩ - (المصدر نفسه، ص٣٩٤).
٨٠ - (من أول قصيدة إلى آخر طلقة، عبدالله البردونى، الطبعة الثالثة، ص١٩٣ - ١٩٤).
٨١ - (اليمن من الباب الخلفى، هانز هولفريتز، تعريب: خيرى حماد، طبعة ١٩٨٥م، ص١٥٠).
٨٢ - (تكوين اليمن الحديث، سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص٢٨٣ - ٢٨٤).

٨٣ - (مذكرات دبلوماسي في اليمن، إستاخوف إنكارين، تعريب: قائد محمد طربوش، الطبعة الأولى، ص١٥٩).
٨٤ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، الطبعة الأولى، ص٢٣٨).
٨٥ - (دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث سنة ١٩٤٨م، سلطان ناجي، الطبعة الأولى، ص١٢).
٨٦ - (تاريخ اليمن، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، الطبعة الثالثة، ص٣٣٨).
٨٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص١٣٦).
٨٨ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، الجزء الأول، ص١٦١).
٨٩ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص١٥٦).
٩٠ - (اليمن الجمهوري، عبدالله البردوني، الطبعة الأولى، ص٤٩٥).
٩١ - (اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، تعريب: خيري حماد، طبعة ١٩٨٥م، ص١٥٣).
٩٢ - (المصدر نفسه، ص١٥٣).
٩٣ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص١٣٦).
٩٤ - (المصدر نفسه، ص١٥٦).
٩٥ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، ص٦٠ - غير مذكور رقم طبعة أو تاريخها).
٩٦ - (اليمن في عيون البعثة العسكرية العراقية، العميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص٣٠٦ - ٣٠٧).
٩٧ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، غير مذكور رقم طبعة أو تاريخها، ص١٤١ - ١٤٢).
٩٨ - (المصدر نفسه، ص٦٠).
٩٩ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، غير مذكور رقم طبعة أو تاريخها، ص٨٨).
١٠٠ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، غير مذكور رقم طبعة أو تاريخها، ص٢٦٤).

١٠١ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة ١٩٩١م، ص١٦٨).
١٠٢ – (انقلاب عام ١٩٥٥م فى اليمن، حيدر على ناجى العزى، طبعة عام ٢٠٠٤م، ص١٤٧).
١٠٣ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص٣٠١).
١٠٤ – (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص٢٤٨).
١٠٥ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص٣٢٩ – ٣٣٠).
١٠٦ – (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، طبعة ١٩٨٣م، ص٢٤٤).
١٠٧ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعة الأولى، ص٥٩٧).
١٠٨ – (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكوب، ترجمة: أحمد المضواحى، طبعة عام ١٩٨٣م، ص١٧١).
١٠٩ – (رياح التغيير فى اليمن، أحمد محمد الشامى، الطبعة الأولى، ص٧٨).
١١٠ – (اليمن الأئمة والحكام والثورات، هارولد إنجرامز، تعريب: نجيب باوزير، الطبعة الأولى، ص٣٢).
١١١ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة ١٩٩١م، ص٣٩٦).
١١٢ – (تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن، العميد الركن سيف الدين آل يحيى، ج الأول، الطبعة الأولى، ص٦٢).
١١٣ – (اليمن فى عيون البعثة العسكرية العراقية، العميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص٢٨٣).
١١٤ – (مذكرات الرئيس عبد الرحمن الاريانى، الطبعة الأولى، ١٧٧).
١١٥ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعة الأولى، ص٢١٩).
١١٦ – (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبى، الطبعة الأولى، ص١٤٨).
١١٧ – (اليمن والإنسان والحضارة، عبدالله عبدالوهاب الشماحى، طبعة ١٩٧٢م، ص١٧٠).
١١٨ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعة الأولى، ص٣٥).
١١٩ – (التاريخ يتكلم، عبد الملك الطيب، الطبعة الأولى، ص١٥٩).
١٢٠ – (قضايا يمنية، عبدالله البردونى، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص٢٩٣).
١٢١ – (المصدر نفسه، ص٤١).
١٢٢ – (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة عام ١٩٩١م، ص١١٤).

١٢٣ - (اليمن الجمهوري، عبدالله البردوني، الطبعة الأولى، ص٢١٩).
١٢٤ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبدالله الشماحي، طبعة ١٩٧٢م،ص١٧٠).
١٢٥ - (مذكرات المقبلي، حسين محمد المقبلي، الطبعة الأولى، ص٢٢).
١٢٦ - (اليمن الجمهوري، عبدالله البردوني، الطبعة الأولى، ص٣٤).
١٢٧ - (قصص وحكايات من اليمن، العلامة بن اسماعيل العمراني ص ٤١ - ٤٢، طبعة عام ٢٠١٠م).
١٢٨ - (المصدر نفسه، ص٦٧).
١٢٩ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص٢٣).
١٣٠ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، الجزءالأول، ص٧٣).
١٣١ - (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردوني، طبعة ١٩٩١م،ص١١٢).
١٣٢ - (اليمن الجمهوري، عبدالله البردوني، الطبعة الأولى، ص٣٤٧).
١٣٣ - (اليمن عبر التاريخ،أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص٣٠١).
١٣٤ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، الجزءالأول، ص٢٧٦).
١٣٥ - (المصدر نفسه، ص٢٧٦).
١٣٦ - (المصدر نفسه، ص٢٣٩).
١٣٧ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكوب، ترجمة: أحمد المضواحى، - طبعة ١٩٨٣م، ص٢٦٣).
١٣٨ - (الصديقان الأرياني والمعلمي على طريق النضال، أحمد عبد الرحمن المعلمي، الطبعة الأولى، ص٤٣).
١٣٩ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، بدون رقم طبعة أو تاريخها،ص ٢٩٠ - ٢٩١).
١٤٠ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكوب، ترجمة: أحمد المضواحى، طبعة ١٩٨٣م،ص١٧١).
١٤١ - (المصدر نفسه، ص١٣٦ - ص٣٣٢).

١٤٢ – الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة عام ١٩٩١م، ص٥٠٥).
١٤٣ – (التاريخ العسكرى لليمن، سلطان ناجى، غير مذكور رقم طبعة ولا تاريخها، ص٧٠).
١٤٤ – (ملوك شبه الجزيرةالعربية، هارولد جيكوب، تعريب: أحمد المضواحى، طبعة ١٩٨٣م، ص١٢٥).
١٤٥ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص٦٧).
١٤٦ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص١٧٠).
١٤٧ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص٣٠٥).
١٤٨ – (رياح التغيير فى اليمن، أحمد محمد الشامى، الطبعة الأولى، ص٢١١).
١٤٩ – (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، الطبعة الأولى، ص٥٦٩).
١٥٠ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص٣٠٥).
١٥١ – (مملكة الإمام يحيى، سلفاتور أبونتى، تعريب: طه فوزى، الطبعة الأولى، ص٣٤).
١٥٢ – (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص٤٧٢).
١٥٣ – John Baldry, Alhudayda and the powers during the Saudi Yemeni war. Arabian studies , vol v11(1982) pp 7 – 34
١٥٤ – (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص٢٢٨).
١٥٥ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، الطبعة الثانية، ص١٦٠).
١٥٦ – (قضايا يمنية، عبدالله البردونى، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص٢٩٧).
١٥٧ – (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، دراسة وتحقيق: دكتور محمد عيسى صالحية، الجزء الأول، ص٢٠).
١٥٨ – (ثورة ١٩٤٨م: الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، الطبعة الأولى، ص١٢٢).
١٥٩ – (مأساة واق الواق، محمد محمود الزبيرى، الطبعة الثانية، ص١٥٦).
١٦٠ – (مصرع الابتسامة، حميد أحمد شحرة، الطبعة الأولى، ص١٥٢).
١٦١ – (حياة الأمير على بن عبدالله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص٤٣٨).
١٦٢ – (مصرع الابتسامة، حميد أحمد شحرة، الطبعة الأولى، ص١٥٥).

١٦٣ – (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص٢٥).
١٦٤ – (مصرع الابتسامة، حميد أحمد شحرة، الطبعة الأولى، ص١٥٦).
١٦٥ – (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكوب، تعريب: أحمد المضواحى، طبعة ١٩٨٣م، ص٢٢٥ – ٢٢٦).
١٦٦ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعة الأولى، ص١٤٢).
١٦٧ – (تاريخ اليمن، عبدالواسع بن يحيى الواسعى، الطبعة الثالثة، ص٣٤١).
١٦٨ – (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبى، الطبعة الأولى، ص١٤٨).
١٦٩ – (ملوك العرب، أمين الريحانى، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص١٤٣).
١٧٠ – (رحلة فى بلادالعربية السعيدة، نزيه مؤيدالعظم، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص٥٦).
١٧١ – (المصدر نفسه، ص٨١).
١٧٢ – (اليمن فى عيون البعثة العسكرية العراقية، العميد الركن سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص١٦٦).
١٧٣ – (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص٧٧).
١٧٤ – (اليمن من الباب الخلفى، هانز هولفريتز، تعريب خيرى حماد، طبعة ١٩٨٥م، ص١٣٨).
١٧٥ – (ملوك العرب، أمين الريحانى، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص١٨١).
١٧٦ – (مملكة الإمام يحيى، سلفاتور أبونتى، تعريب: طه فوزى، الطبعة الأولى، ص١٢٠).
١٧٧ – (تاريخ اليمن المعاصر: مجموعة من المؤلفين السوفيات، ترجمة: محمد على البحر، طبعة ١٩٩١م، ص٢١).
١٧٨ – (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبى، الطبعة الأولى، ص٨٦).
١٧٩ – (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، دكتور عبد العزيز قائد المسعودى، الطبعة الأولى، ص١٩٩).
١٨٠ – (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعة الأولى، ص٤٢٠).
١٨١ – (ملوك العرب، أمين الريحانى، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص١٨١).

١٨٢ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، دكتور عبد العزيز قائد المسعودى، الطبعة الأولى، ص٨٠).

١٨٣ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، بدون رقم طبعة أو تاريخها، ص٢٦٥).

١٨٤ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، الطبعة الأولى، ص٨٣٧).

١٨٥ - (العلاقات اليمنية الأمريكية فى عهد الإمام يحيى، دكتور محمود الجبارات، الطبعة الأولى، ص١٢٥).

١٨٦ - (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، الطبعة الأولى، ص٧٢).

١٨٧ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد محمد الشامى، الطبعة الأولى، ص١٦٩).

١٨٨ - (خمسون عامًا فى الرمال المتحركة، محسن العينى، الطبعة الأولى، ص١٧).

١٨٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص١٤٠)

١٩٠ - (العلاقات اليمنية الأمريكية فى عهد الإمام يحيى، دكتور محمود الجبارات، الطبعة الأولى، ص٢٨٢).

١٩١ - (المصدر نفسه، ص١٠٠).

١٩٢ - (مذكرات دبلوماسى فى اليمن، إستاخوف إنكارين، ترجمة دكتور: قائد محمد طربوش، ص١٤٣).

١٩٣ - (تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن، العميد الركن سيف الدين آل يحيى، ج الأول، الطبعة الأولى، ص٧٨).

١٩٤ - (المنار واليمن، دكتور حسين بن عبدالله العمرى، الطبعة الأولى، ص١٨٣).

١٩٥ - (اليمن الجمهورى، عبدالله البردونى، الطبعة الأولى، ص٢١٠).

١٩٦ - (البنية القبلية فى اليمن، دكتور فضل على أبى غانم، الطبعة الثانية، ص٢٢٣).

١٩٧ - (الثقافة والثورة فى اليمن، عبدالله البردونى، طبعة ١٩٩١م، ص٦٩).

١٩٨ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، دكتور عبد العزيز قائد المسعودى، الطبعة الأولى، ص٨٠).

١٩٩ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد محمد الشامى، الطبعة الأولى، ص٨٢).

٢٠٠ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبى، الطبعة الأولى، ص١٤١).

الفصل الثالث عشر

صور من حاضر اليمن

«وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون».

للعسكر الذين طالما تشدقوا بمنجزات ثورة ٢٦ سبتمبر، وأرادوا من الناس أن يكذبوا أعينهم، ويصدقوا إعلامهم الكاذب، أقول لهم: كفى استخفافًا بالعقول، وذرًّا للرماد على العيون، فالشعب اليمنى قد وعى للحقيقة بعد أكثر من ٥٠ عامًا من المزايدة والخداع والدجل، فها هى صور حية فى ختام هذا الكتاب، تكشف الغطاء عن منجزات ثورتكم المجيدة، بعد أكثر من نصف قرن من قيامها، وعذرًا لإخوانى من أبناء الشعب اليمنى العريق على هذه الصور المؤلمة، فلولا محبتى لكم وغيرتى عليكم، لما صارحتكم بهذه الحقائق المبكية، فصديقك من صدَقَك، لا من صدَّقك، والحقيقة مرة، لا مجال لإنكارها بدفن الرؤوس فى الرمال، وكما قال علماء الاجتماع: إن التغيير لا يمكن أن يتم ما لم تُصْدَم الشعوب فى أعز ما تملك، آليت على نفسى أن أصدمكم فى أعز ما تملكون، وهو عزتكم وكرامتكم الجريحة، عسى ولعل أن يوّلد الألم الحافز فى نفوسكم للتغيير، والوقود للانطلاق من الهاوية التى رماكم فيها حكم العسكر، وأملى ألا يتوهم البعض أننى بهذه الصور، أدعو إلى الارتداد نحو الماضى القديم، فالماضى قد ذهب بخيره وشره، ولم يعد له مكان بيننا جميعًا، أما المستقبل فيدعوكم فِردًا فردًا إلى طى صفحة النزاع مع طواحين الهواء والأوهام التى زرعها العسكر فى رؤوسكم، والتفرغ إلى محاربة العدو الحقيقى لليمن، الذى كان السبب فى بلائكم وضياع بلادكم، والذهاب بعزتكم وكرامتكم، إن لم يكن من أجلكم، فمن أجل أبنائكم وذريتكم من الأجيال القادمة.

ونصيحتى لإخوانى وأحبائى أن تستخلصوا الدروس والعبر مما مضى خلال خمسين عامًا، بألا تسمحوا للقوى الظلامية المتربصة بكم بعد سقوط على عبدالله صالح من اختطافكم بشعاراتهم البراقة، كما اختطفتكم شعارات العسكر الكاذبة، وإلا فإن المأساة سوف تتكرَّر، وسيصبح لسان حالكم المثل العامى: «نطلع من حفرة لدحديرة»، فهل قدَّمتم كل هذه التضحيات لإسقاط على صالح من أجل استبدال طغيان عسكرى بطغيان قبلى طائفى متغطرس، متلبس برداء الدين، ومحترف فى تضليل وتكفير من لا يتفق معه؟! وهل فاتكم أن هذه القوى الظلامية المتربصة، ما هى إلا امتداد لحكم حليفهم السابق على عبداله صالح، الذى مكّن لهم، وهيئ لهم السبل، حتى إذا ما اشتد عودهم؛ خرجوا عليه لاختلافهم معه فى اقتسام كعكة النفوذ، والتهام الأموال العامة؟

واعلموا علم اليقين أن لا عزة ولا كرامة لكم، ولا مجال للحاق بآفاق التحضر واستدراك ما فاتكم خلال أكثر من نصف قرن، إلا بقيام دولة النظام والقانون التى ستضمن لكم العزة، والكرامة، والحرية، والعدالة، والمواطنة الكاملة للجميع، وخاصة للمهمشين، والمظلومين، والضحايا من أبناء الجنوب، وتهامة، وصعدة، وتعز، والمناطق الشرقية فى البيضا ومأرب والجوف، وهذا ما لا يحتمله التكفيريون المولعون بالتمييز والتصنيف بين المواطنين، ولا حلفاؤهم التقليديون من رموز الجهل والتسلط، الذين يحلمون ببقاء اليمن إقطاعية خاصة بهم، ولا يخشون من شيء كخشيتهم من سقوط دولة القبيلة، وقيام دولة المؤسسات التى ستهدم ما تبقى لهم من نفوذ وأركان، وتجرّدهم من الثروات التى نهبوها من قوت الشعب اليمنى خلال أكثر من خمسين عامًا، فالحذار الحذار من هذه القوى التى منذ عرفهم الناس وهم يقتاتون على آلام الآخرين ومآسيهم، ونراهم اليوم بعد أن استحلوا دماء المواطنين عبر سنوات طويلة، وارتكبوا أكبر الجرائم الوحشية فى صعدة وجنوب اليمن، يدَّعون بكل صفاقة ووقاحة متناهية أنهم أصحاب مشروع إصلاحى، فهل يمكن لمن مكث أكثر من ثلاثين عامًا وهو يشعل البلاد بالحروب الطائفية، والعرقية، والمناطقية، ويُعمّق الكراهية بين أبناء الوطن الواحد، ويترصد للمواطنين بالتصنيف والتمييز والتحريض؛ أن يحمل مشروعًا إصلاحيًّا؟ دعوا عنكم حلفاءهم من مشايخ السرق والنهب، أصحاب الثروات غير المشروعة، الذين يدعون اليوم العصامية والنزاهة، ويتلبسون بلبوس الانحياز إلى جانب الشعب اليمنى، رافعين شعار مكافحة الظلم والتسلط والفساد، وقد لبثوا أكثر أعمارهم وهم يفسدون فى الأرض بالقتل، والنهب للأموال العامة، والبسط على أراضى الضعفاء، والتأسيس للسجون الخاصة، ومؤخراً رأيناهم وهم يقومون بقطع الطرقات وتجنيد الإنتحاريين والتحالف مع التكفيريين والمسلحين الأجانب، لتوظيفهم فى صراعاتهم السياسية، وسمعناهم وهم يعملون على احياء الفتن الطائفية والنزعات العرقية والعنصرية بالدعوة إلى ذبح وطرد طوائف يمنية بعينها من البلاد، فهل يمكن لمثل هؤلاء المنافقين أن ينحازوا إلى جانب الشعب؟!

إنها أقنعة السياسة يا إخوانى، ومتطلبات المرحلة بعد ثورات الربيع العربى، أجبرت هؤلاء المتحالفين على لبس هذه الأقنعة على سبيل التكتيك ليس إلا؛ لتلميع ماضيهم الأسود، ولإيهام الناس أنهم قد تغيروا؛ بهدف إيقاف الزلزال الذى بدا يهز أركانهم،

حتى إذا ما وصلوا إلى أهدافهم الخفية فى الاستحواذ والهيمنة من جديد على أنقاض ولى نعمتهم السابق، على عبدالله صالح، حينها سوف يرفعون الأقنعة عن وجوههم القبيحة، ويظهرون على حقيقتهم الأزلية التى لا تتغير.

هذه دعوة من القلب أوجهها لكم يا شعب اليمن فى ختام مؤلفى هذا، للتفكير والتأمل، والنظر بنظرة أوسع؛ حتى لا تقعوا فى فخ الشعارات الكاذبة، وشراك الدعايات المخادعة التى نصبها لكم تجار الحروب، المتلبسين بلباس النسك والطهارة، ومصيركم بأيديكم، إما التحرر من سيطرة هؤلاء الظلمة باختيار دولة مؤسسات مدنية ديموقراطية حديثة، أو إعادتكم من جديد إلى حظيرتهم باختيار دولة طائفية، قبلية، ظلامية متخلفة، وحينها سوف تندمون يوم لا ينفع الندم، اللهم اشهد فقد بلغت، اللهم اشهد فقد بلغت، اللهم اشهد فقد بلغت.

المجلس الهدي الإسلامي

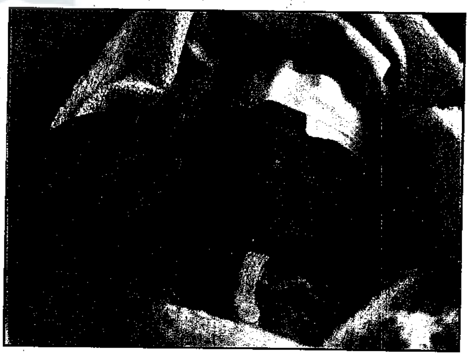

كانت اليمن فى عهد الإمام يحيى سلة غذائية تطعم الشعب وتُصدِّر فائض الحبوب إلى الخارج، فأصبحت تحت حكم العسكر تستجدى الغذاء من الخارج.

كانت اليمن فى عهد الإمام يحيى مضربًا للأمثال فى الأمن والأمان والاستقرار، فأصبحت تحت حكم العسكر منبعًا للفتن والاضطرابات الأمنية، وملاذًا آمنًا للتنظيمات الإرهابية.

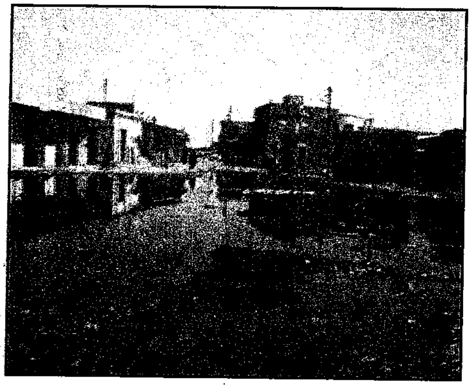

كانت الفجوة الحضارية فى عهد الإمام يحيى منعدمة بين اليمن وجواره من الدول، فأصبحت الفجوة الحضارية بين اليمن ومحيطه تحت حكم العسكر لا تقل عن مائة عام.

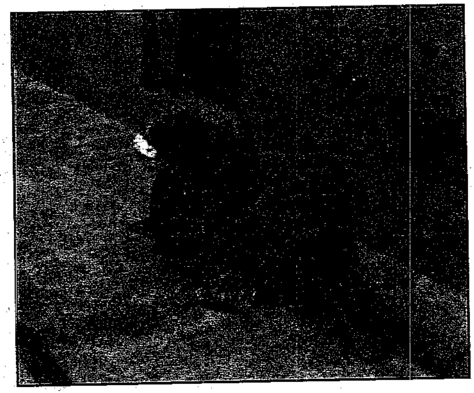

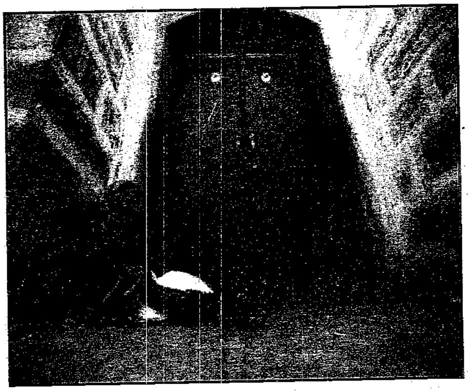

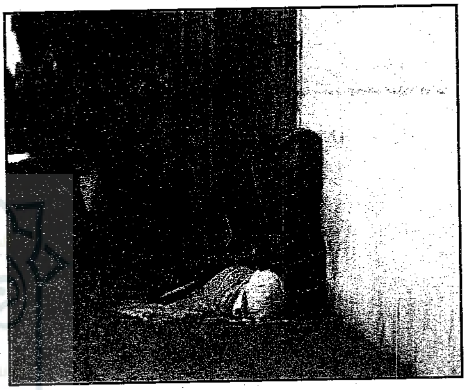

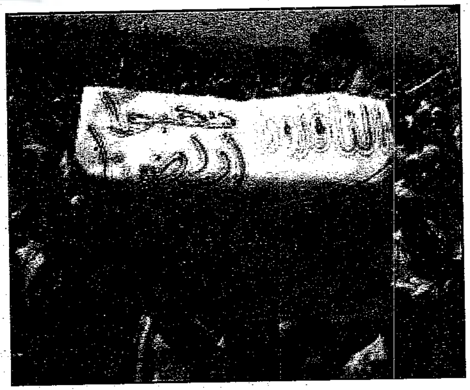

كان القضاء مستقلاً ونزيهًا، والعدالة مصانة، والحقوق محفوظة فى عهد الإمام يحيى، فأصبح القضاء فاسدًا، والعدالة منعدمة، والحقوق منهوبة تحت حكم العسكر.

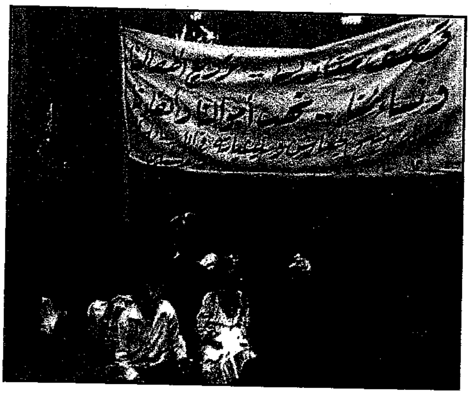

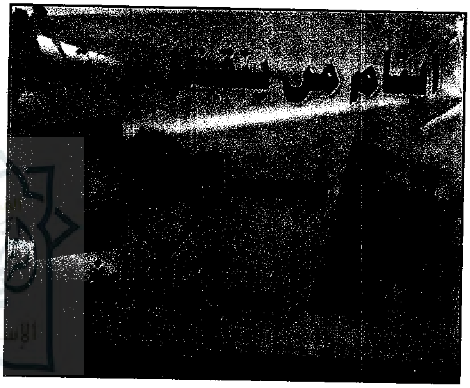

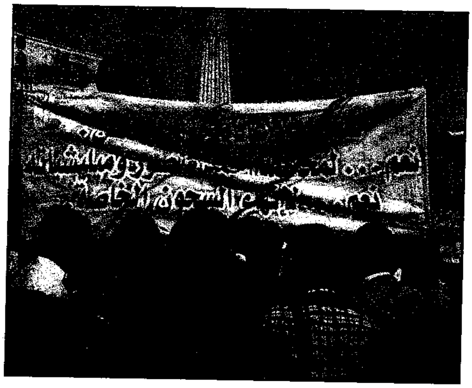

كان المواطن محصنًا من تسلُّط المشايخ والمتنفذين فى عهد الإمام يحيى، فأصبح المواطن تحت حكم العسكر خاضعًا لتسلُّط المشايخ والظلمة المتنفذين، ورهنًا لسجونهم الخاصة.

- كانت الدولة فى عهد الإمام يحيى قدوة للأمم فى الهيبة وسيادة النظام والقانون، فأصبحت تحت حكم العسكر مثالاً صارخًا للسقوط، ومثارًا محزنًا للشفقة والتندر بين الشعوب.

كان المواطن خارج اليمن فى عهد الإمام يحيى مرفوع الرأس، مهاب الجانب، فأصبح المواطن خارج اليمن تحت حكم العسكر متسللاً، ذليلاً، غير مرغوب فيه.

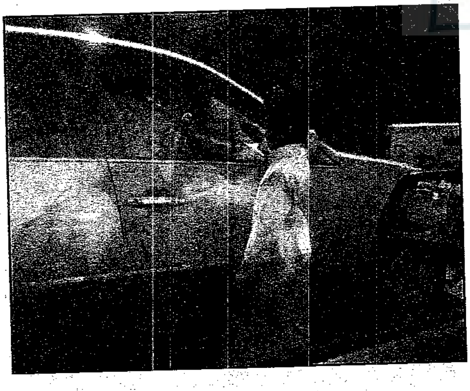

كان أطفال اليمن فى عهد الإمام يحيى ينعمون بالدفء والسلامة فى أوطانهم، فأصبحوا تحت حكم العسكر عرضة للإيذاء والتشرد، ورمزًا لامتهان التسول فى مدن المملكة العربية السعودية.

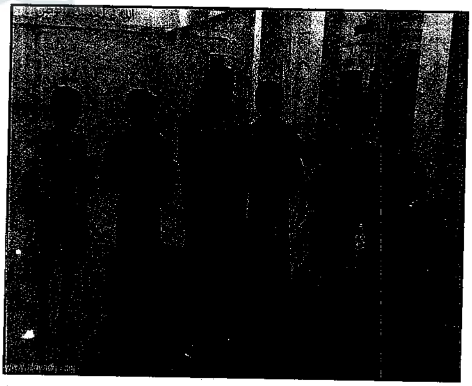

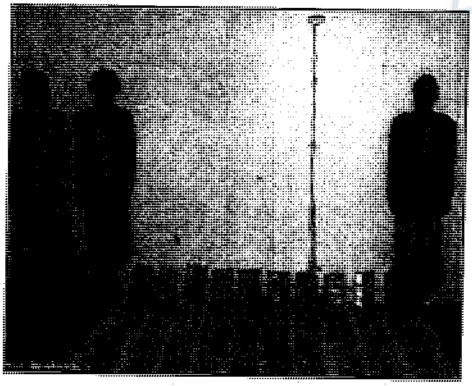

كانت اليمن فى عهد الإمام يحيى رمزًا للطهر والفضيلة، فأصبحت تحت حكم العسكر رمزًا للانحراف والفساد الأخلاقى، ومركزًا عالميًا لتهريب الأسلحة والخمور والمخدرات إلى المملكة العربية السعودية.

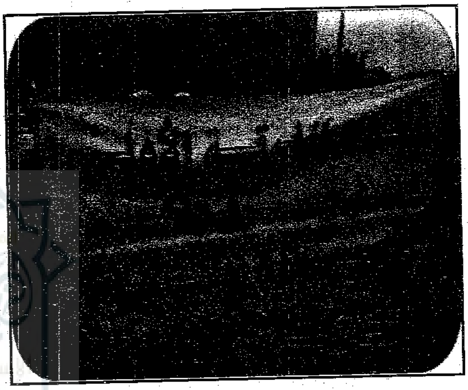

كان هناك حرمة للمال العام فى عهد الإمام يحيى، فأصبح المال العام تحت حكم العسكر نهبًا مباحًا للمتنفذين ومسرحًا لأبناء المسؤولين العابثين

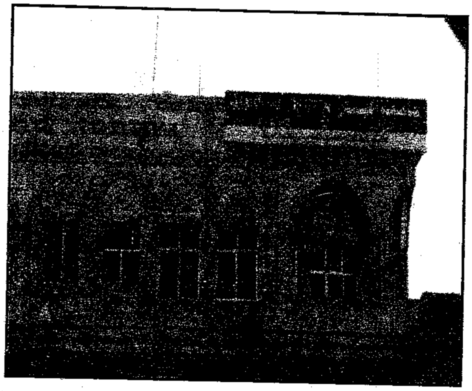

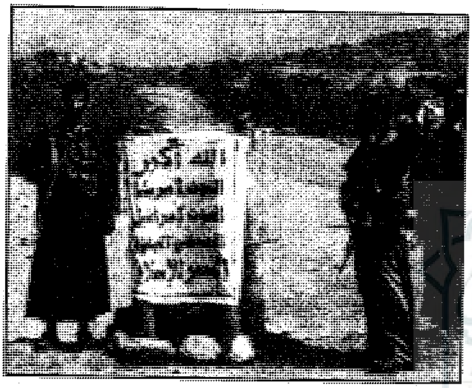

كانت اليمن فى عهد الإمام يحيى مضربًا للأمثال فى التعايش السلمى، والتسامح والتراحم والتواد بين السنة والشيعة (زيود وشوافع)، فأصبحت اليمن بعد اقتحام التكفيريين بتشجيع من حكم العسكر، ساحة للتناحر الطائفى بين السنة والشيعة، ومنبعًا رئيسًا للتطرف والتكفير لأهل القبلة.

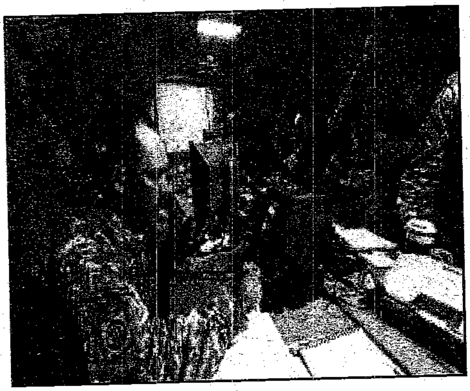

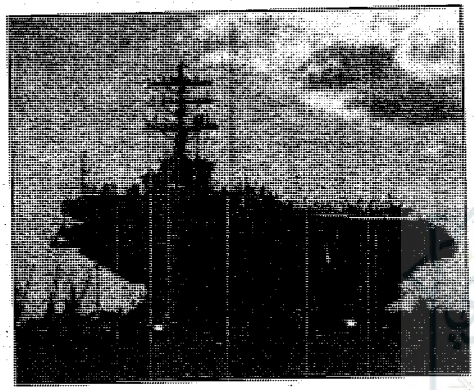

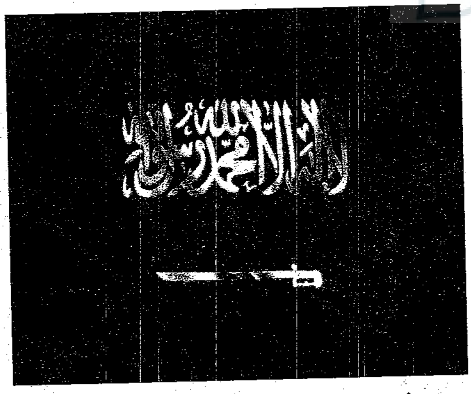

كانت اليمن فى عهد الإمام يحيى تملك القرار والسيادة، فأصبحت اليمن تحت حكم العسكر منخورة السيادة، تتلقى الأوامر والتعليمات من الخارج، وتخوض سلسلة من المنازلات بالوكالة لتصفية حسابات القوى الإقليمية.

أما عن التخلف التنموى فى عهد الإمام يحيى بالمقارنة مع اليوم، والذى ملأ إعلام العسكر به الدنيا صخبًا وضجيجًا، فجوار اليمن كان أشد تخلفًا من اليمن فى تلك الحقبة، والعلة لم تكن فى الحكام أنفسهم، بقدر ما كانت فى الزمان الذى عاشوا فيه، فها هى اليوم أصغر قرية فى سلطنة عمان والمملكة العربية السعودية فيها من الخدمات والرعاية التنموية ما لا يوجد فى العاصمة صنعاء، المعروفة اليوم بتكدُّس النفايات، وطفح المجارى، وانقطاع الكهرباء والمياه بصفة يومية تحت حكم العسكر. ورب قائل يُعزى فجوة اليمن الحضارية اليوم مع محيطه الخليجى إلى تواضع الإمكانيات فى اليمن، مقارنة بعائدات النفط فى الخليج، وهذا رأى مردود لأصحابه؛ لأن العراق وليبيا من أكبر منتجى النفط فى العالم وشعبهما يعانيان كما يعانى شعب اليمن، ومقابل ذلك نجد أن شعب الأردن الأكثر فقرًا من اليمن فى موارده، يتمتَّع بأرقى أنواع الخدمات والرعاية التنموية، فالعلة إذًا فى الأنظمة العسكرية وقياداتها الغوغائية الجاهلة، وليس فى عائدات النفط من عدمها.

واليمن لو لم يبتلَ بحكم الأراذل من الجهلة والغوغاء بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر؛ لكان اليوم عضوًا فاعلاً فى مجلس التعاون الخليجى، ولَنَعِمَ الشعب اليمنى بالأمن والاستقرار، والتنمية، والعزة والكرامة، كما ينعم به اليوم جوار اليمن الملكى، ولكنها لعنة حلت من السماء على ما اقترفته أيادى السبتمبريين، والضحية الشعب اليمنى المظلوم.

وفى النهاية لا أجد ما أختتم به هذا الكتاب أفضل من قصيدة ألقاها الدكتور عبد العزيز المقالح، الذى طالما حمَّل الإمام يحيى السبب فى مصائب اليمن، وتشدَّق بمنجزات ثورة ٢٦ سبتمبر، التى قامت على أنقاض المملكة المتوكلية اليمنية، وها هو اليوم يقرر ان يعود إلى رشده بعد نصف قرن من العناد والمكابرة، هاجيًا نفسه والنخبة العسكرية الحاكمة على ما انتهت إليه هذه الثورة، التى باعتراف المقالح فى هذه القصيدة، باعت الوطن وحولته إلى أطلال، وأذلَّت الشعب اليمنى، جاعلة منه ضحية تشتوى بنار الفتنة، التى لم تطفئ نيرانها منذ أكثر من نصف قرن. ويختتم الدكتور المقالح هذه القصيدة غير مكتفٍ بذم نفسه، ولعن العسكر الذين تسبَّبوا فى دمار اليمن بنكبة ٢٦ سبتمبر، بل يؤكد أيضاً على أن الأجيال القادمة من الأحفاد والذرية الذين لم يبصروا النور بعد، سوف تلعنهمً وتتبرأ منهم على ما اقترفته أياديهم الآثمة، يقول الدكتور المقالح:

ما ليس مقبولاً ولا معقولاً أن يصبح اليمن الحبيب طلولا
أن يشتوى بالنار من أبنائه وينالـه منهم أذى خمولا
ثوراته موءودة ودماؤه مسفوحة تروى الثرى المشلولا
ونساؤه مأسورةً ورجاله يتطلّبون لدى الغريب حلولا
الراكعون لكل علج أجرب والخاضعون أذلة وغفولا
يتقاتلون على سرابٍ خادعٍ ويرون فيه المغنمَ المأمولا
ظنوا السياسة لعبة وخديعة والحكم بطشًا سافرًا ومحولا
وطن يُباع على الرصيف بحفنةٍ من مال إسرافيل أو عزْريلا
أسفى على الشهداء كيف تساقطوا كيما ينال الخائن الإكليلا
خرجوا فدى أوطانهم وشعوبهم لم يرهبوا عنفًا ولا تقتيلا
أين اليمانيون من تركوا على وجه الزمان سناءهم مجدولاً
ألم يبق منهم فى البلاد بقيةٌ رحلوا سيوفًا فى الدنى وخيولا
لم يتركوا فى الدار إلا عاجزًا متهورًا أو حاقدًا مخبولا
إنى لأهجوهم وأشعر أننى أهجو كيانى مبدءًا وأصولا
وأذم نفسى حين أضمر ذمهم وأرانى المذموم والمسؤولا
لكننى يا ويح نفسى لم أزل فى الناس من أفعالهم مذهولا
خرجوا على القيم الأصيلة واحتذوا دربًا - إلى أوهامهم - مرذولاً
لا يسمعون نداء صوت عاقل أو يأخذون إلى الوئام سبيلا
لَعَنَتْهم الأحفاد فى أصلابهم ونفتهم الأجيال جيلاً جيلاً
وتبرأت منهم جبال بلادهم واستسخفتهم سيرة وعقولا

الخاتمة

ليس الهدف من هذا الكتاب، التباكى على الماضى، أو الوقوف على الأطلال، فلن نبقى رهائن فى سجن التاريخ، ولن تسود بيننا النظرة الضيقة، ولكنّ الهدف نفض ما لحق بتاريخ الإمام يحيى وأسلافه من أتربة الزيف والبهتان، وكشف حقيقة الأدوار التخريبية والخيانية التى لعبها قتلة الإمام يحيى فى حق الدين والوطن، والتى ما زالت تجرجر أذيالها حتى اليوم. وطرح التساؤل خدمة للتاريخ عن مكانة اليمن اليوم فى الساحة الدولية، مقارنة بمكانته فى عهد الإمام يحيى، حيث كانت الدولة اليمنية، بالرغم من شحّ الإمكانيات ومكابدة أهوال الحصار البريطانى لأكثر من ثلاثين عامًا، تتسم بالمهابة وعلو الشأن، وتملك من الشروط الأولية ما يُمكّنها من النهوض، وهذه الشروط: القرار والسيادة، والأمن، والاستقرار، والسلم الاجتماعى، وسيادة النظام والقانون، والحرمة للأموال العامة.

والسؤال المنطقى الذى يطرح نفسه اليوم هو: لماذا تمكّن جوار اليمن الملكى من الانطلاق نحو آفاق التنمية والحضارة، وفشل اليمن الجمهورى فى ذلك، بالرغم من أن اليمن كان يعيش فى المربع الحضارى نفسه الذى عاشه جواره الملكى فى عهد الإمام يحيى، إن لم يكن أعلى درجة، وبالرغم من تدفق الدعم المادى والمعنوى الخليجى والدولى غير المحدود، الذى سخّر كل الإمكانيات، وذلّل كل الصعوبات، وهيأ كل الفرص لحكام الجمهورية عبر عقود طويلة؛ لدفع اليمن إلى آفاق التقدم والإزدهار؟

أعتقد أن الجواب على ذلك السؤال أوضح وأجلى من أن يجيب عليه مثلى، وقد رأينا حكام اليمن الجمهورى عبر أكثر من خمسين عامًا وهم لا يملكون شيئًا سوى تحميل رزايا الحاضر على مشجب الإمام يحيى؛ من أجل التغطية على عجزهم، ولا أدرى على ماذا يحتفل هؤلاء الحكام سنويًا بثورة ٢٦ سبتمبر، وقد ضيعت اليمن، وأحالته حطامًا فى الدرك الأسفل من السلّم الحضارى للأمم، فما هى منجزات هذه الثورة؟ وماذا قدّمت للبلاد سوى الانفلات الأمنى، وتدفق حمامات الدم، والذهاب بكرامة المواطن اليمنى بتحويل المجتمع إلى خدم للعشيرة والمحاسيب، وجعل مقدرات الدولة كرة يتقاذفها العسكر مع نفر من حلفائهم المشايخ، واستشراء الفوضى والانحطاط الإدارى، والانهيار التام فى كافة المرافق والخدمات، والأهم من ذلك كله، انعدام القرار والسيادة؟

وما هى مفاخر القائمين على هذه الثورة، خاصة فى عهد على صالح، سوى تدمير حاضر اليمن ومستقبله، بتكريس البعد الطائفى والعنصرى والقبلى، وقتل شعور اليمنيين من أهل الجنوب بالوحدة اليمنية، وانبعاث النزعات المناطقية والجهوية، وتحويل اليمن إلى مركز عالمى لتجارة المخدرات والخمور وتهريبها إلى المملكة العربية السعودية، وجعل اليمن ملاذًا آمنًا للتنظيمات الإرهابية، وليت أن هذه الثورة تركت للشعب اليمنى بصيص أمل يبشِّر بأن اليمن سوف يستعيد عافيته قريبًا فى ظلِّ معطيات ٢٦ سبتمبر بعد سقوط على صالح؛ فعلى ما يبدوا أنه ما لم يقم الشعب اليمنى بعملية جراحية كبرى تقضى على رموز وشبكات الفساد والإفساد والمصالح الضيقة التى تغوَّلت فى اليمن عبر خمسين عامًا من عمر الثورة؛ وحولت البلاد الى اقطاعيات مشيخية وبؤر ارهابية لا تطالها سلطة الدولة، فإن لعنة قتل الإمام يحيى سوف تطارد اليمن لخمسين عامًا أخرى على الأقل، أو ربما يتحوَّل اليمن إلى حالة ميئوس منها كالصومال، فهلاَّ منحنا أنفسنا قدرًا من التفكير والتأمل قبل إصدار الأحكام المسبقة على الإمام يحيى وأسرته، الذين حكموا اليمن بالعدل والقسطاط، وحموا المواطنين من تسلط الظلمة والمتنفذين، وفرضوا الأمن والأمان وردوا الحقوق لأصحابها، وأخمدوا الفتن الطائفية والمذهبية، وحفظوا للشعب اليمنى أمواله، ووحدته، وعزته، وكرامته، ومكانته اللائقة بين الأمم، بجهودهم الشخصية، وبموارد اليمن الذاتية، دون أن تمتد إليهم أيادى العون أو المساعدة من أحد، وفى زمن كانت فيه الجزيرة العربية ليست كما هى اليوم من حيث الوفرة، وتيسّر أسباب السعة والمعرفة والدعة فى العيش، والتطور فى شتى مناحى الحياة؟

قائمة المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
الجزء الأول	
الإهداء:	٤
المقدمة:	٥
تمهيد:	٨
الفصل الأول: نسب الامام يحى ونشأته وطبيعة بيئته	١١
الفصل الثانى: مدرسة الامام يحى الفكرية	٢٠
الفصل الثالث: الجذور التاريخية لدولة الأئمة الزيدية فى اليمن	٥٣
الفصل الرابع: الدولة القاسمية فى اليمن	٨٢
الفصل الخامس: بيعة الامام يحى	٩٧
الفصل السادس: حروب الامام يحى مع الأتراك	١١٦
الفصل السابع: حروب الامام يحى مع الانكليز	١٥٨
الفصل الثامن: حروب الامام يحى الداخلية لتوحيد اليمن	٢٧٤
الفصل التاسع: مشاريع البناء والتحديث فى عهد الامام يحى	٣٦٥
الجزء الثانى	
الفصل العاشر: استشهاد الامام يحى فى انقلاب عام ١٩٤٨م	٣
الفصل الحادى العشر: العلاقات اليمنية السعودية فى عهد الامام يحى	١٦٣
الفصل الثانى عشر: جوانب من حياة الامام يحى	٢٣٥
الفصل الثالث عشر: صور من حاضر اليمن	٣٠٩
الخاتمة:	٣٢٧

رقم الإيداع	٤١٧٧ / ٢٠١٥
الترقيم الدولى	ISBN 978 - 977 - 02 - 8179 - 6

١٦٤/ ٢٠١٤ / ٢

طبع بمطابع دار المعارف